(فهرسة الجزء الحادي عشر من تاريخ الكامل لابن الاثير)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

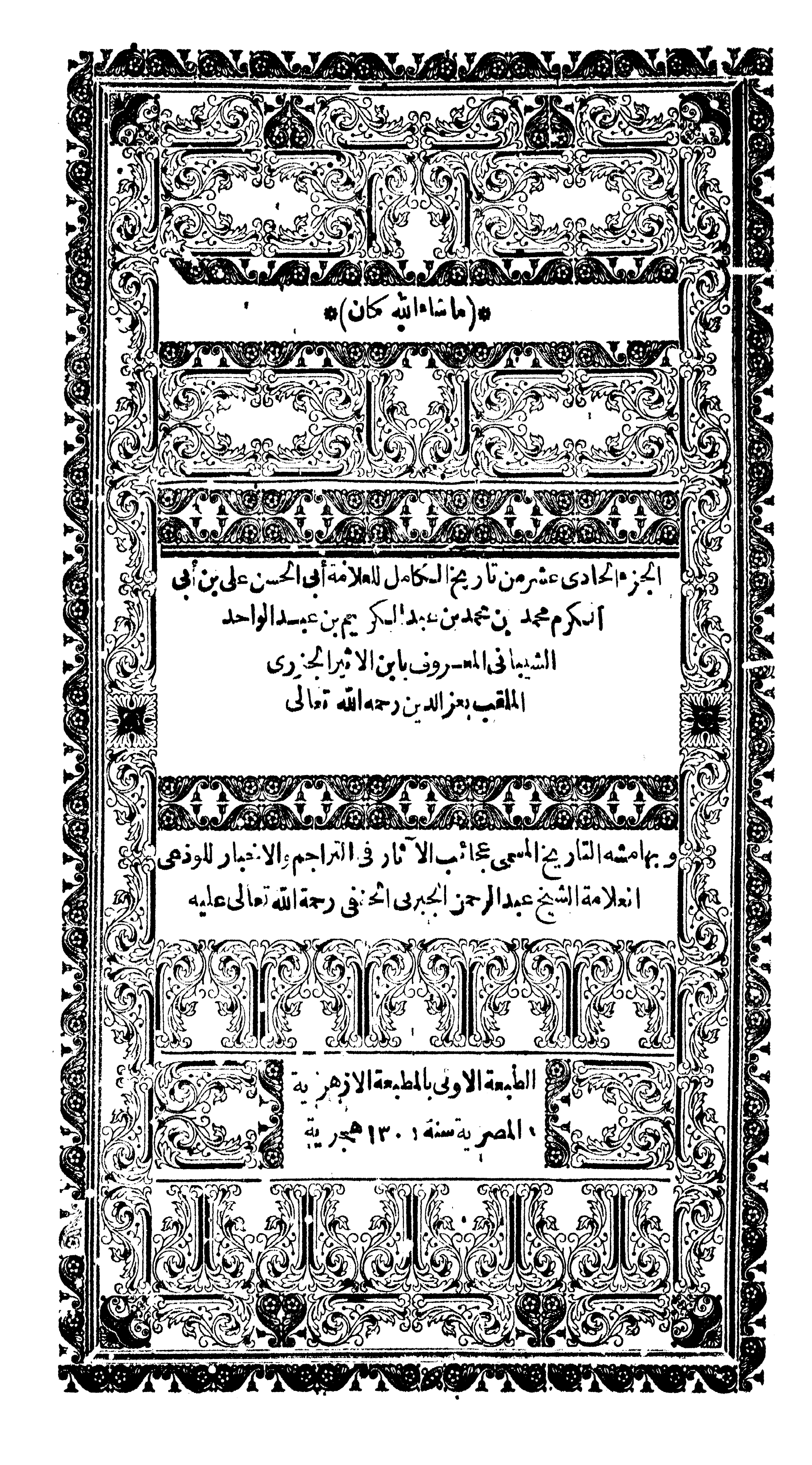
صحيفة

صحيفة

(ت)

(فهرست الجزء الحادى عشر من تاريخ العلامة الجبرتى)

(تمت)

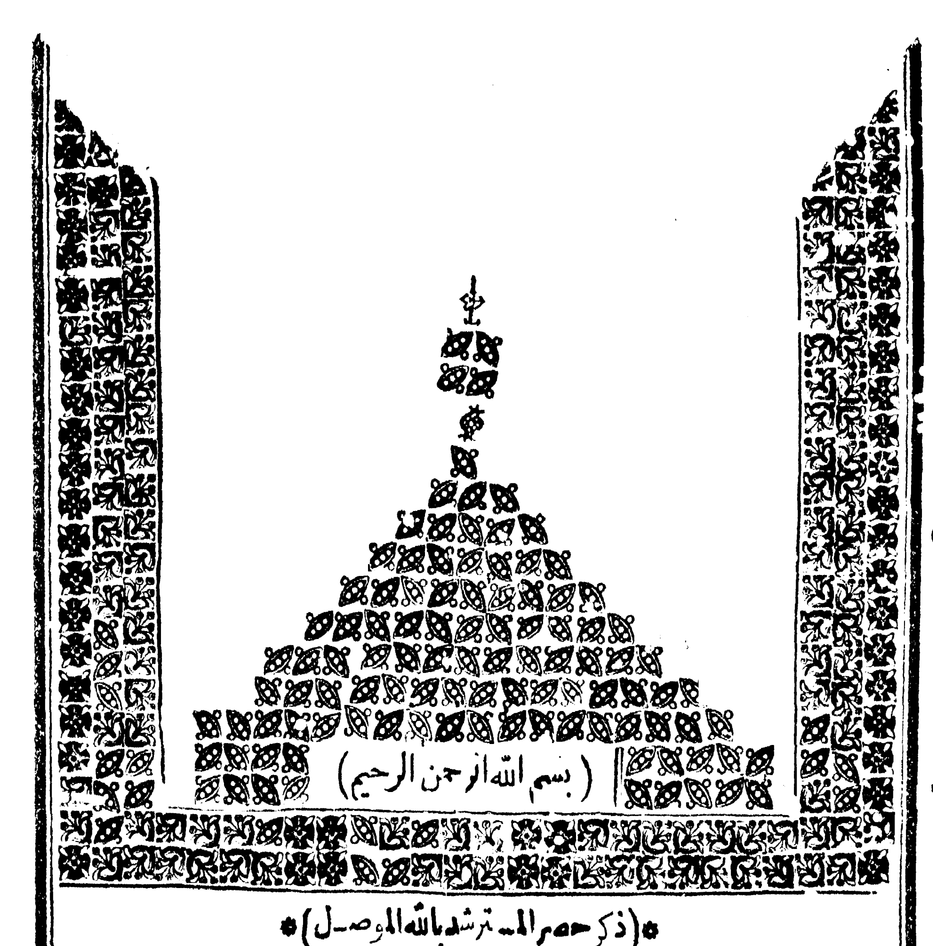


(ما شاء الله كان)

الجزء الحادى عشر من تاريخ الكامل للعلامة أبى الحسن على بن أبى
الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى
الملقب بعز الدين رحمه الله تعالى

وبهامشه التاريخ المسمى عجائب الآثار فى التراجم والاخبار للوذعى
العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى رحمة الله تعالى عليه

الطبعة الاولى بالمطبعة الازهرية
المصرية سنة ١٣٠١ هجرية



(ذكر حصر المسترشد بالله الموصل)

في هذه السنة (٥٢٧) حصر المسترشد بالله مدينة الموصل في العشرين من شهر رمضان وسبب ذلك ما تقدم من قصة الشهيد زنكي ببغداد على ما ذكرناه قبل فلما كان الآن قصد جماعة من الامراء السلجقية باب المسترشد بالله وصاروا معه فقوى بهم واشتغل السلاطين السلجقية بالخلف الواقع بينهم فارسل الخليفة الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الاسفرايني الواعظ الى عماد الدين زنكي برسالة فيها خشونة زادها أبو الفتوح زيادة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة فقبض عليه عماد الدين زنكي واهانه ولقيه بما يكره فارسل المسترشد بالله الى السلطان مسعود يعرفه الحال الذي جرى من زنكي ويعلمه انه على قصد الموصل وحصرها وتمادت الايام الى شعبان فسار عن بغداد في النصف منه في ثلاثين الف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها أتابك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين جقر دزدارها والحاكم في دولته وامرهم بحفظها ونازلها الخليفة وقاتلها وضيق على من بها واما عماد الدين فانه سار الى سنجار وكان يركب كل ليلة ويقطع الميرة عن العسكر ومتى ظفر باحد من العسكر اخذه ونكل به وضاقت الامور بالعسكر ايضا وتواطا جماعة من الجصاصين بالموصل على تسليم البلد فسعى بهم فاخذوا وصلبوا وبقي الحصار على الموصل نحو ثلاثة أشهر ولم يظفر منها بشئ ولا بلغه عن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائدا الى بغداد فقيل ان نصر الخادم

(ومنها) انه نودى في اواخر السنة على صرف المحبوب بزيادة صرف ثلاثين نصفا وكان يصرف باثنين وخمسين من زيادات الناس في معاملاتهم فكانوا ينادون بالنقص ورجوعها الى ما كان قبل الزيادة ويعاقبون على التزايد (وفي هذه الايام) نودى بالزيادة وذلك بحسب الاغراض والمقاصد والمقتضيات ومراعاة مصالح انفسهم لا المصلحة العامة هذا مع نقص عياره ووزنه عما كان عليه قبل المناداة وكذلك نقصوا وزن القروش وجعلوا القرش على النصف من القرش الاول ووزنه درهمين وكان اربعة دراهم وفي الدرهمين ربع درهم فضة هذا مع عدم الفضة العددية ووجودها بايدى الناس والصيارف واذا اراد انسان صرف قرش واحد من غيره صرفه بنقص ربع العشر واخذ بدله قطعا صغارا افرنجية يصرف منها الواحدة باثني عشر واخرى بعشرة واخرى بخمسة ولكنها جيدة العيار وهم الآن يجمعونها ويضربونها بما يزاد عليها من النحاس وهو ثلاثة ارباعها قروشا لان القطعة الصغيرة

وصل

وصل اليه من عسكر السلطان وابلغه عن عسكر السلطان مسعود ما أوجب مسيره وعوده الى بغداد وقيل بلغه ان السلطان مسعودا عزم على قصد بغداد فعاد بالجملة وانه رحل عنها منحدرا فى شبارة فى دجلة فوصل الى بغداد يوم عرفة

(ذكر ملك شمس الملوك مدينة حماة)

وفى هذه السنة ايضا فى شوّال ملك شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة وقلعتها وهى لاتابك زنكى بن آقسنقر أخذها من تاج الملوك كما ذكرنا ولما ملك شمس الملوك قلعة بانيس أقام بدمشق الى شهر رمضان من هذه السنة وسار الى حماة فى العشر الاخير منه وسبب طمعه انه بلغه ان المسترشد بالله يريد ان يحصر الموصل فطمع وكان الوالى بحماة قد سمع الخبر فتحصن واستكثر من الرجال والذخائر ولم يبق أحد من أصحاب شمس الملوك الا وأشار عليه بترك قصدها لقوة صاحبها فلم يسمع منهم وسار اليها وحصر المدينة وقاتل من بها يوم العيد وزحف اليها من وقته فتحصنوا منه وقاتلوه فعاد عنهم ذلك اليوم فلما كان الغد بكر اليهم وزحف الى البلد من جوانبه فملكه قهرا وعنوة وطلب من به الامان فامنهم وحصر القلعة ولم تكن فى الحصانة والعلو على ماهى اليوم فان تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين قطع جبلها وعملها هكذا فى سنين كثيرة فلما حصرها عجز الوالى بها عن حفظها فسلمها اليه فاستولى عليها وعلى ما بها من ذخائر وسلاح وغير ذلك وسار منها الى قلعة شيزر وبها صاحبها من بنى منقذ فحصرها ونهب بلدها فراسله صاحبها وصانعه بمال حمله اليه فعاد عنه الى دمشق فوصل اليها فى ذى القعدة من السنة المذكورة

(ذكر هزيمة صاحب طرابلس الفرنجى)

وفى هذه السنة عبر الى الشام جمع كثير من التركمان من بلاد الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وغنموا وقتلوا كثيرا فخرج القمص صاحب طرابلس فى جموعه فانزاح التركمان من بين يديه فتبعهم فعادوا اليه وقاتلوه فهزموه وأكثروا القتل فى عسكره ومضى هو ومن سلم معه الى قلعة بعرين فتحصنوا فيها وامتنعوا عن التركمان فحصرهم التركمان فيها فلما طال الحصار عليهم نزل صاحب طرابلس ومعه عشرون فارسا من أعيان أصحابه سرا فنجوا وساروا الى طرابلس وترك الباقين فى بعرين يحفظونها فلما وصل الى طرابلس كاتب جميع الفرنج فاجتمع عنده منهم خلق كثير وتوجه بهم نحو التركمان ليرحلهم عن بعرين فلما سمع التركمان بذلك قصدوهم ولقوهم وقتل بينهم خلق كثير وأشرف الفرنج على الهزيمة فجمعوا نفوسهم وعادوا على حمية الى رفنية فتعذر على التركمان اللحاق بهم الى وسط بلادهم فعادوا عنهم راجعين

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة اشترى الاسمعيلية بالشام قلعة حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون وصعدوا اليه وقاموا بحرب من يجاورهم من المسلمين والفرنج وكانوا كلهم

التى تصرف بخمسة انصاف وزنها درهم واحد وزنى فيصيرونها اربعة ٣ . قروش فتضاعف الخمسة الى ثمانين وكل ذلك نقص واختلاس من اموال الناس من حيث لا يشعرون .

(واما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر) فمات الفقيه الفريد والعلامة المفيد الشيخ على الحصاوى الشافعى ولا أعلم له ترجمة وانما رأيته يقرر الدروس ويفيد الطلبة فى الفقه والمعقول ويشهد الفضلاء بفضله ورسوخه وكان على طريقة المتقدمين فى الانقطاع للافادة وعدم الرفاهية والرضا بما قسم له منعكفا فى حاله وتمرض بالبرودة ولم ينقطع عن ملازمة الدروس حتى توفى فى منتصف جمادى الثانية من السنة وصلى عليه بالازهر ودفن فى تربة المجاورين بالصحراء ومات المعلم جرجس الجوهرى القبطى كبير المباشرين بالديار المصرية وهو أخو المعلم ابراهيم الجوهرى ولما مات اخوه فى زمن رياسة الامراء المصرية تعين مكانه فى الرياسة على المباشرين والكتبة وبيده حل الامور وربطها فى جميع الاقاليم المصرية نافذ الكلمة وافر الحرمة وتقدم فى أيام الفرنسيس فكان رئيس الرؤساء وكذلك عند مجىء الوزير والعثمانيين وقدموه واجلوه ولما يسديه اليهم من الهدايا والرغائب حتى كانوا يسمونه جرجس افندى ورايته بمجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب شريف افندى الدفتردار ويشرب بحضرتهم

الدخان وغيره ويراعون جانبه ٤ ويشاورونه في الامور وكان عظيم النفس ويعطي العطايا ويفرق على جميع الاعيان

يكرهون مجاورتهم وفيها وقع الخلف بالشام فقاتل بعضهم بعضا ولم تجر لهم بذلك عادة قبل هذه السنة وقتل بينهم جماعة وفيها في جمادى الآخرة أغار الامير سوار مقدم عسكر زنكي بحلب على ولاية تل باشر فغنم الكثير فخرج اليه الفرنج في جموع كثيرة فقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وكان عدة القتلى نحو ألف قتيل وعاد سالما وفيها تاسع ربيع الآخر وثب على شمس الملوك صاحب دمشق بعض مماليك جده طغدكين فضربه بسيف فلم يعمل فيه شيئا وتكاثر عليه مماليك شمس الملوك فأخذوه وقرروا الذي حمله على ما فعل فقال أردت اراحة المسلمين من شرك وظلمك ولم يزل يضرب حتى أقر على جماعة انهم وضعوه على ذلك فقتلهم شمس الملوك بغير تحقيق وقتل معهم أخاه سونج فعظم ذلك على الناس ونفروا عنه وفيها توفي الشيخ أبو الوفاء الفارسي وكان له جنازة مشهودة حضرها أعيان بغداد وفيها في رجب توفي القاضي أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبد الله بن مخلد المعروف بابن الرطبي الفقيه الشافعي قاضي الكرخ وتفقه على أبي اسحق وأبي نصر بن الصباغ وسمع الحديث ورواه وكان قريبا من الخليفة يؤدب أولاده وتوفي أبو الحسن علي بن عبد الله بن نصر المعروف بابن الزاغوني الفقيه الحنبلي الواعظ وكان ذا فنون توفي في المحرم وتوفي علي بن يعلى بن عوض بن القاسم الهروي كان واعظا وله بخراسان قبول كثير وسمع الحديث فأكثر ومحمد بن احمد بن علي أبو عبد الله الحراني وهو من أولاد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وكان محمد يلقب بالديباج لحسنه وأصله من مكة وهو من اهل نابلس وكان مغاليا في مذهب الاشعري وكان يعظ توفي في صفر وفيها توفي أبو فليتة أمير مكة وولي الامارة بعده ابنه القاسم وفيها توفي العز بن هبة الله بن علي الشريف العلوي الحسيني نقيب نيسابور وكان جده نقيب النقباء بخراسان وعرض على العز هذا نقابة العلويين فامتنع وعرض عليه وزارة السلطان فامتنع ولزم الانقطاع والاشتغال بأمر آخرته وفيها توفي قاضي قضاة خراسان أبو سعيد محمد بن احمد بن صاعد وكان خيرا صالحا

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الملوك شقيف تيرون ونهبه بلد الفرنج)

في هذه السنة في المحرم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق منها الى شقيف تيرون وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به فتحاماه المسلمون والفرنج يحتمي على كل طائفة بالاخرين فسار شمس الملوك اليه في هذه السنة اخذه منه في المحرم وعظم اخذه على الفرنج لأن الضحاك كان لا يتعرض الى شيء من بلادهم المجاورة له فخافوا شمس الملوك فجمعوا عساكرهم فلما اجتمعت ساروا الى بلد حوران فخربوا أمهات البلد ونهبوا ما كنهم نهبه وكان شمس الملوك لما رآهم يجمعون جمع هو ايضا وحشد وحضر عنده جمع

عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والارز والسلماوي والبن ويعطي ويهب ويبني عدة بيوت بحارة الرنديك والازبكية وانشاداوا كبيرة وهي التي يسكنها الدفتردار الآن ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين عند قنطرة الدكة وكان يقف على ابوابه الحجاب والخدم ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالي وتداخل في هذا الباشا وفتح له الابواب لاخذ الاموال والمترجم يدافع في ذلك واذا طلب الباشا طلبا واسعا من المعلم جرجس يقول له هذا لا يتيسر تحصيله فيأتي المعلم غالي فيسهل له الامور ويفتح له ابواب التحصيل فضاق خناق المترجم وخاف على نفسه فهرب الى قبلي ثم حضر بامان كما تقدم وانحط قدره ولازمته الامراض حتى مات في اواخر شعبان وانقضى وخلا الجو للمعلم غالي وتعين بالتقدم ووافق الباشا في اغراضه الكلية والجزئية وكل شيء له بداية وله نهاية والله اعلم

(واستهلت سنة ست وعشرين ومائتين والف)

فكان اول المحرم يوم السبت فيه اظهر الباشا الاهتمام بامر الحجاز والتجهيز للسفر وركب في ليلة الجمعة سابعه الى السويس وسافر صحبته كثير

كثير من التركمان وغيرهم فنزل بازاء الفرنج وجرت بينهم مناوشة عدة أيام ثم ان شمس الملوك نهض ببعض عسكره وجعل الباقي قبالة الفرنج وهم لا يشعرون وقصد بلادهم طبرية والناصرة وعكا وما يجاورها من البلاد فنهب وخرب واحرق وسبى النساء والذرية وامتلأت ايدي من معه من الغنائم واتصل الخبر بالفرنج فانزعجوا ورحلوا لا يلوي أخ على أخيه وطلبوا بلادهم واما شمس الملوك فانه عاد الى عسكره على غير الطريق الذي سلكه الفرنج فوصل سالما ورأى الفرنج بلادهم خرابا ففت في أعضادهم وتفرقوا وراسلوا في تجديد الهدنة فهادنهم شمس الملوك في ذي القعدة السنة

(ذكر عود الملك طغرل الى الجبل وانهزام الملك مسعود)

في هذه السنة عاد الملك طغرل بن محمد بن ملكشاه فملك بلاد الجبل جميعها واجلى عنها أخاه السلطان مسعودا وسبب ذلك ان مسعودا لما عاد من حرب اخيه طغرل بلغه عصيان داود ابن اخيه السلطان محمود باذربيجان فسار اليه وحصره بقلعة روئين دز وكان فتحصن بها واشتغل بحصره فجمع الملك طغرل العساكر واستمال بعض قواد مسعود ولم يزل يفتح البلاد فكثرت عساكره وقصد مسعودا فلما قارب قزوين سار مسعود نحوه فلما تراءى العسكران فارق مسعودا من امرائه من كان قد استماله طغرل فبقي في قلة من العسكر فولى منهزما اواخر رمضان وارسل الى المسترشد بالله في القدوم لبغداد فاذن له وكان نائبه باصفهان البقش السلاحي ومعه الملك سلجوق شاه فلما سمع بانهزام مسعود قصد بغداد أيضا فنزل سلجوق شاه بدار السلطان فاكرمه الخليفة وانفذ اليه عشرة آلاف دينار ثم قدم مسعود بغداد واكثر اصحابه ركاب جمال لعدم ما يركبونه ولقي في طريقه شدة فارسل اليه الخليفة الدواب والخيام والآلات وغيرها من الاموال والثياب فدخل الدار السلطانية ببغداد منتصف شوال وقام طغرل بهمذان

(ذكر حصر أتابك زنكي آمد وملكه قلعة الصور)

في هذه السنة اجتمع أتابك زنكي وتمرتاش صاحب ماردين وقصدا مدينة آمد فحصراها فارسل صاحبها الى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا يستنجده فجمع عساكره وغيرها وسار نحو آمد ليرحلهما عنها فالتقوا على باب آمد وتصافوا في جمادى الآخرة فاقتتلوا فانهزم داود وعاد مفلولا وقتل جماعة من عسكره واقام زنكي وتمرتاش على آمد محاصرين لها وقطعا الشجر وشعثا البلد ثم سارا عنها من غير بلوغ غرض فقصد زنكي قلعة الصور من ديار بكر وحصرها وضايقها فملكها في رجب من هذه السنة واتصل به ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتوثي فاستوزره زنكي وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محبا للخير

(ذكر ملك زنكي قلاع الاكراد الحميدية)

في هذه السنة استولى عماد الدين زنكي على جميع قلاع الاكراد الحميدية منها قلعة

السيد محمد المحروقي وقام باحتياجاته ولوازمه فلما وصل الى السويس • حجز الداوات التي وصلت بالحمل وسفر عدة من المراكب التي انشاها ليقبضوا على البداوات والسفن التي بالاساكل وحجزها واستولى على البن الذي وجده ببندر السويس للتجار فلما وصل خبر ذلك الى مصر فغلا سعر البن وزاد حتى وصل الى خمسين ريالا فرانسه بعد ان كان بستة وثلاثين عنها اثنا عشر الف فضة وخمسمائة نصف فضة

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الاحد سنة ١٢٢٦)

في ثانيه يوم الاثنين حضر الباشا من السويس الى مصر في سادس ساعة من الليل فضربوا في صبحها عدة مدافع لحضوره وقد حضر على هجين بمفرده ولم يصحبه الا رجل بدوي على هجين ايضا ليدله على الطريق وقطع المسافة في احدى عشرة ساعة وحضر من كان بصحبته في ثاني يوم وهم مجدون السفر وحضر السيد محمد المحروقي بحموله في اليوم الثالث واخبروا ان الباشا أنزل من ساحل السويس خمسة مراكب من المراكب التي أنشاها باحتياجاتها ولوازمها وعساكرها ووجههم الى ناحية اليمن ليقبضوا على ما يجدونه من المراكب وان الصناع مجتهدون في العمل في مراكب كبار لحمل الخيول والعساكر واللوازم (وفيه) حضر صالح اغا قوج حاكم الينبوع وتناقلت الاخبار عن الامراء المصريين القبليين بانهم

حضروا الى الطينة ورجعوا الى ناحية قطيا ٦ وقوض وخرج اليهم احد اغاالاظ وتحارب معهم وقتل من عساكره عدة وافرة (وفيه) قلد الباشا ابنه طوسون باشا سارى عسكر الركب الموجه الى الحجاز واخرجوا جيشهم الى ناحية قبة العزب ونصبوا عرضيا وخياما واظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التوانى ونوه بتسفير عساكر لناحية الشام لتمليك يوسف باشا لها وسارى عسكرهم شاهين بك الالفى ونحو ذلك من الايهامات وطلب من المنجمين ان يختاروا وقتا صالحا لالباس ابنه خلعة السفر فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة فلما كان يوم الخميس رابعه طاف الاى جاويش بالاسواق على صورة الهيئة القديمة فى المناداة على المواكب العظيمة وهو لابس الضلمة والطبق على رأسه وراكب حمارعال وامامه مقدم بعكاز وحوله قابجية ينادون بقولهم يارن ألاى ويكررون ذلك فى أخطاط المدينة وطافوا باوراق التنابيه على كبار العسكر والبينبات والامراء المصرية الالفية وغيرهم يطلبونهم للحضور فى باكر النهار الى القلعة ليركب الجميع بتجملاتهم وزينتهم امام الموكب فلما اصبح يوم الجمعة سادسه ركب الجميع وطلعوا الى القلعة وطلع المصرية بمماليكهم واتباعهم واجنادهم فدخل الامراء عند الباشا وصبحوا عليه

العقر وقلعة شوش وغيرهما وكان لما ملك الموصل اقر صاحبها الامير عيسى الحميدى على ولايتها واعمالها ولم يعترضه على شئ مما هو بيده فلما حضر المسترشد الى الموصل حضر عيسى هذا عنده وجمع الاكراد عنده فاكثر فلما رحل المسترشد عن الموصل امر زنكى ان تحصر قلاعهم فحصرت مدة طويلة وقوتلت قتالا شديدا الى ان ملكت هذه السنة فاطمأن اذا اهل السواد المجاورون لهؤلاء القوم فانهم كانوا معهم فى ضائقة كبيرة من نهب اموالهم وخراب البلاد

(ذكر ملك قلاع الهكارية وكواشى)

وحكى عن بعض العلماء من الاكراد ممن له معرفة باحوالهم ان أتابك زنكى لما ملك قلاع الحميدية واجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد الله صاحب قلعة اشب والجزيرة ونوشى فارسل الى أتابك زنكى من استحلفه له وحمل اليه مالا وحضر عند زنكى بالموصل فبقى مدة ثم مات فدفن بتل توبة ولما سار عن اشب الى الموصل اخرج ولده أحمد بن أبى الهيجاء منها خوفا ان يتغلب عليها واعطاه قلعة نوشى وهذا أحمد هو والد على بن احمد المعروف بالمشطوب من أكابر امراء صلاح الدين بن ايوب بالشام ولما اخرجه ابوه من اشب استناب بها كرديا يقال له باو الارجى فلما مات أبو الهيجاء سار ولده احمد من نوشى الى اشب ليملكها فمنعه باو واراد حفظها للولد صغير لابى الهيجاء اسمه على فسار زنكى بعسكره فنزل على اشب وملكها وسبب ملكها ان اهلها نزلوا كلهم الى القتال فتركهم زنكى حتى قاربوه واستجرهم حتى ابعدوا عن القلعة ثم عطف عليهم فانهزموا ووضع السيف فيهم فاكثر القتل والاسر وملك زنكى القلعة فى الحال واحضر جماعة من مقدمى الاكراد فيهم باو فقتلهم وعاد عنها الى الموصل ثم سار عنها فى غيبته ارسل نصير الدين جقر نائب زنكى وخرب اشب وغيرها كهيجة ونوشى وقلعة الجلاب وهى قلعة العمادية وارسل الى قلعة الشعبانى وفرح وكوشر والزعفران والقى وسروة وهى حصون المهرانية فحصرها فملك الجميع واستقام امر الجبل والزوزان وامنت الرعايا من الاكراد واما باقى قلاع الهكارية جبل صور وهرور والملاسى ومابرما وباتوخا وباكزا ونسباس فان قراجا صاحب العمادية فتحها من مدة طويلة بعد قتل زنكى وهذا قراجا كان اميرا قد اقطعه زين الدين على بلد الهكارية بعد قتل زنكى ولم اعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته هنا وحكى غير هذا بعض فضلاء الاكراد وخالف فيه فقال ان زنكى لما فتح قلعة اشب وخربها وبنى قلعة العمادية ولم يبق فى الهكارية الا صاحب جبل صور وصاحب هرور ولم يكن لهما شوكة يخاف منها عاد الى الموصل فخافه اصحاب القلاع الجبلية فاتفق ان عبد الله بن عيسى بن ابراهيم صاحب الربية والقى وفرح وغيرها توفى وملكها بعده ولده على وكانت والدته خديجة بنت الحسن اخت ابراهيم وعيسى وهما من الامراء مع زنكى وكانا بالموصل فارسلها ولدها على الى اخويها وطلب له الامان من زنكى وحلفاه له ففعل ونزل الى خدمة زنكى واقره على قلاعه واشتغل زنكى بفتح قلاع الهكارية وكان الشعبانى بيد امير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فاخذه

منه وقربه منه لكبره وقلة اعماله وكان نصير الدين جقر يكره عليا صاحب الربية وغيرها فحسن لزنكي القبض عليه فاذن له في ذلك فقبض عليه ثم ندم زنكي على قبضه فارسل الى نصير الدين ان يطلقه فرآه قد مات قيل ان نصير الدين قتله ثم ارسل العسكر الى قلعة الربية فنازلوها بغتة فملكوها في ساعة واسروا كل من بها من ولد علي واخوته واخواته وكانت والدة علي خديجة غائبة فلم توجد فلما سمع زنكي الخبر بفتح الربية سره وأمر ان تسير العساكر الى باقي القلاع التي لعلي فسارت العساكر فحصروها فرأوها منيعة فراسلهم زنكي ووعدهم الاحسان فاجابوه الى التسليم على شرط ان يطلق كل من في السجن منهم فلم يجبهم الى ذلك الا أن يسلموا ايضا قلعة كواشى فمضت خديجة والدة علي الى صاحب كواشى واسمه خول وهرون وهو من المهرانية فسالته النزول عن كواشى فاجابها الى ذلك وتسلم زنكي القلاع واطلق الاسرى فلم يسمع بمثل هذا فقال ينزل من مثل كواشى لقول امرأة فاما ان يكون اعظم الناس مروأة لا يرد من دخل بيته واما ان يكون اقل الناس عقلا واستقامت ولاية الجبال

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أوقع الدانشمند صاحب ملطية بالفرنج الذين بالشام فقتل كثيرا منهم وفيها اصطلح الخليفة وأتابك زنكي وفيها في ربيع الاول عزل انوشروان بن خالد عن وزارة الخليفة وفيها توفيت ام المسترشد بالله وفيها سير المسترشد عسكرا الى تكريت يحصرون مجاهد الدين بهروز فصانع عنها مالا فعادوا عنه وفيها اجتمع من العساكر السنجرية مع الامير ارغش وحصروا قلعة كردكوه بخراسان وهي للاسماعيلية وضيقوا على أهلها وطال حصرها وعدمت عندهم الاقوات فاصاب أهلها تشنج وكزاز وعجز كثير منهم عن القيام فضلا عن القتال فلما ظهرت امارات الفتح رحل الامير ارغش فقيل انهم حملوا اليه مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فرحل عنهم وفيها توفي الامير سليمان ابن مهارش العقيلي امير بني عقيل وولي الامارة بعده اولاده مع صغر سنهم وطيب بهم في بغداد رعاية لحق جدهم مهارش فانه هو الذي كان الخليفة القائم بامر الله عنده لما فعل به البساسيري ما ذكرنا وفيها توفي الفقيه أبو علي الحسن بن ابراهيم بن فرهون الشافعي الفارقي ومولده سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة وتفقه على أبي عبد الله الكازروني فلما توفي الكازروني انحدر الى بغداد وتفقه على أبي اسحق الشيرازي والى نصر الصباغ وولي القضاء بواسط وكان خيرا فاضلا لا يواري ولا يحابي أحدا في الحكم وفيها توفي عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن وأبو محمد بن أبي بكر الفقيه الشافعي تفقه على أبيه وكان يعظ ويكثر في كلامه من التجانس فمن ذلك قوله أين القدود العالية والخدود الوردية مثلت بها والله العافية والوردية وهما مقبرتان بنهر معلى ومن شعره

الدمع دما يسيل من اجفاني * ان عشت مع البكى فما أبقاني
سجني شجني وهمني سماني * العاذل بالملام قد سماني *
والذكر لهم يزيد في اشجاني * والنوح مع الحمام قد أشجاني

وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة وتضاحكوا معهم ثم انجر الموكب على الوضع الذي رتبوه فانجر طائفة الدلاة واميرهم المسمى أزون علي ومن خلفهم الوالي والمحتسب والاغا والوجاقلية والالداشات المصرية ومن تزيا بزيهم ومن خلفهم طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبيكباشيات وارباب المناصب منهم وابراهيم اغا اغات الباب وسليمان بك انبواب يذهب ويجيء ويرتب الموكب وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا وصالح قوج والكتخدا فقط غدر المصرية وقتلهم واسر بذلك في صبحها ابراهيم اغا اغات الباب فلما انجر الموكب وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من الوجاقلية والالداشات المصرية وانفصلوا من باب العزب فعند ذلك امر صالح قوج بغلق الباب وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا وضاربين بالمصرية وقد انحصروا باجمعهم في المضيق المنحدر الحجر المقطوع في اعلى باب العزب مسافة ما بين الباب الاعلى الذي يتوصل منه الى رحبة سوق القلعة الى الباب الاسفل وقد اعد واعدة من العساكر اوقفوهم على علاوي النقر الحجر والحيطان التي به فلما حصل الضرب من التحتانيين اراد الامراء الرجوع القهقرى فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول في مضيق النقر واخذهم ضرب البنادق والقرابين من خلفهم ايضا وعلم العسكر الواقفون

بالاعالي المراد فضربوا ايضا فانما نظروا ما حل بهم سقط في ايديهم وارتبكوا في انفسهم وتحيروا في امرهم ووقع منهم

ضاقت ببغداد منيتي اعطاني * والبين بدد الهموم قد اعطاني

وفيها توفي ابن ابي الصلت الشاعر ومن شعره يذم ثقيلا

لي صديق عجبت كيف استطاعت * هذه الارض والجبال تقله

انا ارعاه مكرما وبقلبي * منه ما يتلف الخيال اقله

هو مثل المشيب اكره رؤيا * ه ولكن اصونه واجله

وله ايضا

ساد صغار الناس من عصرنا * لا دام من عصر ولا كانا

كالدست مهما همان ينقضي * صار به البيدق فرزانا

وفيها توفي محمد بن علي بن عبد الوهاب ابو رشيد الفقيه الشافعي من اهل طبرستان وسمع الحديث ايضا ورواه وكان زاهدا عابدا اقام بالجزيرة وهي جزيرة ابن عمر سنين منفردا يعبد الله سبحانه وتعالى وعاد الى آمل وقبره بها

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة)

(ذكر وفاة الملك طغرل وملك مسعود بلد الجبل)

قد ذكرنا قدوم السلطان مسعود الى بغداد منهزما من اخيه الملك طغرل وان الخليفة اكرمه وحمل اليه ما يحتاج اليه مثله وامره بالمسير الى همذان وجمع العساكر ومنازعة اخيه طغرل في السلطنة والبلاد ومسعود يعد ويدافع الايام والخليفة يحثه على ذلك ووعده ان يسير معه بنفسه وامر ان يبرز خيامه الى باب الخليفة وكان قد اتصل الامير البقش السلاحي وغيره من الامراء بالخليفة وطلبوا خدمته فاجابهم وصاروا معه واتفق ان انسانا اخذ فوجد معه ملطفات من طغرل الى هؤلاء الامراء بالاقطاع لهم فلما رأى الخليفة ذلك قبض على امير منهم اسمه غلبك ونهب ماله فاستشعر غيره من الامراء الذين مع الخليفة فهربوا الى عسكر السلطان مسعود فارسل الخليفة اليه في اعادتهم اليه فلم يفعل واحتج باشياء فعظم ذلك على الخليفة وحدث بينهما نفرة ووحشة اوجبت تأخره عن المسير معه وارسل اليه يلزمه بالمسير معه الزاما فبينما الامر على هذا اذ جاءه الخبر بوفاة اخيه طغرل وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم وكان خيرا عاقلا عادلا قريبا الى الرعية محسنا اليهم وكان قبل موته قد خرج من داره يريد السفر لقتال اخيه مسعود فدعا له الناس فقال ادعوا بالخير للمسلمين ولما توفي ووصل الخبر الى مسعود سار من ساعته نحو همذان واقبلت العساكر جميعها اليه واستوزر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان قد خرج صحبته هو واهله ووصل مسعود الى همذان واستولى عليها واطاعته البلاد جميعها واهلها

(ذكر قتل شمس الملوك وملك اخيه)

في هذه السنة رابع عشر ربيع الآخر قتل شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك بوري ابن طغدكين صاحب دمشق وسبب قتله انه ركب طريقا من الظلم ومصادرات العمال

اشخاص كثيرة فنزلوا عن الخيول واقتحم شاهين بك وسليمان بك البواب وآخرون في عدة من مماليكهم راجعين الى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية ونزعوا ما كان عليهم من الفراوي والثياب الثقيلة ولم يزالوا سائرين وشاهرين سيوفهم حتى وصلوا الى الرحبة الوسطى المواجهة لقاعة الاعمدة وقد سقط اكثرهم واصيب شاهين بك وسقط الى الارض فقطعوا رأسه واسرعوا بها الى الباشا ليأخذوا عليها البقشيش وكان الباشا عندما ساروا بالموكب ركب من ديوان السراية وذهب الى البيت الذي به الحريم وهو بيت اسمعيل افندي الضربخانه واما سليمان بك البواب فهرب من حلاوة الروح وصعد الى حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط وقطعوا رأسه ايضا وهرب كثير الى بيت طوسون باشا يظن الالتجاء به والاحتماء فيه فقتلوهم واسرف العسكر في قتل المصريين وسلب ما عليهم من الثياب ولم يرحموا احدا واظهروا كامن حقدهم وضبعوا فيهم وفيمن رافقهم متجملا معهم من اولاد الناس واهالي البلد الذين تزيوا بزيهم لزينة الموكب وهم يصرخون ويستغيثون ومنهم من يقول انا لست جنديا ولا مملوكا وغيرهم

وغيرهم في اعمال البلد وبالغ في العقوبات لاستخراج الاموال وظهر منه بخل زائد ودناءة نفس بحيث انه لا يانف من اخذ الشيء الحقير بالعدوان الى غير ذلك من الاخلاق الدنيئة وكرهه اهله واصحابه ورعيته ثم انه ظهر عنه انه كاتب عماد الدين زنكي انه يسلم اليه دمشق ويحثه على سرعة الوصول واخلى المدينة من الذخائر والاموال ونقل الجميع الى صرخد وتابع الرسل الى زنكي يحثه على الوصول اليه ويقول له ان اهملت المجيء سلمت البلد الى الفرنج فسار زنكي فظهر الخبر بذلك فامتعض اصحاب ابيه وجده واقلقهم وذكروا الحال لوالدته فساءها واشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الامر ثم انها ارتقبت الفرصة في الخلوة من غلمانه فلما راته على ذلك امرت غلمانها بقتله فقتل وامرت بالقائه على موضع في الدار ليشاهده غلمانه واصحابه فلما رأوه قتيلا سروا بمصرعه وبالراحة من شره وكان مولده سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة وقيل كان سبب قتله ان والده كان له صاحب اسمه يوسف بن فيروز وكان متمكنا منه ما كان في دولته ثم في دولة شمس الملوك بعده فاتهم بام شمس الملوك ووصل الخبر اليه بذلك فهم بقتل يوسف فهرب منه الى تدمر وتحصن بها واظهر الطاعة لشمس الملوك فاراد قتل امه فبلغها الخبر فقتلته خوفا منه والله اعلم ولما قتل ملك بعده اخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك وحلف له الناس واستقر له الملك بعده والله اعلم

(ذكر حصر اتابك زنكي دمشق)

في هذه السنة حصر اتابك زنكي دمشق ونازلها اول جمادى الاولى وسببه ما ذكرنا من رسال شمس الملوك صاحبها اليه واستدعائه ليسلمها اليه فلما وصلت كتبه ورسله سار اليها فقتل شمس الملوك قبل وصوله ولما عبر الفرات ارسل اليه رسلا في تقرير قواعد التسليم فراوا الامر قد فات الا انهم اكرموا واحسن اليهم واعيدوا باجمل هيئة وعرفوا زنكي بقتل شمس الملوك وان القواعد عندهم مستقرة لشهاب الدين والكلمة متفقة على طاعته فلم يحفل زنكي بهذا الجواب وسار الى دمشق فنازلها واجفل اهل السواد اليها واجتمعوا فيها على محاربته ونزل اولا شمالي البلد ثم انتقل الى ميدان الحصى وزحف وقاتل فرأى قوة ظاهرة وشجاعة عظيمة واتفاقا تاما على محاربته وقام معين الدين انز مملوك جده طغدكين في هذه الحادثة بدمشق قياما مشهودا وظهر من معرفته بامور الحصار والقتال وكفايته ما لم يروا له كان سبب تقدمه واستيلائه على الامور باسرها على ما نذكر ان شاء الله تعالى فبينما هو يحاصرها وصل رسول الخليفة المسترشد بالله وهو ابو بكر بن بشر الجزري من جزيرة ابن عمر بخلع الاتابك زنكي ويأمره بصلح صاحب دمشق الملك البارسلان محمود الذي مع اتابك زنكي فرحل عنها لليلتين مضتا من جمادى الاولى من السنة المذكورة

(ذكر قتل حسن بن الحافظ)

وآخر يقول انا لست من قبيلتهم فلم يرقوا لصارخ ولا شاك ولا مستغيث وتتبعوا المتشتتين والمتسترين في نواحي القلعة وزواياها والذين فروا ودخلوا في البيوت والاماكن وقبضوا على من امسك حيا ولم يمت من الرصاص او متخلفا عن الموكب وجالسا مع الكتخدا كاحمد بك الكيلارجي ويحيى بك الالفي وعلى كاشف الكبير فسلبوا ثيابهم وجمعوهم الى السجن تحت مجلس كتخدا بك ثم احضروا ايضا المشاعلي لرمي اعناقهم في حوش الديوان واحدا بعد واحد من ضحوة النهار الى ان مضى حصة من الليل في المشاعل حتى امتلأ الحوش من القتلى ومن مات من المشاهير المعروفين وانصرع في طريق القلعة قطعوا راسه وسحبوا جثته الى باقي الجثث حتى انهم ربطوا في رجلي شاهين بك ويديه حبالا وسحبوه على الارض مثل الحمار الميت الى حوش الديوان هذا ما حصل بالقلعة واما اسفل المدينة فانه عندما اغلق باب القلعة وسمع من بالرميلة صوت الرصاص وقعت الكرشة في الناس وهرب من كان واقفا بالرميلة من الاجناد في انتظار الموكب وكذلك المتفرجون واتصلت الكرشة باسواق المدينة فانزعجوا وهرب من كان بالحوانيت لانتظار الفرجة واغلق الناس حوانيتهم

قد ذكرنا سنة ست وعشرين وخمسمائة ان الحافظ لدين الله صاحب مصر استوزر ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد فبقى الى هذه السنة ومات مسموما وسبب ذلك انه كان جريا على سفك الدماء وكان فى نفس الحافظ على الامراء الذين أعانوا أبا على بن الافضل حقد ويريد الانتقام منهم من غير أن يباشر ذلك بنفسه فاستوزر ابنه وأمره بذلك فتغلب على الامر جميعه واستبد به ولم يبق لابيه معه حكم وقتل من الامراء المصريين ومن أعيان البلاد جماعة حتى قيل انه قتل فى ليلة واحدة أربعين أميرا فلما رأى أبوه تغلبه عليه أخرج له خادما من خدم القصر الاكابر فجمع الجموع وحشد من الرجالة خلقا كثيرا وتقدم الى القاهرة ليقاتل حسنا وخرج جمعهما فارسل له جماعة من خواصه وأصحابه فقاتلوهم فانهزم الخادم وقتل الرجال الذين معه وعبر الباقون الى الجيزة فاستكان الحافظ وصير تحت الحجر ثم ان الباقين من الامراء المصريين اجتمعوا واتفقوا على قتل حسن وارسلوا الى أبيه الحافظ وقالوا له اما انك تسلم ابنك الينا لنقتله او نقتلكما جميعا فاستدعى ولده اليه واحتاط عليه وارسل الى الامراء بذلك فقالوا لا نرضى الا بقتله فرأى انه ان سلمه اليهم طمعوا فيه وليس الى ابقائه سبيل فاحضر طبيبين كانا له أحدهما مسلم والآخر يهودى فقال لليهودى نريد سما نسقيه لهذا الولد ليموت ونخلص من هذه الحادثة فقال أنا لا اعرف غير النقوع وماء الشعير وما شاكل هذا من الادوية فقال انا اريد ما اخلص به من هذه المصيبة فقال له لا أعرف شيئا فاحضر المسلم وأمره بذلك فصنع له شيئا فسقاه الولد فمات لوقته فارسل الحافظ الى الجند يقول لهم انه قد مات فقالوا نريد ان ننظر اليه فاحضر بعضهم عنده فرأوه وظنوه قد عمل حيلة فجرحوا اسافل رجليه فلم يجر منها دم فعلموا موته ودفن حسن وأحضر الحافظ الطبيب المسلم وقال له اخرج من عندنا من القصر وجميع ما لك من الانعام والجامكية باق عليك وأحضر اليهودى وقال أعلم انك تعرف ما طلبته منك ولكنك عاقل فتقيم فى القصر عندنا وكان حسن سيئ السيرة ظالما جريا على سفك الدماء وأخذ الاموال فهجاه الشعراء فمن ذلك ما قال المعتمد ابن الانصارى صاحب الترسل المشهور

لم تأت يا حسن بين الورى حسنا * ولم تر الحق فى دنيا ولا دين
قتل النفوس بلا جرم ولا سبب * والجور فى أخذ أموال المساكين
لقد جمعت بلا علم ولا أدب * تيه الملوك وأخلاق المجانين

وقيل ان الحافظ لما رأى ابنه تغلب على الملك وضع عليه من سقاه السم فمات والله اعلم ولما مات حسن استوزر الحافظ الامير تاج الدولة بهرام وكان نصرانيا فتحكم واستعمل الارمن على الناس فاستذلوا المسلمين وسنذكر اخباره سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ان شاء الله تعالى

ذكر مسير المسترشد الى حرب السلطان مسعود وانهزامه

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين السلطان مسعود فى شهر رمضان

الى بيوت الامراء المصريين ومن جاورهم طالبين النهب والغنيمة فوجدوها بغتة ونهبوها بما فيها وهتكوا الحرائر والحريم وسبوا النساء والجوارى والخوندات والستات وسلبوا ما عليهن من الحلى والجواهر والثياب واظهروا الكامن فى نفوسهم ولم يجدوا مانعا ولا رادعا وبعضهم قبض على يد امراة ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزعها بسرعة فقطع يد المراة وحل بالناس فى بقية ذلك اليوم من الفزع والخوف وتوقع المكروه مالا يوصف لان المماليك والاجناد تداخلوا وسكنوا فى جميع الحارات والنواحى وكل امير له دار كبيرة فيها عياله واتباعه ومماليكه وخيوله وجماله وله دار ودار ان صغار فى داخل العطف ونواحى الازهر والمشهد الحسينى يودعون فيها ما يخافون عليه لظنهم بعدها وحمايتها بحرمة الخطة وصونها عند وقوع الحوادث وكثير من كبار العسكر مجاورون لهم فى جميع النواحى ويرمقون احوالهم ويطلعون على أكثر حركاتهم وسكناتهم ويتداخلون فيهم ويعاشرونهم و يسامرونهم بالليل ويظهرون لهم الصداقة والهيبة وقلوبهم محشوة من الحقد عليهم والكراهة لهم بل ولجميع

رمضان وسببه ذلك ان السلطان مسعودا لما سافر من بغداد الى همذان بعد موت
اخيه طغرل وملكها فارقه جماعة من اعيان الامراء منهم برنقش بازدار وقزل آخر
وسنقر الخمارتكين والى همذان وعبد الرحمن بن طغايرك وغيرهم خائفين منه
مستوحشين ومعهم عدد كثير ومعهم دبيس بن صدقة وارسلوا الى الخليفة يطلبون منه
الامان ليحضروا في خدمته فقيل له انها مكيدة لان دبيسا معهم وساروا نحو خوزستان
واتفقوا مع برسق بن برسق فارسل الخليفة اليهم سديد الدولة بن الانباري بتوقيعات الى
الامراء المذكورين بتطييب نفوسهم والامر بحضورهم وكان الامراء المذكورون قد
عزموا على قبض دبيس والتقرب الى الخليفة بحمله اليه فبلغه ذلك فهرب الى
السلطان مسعود وسار الامراء الى بغداد في رجب فاكرمهم الخليفة وحمل اليهم الاقامات
والخلع وقطعت خطبة السلطان مسعود من بغداد وبرز الخليفة في العشرين من رجب
على عزم المسير الى قتال مسعود واقام في الشفيعي فعصى عليه بكبه صاحب البصرة
فهرب اليها فراسله وبذل له الامان فلم يعد اليه وتربث الخليفة عن المسير وهؤلاء
الامراء يحسنون له الرحيل ويسهلون عليه الامر ويضعفون عنده امر السلطان مسعود
فسير مقدمته الى حلوان فنهبوا البلاد وافسدوا ولم ينكر عليهم شيئا ثم سار الخليفة ثامن
شعبان ولحق به في الطريق الامير برسق بن برسق فبلغت عدتهم سبعة آلاف فارس
وتخلف بالعراق مع اقبال خادم المسترشد بالله ثلاثة آلاف فارس وكان السلطان مسعود
بهمذان في نحو الف وخمسمائة فارس وكان اكثر اصحاب الاطراف يكاتبون الخليفة
ويبذلون له الطاعة فتربث في طريقه فاستصلح السلطان مسعود اكثرهم حتى عادوا
اليه فصار في نحو خمسة عشر الف فارس وتسلل جماعة كثيرة من عسكر الخليفة حتى بقي
في خمسة آلاف وارسل اتابك زنكي نجدة فلم يلحق وارسل الملك داود ابن السلطان
محمود وهو باذربيجان الى الخليفة يشير بالميل الى الدينور ليحضر بنفسه وعسكره فلم
يفعل المسترشد وسار حتى بلغ داي مرج وعبى اصحابه فجعل في الميمنة برنقش بازدار ونور
الدولة سنقر وقزل آخر وبرسق بن برسق وجعل في الميسرة جاولي وبرسق شراب سلار
وغلبك الذي كان الخليفة قد قبض عليه واخرجه من حبسه ولما سمع السلطان مسعود
خبرهم سار اليهم مجدا فواقعهم بداي مرج عاشر رمضان وانحازت ميسرة الخليفة الى
السلطان مسعود فصارت معه واقتتلت ميمنة الخليفة وميسرة السلطان قتالا ضعيفا
ودارت عساكر السلطان حول عساكر الخليفة وهو ثابت لم يتحرك من مكانه وانهزم
عسكره واخذ هو اسيرا ومعه جمع كثير من اصحابه منهم الوزير شرف الدين علي بن طراد
الزينبي وقاضي القضاة وصاحب المخزن ابن طلحة وابن الانباري والخطباء والفقهاء
والشهود وغيرهم وانزل الخليفة في خيمة وغنموا ما في معسكره وكان كثيرا فحمل الوزير
وقاضي القضاة وابن الانباري وصاحب المخزن وغيرهم من الاكابر الى قلعة سرجهان
وباع الباقون نفوسهم بالثمن دون الطفيف ولم يقتل في هذه المعركة احد وهذا العجب

ابناء العرب فلما حصلت هذه الحادثة بادروا التفصيل ما مولهم واظهروا ما كان مخفيا في صدورهم وخصوصا
من القشب في في النساء فان
العظيم منهم كان اذا خطب
ادنى امرأة ليتزوج بها فلا
ترضى به وتعافه وتانف
قربه وان الح عليها استجارت
بمن يحميها منه والا هربت من
بيتها واختفت شهورا وذلك
بخلاف ما اذا خطبها اسفل
نخص من جنس المماليك
اجابته في الحال واتفق انه
لما اصطلح الباشا مع الالفية
وطلعوا البيوت ظهر كثير من
النساء المستترات المختفيات
وتنافسن في زواجهم وعملن
لهم الكساوي وقدمن لهم
التقادم وصرفن عليهم لوازم
البيوت التي تلزم الازواج
لزوجاتهم كل ذلك برأي من
الاتراك يعتقدونه في قلوبهم
وفيهم من حمى جاره وصان
دياره ومانع اعلاهم ادناهم
وقليل ماهم وذلك لغرض
يبتغيه وامر يرتجيه فانه
بعد ارتفاع النهب كانوا
يقبضون عليهم من البيوت
فيستولى الذي حماه ودافع
عنه على داره وما فيها وانتهبت
دور كثيرة من المجاورين لهم
اولادورا تباعهم بادنى شبهة
وبغير شبهة او يدخلون بحجة
التفتيش ويقولون عندكم
مملوك اوسمعنا ان عندكم
وديعة لمملوك وبات الناس
واصبحوا على ذلك ونهب في هذه الحادثة من الاموال والامتعة مالا يقدر قدره ويحصيه الا الله سبحانه وتعالى

مايحكى وعاد السلطان الى همذان وامر قنودى من تبريز الى همذان من البغادذة قد اتاه فرجع الناس كلهم على اقبح حال لا يعرفون طريقا وليس معهم ما يحملهم وسير السلطان الامير بك آبه المحمودى الى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عبيد نقبضوا جميع املاك الخليفة واخذوا غلاتها وثار جماعة من عامة بغداد فكسروا المنبر والشباك ومنعوا من الخطبة وخرجوا من الاسواق يحثون التراب على رؤسهم ويبكون ويصيحون وخرج النساء حاسرات فى الاسواق يلطمن واقتتل أصحاب الشحنة وعامة بغداد فقتل من العامة ما يزيد على مائة وخمسين قتيلا وهرب الوالى وحاجب الباب وأما السلطان فانه سار فى شوال من همذان الى مراغة لقتال الملك داود ابن أخيه محمود وكان قد عصى عليه فنزل على فرسخين من مراغة والمسترشد معه فترددت الرسل بين الخليفة وبين السلطان فى الصلح فاستقرت القاعدة على مانذكره ان شاء الله والله الموفق

(ذكر قتل المسترشد بالله وخلافة الراشد بالله)

لما قبض المسترشد بالله أبو منصور بن الفضل بن المستظهر بالله أبى العباس أحمد على ماذكرناه جعله السلطان مسعود فى خيمة ووكل به من يحفظه وقام بما يجب من خدمته وترددت الرسل بينهما فى تقرير قواعد الصلح على مال يؤديه الخليفة وأن لا يعود يجمع العساكر وان لا يخرج من داره فاجاب السلطان الى ذلك وأركب الخليفة وحمل الغاشية بين يديه ولم يبق الا أن يعود الى بغداد فوصل الخبر ان الامير قران خوان قد ورد رسولا من السلطان سنجر فتاخر مسير المسترشد لذلك وخرج الناس مع السلطان مسعود الى لقائه وفارق الخليفة بعض من كان موكلا به وكانت خيمته منفردة عن العسكر فقصده أربعة وعشرون رجلا من الباطنية ودخلوا عليه فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة ومثلوا به فجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عريانا وقتل معه نفر من أصحابه منهم أبو عبد الله بن سكينة وكان قتله يوم الاحد سابع عشر ذى القعدة على باب مراغة وبقى حتى دفنه أهل مراغة وأما الباطنية فقتل منهم عشرة وقيل بل قتلوا جميعهم والله أعلم وكان عمره لما قتل ثلاثا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما وأمه أم ولد وكان شهما شجاعا كثير الاقدام بعيد الهمة وأخباره المذكورة تدل على ماذكرناه وكان فصيحا بليغا حسن الخط ولقد رأيت خطه فى غاية الجودة ورأيت اجوبته على الرقاع من احسن ما يكتب وافصحه ولما قتل المسترشد بالله بويع ابنه الراشد بالله ابو جعفر المنصور ولقب الراشد بالله وكان ابوه قد بايع له بولاية العهد فى حياته وجددت له البيعة بعد قتله يوم الاثنين السابع والعشرين من ذى القعدة وكتب السلطان مسعود الى بك آبه الشحنة ببغداد بان يبايع له وحضر الناس البيعة وحضر بيعته احد وعشرون رجلا من اولاد الخلفاء وبايع له الشيخ ابو النجيب ووعظه وبالغ فى الموعظة واما جمال الدولة المسترشدى فكانه كان ببغداد فى طائفة

ونهبت دور كثيرة من ذوو الاعيان الذين ليسوا من الامراء المقصودين ومن المتقيدين بخدمة الباشا مثل ذى الفقار كتخدا المتولى خ وليا على بساتين الباشا التى انشاها بشبرا وبيت الامير عثمان أغا الوردانى ومصطفى كاشف المورلى والافندية الكتبة وغيرهم واصبح يوم السبت والنهب والقتل والقبض على المتوادين والمختفين مستمر ويدل البعض على البعض أو يغمز عليه وركب الباشا فى الضحوة ونزل من القلعة وحوله أمراؤه الكبار مشاة وامامه الصقاشية والجاويشية بزينتهم وملابسهم الفاخرة والجميع مشاة ليس فيهم راكب سواه وهم محدقون به وامامه وخلفه عدة وافرة والفرح والسرور بقتل المصريين ونهبهم والظفر بهم طافح من وجوههم فكان كلما مر على أرباب الدرك والقلقات والضابطين وقف عليهم وبخهم على النهب وعدم منعهم لذلك والحال انهم هم الذين كانوا ينهبون أولا ويتبعهم غيرهم فمر على العقادين الرومى والشوائين فخرج اليه شخص من تجار المغاربة يسمى العربى الجلو وصرخ فى وجهه وهو يقول ايش هذا الحال وايش انا علاقة حتى ينهبنا العسكر ونحن ناس فقراء مغاربة متسببون ولسنا مماليك ولا اجنادا فوقف اليه وارسل معه نفرا الى داره فوجدوا بها شخصين

من العسكر فلما جرت هذه الحادثة عبر الى الجانب الغربي واصعد الى تكريت وراسل مجاهد الدين بهروز وحلفه وصعد اليه الى القلعة

(ذكر مسير السلطان سنجر الى غزنة وعوده عنها)

في هذه السنة في ذي القعدة سار السلطان سنجر من خراسان الى غزنة وسبب ذلك انه نقل اليه عن صاحبها بهرام شاه انه تغير عن طاعته وانه قد مد يده الى ظلم الرعايا واغتصاب اموالهم وكان السلطان سنجر هو الذي ملك غزنة وقد ذكرناه سنة تسع وخمسمائة فلما سمع هذه الاخبار المزعجة سار الى غزنة لياخذها او يصلحه فلما راى الطريق ابعد ادركهم شتاء شديد البرد كثير الثلج وتعذرت عليهم الاقوات والعلوفات فشكا العسكر الى السلطان ذلك وذكروا له ما هم فيه من الضيق وتعذر ما يحتاجون اليه فلم يجب عنه بغير التقدم أمامه فلما قارب غزنة ارسل بهرام شاه الى سنجر رسلا يتضرع ويسال الصفح عن جرمه والعفو عن ذنبه فارسل اليه سنجر المقرب جوهرا الخادم وهو اكبر امير عنده ومن جملة اقطاعه مدينة الري في جواب رسالته يجيبه عن العفو عنه ان حضر عنده وعاد الى طاعته فلما وصل الى بهرام شاه اجابه الى ما طلب منه من الطاعة وحمل المال والحضور عنده بنفسه واظهر من الطاعة والانقياد لما يحكم به السلطان سنجر شيئا كثيرا وعاد المقرب جوهر ومعه بهرام شاه الى سنجر فلما قاربه سبق المقرب الى السلطان سنجر واعلمه بوصول بهرام شاه وانه بكرة غد يكون عنده وعاد المقرب الى بهرام شاه ليجيء بين يديه وركب سنجر من الغد في موكبه لتلقيه وتقدم بهرام شاه ومعه المقرب فلما عاين موكب سنجر والشتر على رأسه نكص على عقبيه عائدا فامسك المقرب عنانه وقبح فعله وخوفه عاقبة ذلك فلم يرجع وولى هاربا ولم يصدق بنجاته ظنا منه ان سنجر ياخذه ويملك بلده وتبعه طائفة من اصحابه وخواصه ولم يعرج على غزنة وسار سنجر الى غزنة فدخلها وملكها واحتوى على جميع ما فيها وجبي اموالها وكتب الى بهرام شاه يلومه على ما فعله ويحلف له انه ما اراد به شرا ولا له في بلده مطمع ولا هو ممن تلون صفيحته وتعقب حسنته معه سيئة وانما قصده لاصلاحه فاعاد بهرام شاه الجواب يعتذر ويتنصل ويقول ان الخوف منعه من الحضور ولا لوم على من خاف من السلطان وتضرع في عوده الى الاحسان فاجابه سنجر الى ان يعيد عليه بلده وفارق غزنة عائدا الى بلاده فوصل الى بلخ في شوال سنة ثلاثين وخمسمائة واستقر ملك غزنة لبهرام شاه ورجع اليها

(ذكر قتل دبيس بن صدقة بالتاريخ)

في هذه السنة قتل السلطان مسعود دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خوى امر غلاما ارمنيا بقتله فوقف على رأسه وهو ينكت الارض باصبعه فضرب رقبته وهو لا يشعر وكان ابنه صدقة بالحلة فاجتمع اليه عسكر ابيه ومماليكه وكثر جمعه واستامن اليه الامير قتلغ تكين وامر السلطان مسعود بك آبه ان ياخذ الحلة فسار بعض عسكره

احدهما تركي والآخر بلدي وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من النهابين فامر بقتلهما فاخذوهما الى باب الخرق وقطعوا رؤسهما ثم انه عطف على جهة الكعكيين فلاقاه من اخبره بان المشايخ مجتمعون ينتظرون الركوب لملاقاته والسلام عليه والتهنئة بالظفر فقال أنا اذهب اليهم ولم يزل في سيره حتى دخل الى بيت الشيخ الشرقاوي وجلس عنده ساعة لطيفة وكان قد التجأ الى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية فكلمه في شانهما وترجى عنده في اعتاقهما من القتل وان يؤمنهما على انفسهما وقال له لا تفضح شيبتي يا ولدي واقبل شفاعتي واعطهما محرمة الامان فاجابه الى ذلك وقال له شفاعتك مقبولة ولكن نحن لا نعطي محارم وأنا أماني بالقول او نكتب ورقة ونرسلها اليك بالامان فاطمان الشيخ لذلك ثم قام الباشا وركب وطلع الى القلعة وأرسل ورقة الى الشيخ يطلبهما فقال لهما الشيخ ان الباشا ارسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبكما اليه فقالا وما يفعل بذهابنا اليه فلا شك في انه يقتلنا فقال الشيخ لا يصح ذلك ولا يكون كيف انه ياخذكم من بيتي ويقتلكم بعد ان قبل شفاعتي فذهبا مع الرسول فعندما وصلا الى الحوش وهو مملوء بالقتلى وضرب الرقاب واقع في المحبوسين والمحضرين قبضوا عليهم ماوادرجا في ضمنهم وفي ذلك اليوم نزل طوسون ابن الباشا

الى المدائن واقاموا مدة ينتظرون لحاق بك آبه فلم يسر اليهم جبنا وعجزا عن قصد الحلة لكثرة العسكر بها مع صدقة وبقي صدقة بالحلة الى ان قدم السلطان مسعود الى بغداد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة فقصده وأصلح حاله معه ولزم باب السلطان ومثل هذه الحادثة يقع كثيرا وهو قرب موت المتعادين فان دبيسا كان يعادي المسترشد بالله ويكره خلافته ولم يدر ان يعلم ان السلاطين انما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارنة المسترشد فلما زال السبب زال المسبب والله اعلم بذلك

(ذكر حصر عسكر يحيى المهدية)

في هذه السنة سير يحيى بن العزيز بن حماد صاحب بجاية عسكرا فحصروا المهدية وبها صاحبها الحسن بن علي بن تميم بن المعز بن باديس وكان سبب ذلك ان الحسن أحب ميمون بن زيادة أمير طائفة كبيرة من العرب ومال اليه وأكثر الانعام عليه فحسده غيره من العرب فساروا الى يحيى بن العزيز بأولادهم وجعلوهم رهائن عنده وطلبوا منه أن يرسل معهم عسكرا ليملكوا المهدية فاجابهم الى ذلك وهو متباطئ فاتفق انه وصله كتب من بعض مشايخ المهدية بمثل ذلك فوثق الى ما أتاه وسير عسكرا كثيرا واستعمل عليهم قائدا كبيرا من فقهاء أصحابه يقال له مطرف بن حمدون وكان هذا يحيى بن العزيز هو وآباؤه يحضرون المعز بن باديس وأولاده بعده فسارت العساكر الفارس والراجل ومعهم من العرب جمع كثير حتى نزلوا على المهدية وحصروها برا وبحرا وكان مطرف يظهر التقشف والتورع عن الدماء وقال انما أتيت لاتسلم البلد بغير قتال فخاب ظنه فبقي أياما لم يقاتل ثم انهم باشروا وافظعوا أهل المهدية عليهم وأثروا فيهم وتتابع القتال وفي كل ذلك الظفر لاهل البلد وقتل من الخارجين الجم الغفير وجمع مطرف عسكره برا وبحرا لما يئس من التسليم وقاتل أشد قتال فلكت شوانيه شاطئ البحر وقربوا من السور فاشتد الامر فأمر الحسن بفتح الباب وخرج أول الناس وحمل هو ومن معه عليهم وقال انا الحسن فلما سمع من يقاتله ذلك سلموا عليه وانهزموا عنه اجلالا له ثم اخرج الحسن شوانيه تلك الساعة من الميناء فاخذ من تلك الشواني أربع قطع وهرب الباقون ثم وصلت نجدة من رجار الفرنجي صاحب صقلية في البحر في عشرين قطعة فحصرت شواني صاحب بجاية فأمرهم الحسن باطلاقها فاطلقوها ثم وصل ميمون بن زيادة في كثير من العرب لنصرة الحسن فلما رأى ذلك مطرف وان النجدات تاتي الحسن في البر والبحر علم انه لا طاقة له بهم فرحل عن المهدية خائبا وأقام رجار الفرنجي مظهرا للحسن انه مهادنه وموافقه وهو مع ذلك يعمر الشواني ويكثر عددها وآلاتها

(ذكر استيلاء الفرنج على جزيرة جربة)

كانت جزيرة جربة من بلاد افريقية قد استوت في كثرة عمارتها وخيراتها غير ان اهلها طغوا فلا يدخلون تحت طاعة سلطان ويعرفون بالفساد وقطع الطريق فخرج

وقت نزول أبيه وشق المدينة وقتل شخصا من النهابين ايضا فارتفع النهب وانكف العسكر عن ذلك ولولا نزول الباشا وابنه في صبح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية المدينة وحصل منهم غاية الضرر وأما القبض على الاجناد والمماليك فستمر وكذلك كل من كان يشبههم في الملبس والزي وأكثر من كان يقبضون عليهم عساكر حسن باشا الارنؤدي فيكبسون عليهم في الدور والاماكن التي تواروا فيها واستدلوا عليهم فيقبضون على من يقبضون عليه وينهبون من الاماكن ما يمكنهم حمله وثياب النساء ويلبون ويسحبون الواحد والاثنين او أكثر بينهم ويأخذون عمائمهم وثيابهم ومافي جيوبهم في اثناء الطريق واذا كان كبيرا او اميرا استحى منه طلبوه بالرفق فاذا اظهرهم قالوا له سيدنا حسن باشا يستدعيك اليه فلا تخش من شئ ويطمئن قليلا ويظن انهم يجيرونه وعلى اي حال لا يسعه الا الاجابة لانه ان امتنع اخذوه قهرا فاذا خرج من الدار استصحبه جماعة منهم وطلع البواقي الى الدار فاخذوا ما قدروا عليه ولحقوا بهم وجرى على الماخوذ ما يجري على امثاله من الماخوذين والبعض توارى والتجا الى طائفة الدلاة وتزيا بشكلهم ولبس لهم طرطورا وآجاروه وهرب كثير في ذلك اليوم اليها

اليها جمع من الفرنج اهل صقلية في اسطول كثير وجمع غفير فيه من مشهوري فرسان الفرنج جماعة فنزلوا بساحتها وادار وا المراكب بجهاتها واجتمع اهلها وقاتلوا قتالا شديدا فوقع بين الفريقين وقعات عظيمة فثبت اهل بره فقتل منهم بشر كثير فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة وغنموا اموالها وسبوا حريمها ونساءها واطفالها وهلك اكثر رجالها ومن بقي منهم اخذوا لانفسهم امانا من صاحب صقلية وفكوا اسراهم وسبيهم وحريمهم والله اعلم بذلك

(ذكر ملك الفرنج حصن روطة من بلاد الاندلس)

في هذه السنة صالح المستنصر بالله بن هود والسليطين الفرنجي صاحب طليطلة مدة عشر سنين وكان السليطين قد ادمن غزو بلاد المستنصر وقتالها حتى ضعف صاحبها عن مقاومته لقلة جنوده وكثرة الفرنج فرأى ان يصالحه مدة يستريح فيها هو وجنوده ويستعدون للعاودة فترددت الرسل بينهم فاستقر الصلح على ان يسلم المستنصر الى السليطين حصن روطة وهو من امنع الحصون واحصنها فاستقرت القاعدة واصطلحوا وتسلمت منه الفرنج الحصن وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله احد

(ذكر حصر ابن ردمير مدينة افراغة وهزيمته وموته)

وفي هذه السنة حصر ابن ردمير الفرنجي لعنه الله مدينة افراغة من شرق الاندلس وكان الامير تاشفين بن علي بن يوسف بمدينة قرطبة اميرا في الاندلس لابيه فجهز الزبير بن عمرو اللمتوني من قرطبة ومعه الفا فارس وسير معه ميرة كثيرة الى افراغة وكان يحيى ابن غانية الامير المشهور امير مرسية وبلنسية من شرق الاندلس واليه الامر بها لامير المسلمين علي بن يوسف فتجهز في خمسمائة فارس وكان عبد الله بن عياض صاحب مدينة لاردة فتجهز في مائتي فارس فاجتمعوا وحملوا الميرة وساروا حتى اشرفوا على مدينة افراغة وجعل الزبير الميرة امامه وابن غانية امام الميرة وابن عياض امام ابن غانية وكان شجاعا وكذلك جميع من معه وكان ابن ردمير في اثني عشر الف فارس فاحتقر جميع الواصلين من المسلمين فقال لاصحابه اخرجوا وخذوا هذه الهدية التي ارسلها المسلمون اليكم وادركه العجب ونفذ قطعة كبيرة من جيشه فلما قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم ورد بعضهم على بعض وقتل فيهم والتحم القتال وجاء ابن ردمير بنفسه وعساكره جميعا مدلين بكثرتهم وشجاعتهم فحمل ابن غانية وابن عياض في صدورهم واشتد الامر بينهم وعظم القتال فكثر القتل في الفرنج وخرج في الحال اهل افراغة جميعهم ذكرهم وانثاهم صغيرهم وكبيرهم الى خيام الفرنج فاشتغل الرجال بقتل من وجدوا في العسكر واشتغل النساء بالنهب وحملوا جميع ما وجدوه هناك الى المدينة من قوت وعدد وآلات وسلاح وغير ذلك وبينما المسلمون والفرنج في القتال اذ وصل اليهم الزبير في عسكره فانهزم ابن ردمير وعسكره ولم يسلم منهم الا القليل ولحق ابن ردمير بمدينة سرقسطة فلما رأى ما قتل من اصحابه مات مفجوعا بعد عشرين يوما من

وخرجوا الى قبلي وبعضهم تزيا بزي نساء الفلاحين وخرج في ضمن الفلاحات اللاتي يبعن الجلة والجبنة وذهبوا في ضمنهم وفر من نجا منهم الى الشام وغيرها واما كتخدا بك فانه اشتد بغضه فيهم وصار لا يرحم منهم احدا فكان كل من احضروه ولو فقيرا هرما من مماليك الامراء الاقدمين يأمر بضرب عنقه وارسل اوراقا الى كشاف النواحي والاقاليم بقتل كل من وجدوه بالقرى والبلدان فوردت الرؤس في ثاني يوم من النواحي فيضعونها بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة وكان كثير من الاجناد بالارياف لتحصيل الفرض التي تعهدوا بدفعها عن فلاحيهم وانقضت اجلتهم وطولبوا بالدفع والفلاحون قصرت ايديهم ولم يقبلوا للملتزمين عذرا في التاخير فلم يسعهم الا الذهاب بانفسهم لاجل خلاص المطلوب منهم للديوان فعندما وصلت الاوامر الى كشاف الاقاليم بقتل الكائنين بالبلاد بادروا بقتل من امكنهم قتله ومن بعد عنهم ارسلوا لهم العساكر في محلاتهم فيدهمونهم على حين غفلة ويقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعوه من المال ويرسلون برؤسهم او يحيلون على القبض عليهم وقتلهم فصار يصل في كل يوم العدد من الرؤس من قبلي وبحري ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة ولم يقبلوا شفاعة في احد ابدا ويعطون الامان للبعض فاذا حضروا قبضوا عليهم وشلحوهم

المزيمة وكان اشد ملوك الفرنج باسا واكثرهم تجردا لحرب المسلمين وأعظمهم صبرا كان ينام على طارقته بغير وطاء وقيل له هلا تتسرى من بنات أكابر المسلمين اللاتى سبين منهم فقال الرجل المحارب ينبغى ان يباشر الرجال لا النساء وأراح الله منه وكفى المسلمين شره

❁ (ذكر عدة حوادث) ❁

فى هذه السنة فى شعبان زلزلت الارض بالعراق والموصل وبلاد الجبل وغيرها وكانت لزلزلة شديدة وهلك فيها كثيرا من الناس والله أعلم

(ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة)

❁ (ذكر الحرب بين عسكر الراشد وعسكر السلطان) ❁

فى هذه السنة وصل برنقش الزكوى من عند السلطان مسعود يطالب الخليفة بما كان قد استقر على المسترشد من المال وهو اربعمائة ألف دينار فذكر انه لا شئ عنده وان المال جميعه كان مع المسترشد بالله فنهب ثم بلغ الراشد بالله ان برنقش يريد التهجم على دار الخلافة وتفتيشها لياخذ المال فجمع العساكر لمنعها وامر عليهم كج ابه واعاد عمارة السور فلما علم برنقش بذلك اتفق هو وبك ابه شحنة بغداد وهو من امراء السلطان على ان يهجموا على دار الخليفة يوم الجمعة فبلغ ذلك الراشد بالله فاستعد لمنعهم وركب برنقش ومعه العسكر والامراء البكجية ومحمد بن عكر فى نحو خمسة آلاف فارس ولقيهم عسكر الخليفة فاخرجوا عسكر السلطان الى دار السلطان فساروا الى طريق خراسان ثم انحدر بك ابه الى واسط وسار برنقش الى البندنيجين ونهبت العامة دار السلطان

❁ (ذكر اجتماع اصحاب الاطراف على حرب مسعود ببغداد وخروجهم عن طاعته) ❁

فى هذه السنة اجتمع كثير من الامراء واصحاب الاطراف على الخروج عن طاعة السلطان مسعود فسار الملك داود ابن السلطان محمود فى عسكر اذربيجان الى بغداد فوصلها فى رابع صفر ونزل بدار السلطان ووصل اتابك عماد الدين زنكى بعده من الموصل ووصل برنقش بازدار صاحب قزوين وغيرهما والبقش الكبير صاحب اصفهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة ومعه عنتر بن ابى العسكر الجاوانى يدبره ويتم نقص صباه وابن برسق وابن الاحمديلى وخرج اليهم من عسكر بغداد كج ابه والطرنطاى وغيرهما وجعل الملك داود فى شحنكية بغداد برنقش بازدار وقبض الخليفة الراشد بالله على ناصح الدولة أبى عبد الله الحسن بن جهير استاذ الدار وهو وكان السبب فى ولايته وعلى جمال الدولة اقبال المسترشدى وكان قدم اليه من تكريت وعلى غيرهما من اعيان دولته فتغيرت نيات اصحابه عليه وخافوه فاما جمال الدولة فان اتابك زنكى شفع فيه بشفاعة تحتها الزام فاطلق وصار اليه ونزل عنده وخرج موكب الخليفة مع وزيره جلال الدين ابى الرضا بن صدقة الى عماد الدين لتهنئته بالقدوم فاقام الوزير عنده

ثيابهم وقتلوهم والباشا يعلم من كتخداه شدة الكراهة لجنس المماليك ففوض له الامر فيهم حتى انه كان بينه وبين محمد اغا كتخدا الجاويشية سابقا بعض منافرة من مدة سابقة او لكونه صاهر بعض الالفية وزوجه ابنته وكان غائبا ببلدة يقال لها الفرعونية جارية فى اقطاعه وتعهد بها عليها من الفرضة فذهب اليها بنفسه ليستخلص منها الفرضة والمال الميرى فارسل الكتخدا بك الى كاشف المنوفية قبل الحادث بيوم يامره بامره فارسل اليه طائفة من العسكر دخلوا عليه فى الفجرية وهو يتوضا لصلاة الصبح فقتلوه وقطعوا رأسه وأحضروها الى مصر وكانوا ياتون باشخاص من بقايا البيوت القديمة فيمثلونهم بين يدى الكتخدا فيسالهم فيخبرون عن أنفسهم ونسبتهم فيكذبهم ويامر بهم الى الحبس الاعلى حتى يتبين أمرهم فاما تدركهم الالطاف فينجون بعد معاينة الموت وهذا فى النادر فقتل فى هذه الحادثة أكثر من ألف انسان أمراء وأجناد وكشاف ومماليك ثم صاروا يحملون رممهم على الاخشاب ويرمونهم عند المغسل بالرميلة ثم يرفعونهم ويلقونهم فى حفر من الارض فوق بعضهم البعض لا يتميز الامير عن غيره وسلخوا عدة رؤس من رؤس العظماء والقوا بجماجمهم المسلوخة على الرمم فى تلك الحفر فكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التى لم يتفق مثلها ولم يتنج وساله

وساله ان يمنعه من الخليفة فاجابه الى ذلك وعاد الموكب بغير وزير وارسل زنكى من حرس دار الوزير من النهب ثم اصلح حاله مع الخليفة واعاده الى وزارته وكذلك ايضا عبر عليه قاضى القضاة الزينبي وسار معه الى الموصل ثم ان الخليفة جد فى عمارة السور فارسل له الملك داود من قلع ابوابه واخرب قطعة منه فانزعج الناس ببغداد ونقلوا اموالهم الى دار الخلافة وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب للملك داود وجرت الايمان بين الخليفة والملك داود وعماد الدين زنكى وارسل الخليفة الى اتابك زنكى مائتى الف دينار لينفقها ووصل الملك سلجوق شاه الى واسط فدخلها وقبض على الامير بك ابه ونهب ماله وانحدر أتابك زنكى اليه لدفعه عنها واصطلحا وعاد زنكى الى بغداد وعبر الى طريق خراسان وحث على جمع العساكر للقاء السلطان مسعود وسار الملك داود نحو طريق خراسان فنهب العسكر البلاد ووصلت الاخبار بمسير السلطان مسعود الى بغداد وفارق الملك داود واتابك زنكى فعاد اتابك زنكى الى بغداد وفارق الملك داود واظهر له انه يمضى الى مراغة اذا فارق السلطان مسعود همذان وبرز الراشد بالله الى ظاهر بغداد أول رمضان وسار الى طريق خراسان ثم عاد بعد ثلاثة ايام ونزل عند جامع السلطان ثم دخل الى بغداد خامس رمضان وارسل الى داود وسائر الامراء يامرهم بالعود الى بغداد فعادوا ونزلوا فى الخيام وعزموا على قتال السلطان مسعود من داخل سور بغداد ووصلت رسل السلطان مسعود يبذل من نفسه الطاعة والموافقة للخليفة والتهديد لمن اجتمع عنده فعرض الخليفة الرسالة عليهم فكلهم رأى قتاله فقال لهم الخليفة وانا أيضا معكم على ذلك

(ذكر ملك شهاب الدين حمص)

فى هذه السنة فى الثانى والعشرين من ربيع الاول تسلم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها وسبب ذلك ان اصحابها أولاد الامير خيرخان بن قراجا والوالى بها من قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عسكر عماد الدين زنكى اليها والى اعمالها وتضييقهم على من بها من جندى وعامى فراسلوا شهاب الدين فى ان يسلموها اليه ويعطيهم عوضا عنها تدمر فاجابهم الى ذلك وسار اليهم او تسلمها منهم فى التاريخ المذكور وسلم اليهم تدمر واقطع حمص مملوك جده معين الدين انر وجعل فيها نائبا عنه ممن يثق اليه من اعيان أصحابه وعاد عنها الى دمشق فلما رأى عسكر زنكى بحلب وحماة خروج حمص عن أيديهم تابعوا الغارات الى بلدها والنهب له والاستيلاء على كثير منه فجرى بينهم عدة وقائع وأرسل شهاب الدين الى زنكى فى المعنى واستقر الصلح بينهم وكف كل منهم عن صاحبه

(ذكر الفتنة بدمشق)

فى هذه السنة وقعت الفتنة بدمشق بين صاحبها والجند وسبب ذلك ان الحاجب يوسف بن فيروز كان اكبر حاجب عند أبيه وجده ثم انه خاف أباه شمس الملوك وهرب

الالفية الأحمد بك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير فانه كان غائبا بناحية بوش وامين بك تسلق من القلعة وهرب الى ناحية الشام وعمر بك ايضا الالفى كان مسافرا فى ذلك اليوم الى الفيوم فقتلوه هنالك وبعثوا برأسه بعد خمسة ايام ومعها نحو الخمسة عشر رأسا وأرسل دبوس اوغلى حاكم المنية نحو الثلاثين رأسا وحضر من ناحية بحرى غير ذلك كثير *(واما من قتل فى ذلك اليوم ممن له ذكر وبلغنى خبره)* فهم شاهين بك كبير الالفية ويحيى بك ونعمان بك وحسين بك الصغير ومصطفى بك الصغير ومراد بك وعلى بك هؤلاء من الالفية ومن غيرهم احمد بك الكيلارجى ويوسف بك ابو دياب وحسن بك صالح ومرزوق بك ابن ابراهيم بك الكبير وسليمان بك البواب واحمد بك تابعه ورشوان بك وابراهيم بك تابعاه وقاسم بك تابع مراد بك الكبير وسليم بك الدمرجى ورستم بك الشرقاوى ومصطفى بك ايوب ومصطفى بك تابع عثمان بك حسن وعثمان بك ابراهيم وذو الفقار تابع جوجر وهو رجل كبير من الاقدمين البطالين هرب هو ومصطفى بك الجداوى وآخر عند صالح بك السلحدار والتجؤا اليه وطلبهم وارسل يخبرهم فحضر الامر بقطع رؤسهم فاحضر المشاعلى وقطع رؤسهم فى مقعده وأرسلها ومن الامراء الكشاف الالفية فهم على

منه الى تدمر فلما كان فى هذه السنة سأل ان يحضر الى دمشق وكان يخاف جماعة المماليك لانه كان اساء اليهم وعاملهم اقبح معاملة فكلهم عليه حنق لاسيما فى الحادثة التى خرج فيها شمس الملوك وقد تقدمت فانه اشار بقتل جماعة برأيه و بقتل سونج بن تاج الملوك فصاروا كلهم أعداء مبغضين فلما طلب الامان والحضور الى دمشق أجيب الى ذلك فانكر جماعة الامراء والمماليك قربه وخافوه ان يفعل بهم مثل فعله الاول فلم يزل يتوصل معهم حتى حلف لهم واستحلفهم وشرط على نفسه انه لا يتولى من الامور شيئا ثم انه جعل يدخل نفسه فى كثير من الامور فاتفق اعداؤه على قتله فبينما هو يسير مع شهاب الدين والى جانبه امير اسمه بزاوش يحادثه اذ ضربه بزاوش بالسيف فقتله فحمل ودفن فى تربة والده بالعقيبة ثم ان بزاوش والمماليك خافوا فلم يدخلوا البلد ونزلوا بظاهره وارسلوا يطلبون قواعد اشتطوا فيها فاجابهم الى البعض فلم يقبلوا منه ثم ساروا الى بعلبك وبها شمس الملوك محمد بن تاج الملوك صاحبها فصاروا معه فالتحق بهم كثير من التركمان وغيرهم وشرعوا فى العيث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم وملاطفتهم واجابتهم الى ما طلبوا واستقرت الاحوال على ذلك وحلف كل منهم لصاحبه فعادوا الى ظاهر دمشق ولم يدخلوا البلد وخرج شهاب الدين صاحب دمشق اليهم واجتمع بهم وتجددت الايمان وصار بزاوش مقدم العسكر واليه الحل والعقد وذلك فى شعبان وزال الخلاف ودخلوا البلد والله أعلم

(ذكر غزاة العسكر الاتابكى الى بلاد الفرنج)

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت عساكر أتابك زنكى صاحب حلب وحماة مع الامير اسوار نائبه بحلب وقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة منهم وقصدوا أعمال اللاذقية ولم يتمكن أهلها من الانتقال عنها والاحتراز فنهبوا منها ما يزيد عن الوصف وقتلوا واسروا وفعلوا فى بلاد الفرنج ما لم يفعله بهم غيرهم وكان الاسرى سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامرأة وصبى ومائة الف رأس من الدواب ما بين فرس وبغل وحمار وبقر وغنم وأما ما سوى ذلك من الاقمشة والعين والحلى فيخرج عن الحد وخربوا بلد اللاذقية وما جاورها ولم يسلم منها الا القليل وخرجوا الى شيزر بما معهم من الغنائم سالمين منتصف رجب فامتلأ من الاسارى والدواب وفرح المسلمون بذلك فرحا عظيما ولم يقدر الفرنج على شئ يفعلونه مقابل هذه الحادثة عجزا منهم ووهنا وضعفا

(ذكر وصول السلطان مسعود الى العراق وتفرق اصحاب الاطراف ومسير الراشد بالله الى الموصل)

قيل لما بلغ السلطان مسعودا اجتماع الملك داود والامراء ببغداد على خلافه وخطب للملك داود ابن اخيه السلطان محمود جمع العساكر وسار الى بغداد فنزل بالملكية فسار بعض العسكر حتى شارفوا عسكره وطاردوهم وكان فى الجماعة زين الدين على امير من امراء اتابك زنكى ثم عادوا ووصل السلطان فنزل على بغداد وحصرها وجميع العساكر

كاشف الخازندار وعثمان كاشف الحبشى ويحيى كاشف ومرزوق كاشف وعبد العزيز كاشف ورشوان كاشف وسليم كاشف طظر وقايد كاشف وجعفر كاشف وعثمان كاشف ومحمد كاشف ابو قطية واحمد كاشف الفلاح واحمد كاشف صهر محمد اغا وخليل كاشف وعلى كاشف قيطاس واحمد كاشف وموسى كاشف وغير ذلك ممن لم يحضرنى اسماؤهم وهم كثيرون رحمهم الله للجميع بالخير فانه بلغنى عن عاينهم بالمحبوس وفى حال القتل انهم كانوا يقرؤن القرآن وينطقون بالشهادتين والاستغفار وبعضهم طلب ماء وتوضا وصلى ركعتين قبل ان يرمى عنقه ومن لم يجد ماء تيمم ولاشتغال أهل المقتولين بانفسهم وما حصل لهم من النهب والسلب والتشتيت عن اوطانهم لم يعوا ولم يسالوا عن موتاهم غير ام مرزوق بك ابن ابراهيم بك الكبير فانها وجدت عليه وجدا عظيما وطلبته فى القتلى فعرفوا جثته بعلامة فيه وجمجمته بكونه كان كريم العين فاخرجوه وكفنوه ودفنوه فى تربتهم وذلك بعد مضى يومين من الحادثة واجتمع عندها الكثير من اهل المقتولين ونسائهم واقاموا على ذلك شهورا (وفى يوم الحادثة) ارسل محرم بك صهر الباشا حاكم الجيزة فجمع مال المصرية باقليم الجيزة فى الربيع من الخيول والجمال والهجن وغيرها شيئا كثيرا (وفى ثامنه) نودى على نساء

فيها

فيها ثار العيارون ببغداد وسائر محالها وافسدوا ونهبوا وقتلوا حتى انه وصل صاحب
لاتابك زنكي ومعه كتب فخرجوا عليه واخذوها منه وقتلوه فحضر جماعة من اهل
المحال عند الاتابك زنكي واشاروا عليه بنهب المحال الغربية فليس فيها غير عيار ومفسد
فامتنع من ذلك ثم ارسل بنهب الحريم الطاهري فاخذ منه من الاموال الشئ الكثير
وسبب ذلك ان العيارين فيه واخذوا اموال الناس ونهبت العساكر غير الحريم من
المحال وحصرهم السلطان نيفا وخمسين يوما فلم يظفر بهم فعاد الى النهروان عازما على
العود الى همذان فوصله طرنطاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها وعبر
فيها الى غربي دجلة واراد العسكر البغدادي منعه فسبقهم الى العبور واختلفت كلمتهم
فعاد الملك داود الى بلاده في ذي القعدة وتفرق الامراء وكان عماد الدين زنكي بالجانب
الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد بالله وسار معه الى الموصل في نفر يسير من اصحابه فلما
سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكي بغداد سار اليها واستقر بها ومنع اصحابه
من الاذى والنهب وكان وصوله منتصف ذي القعدة فسكن الناس واطمانوا بعد
الخوف الشديد وامر فجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلف
بها الراشد بالله لمسعود وفيها بخط يده اني متى جندت او خرجت او لقيت احدا من
اصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر فافتوا بخروجه من الخلافة
وقيل غير ذلك وسنذكره في خلافة المقتفي لامر الله وكان الوزير شرف الدين علي بن
طراد وصاحب المخزن كمال الدين بن البقشلاني وابن الانباري مع السلطان لانهم عنده
مذ اسرهم مع المسترشد بالله فقدحوا في الراشد ووافقهم على ذلك اصحاب المناصب
ببغداد الا اليسير لانهم كانوا يخافونه وكان قد قبض بعضهم وصادر بعضا واتفقوا على
ذمه فتقدم السلطان بخلعه واقامة من يصلح للخلافة وقطعت خطبته في بغداد في ذي القعدة
وسائر البلاد وكانت خلافته احد عشر شهرا واحد عشر يوما وقتله الباطنية على
ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر خلافة المقتفي لامر الله)

لما قطعت خطبة الراشد بالله استشار السلطان جماعة من اعيان بغداد منهم الوزير علي بن
طراد وصاحب المخزن وغيرهما فيمن يصلح ان يلي الخلافة وقال الوزير احد عمومة
الراشد وهو رجل صالح قال من هو قال من لا اقدر ان افصح باسمه لئلا يقتل فتقدم
اليهم بعمل محضر في خلع الراشد فعملوا محضرا ذكروا فيه ما ارتكبه من اخذ الاموال
واشياء تقدح في الامامة ثم كتبوا فتوى ما تقول العلماء فيمن هذه صفته هل يصلح
للامامة ام لا فافتوا ان من هذه صفته لا يصلح ان يكون اماما فلما فرغوا من ذلك
حضروا القاضي اباطاهر بن الكرخي فشهدوا عنده بذلك فحكم بفسقه وخلعه وحكم
بعده غيره ولم يكن قاضي القضاة حاضرا فانه كان عند اتابك زنكي بالموصل ثم ان شرف
الدين الوزير ذكر للسلطان اباعبد الله الحسين وقيل محمد بن المستظهر بالله ودينه وعقله

المقتولين بالامان وان يحضرن الى بيوتهن و يسألن فيها مع انها صارت بلاقع فرجع البعض وهن اللاتي لم يحصل
لهن كثير الضرر وبقي البعض
في اجتماعهم وانعم الباشا على
خواصه بالبيوت بما فيها
فنزلوها وسكنوها والبسوا
النساء الخواتم وجددوا الفرش
والاواني وغالبها من المنهوبات
وانعم ببيت شاهين بك على
حسين اغا من اقاربه ولم يحصل به
ما حصل بغيره لكونه ملاصقا
لبيت طاهر باشا وارسل الباشا
طائفة من العسكر جلسوا
على بابه واما احمد بك الالفي
فانه وصله النذير فانتقل من
بوش وذهب عند الامراء القبالي
ولما وصلتهم اخبار هذه
الحادثة وبلغ ابراهيم بك موت
ولده على هذه الصورة اقاموا
العزاء على اخوانهم ولبسوا
السواد (وفي ثاني يوم الوقعة)
حضر احد الكشاف رسولا
من عند الامراء القبليين
يطلبون العفو من الباشا وان
يعطيهم جهة يتعيشون منها
فوعده برد الجواب في غير
الوقت فاهمله وما ادري ما تم
له (وفيه) قلد الباشا مصطفى
بك ابن اخته وجعله كبيرا على
طائفة الدلاة وكان احضره
من ناحية الشرقية ليذهب
الى قبلي واقام بدله في كشوفية
الشرقية على كاشف بن احمد
كتخدا من المصرلية (وفي ثامن
عشره) عدى مصطفى بك
المذكور الى بر الجيزة ليسافر الى قبلي ونصب وطاقه بجهة القصر وعدى ايضا الباشا واقام بالقصر وشرع عسكره

الدلاة في التعدية ليلا ونهارا (وفيه ايضا) خرج عدة من عسكر الدلاة نحو الخمسمائة نفر الى ناحية قبة العزب

ثم عقد له وابن جانبه بحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وصاحب المخزن ابن البقشلاني وغيرهما وأمر باحضار الامير ابي عبد الله بن المستظهر من المكان الذي يسكن فيه فاحضر واجلس في المثمنة ودخل السلطان اليه والوزير وتحالفا وقرر الوزير القواعد بينهما وخرج السلطان من عنده وحضر الامراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء وبايعوا ثامن عشر ذي الحجة ولقب المقتفي لامر الله قيل سبب اللقب انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلي الخلافة بستة أيام وهو يقول له ان هذا الامر يصير اليك فاقتف بي فلقب بذلك ولما استخلف سيرت الكتب الحكمية بخلافته الى سائر الامصار واستوزر شرف الدين علي بن طراد الزينبي فارسل الى الموصل وأحضر قاضي القضاة أبا القاسم علي بن الحسين الزينبي ابن عم الوزير وأعاده الى منصبه وقرر كمال الدين حمزة بن طلحة على منصبه صاحب المخزن وجرت الامور على أحسن نظام وبلغني ان السلطان مسعودا أرسل الى الخليفة المقتفي لامر الله في تقرير اقطاع يكون لخاصته فكان جوابه ان في الدار ثمانين بغلا تنقل الماء من دجلة فلينظر السلطان ما يحتاج اليه من يشرب هذا الماء ويقوم به فتقررت القاعدة على ان يجعل له ما كان للمستظهر بالله فاجاب الى ذلك وقال السلطان لما بلغه قوله لقد جعلنا في الخلافة رجلا عظيما والمقتفي عم الراشد هو والمسترشد ابنا المستظهر وليا الخلافة وكذلك السفاح والمنصور اخوان وكذلك المهدي والرشيد اخوان وكذلك الواثق والمتوكل اخوان وأما ثلاثة اخوة ولوا الخلافة فالامين والمامون والمعتصم وهم أولاد الرشيد والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر واما أربعة اخوة ولوها فالوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان لا يعرف غيرهم وحين استقرت الخلافة للمقتفي أرسل اليه الراشد بالله رسولا من الموصل مع رسول اتابك زنكي وكان كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري فاحضر في الديوان وسمعت رسالته وحكى لي والدي عنه قال لما حضرت الديوان قيل لي تبايع أمير المؤمنين فقلت أمير المؤمنين عندنا في الموصل وله في اعناق الخلق بيعة متقدمة وطال الكلام وعدت الى منزلي فلما كان الليل جاءتني امرأة عجوز سرا واجتمعت بي وابلغتني رسالة عن المقتفي لامر الله مضمونها عتابي على ما قلته واستنزالي عنه فقلت غدا أخدم خدمة يظهر اثرها فلما كان الغد حضرت الى الديوان وقيل لي في تعين البيعة فقلت أنا رجل فقيه قاض ولا يجوز لي ان ابايع الان يثبت عندي خلع المتقدم فاحضروا الشهود وشهدوا عندي في الديوان بما أوجب خلعه فقلت هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لابد لنا في هذه الدعوى من نصيب لان أمير المؤمنين قد حصل له خلافة الله في أرضه والسلطان فقد استراح ممن كان يقصده ونحن بأي شئ نعود فرجع الامر الى الخليفة فامر ان يعطى اتابك زنكي صريفين ودرب هرون وجرى ملكا وهي من خاص الخليفة ويزاد في القابه وقال هذه قاعدة لم يسمح بها لاحد من زعماء الاطراف ان يكون لهم نصيب من خاص الخليفة وكانت بيعة كمال الدين سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولما عاد كمال

ليسافروا الى بلادهم فاستمروا في قضاء اشغالهم ايام ثم سافروا (وفي يوم الاثنين ثالث عشرينه) ارتحل مصطفى بك وانتقل الى ناحية الشيخ عثمان مسافرا الى قبلي وعدى الباشا راجعا الى مصر (وفيه حضر) ططريان من الروم يبشران بالعفو عن يوسف باشا المنفصل عن الشام وقبول فيه ترجي باشة مصر وشفاعته (وفي يوم الاربعاء خامس عشرينه) احضروا من ناحية قبلي أربعة وستين شخصا واكثرهم من الذين كانوا مستوطنين بالبلاد من بقايا البيوت القديمة السنين العديدة ومحترفين فلما احضروهم الى مصر القديمة أبقوهم الى الليل في محبس ثم اوقدوا المشاعل بساحل البحر وقطعوا رؤسهم ورموا بجثثهم الى البحر واتوا بالرؤس فوضعوها تجاه باب زويلة ليراها الناس كما راوا غيرها

(واستهل شهر ربيع الاول بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٦)

وفي يوم الاحد سادسه عمل الباشا لابنه طوسون باشا موكبا عظيما ونبهوا في ليلتها على اجتماع العسكر في صبحها ونزل هو الى جامع الغورية ليتفرج على الموكب وصحبته

حسن باشا واستعد لذلك السيد المحروقي وفرش له بالجامع المذكور فروشا ومراتب ووسائد فمر الموكب وفي أوله الدين

الدين الشهرزوري شيرج لى يده الحضر الذى عمل بجنح الراشد فحكم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل وكان عند اتابك زنكي

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عزل السلطان مسعود وزيره شرف الدين انوشروان بن خالد وعاد الى بغداد وأقام بداره معزولا ووزر من بعده كمال الدين أبو البركات بن سلمة الدركزيني وهو من خراسان وفيها ثار العيارون ببغداد عند اجتماع العساكر بها وفتكوا فى البلد ونهبوا الاموال ظاهرا وكثر الشر فقصد الشحنة شارع دار الرقيق وطلب العيارين فثار عليه أهل المحال الغربية فقاتلهم واحرق الشارع فاحترق فيه خلق كثير ونقل الناس أموالهم الى الحريم الظاهرى فدخله الشحنة ونهب منه مالا كثيرا ثم وقعت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج وبين اهل المامونية وقتل بينهم جماعة ثم اصطلحوا وفيها سار قراسنقر فى عساكر كثيرة فى طلب الملك داود ابن السلطان محمود فاقام السلطان مسعود ببغداد ولم يزل قراسنقر يطلب داود حتى ادركه عند مراغة فالتقيا وتصافا واقتتل العسكران قتالا عظيما فانهزم داود واقام قراسنقر باذربيجان واما داود فانه قصد خوزستان فاجتمع عليه هناك عساكر كثيرة من التركمان وغيرهم فبلغت عدتهم نحو عشرة آلاف فارس فقصد تستر وحاصرها وكان عمه الملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد بواسط فارسل الى أخيه السلطان مسعود يستنجده فامده بالعساكر فسار الى داود وهو يحاصر تستر فتصافا فانهزم سلجوق شاه وفيها توفى محمد بن حمويه أبو عبد الله الجويني وهو من مشايخ الصوفية المشهورين وله كرامات كثيرة ورواية الحديث وتوفى ايضا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامرى الصوفى مصنف شرح الشهاب وأنشد لما احتضر

هاقد مددت يدى اليك فردها * بالعفو لا بشماتة الاعداء

وتوفى أيضا ابو عبد الله محمد بن الفضل بن احمد الفراوى الصاعدى راوى صحيح مسلم عن عبد الغافر الفارسى وطريقه اليوم اعلى الطرق واليه الرحلة من الشرق والغرب وكان فقيها مناظرا ظريفا يخدم الغرباء بنفسه وكان يقال الفراوى ألف راو رحمه الله ورضى عنه

(ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر تفرق العساكر عن السلطان مسعود)

فى هذه السنة فى المحرم اذن السلطان مسعود للعساكر التى عنده ببغداد بالعود الى بلادهم لما بلغه ان الراشد بالله قد فارق اتابك زنكي من الموصل فانه كان يمسك العساكر عنده خوفا ان ينحدر به الى العراق فيملكه عليه فلما اراد أن يأذن للامير صدقة بن دبيس صاحب الحلة زوجه ابنته عسكابه وقدم على السلطان مسعود جماعة من الامراء الذين حاربوه مع الملك داود منهم البقش السلاحى وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر الخمارتكين شحنة همذان فرضى عنهم وأمنهم وولى البقش شحنكية بغداد

طائفة الدلاة فلما فرغوا مروا بعشرة مدافع كبار على عربيات وعربيتين تحملان هوزين قنابر وخلفهم طوائف العسكر الرجالة أرنؤد واتراك وسجمان وهم كثيرون مختلطون من غير ترتيب مدة طويلة ثم كبارهم ركبانا بطوائفهم ثم الوالى والمحتسب وأغات مستحفظان ثم طوائف صاحب الموكب وجنائبه وكذا هجنه ثم الجاويشية والسعاة والملازمون ثم طوسون باشا وخلفه أتباعه واغواته ثم الكتخدا وهو محمد كتخدا المعروف بالبرديسى وهو الذى كان كتخدا الالفى وصحبته الخازندار وخلفهم النوبة التركية ولما انقضى أمر الموكب دعاه المحروقى الى منزله فنزل معه من باب السر الذى بالجامع المعروف بالغورى وصحبته حسن باشا وتوجهوا الى بيت المحروقى وتغدى عنده هو واتباعه وخواصيه وأحضر له آلات الطرب واستمر هناك الى آخر النهار فى حظ وكيف وقدم له المحروقى تقادم هدية ثم ركب عائدا الى محله (وفى يوم الاثنين رابع عشره) نزل الباشا الى ترعة الفرعونية للاهتمام بسدها ونقل الاحجار فى المراكب مستمر فاقام عند السد أربع ليال وذهب الى الاسكندرية عندما أتته الاخبار بورود مراكب الانكليز لاجل مشترى الغلال فذهب ليبيع عليهم الغلال التى جمعها فباع عليهم كل اردب بثلاثة قروش رومى عنها اربعة آلاف فضة وأكثروا جتهم ببناء اسوار الاسكندرية

فبسط الناس وظلمهم وكان السلطان مسعود بعد تفرق العساكر عنه قد بقي معه ألف
فارس وتزوج الخليفة فاطمة أخت السلطان مسعود في رجب والصداق مائة ألف
دينار وكان الوكيل في قبول النكاح وزير الخليفة على بن طراد الزينبي والوكيل عن
السلطان وزيره الزركزيني ووفى السلطان حيث صار الخليفة وصدقة بن دبيس بن
صدقة تصهر به وحيث سار الراشد بالله من عند زنكي الاتابك والله أعلم

ذكر عزل بهرام عن وزارة الحافظ ووزارة رضوان

في هذه السنة في جمادى الاولى هرب تاج الدولة بهرام وزير الحافظ لدين الله العلوي
صاحب مصر وكان قد استوزر بعد قتل ابنه حسن سنة تسع وعشرين وخمسمائة
وكان نصرانيا أرمنيا فتمكن في البلاد واستعمل الارمن وعزل المسلمين واساء السيرة
فيهم وأهانهم هو والارمن الذين ولاهم وطمعوا فيهم فلم يكن في أهل مصر من انف من
ذلك الا رضوان بن الريحيني فانه لما ساءه ذلك وأقلقه جمع جمعا كثيرا وقصد القاهرة
فسمع به بهرام فهرب الى الصعيد من غير حرب ولا قتال وقصد مدينة اسوان فمنعه
واليها من الدخول اليها وقاتله فقتل السودان من الارمن كثيرا فلما لم يقدر على
الدخول الى اسوان أرسل الى الحافظ يطلب الامان فامنه فعاد الى القاهرة فسجن
بالقصر فبقي مدة ثم ترهب وخرج من الحبس واما رضوان فانه وزر للحافظ ولقب
بالملك الافضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم فسد ما بينه وبين الحافظ
فعمل الحافظ في اخراجه فثار الناس عليه منتصف شوال في سنة ثلاث وثلاثين
وخمسمائة وهرب من داره وتركها بما فيها فنهب الناس منها ما لا يحد ولا يحصى وركب
الحافظ فسكن الناس ونقل ما بقي في دار رضوان الى قصره واما رضوان فسار
يريد الشام يستنجد الاتراك ويستنصرهم فارسل اليه الحافظ الامير ابن مصال ليرده
بالامان والعهد انه لا يؤذيه فرجع الى القاهرة فحبسه الحافظ عنده في القصر وقيل
انه توجه الى الشام وهو الصحيح وقصد صرخد فوصل اليها في ذي القعدة ونزل على
صاحبها أمين الدولة كمشتكين فاكرمه وعظمه واقام عنده ثم سار الى مصر سنة أربع
وثلاثين وخمسمائة ومعه عسكر فقاتل المصريين عند باب النصر وهزمهم وقتل منهم
جماعة كثيرة واقام ثلاثة أيام فتفرق عنه كثير ممن معه فعزم على العود الى الشام
فارسل اليه الحافظ الامير ابن مصال فرده وحبسه عنده في القصر وجمع بينه وبين عياله
واهله فاقام في القصر الى سنة ثلاث واربعين فنقب الحبس وخرج منه وقد أعدت له
خيل فهرب عليها وعبر النيل الى الجيزة فحشد وجمع المغاربة وغيرهم وعاد الى القاهرة
فقاتل المصريين عند جامع ابن طولون وهزمهم ودخل القاهرة فنزل عند جامع الاقمر
فارسل الى الحافظ يطلب منه مالا ليفرقه على عادتهم فانهم كانوا اذا وزر وزير أرسلوا
اليه عشرين الف دينار ليفرقها فارسل الحافظ عشرين الف دينار فقسمها وكثر عليه
الناس وطلب زيادة فارسل اليه عشرين الف دينار ففرقها فتفرق الناس وخفوا

وجد بها أبراجا وحدونا وارسل بطلب البنائين والصناع فجمعوهم من كل ناحية وطالت غيبته هناك
واقامته لتتميم أغراضه وامن
مشايخ عربان أولاد على
المستولين على البحيرة وتحيل
عليهم فلما حضروا اليه قبض
عليهم وقرر عليهم أموالا
عظيمة ثم خلع عليهم ووعدهم
وارسل العساكر فنهبت
نجوعهم وسبوا نساءهم واولادهم
ومواشيهم واما كتخدا بيك
فانه بمصر يقرر الفرض على البلاد
هو والكتبة حسب أوامر
مخدومه ونظموا كيفية أخرى
وهي أنهم جمعوا الميري والمضاف
والفائظ والرزق ايرادا أربع
سنوات وكتبوا بها مراسيم
بنصف المقرر ليقبض في دفعتين
وبعد أن تقرر النصف الأول
وتحصل منه ما تحصل وبقي
الباقي مع النصف الآخر
ويطلب من اربابه ولا بد
لا مسامحة في شئ منه ومن
تكفل بما تقرر على حصته
والزم نفسه بدفعه وكتب على
نفسه وثيقة لابد ان يطالب به
حتى قبل حلول الاجل
لاحتياج المهمات فتتوجه عليه
الحوالات بالعساكر فينزلون
بداره ويلازمونه ويضيقون
انفاسه ويكلفونه ما لا يطيق
فلا يجد ملجأ ولا خلاصا الا
باحد الشيئين اما الدفع باي
وجه كان واما يتنزل عن
حصته بالفراغ للديوان ولا
يبقى بيده ما يتقوت به هو وعياله ويصبح فقير الاملاك شيأ ان لم يكن له ايراد من جهة أخرى

عنه فاذا الصوت قد وقع وخرج اليه جمع كثير من السودان وضعهم الحافظ عليه فحملوا على غلمانه فقاتلوهم فقام يركب فقدم اليه بعض أصحابه فرسا ليركبه فلما اراد ركوبه ضرب الرجل رأسه بالسيف فقتله وحمل رأسه الى الحافظ فارسله الى زوجته فوضع في حجرها فالقت به وقالت هكذا يكون الرجال ولم يستوزر الحافظ احدا وباشر الامور بنفسه الى ان مات

(ذكر فتح المسلمين حصن وادى ابن الاحمر من الفرنج)

وفي هذه السنة في رجب سار عسكر دمشق مع مقدمهم الامير بزاوش الى طرابلس الشام فاجتمع معه كثير من الغزاة المتطوعة والتركمان ايضا خلق كثير فلما سمع القمص صاحبها بقربهم من ولايته سار اليهم في جموعه وحشوده فقاتلهم وانهزم الفرنج وعادوا الى طرابلس في صورة سيئة قد قتلت فرسانهم وشجعانهم فلما عادوا نهب المسلمون من اعمالهم اكثرها وحصروا حصن وادى ابن الاحمر وضيقوا عليه فملكوه عنوة ونهبوا ما فيه وقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم والذرية واسروا الرجال فاشتروا انفسهم بمال جزيل وعاد المسلمون الى دمشق سالمين والله أعلم

(ذكر حصار زنكي مدينة حمص)

في هذه السنة في شعبان سار اتابك زنكي الى مدينة حمص وقدم اليها حاجبه صلاح الدين محمدا الباغيسياني وهو اكبر اميره معه وكان ذا مكر وحيل أرسله ليتوصل مع من فيها ليسلموها اليه فوصل اليها وفيها معين الدين انر وهو الوالي عليها والحاكم فيها وهو ايضا اكبر امير بدمشق وحمص اقطاعه كما سبق ذكره فلم ينفذ فيه مكره فوصل حينئذ زنكي اليها وحصرها وعاود مراسلة انر في التسليم غير مرة تارة بالوعد وتارة بالوعيد واحتج بأنها ملك صاحبه شهاب الدين وانها بيده امانة ولا يسلمها الا عن غلبة فاقام عليها الى العشرين من شوال ورحل عنها من غير بلوغ غرض الى بعرين فحصرها وكان منه ومن الفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ملك زنكي قلعة بعرين وهزيمة الفرنج)

وفي هذه السنة في شوال سار اتابك زنكي من حمص كما ذكرناه وحصر قلعة بعرين وهي للفرنج تقارب مدينة حماة وهي من امنع الحصون واحصنها فلما نزل عليها قاتلها وزحف اليها فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا في قضهم وقضيضهم وملوكهم وقمامصتهم وكنودهم الى اتابك زنكي ليرحلوه عن بعرين فلم يرحل وصبر لهم الى ان وصلوا اليه فلقيهم وقاتلهم اشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم اجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب واحتمى ملوكهم بحصن بعرين لقربه منهم فحصرهم المسلمون ومنع اتابك زنكي عنهم كل شيء حتى الاخبار فكان من به منهم لا يعلم شيئا من اخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته على جنوده

بانواع من الحيل فمنها انه يرسل الى اهل حرفة من الحرف ويامرهم ببيع بضاعتهم بنصف ثمنها او يظهر انه يريد الشفقة والرافة بالناس ويرخص لهم في اسعار المبيعات وان ارباب الحرف تعدوا الحدود في غلاء الاسعار فيجتمع اهل الحرفة ويحضرون ويأتون بدفاترهم ويبينون راس مالهم وما ينضاف اليه من غلو جزئيات تلك البضاعة وما استحدث عليها من الجمارك والمكوس وغلو الاجر في البحر والبر فلا يستمع لقولهم ولا يقبل لهم عذرا ويامر بهم الى الحبس فعند ذلك يطلبون الخلاص ويصالحون على انفسهم بقدر من المال يدفعونه ويوزعون ذلك على افرادهم فيما بينهم ثم يزيدون في سعر تلك البضاعة ليعوضوا اغرامتهم من الناس معتذرين بتلك الغرامة وما حل بهم من الخسارة ثم تستمر الزيادة على الدوام واظن استمرار الغرامة ايضا فجمع بهذه الكيفية اموالا عظيمة وهي في الحقيقة سلب اموال الناس من الاغنياء والفقراء (وفي اواخره) حضر الباشا من الاسكندرية على حين غفلة فبات بقصر شبرا ثم حضر الى بيت الازبكية فاقام به يومين

ثم طلع الى القلعة (وفيه وصلت) عساكر كثيرة من الارنؤد والاتراك حتى غصت بهم المدينة فلا يكاد المار

يقع بعضه الا عليهم امام وخلف ويداخل الازقة والعطف وذلك خلاف الذين اقرهم وابقاهم فى الاسكندرية ومن هو بالجهات والاقاليم القبلية والبحرية وما يعلم جنود ربك الا هو (وفيه) اهتم الباشا بتشهيل العرضى اهتماما زائدا وفرض على البلاد جمالا واتبانا وغلالا

(واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٦)

فيه ورد قاصد من الديار الرومية وعلى يده بشارة بانه ولد للسلطان مولودة أنثى فعملوا لها شنكا وهى مدافع تضرب من ابراج القلعة فى الاوقات الخمسة ثلاثة ايام (وفيه) فرضوا فرضة بغال على مياسير الناس واهل الحرف بغلة وبغلتين وثلاثة والذى لم يكن عنده بغلة تلزم بالشراء اوانه يدفع ثمنها كيسا عشرون الف فضة (وفيه) انقطع الوارد من الديار الحجازية وغلا سعر البن حتى وصل الى مائتين وسبعين نصف فضة كل رطل وقل وجوده من الاسواق والدكاكين فلا يوجد الا مع المشقة وصنع الناس القهوة من انواع الحبوب المحمصة كالشعير والقمح والفول وبزر الفاقول وغيره مخلوطا مع البن وبغير خلط

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٦)

فى عشرينه خرج الباشا الى البركة وطلب الجمال وقوافل العرب وشهل طائفة من العسكر للسفر الى السويس فاهتموا بالدخول والخروج من المدينة وطفقوا يخطفون (ذكر

ثم ان القسوس والرهبان دخلوا بلاد الروم وبلاد الفرنج وما والاها من بلاد النصرانية مستنفرين على المسلمين واعلموهم ان زنكى ان اخذ قلعة بعرين ومن فيها من الفرنج ملك جميع بلادهم فى أسرع وقت لعدم الحامى عنها وان المسلمين ليس لهم نية الا قصد البيت المقدس فحينئذ اجتمعت النصرانية وساروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام مع ملك الروم وكان منهم ما نذكره واما زنكى فانه جد فى قتال الفرنج فصبروا وقلت عليهم الميرة والذخيرة فانهم كانوا غير مستعدين ولم يكونوا يعتقدون ان احدا يقدر عليهم بل كانوا يتوقعون ملك باقى البلاد بالشام فلما قلت الذخيرة اكلوا دوابهم واذعنوا بالتسليم ليؤمنهم ويتركهم يعودون الى بلادهم فلم يجبهم الى ذلك فلما سمع بقرب ملك الروم من الشام واجتماع من بقى من الفرنج أعطى لمن فى الحصن الامان وقرر عليهم تسليم الحصن ومن المال خمسين الف دينار يحملونها اليه فاجابوه الى ذلك فخرجوا وسلموا اليه فلما فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم فندموا على التسليم حيث لا ينفعهم الندم وكان لا يصلهم شئ من الاخبار البتة فلهذا اسلموه وكان زنكى فى مدة مقامه عليهم فتح المعرة وكفرطاب من الفرنج فكان اهلها واهل سائر الولايات التى بينها وبين حلب وحماة مع اهل بعرين فى الخزى لان الحرب بينهم قائمة على ساق والنهب والقتل لا يزال بينهم فلما ملكها امن الناس وعمرت البلاد وعظم دخلها وكان فتحا مبينا ومن رآه علم صحة قولى ومن أحسن الاعمال ما عمله زنكى مع اهل المعرة فان الفرنج لما ملكوها كانوا قد اخذوا املاكهم فلما فتحها زنكى الآن حضر من بقى من اهلها ومعهم اعقاب من هلك وطلبوا املاكهم فطلب منهم كتبها فقالوا ان الفرنج اخذوا كل ما لنا والكتب التى للاملاك فيها فقال اطلبوا دفاتر حلب وكل من عليه خراج على ملك يسلم اليه ففعلوا ذلك وأعاد على الناس املاكهم وهذا من أحسن الافعال واعدلها

(ذكر خروج ملك الروم من بلاده الى الشام)

قد تقدم ان الفرنج ارسلوا الى ملك القسطنطينية يستصرخون به ويعرفونه ما فعله زنكى فيهم ويحرضونه على لحاق البلاد قبل ان تملك ولا ينفعه حينئذ المجئ فتجهز وسار مجدا فابتدأ وركب البحر وسار الى مدينة انطاكية وهى له على ساحل البحر فارسى فيها واقام ينتظر وصول المراكب التى فيها اثقاله وسلاحه فلما وصلت سار عنها الى مدينة نيقية فحصرها وان اصحابها صالحوه على مال يؤدونه اليه وقيل بل ملكها وسار عنها الى مدينة اذنة ومدينة المصيصة وهما بيد ابن ليون الارمنى صاحب قلاع الدروب فحصرهما وملكهما ورحل الى عين زربة فحصرها وملكها عنوة وملك تل حمدون وحمل اهله الى جزيرة قبرس وعبر مينا الاسكندرية وخرج الى الشام فحصر مدينة انطاكية فى ذى القعدة وضيق على اهلها وبها صاحبها الفرنجى ريمند فترددت الرسل اليهم ومشوا بينهم فتصالحا ورحل عنها الى بغراس ودخل منها الى بلد ابن ليون الارمنى فبذل له ابن ليون أموالا كثيرة ودخل فى طاعته والله اعلم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة رابع عشرين في ايار ظهر بالشام سحاب اسود واظلمت له الدنيا وصار الجو كالليل المظلم ثم طلع بعد ذلك سحاب احمر كانه النار اضاءت له الدنيا وهبت ريح عاصفة القت كثيرا من الشجر وكان اشد ذلك بحوران ودمشق وجاء بعده مطر شديد وبرد كبار وفيها عاد مؤيد الدين ابو الفوارس المسيب علي بن الحسين المعروف بابن الصوفي من صرخد الى دمشق وكان قد اخرجه واهله من دمشق الى صرخد فبقوا فيها الى الآن وعادوا وولي ابو الفوارس الرياسة بدمشق وحكم فيها حكما ماضيا وكان ذا رياسة عظيمة ومروءة ظاهرة وفيها كثرت الامراض ببغداد وكثر الموت فجاءة باصفهان وهمذان وفيها سار اتابك زنكي الى دقوقا فحصرها وملكها بعد ان قاتل على قلعتها قتالا شديدا وفيها توفي ابو سعيد احمد بن محمد بن ثابت الخجندي رئيس الشافعية باصفهان وتفقه على والده ودرس بالنظامية باصفهان وتوفي ابو القاسم هبة الله بن احمد بن عمر الحريري ومولده يوم عاشوراء سنة خمس وثلاثين واربعمائة وهو آخر من روى عن ابي الحسن زوج الحرة وقد روى الخطيب ابو بكر بن ثابت عن زوج الحرة ايضا وكانت وفاة الخطيب سنة ثلاث وستين واربعمائة

(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر ملك اتابك زنكي حمص وغيرها من عمل دمشق)

وفي هذه السنة في المحرم وصل اتابك زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس واطاعه وهو ايضا لصاحب دمشق وسار الى حمص فحصرها وادام قتالها فلما نازل ملك الروم حلب رحل عنها الى سلمية فلما انجلت حادثة الروم على ما ذكرناه عاود منازلة حمص وارسل الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه امه ليتزوجها واسمها زمرد خاتون ابنة جاولي وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلة على وادي شقرا ونهر بردى فتزوجها وتسلم حمص مع قلعتها وحملت الخاتون اليه في رمضان وانما حمله على التزوج بها ما رأى من تحكمها في دمشق فظن انه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوجها خاب امله ولم يحصل على شيء فاعرض عنها

(ذكر وصول ملك الروم الى الشام وملكه بزاعة وما فعله بالمسلمين)

قد ذكرنا سنة احدى وثلاثين وخمسمائة خروج ملك الروم من بلاده وشغله بالفرنج وابن ليون فلما دخلت هذه السنة وصل الى الشام وخافه الناس خوفا عظيما وقصد بزاعة فحصرها وهي مدينة لطيفة على ستة فراسخ من حلب فمضى جماعة من اعيان حلب الى اتابك زنكي وهو يحاصر حمص فاستغاثوا به واستنصروه فسير معهم كثيرا من العساكر فدخلوا الى حلب ليحفظوها من الروم ان حصروها ثم ان ملك الروم قاتل بزاعة

الحمير والبغال والجمال وكل ما صادفوه من الدواب ومن وجدوه راكبا او ماشيا من وجهاء الناس انزلوه عن دابته وركبوها فانقبض الناس وانكمش غالبهم عن الركوب لمصالحهم واخفوا حميرهم وبغالهم واقام الباشا ثلاثة ايام جهة البركة ثم ركب الى السويس (وفيه) وردت مراكب وداوات وفيها البن وذلك بانتداب الباشا لها من ناحية جدة واليمن لاجل حمل العساكر واللوازم وانحل سعر البن قليلا

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٦)

في ثاني عشرينه يوم الاثنين الموافق لسابع مسرى القبطي اوفى النيل اذرعه وكسر السد في صبحها يوم الثلاثاء بحضرة كتخدا بك والباشا غائب بالسويس

(واستهل شهر شعبان سنة ١٢٢٦)

في ثانيه سافر ديوان افندي بمن بقي من العساكر البحرية وفي يوم الثلاثاء ثامنه حضر الباشا من السويس وشرع في تشهيل العساكر البرية (وفي خامس عشره) خرج الباشا الى العادلية واجتهد في تشهيل سفر العساكر البرية اجتهادا كبيرا وجمع من اهل كل حرفة طائفة وكذلك من اهل كل صنعة والذي يعجز عن السفر يخرج عنه بدلا وتعين من الفقهاء للسفر الشيخ محمد المهدي من الشافعية ومن الحنفية السيد احمد الطحطاوي وشيخ حنبلي وصل من ناحية الشام وكانوا

زعموا باحضار السيد حسن كريت المالكي ٢٦ من رشيد والشيخ علي خفاجي من دمياط فحضرا واعتذرا فاعفيا من السفر ورجعا الى بلديهما

(وفي هذا الشهر ظهر نجم له ذنب في جهة الشمال) بين بنات نعش الصغرى وبين منار بنات نعش الكبرى ورأسه جهة المغرب وذنبه صاعدا الى جهة المشرق وله شعاع مستطيل في مقدار الرمح واستمر يظهر في كل ليلة والناس ينظرون اليه ويتحدثون به ويسألون الفلكيين عنه ويبحثون عن دلائله وعن الملاحم المصنفة في ذوات الاذناب واستمر ظهوره قريبا من ثلاثة اشهر. واضمحل بعض جرمه ومشى الى ناحية الجنوب وقرب من النسر الطائر

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٦)

وفي يوم الخميس تاسعه ارتحل العسكر من الحصوة ونزلوا ببركة الحج (وفي يوم الاحد ثاني عشره) ارتحلوا من البركة فكان مدة مكث العرضي من يوم خروج الموكب الى يوم ارتحالهم من البركة قريبا من ستة اشهر ونصف والناس في امر مريج في كل شئ (وفيه) خرج السيد محمد المحروقي ليسافر صحبة الركب وخرج في موكب جليل لانه هو المشار اليه في رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته وامور العربان ومشايخها واوصى الباشا ولده طوسون باشا امير العسكر بان يخاطبه

ونصب عليها منجنيقات وضيق على من بها فملكها بالامان في الخامس والعشرين من رجب ثم غدر باهلها فقتل منهم واسر وسبى وكان عدة من خرج فيها من اهلها خمسة آلاف وثمانمائة نفس وتنصر قاضيها وجماعة من اهلها نحو اربعمائة نفس واقام الروم بعد ملكها عشرة ايام يتطلبون من اختفى فقيل لهم ان جمعا كثيرا من اهل هذه الناحية قد نزلوا المغارات فدخنوا عليهم وهلكوا في المغار ثم رحلوا الى حلب من الغد في خيلهم ورجالهم فخرج اليهم احداث حلب فقاتلهم قتالا شديدا فقتل من الروم وجرح خلق كثير وقتل بطريق جليل القدر عندهم وعادوا خاسرين واقاموا ثلاثة ايام فلم يروا فيها طمعا فرحلوا الى قلعة الاثارب فخاف من فيها من المسلمين فهربوا عنها تاسع شعبان فملكها الروم وتركوا فيها سبايا بزاعة والاسرى ومعهم جمع من الروم يحفظونهم ويحمون القلعة وساروا فلما سمع الامير اسوار بحلب ذلك رحل فيمن عنده من العسكر الى الاثارب فاوقع بمن فيها من الروم فقتلهم وخلص الاسرى والسبي وعادوا الى حلب واما عماد الدين زنكي فانه فارق حمص وسار الى سلمية فنازلها وعبر ثقله الفرات الى الرقة واقام جريدة ليتبع الروم ويقطع عنهم الميرة واما الروم فانهم قصدوا قلعة شيزر فانها من امنع الحصون وانما حصروها لانها لم تكن لزنكي فلا يكون له في حفظها اهتمام وانما كانت للامير ابي العساكر سلطان بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني فنازلوها وحصروها ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقا فارسل صاحبها الى زنكي يستنجده فسار اليه فنزل على نهر العاصي بالقرب منها بينها وبين حماة وكان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون بحيث يراهم الروم ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم ثم انه ارسل الى ملك الروم يقول له انكم قد تحصنتم مني بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقي فان ظفرت بكم ارحت المسلمين منكم وان ظفرتم استرحتم واخذتم شيزر وغيرها ولم يكن له بهم قوة وانما كان يرهبهم بهذا القول واشباهه فاشار فرنج الشام على ملك الروم بمصافته وهونوا امره عليه فلم يفعل وقال اتظنون ان ليس له من العسكر الا ما ترون انما هو يريد ان تلقوه فيجيئه من نجدات المسلمين ما لا حد له وكان زنكي يرسل ايضا الى ملك الروم يوهمه بان فرنج الشام خائفون منه فلو فارق مكانه تخلفوا عنه ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم من ملك الروم ويقول لهم ان ملك بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا فاستشعر كل من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان وكان مقامه عليها اربعين يوما وترك المجانيق وآلات الحصار بحالها فسار اتابك زنكي يتبع ساقة العسكر فظفر بكثير ممن تخلف منهم واخذ جميع ما تركوه ولما كان الفرنج على بزاعة ارسل زنكي القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزوري الى السلطان مسعود يستنجده ويطلب العساكر فمضى الى بغداد وانهى الحال الى السلطان وعرفه عاقبة الاهمال وانه ليس بينه وبين الروم الا ان يملكوا حلب وينحدروا مع الفرات الى بغداد فلم يجد عنده حركة فوضع انسانا من اصحابه يوم جمعة فمضى الى جامع القصر ومعه جماعة من رنود العجم وامرهم ان يثوروا اذا طلع

الخطيب المنبر ويصيح ويبكي ويبكون معه واسلاماه وادين محمداه ويشق ثيابه ويرمي عمامته
من راسه ويخرج الى دار السلطان والناس معه يستغيثون كذلك ووضع انسانا آخر
يفعل بجامع السلطان مثله فلما صعد الخطيب المنبر قام ذلك الرجل ولطم راسه والقى
عمامته وشق ثوبه واولئك معه وصاحوا فبكى الناس وتركوا الصلاة ولعنوا
السلطان وساروا من الجامع يتبعون الشيخ الى دار السلطان يستغيثون ويبكون فخاف
السلطان فقال احضروا الى ابن الشهرزوري فاحضر فقال كمال الدين انا خفت منه مما
رايت فلما دخلت قال لي اي فتنة اثرت فقلت ما فعلت شيئا انا كنت في بيتي وانما
الناس يغارون للدين والاسلام ويخافون عاقبة هذا التواني فقال اخرج الى الناس
ففرقهم عنا واحضر غدا واختر من العسكر ما تريد ففرقت الناس وعرفتهم ما امر به
من تجهيز العساكر وحضرت الغد الى الديوان فجهزوا الى طائفة عظيمة من الجيش
فارسلت الى نصير الدين بالموصل اعرفه ذلك واخوفه من العسكر ان طرقوا البلاد فانهم
يملكونها فاعاد الجواب يقول البلاد لا شك ماخوذة فلأن ياخذها المسلمون خير من ان
ياخذها الكافرون فشرعنا في التحميل واذا قد وصلني كتاب اتابك زنكي من الشام
يخبر برحيل ملك الروم ويامرني بان لا استصحب من العسكر احدا فعرفت السلطان ذلك
فقال العسكر قد تجهزت ولا بد من الغزاة الى الشام فاعد الجهد وبذل الحزم له ولاصحابه
حتى عاد العسكر ولما عاد ملك الروم عن شيزر مدح الشعراء اتابك زنكي واكثروا
فمن ذلك ما قاله المسلم بن الخضر بن قسيم الحموي من جملة قصيدة اولها

بعزمك ايها الملك العظيم * تذل لك الصعاب وتستقيم

ومن جملتها هذه الابيات

الم تر ان كلب الروم لما * تبين انه الملك الرحيم
فجاء فطبق الفلوات خيلا * كأن الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه * ودان لخطبه الخطب العظيم
فحين رميته بك في خميس * تيقن ان ذلك لا يدوم
وابصر في المفاضة منك جيشا * فاحرب لا يسير ولا يقيم
كأنك في العجاج شهاب نور * توقد وهو شيطان رجيم
اراد بقاء مهجته فولى * وليس سوى الحمام له حميم

وهي قصيدة طويلة ومن عجيب ما يحكى ان ملك الروم لما عزم على حصر شيزر سمع من
بها ذلك فقال الامير مرشد بن علي صاحبها وهو ينسخ مصحفا اللهم بحق من انزلته عليه
ان قضيت بمجيء ملك الروم فاقبضني اليك فتوفي بعد ايام

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومن معه من الامراء)

لما فارق الراشد بالله اتابك زنكي من الموصل سار نحو اذربيجان فوصل مراغة وكان
الامير منكبرس صاحب فارس ونائبه بخوزستان الامير بوزابة والامير عبد الرحمن

لا يفعل شيئا من الاشياء الا بمشورته واطلاعه ولا ينفذ امرا من الامور الا بعد مراجعته
(وفيه) وردت الاخبار بان العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر ونهبوا ما كان فيه من ودائع التجار وذلك انه كان بمرساة الينبع عدة مراكب وذاوات والشريف غالب امير مكة يكاتب الباشا ويراسله ويظهر له النصح والصداقة وخلوص المودة والباشا ايضا يراسله ويكاتبه وارسل له السيد سلامة النجاري والسيد احمد الترجمان المحروقي بمراسلات وجوابات مرارا عديدة وكانا هما السفير بينهما وايضا الشريف في كل كتابة مع كل مرسل يعاهد الباشا ويعاقده ويواعده بنصر عساكره متى وصلت وينافق للطرفين الذي هو العثماني والوهابي ويداهنهما اما الوهابي فلخوفه منه وعدم قدرته عليه فيظهر له الموافقة والامتثال وانه معه على العهود التي عاهده عليها من ترك الظلم واجتناب البدع ونحو ذلك ويميل باطنا للعثمانيين لكونه على طريقتهم ومذاهبهم وتعاقد مع الباشا انه متى وصلت عساكره قام بنصرتهم وساعدهم بكليته وجميع همته وارسل الى المراكب الكائنة بمرساة الينبع بان ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ويودعوه قلعة الينبع تحت يد وزيره
وترك معه نحو الخمسمائة من عسكره واخذ المراكب فاوسقها من بضائعه وبهاره وبنه وارسلها الى السويس اتباع

طغايرك خلخان والملك داود ابن السلطان محمود مستشعرين من السلطان مسعود خائفين منه فتجمعوا ووافقوا الراشد على الاجتماع لتكون ايديهم واحدة ويردوه الى الخلافة فاجابهم الى ذلك الا انه لم يجتمع معهم ووصل الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد باجتماعهم فبسار عنهم الى شعبان نحوهم فالتقوا بنبتجين كشت فاقتتلوا فهزمهم السلطان مسعود وأخذ الامير منكبرس أسيرا فقتل بين يديه صبرا وتفرق عسكر مسعود في النهب واتباع المنهزمين وكان بوزابة وعبد الرحمن طغايرك على نشز من الارض فرأيا السلطان مسعود اوقد تفرق عسكره عنه فحملا عليه وهو في قلة فلم يثبت لهما وانهزم وقبض بوزابة على جماعة من الامراء منهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة ومنهم ولد اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وعنتر بن ابي العسكر وغيرهم وتركهم عنده فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم اجمعين وصار العسكران منهزمين وكان هذا من اعجب الاتفاق وقصد السلطان مسعود اذربيجان وقصد الملك داود همذان ووصل الراشد بعد الوقعة فاختلفت آراء الجماعة فبعضهم اشار بقصد العراق والتغلب عليه وبعضهم اشار باتباع السلطان مسعود للفراغ منه فان ما بعده يهون عليهم وكان بوزابة اكبر الجماعة فلم ير ذلك وكان غرضه المسير الى بلاد فارس واخذها بعد قتل صاحبها منكبرس قبل ان يمتنع من بها عليه فبطل عليهم ما كانوا فيه وسار اليها فملكها وصارت له مع خوزستان وسار سلجوق شاه ابن السلطان محمد الى بغداد ليملكها فخرج اليه البقش الشحنة بها ونظر الخادم امير الحاج وقاتلوه وكان عاجزا مستضعفا ولما قتل صدقة بن دبيس اقر السلطان مسعود الحلة على اخيه محمد ابن دبيس وجعل معه مهلهل بن أبي العسكر أخا عنتر المقتول يدبره ولما كان البقش شحنة بغداد يقاتل سلجوق شاه ثار العيارون ببغداد ونهبوا الاموال وقتلوا الرجال وزاد أمرهم حتى كانوا يقصدون أرباب الاموال ظاهرا ويأخذون منهم ما يريدون ويحملون الامتعة على رؤس الحمالين فلما عاد الشحنة قتل منهم وصلب وغلت الاسعار وكثر الظلم منه وأخذ المستورين بحجة العيارين فجلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد

(ذكر قتل الراشد بالله)

لما وصل الراشد بالله الى همذان وبها الملك داود وبوزابة ومن معهما من الامراء والعساكر على ما تقدم ذكره ثم سار الى خوزستان مع الملك داود ومعهما خوارزم شاه فقاربا الجزيرة فسار السلطان مسعود ليمنعهم عن العراق فعاد الملك داود الى فارس وعاد خوارزم شاه الى بلاده بقي الراشد وحده فلما أيس من عساكر العجم سار الى أصفهان فلما كان الخامس والعشرون من رمضان وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه وهو يريد القيلولة وكان في أعقاب مرض برئ منه ودفن بظاهر اصفهان بشهرستان فركب من معه فقتلوا الباطنية ولما وصل الخبر الى بغداد جلسوا للعزاء به

عشر ثم توسق بمهمات العسكر البحرية. فلما وصلت مراكب العساكر البحرية والقت مراسيها قبالة الينبع احتاجوا الى الماء فلم يسعفوهم بالماء فطلع طائفة من العسكر الى البر في طلب شئ من الماء فمانعهم من عندها مرابط فقاتلوهم وطردوهم ومنعوهم عن الماء وفي حال رجوعهم رموا عليهم من القلعة المدافع والرصاص والحال ان الاثرهم على الفريقين فعند ذلك استعدت العساكر الهاربة من بالقلعة واحتاطوا بها وضربوا عليها القنابر والمدافع وركبوا على سورها سلالم وصعدوا عليها وتسلقوا على سور القلعة من غير مبالاة بالرصاص النازل عليهم من الكائنين بالقلعة فملكوا القلعة وقتلوا من كان بها ولم ينج منهم الا الوزير ومعه ستة أنفار خرجوا هاربين على الخيول ونهبوا كل ما كان بالينبع من الودائع والاموال والاقمشة والبن وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر واخذوهن اسرى ويبيعوهن على بعضهم البعض ووصل المبشرون بذلك في عشرينه فضربوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة وعملوا شنكا وطافت المبشرون على بيوت الاعيان ليأخذوا منهم البقاشيش وأرسلوا بتلك البشارة شخصا معينا كبيرا الى اسلامبول يبشرون أهل الدولة وسلطان الاسلام وكان ذلك أول فتح حصل *(واستهل شهر شوال بيوم الجمعة سنة ١٢٢٦)* في

في بيت النوبة يوما واحدا وكان أبيض أشقر حسن اللون مليح الصورة مهيبا شديد القوة
والبطش قال أبو بكر الصولي الناس يقولون ان كل سادس يقوم بأمر الناس من أول
الاسلام لابد من أن يخلع وربما قتل قال فتأملت ذلك فرأيته كما قيل فان أول من قام بأمر
هذه الامة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن
رضي الله عنهم فخلع ثم معاوية ويزيد ابنه ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك بن
مروان وعبد الله بن الزبير فخلع ثم عبد الملك وأخوه سليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد
وهشام ابنا عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك فخلع وقتل ثم لم ينتظم أمر بني أمية ثم
ولي السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد والامين فخلع وقتل والمأمون
والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين فخلع وقتل والمعتز والمهتدي
والمعتمد والمعتضد والمكتفي والمقتدر فخلع ثم رد ثم قتل ثم القاهر والراضي والمتقي
والمستكفي والمطيع والطائع فخلع ثم القادر والقائم والمقتدي والمستظهر والمسترشد
والراشد فخلع وقتل قلت وفي هذا نظر لان البيعة لابن الزبير كانت قبل البيعة لعبد الملك
ابن مروان وكونه جعله بعده لا وجه له والصولي انما ذكر الى أيام المطيع لله ومن بعده
ذكره غيره

(ذكر حال ابن بكران العيار)

في هذه السنة في ذي الحجة عظم امر ابن بكران العيار ببغداد والعراق وكثرت اتباعه
وصار يركب ظاهرا في جمع من المفسدين وخافه الشريف أبو الكرم الوالي ببغداد فأمر
أبا القاسم ابن أخيه حامي باب الازج ان يشتد عليهم ويلبس سراويل فتوة منه ليأمن
شره وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البزاز فانتهى
أمرهما الى انهما ارادا أن يضربا باسمهما سكة في الانبار فأرسل الشحنة والوزير شرف
الدين الزينبي الى الوالي أبي الكرم وقالا اما ان تقتل ابن بكران واما ان نقتلك فأحضر
ابن أخيه وعرفه ما جرى وقال له اما ان تختارني ونفسك واما ان تختار ابن بكران فقال انا
أقتله وكان لابن بكران عادة يجيء في بعض الليالي الى ابن اخي أبي الكرم فيقيم في داره
ويشرب عنده فلما جاء على عادته وشرب أخذ أبو القاسم سلاحه ووثب به فقتله وأراح
الناس من شره ثم أخذ بعده بيسير رفيقه ابن البزاز وصلب وقتل معه جماعة من الحرامية
وسكن الناس واطمأنوا وهدأت الفتنة

(ذكر قتل الوزير الدركزيني ووزارة الخازن)

في هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره العماد أبي البركات بن سلمة الدركزيني
واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الحسين الخازن وكان الكمال شهما شجاعا عادلا
نافذ الحكم حسن السيرة أزال المكوس ورفع المظالم وكان يقيم مؤنة السلطان ووظائفه
وجمع له خزائن كثيرة وكشف أشياء كثيرة كانت مستورة يخانون فيها ويسرق فثقل
على المتصرفين وأرباب الاعمال فأوقعوا بينه وبين الامراء لاسيما قراسنقر صاحب

الناس وكان قوسه ليلة السبت
عشر درجات (وفي سادس
عشره) وصلت هجانة ومكاتبات
من عساكرهم يخبرون
بوصولهم الى ينبع وانهم يلحقون في
اليوم السابع من الشهر
وكان العيد عندهم بعقاير
شعيب يوم السبت (وفيه)
خرجت تجريدة لتسافر الى
قبلي لمحاربة من بقي من
الامراء المصريين بناحية ابريم

*(واستهل شهر ذي القعدة
بيوم الاحد سنة ١٢٢٦)*

فيه وصلت حجاج مغاربة
في عدة مراكب على ظهر
البحر وتلف منهم نحو ثلاثة
مراكب وحضر بعدهم
بأيام الركب الطرابلسي
ونزل بساحل بولاق (وفي
سادسه) حضر أيضا الركب
الفاسي وفيهم ابن سلطان
الغرب مولاي ابراهيم ابن
مولاي سليمان فاعتنى الباشا
بشأنه وأرسل كتخدا بك
لملاقاته وقدم له تقادم وأعدوا
له منزلا على كاشف بالقرب
من بيت المحروقي لينزل فيه
وتقيد بخدمته الخواجه حسن
المحروقي وواشيهم لمطبخه
وكلف طعامه فلما عدى
طلع الى القلعة وقابل الباشا
ونزل الى المنزل الذي أعده له
وامامه قواسة اتراك وطرادون
واشخاص اتراك يضربون
على طبلات وامامه جميع المغاربة مشاة ويأمرون الناس الجالسين بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم فأقام نحو

اذربيجان فانه فارق السلطان وارسل يقول اما ان تنفذوا الي انوزبر واما اخذنا منا سلطانا آخر فاشار من حضر من الامراء بقتله وحذروه فتنة لا تتلافى فقتله على كره منه وارسل راسه الى قراسنقر فرضي وكانت وزارته سبعة اشهر وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ووزر بعده ابو العز طاهر بن محمد البروجردي وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضاقت الامور على السلطان مسعود واستقطع الامراء البلاد بغير اختياره ولم يبق له شيء من البلاد البتة الا الاسم السلطانية لا غير ٠

* (ذكر عدة حوادث) *

في هذه السنة ملك حسام الدين تمرتاش ايلغازي صاحب ماردين قلعة الهتاخ من بلاد ديار بكر اخذها من بعض بني مروان الذين كانوا ملوك ديار بكر جميعها وهذا آخر من بقي فسبحان الحي الدائم الذي لا يزول ملكه ولا يتطرق اليه النقص ولا التغيير وفيها انقطعت كسوة الكعبة لما ذكرناه من الاختلاف فقام بكسوتها رامشت التاجر الفارسي كساها من الثياب الفاخرة بكل ما وجد اليه سبيل فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر الف دينار مصرية وهو من التجار المسافرين الى الهند كثير المال وفيها توفيت زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق زوج السلطان مسعود وتزوج بعدها سفري ابنة دبيس بن صدقة في جمادى الاولى وتزوج ابنة قاورت وهو من البيت السلجقي الا انه كان لا يزال يعاقر الخمر ليلا ونهارا فلهذا اسقط اسمه وذكره وفيها قتل السلطان مسعود ابن البقش السلاحي شحنة بغداد وكان قد ظلم الناس وعسفهم وفعل ما لم يفعله غيره من الظلم فقبض عليه وسيره الى تكريت فسجنه بها عند مجاهد الدين بهروز ثم امر بقتله فلما ارادوا قتله القى بنفسه في دجلة فغرق فاخذ راسه وحمل الى السلطان وجعل السلطان شحنة العراق مجاهد الدين بهروز فعمل اعمالا صالحة منها انه عمل مسناة النهروان واشباهها وكان حسن السيرة كثير الاحسان وفيها درس الشيخ ابو منصور بن الرزاز بالنظامية ببغداد وفيها ارسل الخليفة الى اتابك زنكي في اطلاق قاضي القضاة الزينبي فاطلق وانحدر الى بغداد فخلع عليه الخليفة واقره على منصبه وفيها كان بخراسان غلاء شديد طالت مدته وعظم امره حتى اكل الناس الكلاب والسنانير وغيرهما من الدواب وتفرق اكثر اهل البلاد من الجوع وفيها توفي داغان ارسلان صاحب بدليس وارزن من ديار بكر وولي بعده ابنه فرتي واستقام له الامر وفيها في شهر صفر جاءت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وديار بكر والموصل والعراق وغيرها من البلاد فخربت كثيرا منها وهلك تحت الهدم عالم كثير وفيها توفي احمد بن محمد بن ابي بكر بن ابي الفتح الدينوري الفقيه الحنبلي ببغداد وكان ينشد كثيرا هذه الابيات

تمنيت ان تمسي فقيها مناظرا * بغير عناء والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة * تلقيتها فالعلم كيف يكون

وفيها توفي محمد بن عبد الملك بن عمر ابو الحسن الكرخي ومولده سنة ثمان وخمسين

أيام حتى يقضي أشغاله وفي تلك المدة تغدو اليه وتروح رسل الباشا وأرسل له هدية وذخيرة من كل صنف سكر وعسل وسمن ودقيق وبقسماط وأشياء أخر وبارود وأعطى له الف بندقية لضرب الرصاص وبرز في عاشره وسافر وافي ثاني عشره (وفي يوم الخميس تاسع عشره) وصلت هجانة على ايديهم مكاتيبات خطابا الى الباشا وغيره وفيهم الخبر بان العسكر البري اجتمع مع العسكر البحري واخذوا ينبع البحر من غير حرب وان العربان اتت اليهم افواجا وقابلوا طوسون باشا وكساهم وخلع عليهم ثم انقطعت الاخبار

* (واستهل شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٦) *

في منتصفه وصلت هجانة ومعهم رؤس قتلى ومكاتيبات مؤرخة في منتصف شهر القعدة مضمونها انهم وصلوا الى ينبع البر في حادي عشرين شوال واجتمع هناك العسكر ان البري والبحري وانهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية وتسمى قرية السويق وفر ابن جبارة هاربا وحضرت عربان كثيرة وقابلوا ابن الباشا وانهم مقيمون وقت تاريخه في منزلة الينبع منتظرين وصول الذخيرة وما تأخر المراكب بريح الشتاء المخالف وانه ورد عليهم خبر ليلة اربعة عشر شهره بان جماعة من كبار الوهابية حضروا بنحو سبعة آلاف خيال وفيهم عبد الله بن مسعود وعثمان المضايفي ومعهم مشاة وقصدوا ان يدهموا العرضي على وار بعمائة

وار بعمائة وكان فقيها محدثا سمع الحديث بكرخ واصفهان وهمذان وغيرها وفي
شعبان منها توفي القاضي ابو العلاء صاعد بن الحسين بن اسمعيل بن صاعد وهو ابن
عم القاضي ابي سعيد وولي القضاء بنيسابور بعد ابي سعيد •

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه)

في هذه السنة في المحرم سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه وهو ابن ملكشاه محاربا
لخوارزم شاه اتسز بن محمد وسبب ذلك ان سنجر بلغه ان اتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه
وترك الخدمة له وان هذا الامر قد ظهر على كثير من اصحابه وامرائه فاوجب ذلك
قصده واخذ خوارزم شاه فجمع عساكره وتوجه نحوه فلما قرب من خوارزم شاه في
عساكره خرج خوارزم شاه اليه في عساكره فلقيه مقابلا وعبى كل واحد منهما عساكره
واصحابه فاقتتلوا فلم يكن للخوارزمية قوة بالسلطان فلم يثبتوا وولوا منهزمين وقتل منهم
خلق كثير ومن جملة القتلى ولد لخوارزم شاه فحزن عليه ابوه حزنا عظيما ووجد وجدا
شديدا وملك سنجر خوارزم واقطعها غياث الدين سليمان شاه ولد اخيه محمد ورتب
له وزيرا واتابكا وحاجبا وقرر قواعده وعاد الى مرو في جمادى الآخرة من هذه السنة
فلما فارق خوارزم عائدا انتهز خوارزم شاه الفرصة فرجع اليها وكان اهلها يكرهون
العسكر السنجري ويؤثرون عودة خوارزم شاه فلما عاد اعانوه على ملك البلاد
ففارقها سليمان شاه واختلفا بعد الاتفاق ففعل خوارزم شاه في خراسان سنة ست
وثلاثين وخمسمائة ما نذكره ان شاء الله

(ذكر قتل محمود صاحب دمشق وملك اخيه محمد)

في هذه السنة في شوال قتل شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغدكين
صاحب دمشق على فراشه غيلة قتله ثلاثة من غلمانه هم خواصه واقرب الناس
اليه في خلوته وجلوته وكانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا فاخذ احدهم
واخذ الآخران فصلبا وكتب معين الدين انز من دمشق الى اخيه جمال الدين محمد بن
بوري صاحب بعلبك وهو بها بصورة الحال واستدعاه ليملك بعد اخيه فحضر في اسرع
وقت فلما دخل البلد جلس للعزاء باخيه وحلف له الجند واعيان الرعية وسكن
الناس وفوض امر دولته الى معين الدين انز مملوك جده وزاد في علو مرتبته وصار هو
الجملة والتفصيل واقطعه بعلبك وزوجه بامه وكان انز خيرا عاقلا حسن السيرة فجرت
الامور عنده على احسن نظام

(ذكر ملك زنكي بعلبك)

في هذه السنة في ذي القعدة سار عماد الدين اتابك زنكي بن آقسنقر الى بعلبك فحصرها
ثم ملكها وسبب ذلك ان محمودا صاحب دمشق لما قتل كانت والدته زمرد خاتون عند

حين غفلة فخرج اليهم شديد شيخ الحويطات ومعه طوائفه وولاته وعساكره فوافاهم ا ه قبل شروق الشمس ووقع بينهم القتال
والوهابية يقولون هاه
يا مشركون والنجدات الحربية
عن هزيمة الوهابية وغنموا
منهم نحو سبعين هجينا من
الهجن الجياد حملة ادوات
وكانت الحرب بينهم مقدار
ساعتين هذا ملخص ما ذكره
وفي الاجوبة التي حضرت
(وفي يوم الجمعة خامس
عشرينه) وصلت قافلة من
السويس وحضر فيها جاويش
باشا وصحبته مكاتيبات وحضر
ايضا السيد احمد الطحطاوي
والشيخ الحنبلي واخبروا ان
العرضي ارتحل من ينبع
البر في سابع عشر ذي القعدة
ووصلوا الى منزلة الصفراء
والجديدة ونصبوا عرضيهم
وخيامهم ووطاقاتهم بالقرب
من الجبال فوجدوا هنالك
متاريس واحجارا فحاربوا
على اول متراس حتى اخذوه
ثم اخذوا متراسا آخر وصعدت
العساكر الى قلل الجبال
فهالهم كثرة الجيش وسارت
الخيالة في مضيق الجبال هذا
والحرب قائمة في اعلى الجبال
يوما وليلة الى بعد الظهيرة من
يوم الاربعاء ثالث عشري
القعدة فما يشعر السفلانيون
الا والعساكر الذين في الاعالي
هابطون منهزمون فانهزموا
جميعا وولوا الادبار وطلبوا جميعا
الفرار وتركوا خيامهم
واحمالهم واثقالهم وطفقوا ينهبون ويخطفون ما خف عليهم من امتعة رؤسائهم فكان القوي منهم ياخذ

أتابك زنكي بحلب قد تزوجها فوجدت لقتل ولدها وجدا شديدا وحزنت عليه وارسلت
الى زنكي وهو بديار الجزيرة تعرفه الحادثة وتطلب منه ان يقصد دمشق ويطلب
بثار ولدها فلما وقف على هذه الرسالة بادر في الحال من غير توقف ولا تريث وسار مجدا
ليجعل ذلك طريقا الى ملك البلد وعبر الفرات عازما على قصد دمشق فاحتاط من بها
واستعدوا واستكثروا من الذخائر ولم يتركوا شيئا مما يحتاجون اليه الا وبذلوا الجهد
في تحصيله واقاموا ينتظرون وصوله اليهم فتركهم وسار الى بعلبك وقيل كان السبب
في ملكه انها كانت لمعين الدين انز كما ذكرناه وكان له جارية يهواها فلما تزوج ام جمال
الدين سيرها الى بعلبك فلما سار زنكي الى الشام عازما على قصد دمشق سير الى
انز يبذل له البذول العظيمة ليسلم اليه دمشق فلم يفعل وسار اتابك الى بعلبك فوصل
اليها في العشرين من ذي الحجة في السنة فنازلها في عساكره وضيق عليها وجد في محاربتها
ونصب عليها من المنجنيقات اربعة عشر عددا ترمي ليلا ونهارا فاشرف من بها على الهلاك
وطلبوا الامان وسلموا اليه المدينة وبقيت القلعة وبها جماعة من الشجعان شجعان
الاتراك فقاتلهم فلما أيسوا من معين ونصير طلبوا الامان فامنهم فسلموا اليه القلعة
فلما نزلوا منها وملكها غدر بهم وامر بصلبهم فصلبوا ولم ينج منهم الا القليل فاستقبح
الناس ذلك من فعله واستعظموه وخافه غيرهم وحذروه لاسيما اهل دمشق فقالوا لو
ملكنا لفعل بنا مثل فعله بهؤلاء فازدادوا نفورا وجدوا في محاربته ولما ملك زنكي
بعلبك اخذ الجارية التي كانت لمعين الدين انز بها فتزوجها بحلب فلم تزل بها الى ان
قتل فسيرها ابنه نور الدين محمود الى معين الدين انز وهي كانت اعظم الاسباب في المودة
بين نور الدين وبين انز والله اعلم

(ذكر استيلاء قراسنقر على بلاد فارس وعوده عنها)

وفي هذه السنة جمع اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان عساكر كثيرة وسار طالبا بثار
ابيه الذي قتله بوزابة في المصاف المقدم ذكره فلما قارب السلطان مسعودا ارسل اليه
يطلب منه قتل وزيره الكمال فقتله كما ذكرناه فلما قتل سار قراسنقر الى بلاد فارس
فلما قاربها تحصن بوزابة منه في القلعة البيضاء ووطئ قراسنقر البلاد وتصرف فيها
وليس له دافع ولا مانع الا انه لم يمكنه المقام وملك المدن التي في فارس فسلم البلاد الى
الملك سلجوق شاه بن السلطان محمود وقال له هذه البلاد لك فاملك الباقي وعاد الى
اذربيجان فنزل حينئذ بوزابة من القلعة سنة اربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وملك
البلاد واسر سلجوق شاه وسجن في قلعة بفارس

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر توفي الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد معزولا ببغداد وحضر
جنازته وزير الخليفة فمن دونه ودفن في داره ثم نقل الى الكوفة فدفن في مشهد امير
المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وكان فيه تشيع وهو كان السبب في عمل

متاع رفيقه الضعيف ويأخذ ابنه ويركبها ويركب عياله تله واخذ ذبيحه وساروا طالبين الوصول الى السفائن بساحل البريك لانهم كانوا اعدوا عدة مراكب بساحل البريك من باب الاحتياط ووقع في قلوبهم الرعب واعتقدوا ان القوم في اثرهم والحال انه لم يتبعهم احد لانهم لا يذهبون خلف المدبر ولو تبعوهم ما بقي منهم شخص واحد وكانوا يصرخون على القطائر فتاتي اليهم الشطيرة وهي لا تسع الا القليل فيتكاثرون ويتزاحمون على النزول فيها فيسقط منهم الجماعة ويغرقون البواقي من اخوانهم فان لم يتنعوا ما نعوهم بالبنادق والرصاص حتى كانوا من شدة حرصهم وخوفهم واستعجالهم على النزول في القطائر يخوضون في البحر الى رقابهم وكانما العفاريت في اثرهم تريد خطفهم وكثير من العسكر والخدم لما شاهدوا الازدحام على اسكلة البريك ذهبوا مشاة الى ينبع البحر ووقع التشتيت في الدواب والاحمال والخلائق من الخدم وغيرهم ورجع طوسون باشا الى ينبع البحر بعد ان تغيب يوما من معسكره حتى انهم ظنوا فقده ورجع ايضا المحروقي وديوان افندي واستقروا بالينبع وترك المحروقي خيامه بما فيها واستنزل بها طائفة من العسكر المنهزمين وهم على جهد من التعب والجوع فوجدوا بها المآكل والحلاوات وأنواع الملبسات والكعك المصنوع بالعجمية والسكر المكرر والغريبات

المقامات الحريرية وكان رجلا عاقلا شهما اديبا خبيرا وزر للخليفة المسترشد وللسلطان محمود وللسلطان مسعود وكان يستقيل من الوزارة فيجاب الى ذلك ثم يخطب اليها فيجيب كارها وفيها قدم السلطان مسعود بغداد فى ربيع الاولى وكان الزمان شتاء وصار يشتى بالعراق ويصيف بالجبال ولما قدمها ازال المكوس وكتب الالواح بازالتها ووضعت على ابواب الجوامع والاسواق وتقدم ان لا ينزل جندى فى دار عامى من اهل بغداد الا باذن فكثر الدعاء له والثناء عليه وكان السبب فى ذلك الكمال الخازن وزير السلطان وفيها فى صفر كانت زلازل كثيرة هائلة بالشام والجزيرة وكثير من البلاد وكان اشدها بالشام وكانت متوالية عشر ليال كل ليلة عشر دفعات فخرب كثير من البلاد ولاسيما حلب فان اهلها لما كثرت عليهم فارقوا البلاد والبيوت وخرجوا الى الصحراء وعدوا الليلة الواحدة جاءتهم ثمانين مرة ولم تزل بالشام تتعاهدهم من رابع صفر الى تاسع عشره وكان معها صوت وهزة شديدة وفيها اغار الفرنج على اعمال بانياس فسار عسكر دمشق فى اثرهم فلم يدركوهم فعادوا وفيها توفى ابو القاسم طاهر بن طاهر الشحامى النيسابورى بها وهو ولده سنة ست واربعين واربعمائة وكان اماما فى الحديث مكثرا عالى الاسناد وتوفى عبد الله بن احمد بن عبد القاهر بن محمد ابن يوسف ابو القاسم بن ابى الحسين البغدادى بها ومولده سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وعبد العزيز بن عثمان بن ابراهيم بن محمد الاسدى البخارى كان قاضى بخارا وكان من الفقهاء اولاد الائمة حسن السيرة وتوفى محمد بن شجاع بن ابى بكر بن على ابن ابراهيم اللفتوانى الاصفهانى باصفهان فى جمادى الآخرة ومولده سنة ست وتسعين واربعمائة وسمع الحديث الكثير باصفهان وبغداد وغيرهما

(ثم دخلت سنة اربع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر حصار اتابك زنكى دمشق)

فى هذه السنة حصر اتابك زنكى دمشق مرتين فاما المرة الاولى فانه سار اليها فى ربيع الاول من بعلبك بعد الفراغ من امرها وتقريرة واعدها واصلاح ما تشعث منها بحصرها فنزل بالبقاع وارسل الى جمال الدين محمد صاحبها يبذل اليه بلدا يقترحه ليسلم اليه دمشق فلم يجبه الى ذلك فرحل وقصد دمشق فنزل على داريا ثالث عشر ربيع الاول فالتقت الطلائع واقتتلوا وكان الظفر لعسكر زنكى وعاد الدمشقيون منهزمين فقتل كثير منهم ثم تقدم زنكى الى الموصل فنزل هناك ولقيه جمع كثير من جند دمشق واحداثها ورجالة الغوطة فقاتلوه فانهزم الدمشقيون واخذهم السيف فقتل فيهم واكثروا سر كذلك ومن سلم عاد جريحا واشرف البلد ذلك اليوم على الاخذ وان يملك لكن عاد زنكى وامسك عنه عشرة ايام وتابع الرسل الى صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وغيرهما مما يختاره من البلاد فمال الى ان يسلم وامتنع غيره من اصحابه من ذلك

اثرهم اقاموا على ذلك يومين حتى استوفوا اغراضهم وشبعت بطونهم وارتاحت ابدانهم ثم لحقوا باخوانهم فكانوا هم اثبت القوم واعقلهم ولو كان على غيرة صدق منهم فكانت مدة اقامة العسكر والعرضى بينبع البحر اربعة وعشرين يوما واما الخيالة فانهم اجتمعوا وساروا راجعين الى المويلح وقد اجهدهم التعب وعدم الذخيرة والعليق حتى حكوا انهم كانوا قبل الواقعة يعلقون على الجمل بنصف قدح قمح مسوس وكانت علائفهم فى كل يوم اربعمائة وخمسين اردبا واما المحروقى فان كبار العسكر قامت عليه واسمعوه الكلام القبيح وكادوا يقتلونه فنزل فى سفينة وخلص منهم وحضر من ناحية القصير وحضر الكثير من اتباعه وخدمه متفرقين الى مصر فاما الذين ذهبوا الى المويلح فهم تامر كاشف وحسين بك دالى باشا وآخرون فاقاموا هناك فى انتظار اذن الباشا فى رجوعهم الى مصر او عدم رجوعهم واما صالح اغا قوج فانه عندما نزل السفينة كر راجعا الى القصير واستقل برايه لانه يرى فى نفسه العظمة وانه الاحق بالرياسة ويسفه راى المحروقى وطوسون باشا ويقول هؤلاء الصغار

اول منهزم وعلم كل ذلك الباشا بمكاتبات ولده طرسون فحقده في نفسه وتمم ذلك بسرعة رجوعه الى القصير
ولم ينتظر اذنا في الرجوع او
المكث ولما بلغه ذلك لم
يتزلزل الباشا واستمر على
همته في تجهيز عساكر
اخرى وبرزوا الى خارج البلدة
وفرض على البلاد جمالا
ذكرانا من اصحاب الغرائم
والفرض في المستقبل
وكذلك فرض غلالا فكان
المفروض على اقاليم الشرقية
خاصة اثني عشر الف اردب
بعناية على كاشف قابله الله
بما يستحق وانقضت السنة
بحوادثها التي منها هذه الحادثة
واظنها طويلة الذيل (ومنها)
ان النيل هبط قبل الصليب
بايام قليلة بعد ان بلغ في
الزيادة مبلغا عظيما حتى
غرق الزرع الصيفي والدراوي
ولما انحسر عن الارض
زرعوا البرسيم والوقت صائف
والحرارة مستجنة في الارض
فتولدت فيه الدودة واكلت
الذي زرع فبذروه ثانيا
فاكلته ايضا وفحش امر
الدودة جدا في الزرع البدري
وخصوصا باقليم الجيزة
والقليوبية والمنوفية بل
وباقي الاقاليم (ومنها) ان
الباشا احدث ديوانا ورتبوه
ببيت البكري القديم
بالازبكية واظهر ان هذا
الديوان لمحاسبة ما يتعلق به
من البلاد ومحاسباتها والقصد
الباطني غير ذلك وقيد به ابراهيم كتخدا الرزاز والشيخ احمد يوسف كاتب حسين افندي الروزنامجي وما انضم

بيد

وخوفوه عاقبة فعله وان يفعل ويغدر كما فعل باهل بعلبك فلما لم يسلموا اليه عاد الى القتال
والزحف ثم ان جمال الدين محمدا صاحب دمشق مرض ومات ثامن شعبان وطمع زنكي
حينئذ في البلد وزحف اليه زحفا شديدا ظنا منه انه ربما يقع بين المقدمين الامراء خلاف
فينال به الغرض وكان ما امله بعيدا فلما مات جمال الدين ولي بعده مجير الدين ابق ولده
وتولى ترتيب دولته معين الدين انز فلم يظهر لموت ابيه اثر مع ان عدوهم على باب المدينة
فلما رأى انز ان زنكي لا يفارقهم ولا يزول عن حصرهم راسل الفرنج واستدعاهم
الى نصرته وان يتفقوا على دفع زنكي عن دمشق وبذل لهم بذولا وان يحصر بانياس
ويأخذها ويسلمها اليهم وخوفهم من زنكي ان ملك دمشق فعلموا صحة قوله وعلموا انه
ان ملكها لا يبقى لهم معه بالشام مقام وان الفرنج اجتمعوا وعزموا على المسير الى
دمشق ليجتمعوا مع صاحبها وعسكرها على قتال زنكي فحين علم زنكي بذلك سار الى
حوران خامس رمضان عازما على قتال الفرنج قبل ان يجتمعوا بالدمشقيين فلما سمع
الفرنج خبره لم يفارقوا بلادهم فلما رآهم كذلك عاد الى حصر دمشق ونزل بعذرا
شماليها سادس شوال فاحرق عدة قرى من المرج والغوطة ورحل عائدا الى بلاده ووصل
الفرنج الى دمشق واجتمعوا بصاحبها وقد رحل زنكي فعادوا فسار معين الدين
انز الى بانياس في عسكر دمشق وهي في طاعة زنكي كما تقدم ذكره ليحصرها ويسلمها
الى الفرنج وكان واليها قد سار قبل ذلك منها بجمعه الى مدينة صور للاغارة على بلادها
فصادفه صاحب انطاكية وهو قاصد الى دمشق نجدة لصاحبها على زنكي فاقتتلا
فانهزم المسلمون واخذ والي بانياس فقتل ونجا من سلم منهم الى بانياس وجمعوا معهم
كثيرا من البقاع وغيرها وحفظوا القلعة فنازلها معين الدين فقاتلهم وضيق عليهم
ومعه طائفة من الفرنج فاخذها وسلمها الى الفرنج واما الحصر الثاني لدمشق فان اتابك
لما سمع الخبر بحصر بانياس عاد الى بعلبك ليدفع عنها من يحصرها فاقام هناك فلما
عاد عسكر دمشق بعد ان ملكوها وسلموها الى الفرنج فرق اتابك زنكي عسكره على
الاغارة على حوران واعمال دمشق وسار هو جريدة مع خواصه فنازل دمشق سحرا ولم
يعلم به احد من اهلها فلما اصبح الناس ورأوا عسكره خافوا وارتج البلد واجتمع العسكر
والعامة على السور وفتحت الابواب وخرج الجند والرجالة فقاتلوه فلم يمكن زنكي عسكره
من الاقدام في القتال لان عامة عسكره كانوا قد تفرقوا في البلاد والنهب والتخريب
وانما قصد دمشق لئلا يخرج منها عسكر الى عسكره وهم متفرقون فلما اقتتلوا ذلك
اليوم قتل بينهم جماعة ثم احجم زنكي عنهم وعاد الى خيامه ورحل الى مرج راهط واقام
ينتظر عودة عسكره فعادوا اليه وقد ملأوا ايديهم من الغنائم لانهم طرقوا البلاد واهلها
غافلون فلما اجتمعوا عنده رحل بهم عائدا الى بلادهم

(ذكر ملك زنكي شهرزور واعمالها)

في هذه السنة ملك اتابك زنكي شهرزور واعمالها وما يجاورها من الحصون وكانت

بيد قبجاق بن ارسلان تاش التركماني وكان حكمه نافذا الى قاضي التركمان وذانهم وكانه لا تخالف يرون طاعته فرضا فتحاماه الملوك قصده ولم يتعرض والولاية لانها منيعة كثيرة المضايق فعظم شانه وازداد جمعه واتاه التركمان من كل فج عميق فلما كان هذه السنة سير اليه اتابك زنكي عسكرا فجمع اصحابه ولقيهم فتصافوا واقتتلوا فانهزم قبجاق واستبيح عسكره وسار الجيش الاتابكي في اعقابهم فحصروا الحصون والقلاع فملكوها جميعها وبذلوا الامان لقبجاق فصار اليهم وانخرط في سلك العساكر ولم يزل هو وبنوه في خدمة البيت على احسن قضية الى بعد سنة ستمائة بقليل وفارقوها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة جرى بين امير المؤمنين المقتفي لامر الله وبين الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي منافرة وسببها ان الوزير كان يعترض الخليفة في كل ما يامر به فنفر الخليفة من ذلك فغضب الوزير ثم خاف فقصد دار السلطان في سميرية وقت الظهر ودخل اليها واحتمى بها فارسل اليه الخليفة في العود الى منصبه فامتنع وكانت الكتب تصدر باسمه واستنيب قاضي القضاة الزينبي وهو ابن عم الوزير وارسل الخليفة الى دار السلطان رسلا في معنى الوزير فارخص له السلطان في عزله فحينئذ اسقط اسمه من الكتب واقام بدار السلطان ثم عزل الزينبي من النيابة وناب سديد الدولة بن الانباري وفيها قتل المقرب جوهر وهو من خدم السلطان سنجر وكان قد حكم في دولته جميعها ومن جملة اقطاعه الري ومن مماليكه عباس صاحب الري وكان سائر عسكر السلطان سنجر يخدمونه ويقفون ببابه وكان قتله بيد الباطنية وقف له جماعة منهم بزي النساء واستغاثوا به فوقف يسمع كلامهم فقتلوه فلما قتل جمع صاحبه عباس العساكر وقصد الباطنية فقتل منهم واكثر وفعل بهم ما لم يفعله غيره ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرب بلادهم الى ان مات وفيها زلزلت كنجة وغيرها من اعمال اذربيجان واران الا ان اشدها كان بكنجة فخرب منها الكثير وهلك عالم لا يحصون كثرة قيل كان الهلكى مائتي الف وثلاثين الفا وكان من جملة الهلكى ابنان لقراسنقر صاحب البلاد وتهدمت قلعة هناك لمجاهد الدين بهروز وذهب له فيها من الذخائر والاموال شيء عظيم وفيها شرع مجاهد الدين بهروز في عمل النهر وانات سكر ليعظم ارتفاع الماء الى مجراه الاول وحفر مجرى الماء القديم وخرق اليه مجراة تاخذ من ديالى ثم استحال بعد ذلك وجرى الماء ناحية من السكر وبقي السكر في البر لا ينتفع به احد ولم يتعرض احد الى رده الى مجراه عند السكر الى وقتنا هذا وفيها انقطع الغيث ببغداد والعراق ولم يجئ غير مرة واحدة في اذار ثم انقطع ووقع الغلاء وعدمت الاقوات وفيها في جمادى الآخرة دخل الخليفة بفاطمة خاتون بنت السلطان مسعود وكان يوم حملها الى دار الخليفة يوما مشهودا واغلقت بغداد عشرة ايام وزينت وتزوج السلطان مسعود بابنة الخليفة وفيها في ربيع الاول توفي القاضي ابو الفضل يحيى ابن قاضي دمشق المعروف بالزكي

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة)

لذلك كل يوم ما عدا يوم الجمعة ثم تطرق الحال ببلاد الباشا وهؤلاء الكثير من الفلاحين لما سمعوا بذلك اتوا من كل ناحية الى مصر وكتبوا عرضحالات الى كتخدا بك وللباشا يتظلمون من استاذيهم ويشكون انهم يزيدون عليهم زيادات في قوائم المصروف ويشددون عليهم في طلب الفرض او بواقيها فيدفعهم الباشا او الكتخدا الى ذلك الديوان المحدث فينظر في امورهم ويعين لهم معين تركي مباشر ياتي بالملتزم ايضا والفلاحين والشاهد والصراف وقوائم المصروف لاجل المحاققة فعند ذلك يتعنت ابراهيم كتخدا في القوائم ويطالب قوائم السنين الماضية المختومة ونحو ذلك ولما فشا هذا الامر وشيع في البلدان اتت طوائف الفلاحين افواجا الى هذا الديوان يطلبون الملتزمين ويخاصمونهم ويكلفونهم فيكون امرا مهولا وغاية في الزحام والعياط والشياط وكذلك رفعوا المعلم منصور ومن معه من الكتبة من مباشرة ديوان افندية ابراهيم بك الدفتردار وقيدوا بدلهم السيد محمد غانم الرشيدي ومحمد افندي سليم

ومن انضم اليهم واظهر الباشا انه فعل ذلك لما علمه من خيانة الاقباط والقصد الخفي خلاف ذلك وهو الاستيلاء

(ذكر مسير جاوردانكى الى العراق وما كان منه)

فى هذه السنة امر السلطان مسعود الامير اسمعيل المعروف بجهاردانكى والبقش كون خر بالمسير الى خوزستان وفارس واخذهما من بوزابة واطلق لهم نفقة على بغداد فسارا فيمن معهما الى بغداد فنهبهم مجاهد الدين بهروز عن دخولها فلم يقبلوا منه فارسل الى المعابر فخسفها وغرقها واوجد فى عمارة السور وسد باب الظفرية وباب كلواذى واغلاق باقى الابواب وعلق عليها السلاسل وضرب الخيام للمقاتلة فلما علما بذلك عبرا بصرصر وقصدا الحلة فمنعاهما فقصدا واسط فخرج اليهم الامير طرنطاى وتقاتلوا فانهزم طرنطاى ودخلوا واسطا فنهبوها ونهبوا بلد فرسان والنعمانية ولحقهم طرنطاى الى حماد بن ابى الخير صاحب البطيحة ووافقهم عسكر البصرة وفارق اسمعيل والبقش عسكرهما وصارا مع طرنطاى فضعف اولئك فصار الى تستر واستشفع اسمعيل الى السلطان فعفا عنه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وصل رسول من السلطان سنجر ومعه بردة النبى صلى الله عليه وسلم والقضيب وكانا قد اخذا من المسترشد فاعادهما الآن الى المقتفى وفى هذه السنة توفى اتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وارانية بمدينة اردبيل وكان مرضه السل وطال به وكان من مماليك الملك طغرل وسلمت اذربيجان وارانية الى الامير جاولى الطغرلى وكان قراسنقر عظيم محله على سلطانه وخاصة السلطان وفيها كان بين اتابك زنكى وبين داود سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا حرب شديد وانهزم داود وملك زنكى من بلاده قلعة بهمرد وادركه الشتاء فعاد الى الموصل وفيها ملك الاسماعيلية حصن مصياب بالشام وكان واليه مملوكا لبنى منقذ اصحاب شيزر فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن وهو بايديهم الى الآن وفيها توفى سديد الدولة بن الانبارى واستوزر الخليفة بعده نظام الدين ابا نصر محمد بن محمد بن جهير وكان قبل ذلك استاذ الدار وفيها توفى برنقش بازدار صاحب قزوين وفيها فى رجب ظفر ابن الدانشمند صاحب ملطية وغيرها من تلك النواحى بجمع من الروم فقتلهم وغنم ما معهم وفيها فى رمضان سارت طائفة من الفرنج الى العسكر الذى بعسقلان فقاتلهم فظفر المسلمون وقتلوا من الفرنج كثيرا فعادوا منهزمين وفيها بنيت المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين ابو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن ولما فرغت درس فيها الشيخ ابو الحسن بن الخل وحضره ارباب المناصب وسائر الفقهاء وفيها فى رجب مات القاضى ابو بكر محمد بن عبد الباقى الانصارى قاضى المارستان عن نيف وسبعين سنة وله الاسناد العوالى بالحديث وكان عالما بالمنطق والحساب والهيئة وغيرها من علوم الاوائل وهو آخر من حدث فى الدنيا عن ابى اسحق البرمكى والقاضى ابى بكر الطبرى وابى طالب العشارى وابى محمد الجوهرى وغيرهم وتوفى الامام الحافظ ابو القاسم اسمعيل

والاستحواذ الكلى والجزئى و قطع منفعة الغير ولو قليلا فيضرب هذا بهذا والناس اعداء بعضهم لبعض وقلوبهم متنافرة فيغرى هذا بذاك وذاك بهذا ومن الناس من سمى هذا الديوان ديوان الفتنة (ومنها) الزيادة الفاحشة فى صرف المعاملة والنقص فى وزنها وعيارها وذلك ان حضرة الباشا ابقى دار الضرب على ذمته وجعل خاله ناظرا عليها وقرر لنفسه عليها فى كل شهر خمسمائة كيس بعد ان كان شهريتها ايام نظارة المحروقى خمسين كيسا فى كل شهر ونقص وارزن القروش نحو النصف عن القرش المعتاد وزادوا فى خلطه حتى لا يكون فيه مقدار ربعه من الفضة الخالصة ويصرف باربعين نصفا وكذلك المحبوب نقصوا من عياره ووزنه ولما كان الناس يتساهلون فى صرف المحبوب والريال الفرانسه ويقبضونها فى خلاص الحقوق من المماطلين والمفلسين وفى المبيعات الكاسدة بالزيادة لضيق المعايش حتى وصل صرف الريال الى مائتين وخمسين نصفا والمحبوب الى مائتين وثمانين ثم زاد الحال فى التساهل فى الناس بالزيادة ايضا عن ذلك فينادى الحاكم بمنع الزيادة ويمشى الحال اياما قليلة و يعود لما كان او ازيد فتحصل المناداة ايضا و يعقبونها بالتشديد والتنكيل بمن يفعل ذلك و يقبض عليه اعوان الحاكم ويحبس ويضرب ويغرمونه

ابن محمد بن الفضل الاصم ثانى عشر ذى الحجة ومولده سنة تسع وخمسين وله التصانيف المشهورة وتوفى يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن يعقوب الهمذانى من أهل بوزنجرد بمرو وتفقه على أبى اسحق الشيرازى وروى الحديث واشتغل بالرياضات والمجاهدات ووعظ ببغداد فقام اليه متفقه يقال له ابن السقاء وسأله وآذاه فى السؤال فقال اسكت انى أشم منك ريح الكفر فسار الرجل الى بلد الروم وتنصر وفيها مات أبو القاسم على بن أفلح بن أفلح الشاعر المشهور

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر انهزام السلطان سنجر من الاتراك الخطا وملكهم ماوراء النهر)

ثم ذكر أصحاب التواريخ فى هذه الحادثة أقاويل نحن نذكرها جميعها للخروج من اختلافها وعهدتها فنقول فى هذه السنة فى المحرم وقيل فى صفر انهزم السلطان سنجر من الترك الكفار وسبب ذلك ان سنجر كان قتل ابنا لخوارزم شاه اتسز بن محمد كما ذكرناه قبل فبعث خوارزم شاه الى الخطا وهم بما وراء النهر يطمعهم فى البلاد ويروج عليهم أمرها وحثهم على قصد مملكة السلطان سنجر فساروا فى ثلثمائة ألف فارس وسار اليهم سنجر فى عساكره فالتقوا بما وراء النهر واقتتلوا أشد قتال وانهزم سنجر وعساكره وقتل منهم مائة ألف قتيل منهم اثنا عشر ألفا كلهم صاحب عمامة وأربعة آلاف امرأة واسرت زوجة السلطان سنجر وتم السلطان منهزما الى ترمذ وسار منها الى بلخ ولما انهزم سنجر قصد خوارزم شاه مدينة مرو فدخلها مراغمة للسلطان سنجر وقتل بها وقبض على أبى الفضل الكرمانى الفقيه الحنفى وعلى جماعة من الفقهاء وغيرهم من أعيان البلد ولم يزل السلطان سنجر مسعودا الى وقتنا هذا لم تنهزم له راية ولما تمت عليه هذه السنة الهزيمة أرسل الى السلطان مسعود وأذن له فى التصرف فى الرى وما يجرى معها على قاعدة ابيه السلطان محمد وامره ان يكون مقيما فيها بعساكره بحيث ان دعت حاجة استدعاه لاجل هذه الهزيمة فوصل عباس صاحب الرى الى بغداد بعساكره وخدم السلطان مسعودا خدمة عظيمة وسار السلطان الى الرى امتثالا لامر عمه سنجر وقيل ان بلاد تركستان وهى كاشغر وبلاد بلاساغون وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ماوراء النهر كانت بيد الملوك الخانية الاتراك وهم مسلمون من نسل افراسياب التركى الا انهم مختلفون وكان سبب اسلام جده شبق قراخاقان انه رأى فى منامه كأن رجلا نزل من السماء فقال بالتركية ما معناه اسلم تسلم فى الدنيا والآخرة فاسلم فى منامه واصبح فاظهر اسلامه فلما مات قام مقامه ابنه موسى بن شبق ولم يزل الملك بتلك الناحية فى اولاده الى ارسلان خان بن محمد بن سليمان بن داود بغراخان بن ابراهيم الملقب بطبغاج خان بن ايلك الملقب بنصر ارسلان بن على بن موسى بن شبق فخرج على قدرخان فانتزع الملك منه فقتل سنجر قدرخان كما ذكرناه سنة اربع وتسعين واربعمائة واعاد الملك الى ارسلان خان وثبت قدمه وخرج خوارج فاستصرخ السلطان سنجر فنصره واعاده

غراه توزيعها مثلوا به وخرموا انفه وصلبوه على حانوته وعلقوا الريال فى انفه ردعا لغيره وفى اثناء ذلك اذا بالمناداة بان يكون صرف الريال بمائتين وسبعين والمحبوب بثلثمائة وعشرة فاستمع وتعجب من هذه الاحكام الغريبة التى لم يطرق سمع سامع مثلها هذا مع عدم الفضة العددية فى ايدى الناس فيدور الشخص بالقرش وهو ينادى على صرفه بنقص أربعة انصاف نصف يوم حتى يصرفه بقطع افرنجية منها ما هو باثنى عشر أو خمسة وعشرين أو خمسة فقط او يشترى من يريد الصرف شيئا من الزيات أو الخضرى أو الجزار ويبقى عنده الكسور الباقية بعده بغلاقها فيعود اليه مرارا حتى يحصل عنده غلاقها وليس هو فقط بل أمثاله كثير وسبب شحة الفضة العددية انه يضرب منها كل يوم بالضربخانه ألوف مؤلفة يأخذها التجار بزيادة مائة نصف فى كل ألف يرسلونها الى بلاد الشام والروم ويعوضون بدلها فى الضربخانه الفرانسه والذهب لانها تصرف فى تلك البلاد باقل مما تصرف به فى مصر وزاد الحال بمنهذا التاريخ حتى استقر على صرف الالف مائتين وتقرر ذلك فى حساب الميرى فيدفع الصارف ثلاثين قرشا عنها الف ومائتان ويأخذ الالف فقط والفرانسه والمحبوب بحسابه المتعارف بذلك الحساب والامر لله وحده (واما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر) فلم يمت من مشاهير الفقهاء من له شهرة ولا ذكر (واما الامراء

الى ملكه وكان من جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية والاتراك الغزية الذين نهبوا خراسان على ما نذكره ان شاء الله وهم نوعان نوع يقال لهم اجق واميرهم طوطى ابن داديك وقوم يقال لهم برق واميرهم يقال له قرغوت بن عبد الحميد فحسن الشريف الاشرف بن محمد بن ابى شجاع العلوى السمرقندى لولد ارسلان خان المعروف بنصر خان طلب الملك من ابيه واطمعه فسمع محمد بن خان الخبر فقتل الابن والشريف الاشرف وجرت بين ارسلان خان وبين جنده القارغلية وحشة دعتهم الى العصيان عليه وانتزاع الملك منه فعاودوا الاستعانة بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة اربع وعشرين وخمسمائة وكان بينهما مصاهرة فوصل الى سمرقند وهرب القارغلية من بين يديه واتفق ان السلطان سنجر خرج الى الصيد فراى خيالة فقبض عليهم فقررهم فاقروا ان ارسلان خان وضعهم على قتله فعاد الى سمرقند فحصر ارسلان خان بالقلعة فملكها واخذه اسيرا وسيره الى بلخ فمات بها وقيل بل غدر به سنجر واستضعفه فملك البلد منه فاشاع عنه ذلك فلما ملك سمرقند استعمل عليها بعده قلج طمغاج ابا المعالى الحسن بن على بن عبد المؤمن المعروف بحسن تكين وكان من اعيان بيت الخانية الا ان ارسلان خان اطرحه فلما ولى سمرقند وكان هذا حسن ابن اخت سنجر لم تطل ايامه فمات عن قليل فاقام سنجر مقامه الملك محمود بن ارسلان خان محمد بن سليمان ابن داود بغراخان وهو ابن الذى اخذ منه سنجر سمرقند وكان هذا محمود ابن اخت سنجر وكان قبل ذلك سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قد وصل الاعور وهو كوخان الصينى الى حدود كاشغر فى عدد كثير لا يعلمهم الا الله فاستعد له صاحب كاشغر وهو الخان احمد ابن الحسن وجمع جنوده فخرج اليه والتقوا فاقتتلوا وانهزم الاعور الصينى وقتل كثير من اصحابه ثم انه مات فقام مقامه كوخان الصينى وهو بلسان الصين لقب لاعظم ملوكهم وخان لقب لملوك الترك فمعناه اعظم الملوك وكان يلبس لبسة ملوكهم من المقنعة والخمار وكان مانويا ولما خرج من الصين الى تركستان انضاف اليه الاتراك الخطا وكانوا قد خرجوا قبله من الصين وهم فى خدمة الخانية اصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمد بن سليمان يسير على ستة عشر الف خركاه ويمنعهم على الدروب التى بينه وبين الصين يمنعون احدا من الملوك ان يتطرق الى بلاده وكان لهم على ذلك جرايات واقطاعات فاتفق انه وجد عليهم فى بعض السنين فمنعهم عن نسائهم لئلا يتوالدوا فعظم عليهم ولم يعرفوا وجها يقصدونه وتحير وا فاتفق ان اجتاز بهم قفل عظيم فيه الاموال الكثيرة والامتعة النفيسة فاخذوه واحضروا التجار وقالوا لهم ان كنتم تريدون اموالكم فعرفونا بلدا كثير المرعى فسيحا يسعنا ويسع اموالنا فاتفق راى التجار على بلد بلاساغون فوصفوه لهم فاعادوا اليهم اموالهم واخذوا الموكلين الذين كانوا بهم لمنعهم عن نسائهم فكتفوهم واخذوا نساءهم وساروا الى بلاساغون وكان ارسلان خان يغزوهم ويكثر جهادهم فخافوه وخافوا منه فلما طال ذلك عليهم وخرج كوخان الصينى انضافوا اليه ايضا فعظم شانهم وتضاعف جمعهم وملكوا بلاد تركستان وكانوا اذا ملكوا

فقد تقدم ذكرهم) وما وقع لهم ومقتلهم اجمالا فاغنى عن التكرار فالله يرحمنا اجمعين ٥ (ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين والف) ٥

وما تجدد بها من الحوادث فكان ابتداء المحرم بالرؤية يوم الخميس فى عاشره وصل كثير من كبار العسكر الذين تخلفوا بالمويلح فضرهم حسين بك دالى باشا وغيره فوصلوا الى قبة النصر جهة العادلية ودخلت عساكرهم المدينة شيئا فشيئا وهم فى اسوا حال من الجوع وتغير الالوان وكآبة المنظر والسحن ودوابهم وجمالهم فى غاية العى ويدخلون الى المدينة فى كل يوم ثم دخل اكابرهم الى بيوتهم وقد سخط عليهم الباشا ومنع ان لا ياتيه منهم احد ولا يراه وكانهم كانوا قادرين على النصرة والغلبة وفرطوا فى ذلك ويلومهم على الانهزام والرجوع وطفقوا يتهم بعضهم البعض فى الانهزام فتقول الخيالة سبب هزيمتنا القرابة وتقول القرابة بالعكس ولقد قال لى بعض اكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع اين لنا بالنصر واكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع فى عرضينا اذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر فى بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين والقوم اذا دخل الوقت اذن المؤذنون وينتظمون صفوفا خلف امام واحد بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة اذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة

ملكوا المدينة لا يغيرون على اهلها شيئا بل يأخذون من كل بيت دينارا من اهل البلاد وغيرها من القرى واما المزدرعات وغير ذلك فلاهلها وكل من اطاعهم من الملوك شد في وسطه شبه لوح فضة فتلك علامة من اطاعهم ثم ساروا الى بلاد ماوراء النهر فاستقبلهم الخاقان محمود بن محمد من حدود خجندة في رمضان سنة احدى وثلاثين وخمسمائة واقتتلوا فانهزم الخاقان محمود بن محمد وعاد الى سمرقند فعظم الخطب على اهلها واشتد الخوف والحزن وانتظروا البلاء صباحا ومساء وكذلك اهل بخارا وغيرها من بلاد ماوراء النهر وارسل الخاقان محمود الى السلطان سنجر يستمده وينهي اليه مالقي المسلمون ويحثه على نصرتهم فجمع العساكر فاجتمع عنده ملوك خراسان صاحب سجستان والغور وملك غزنة وملك مازندران وغيرهم فاجتمع اليه اكثر من مائة الف فارس وبقي العرض ستة اشهر وسار سنجر الى لقاء الترك فعبروا الى ماوراء النهر في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة فشكا اليه محمود بن محمد خان من الاتراك القارغلية فقصدهم سنجر فالتجؤا الى كوخان الصيني ومن معه من الكفار واقام سنجر بسمرقند فكتب اليه كوخان كتابا يتضمن الشفاعة في الاتراك القارغلية ويطلب منه أن يعفو عنهم فلم يشفعه فيهم وكتب اليه يدعوه الى الاسلام ويهدده ان لم يجب اليه ويتوعده بكثرة عساكره ووصفهم وبالغ في قتالهم بانواع السلاح حتى قال وانهم يشقون الشعر بسهامهم فلم يرض هذا الكتاب وزير السلطان طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك فلم يصغ اليه وسير الكتاب فلما قرئ الكتاب على كوخان امر بنتف لحية الرسول واعطاه برة وكلفه شق شعرة من لحيته فلم يقدر يفعل ذلك فقال كيف يشق غيرك شعرة بسهم وانت عاجز عن شقها بابرة واستعد كوخان للحرب وعنده جنود الترك والصين والخطا وغيرهم وقصد السلطان سنجر فالتقى العسكران وكانا كالبحرين العظيمين بموضع يقال له قطوان وطاف بهم كوخان حتى الجاهم الى واد يقال له درغم وكان على ميمنة سنجر الامير قماج وعلى ميسرته ملك سجستان والابطال وراءهم فاقتتلوا لخامس صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكانت الاتراك القارغلية الذين هربوا من سنجر من اشد الناس قتالا ولم يكن ذلك اليوم من عسكر السلطان سنجر احسن قتالا من صاحب سجستان فاجلت الحرب عن هزيمة المسلمين فقتل منهم ما لا يحصى من كثرتهم واشتمل وادي درغم على عشرة آلاف من القتلى والجرحى ومضى السلطان سنجر منهزما واسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان سنجر وهي ابنة ارسلان خان فاطلقهم والحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاري الفقيه الحنفي المشهور ولم يكن في الاسلام وقعة أعظم من هذه ولا اكثر ممن قتل فيها بخراسان واستقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر وبقي كوخان الى رجب من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فمات فيه وكان جميلا حسن الصورة لا يلبس الا الحرير الصيني له هيبة عظيمة على أصحابه ولم يسلط أميرا على اقطاع بل كان يعطيهم من عنده ويقول متى أخذوا الاقطاع ظلموا وكان لا يقدم أميرا على اكثر من مائة فارس حتى لا يقدر

للعرب وتتاخر الاخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته وينادون في معسكرهم هلموا الى حرب المشركين الحالقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمور التاركين للصلاة الآكلين الربا القاتلين الانفس المستحلين المحرمات وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غلفا غير مختونين ولما وصلوا بدرا واستولوا عليها وعلى القرى والخيوف وبها اخيار الناس وبها أهل العلم والصلحاء وهم واخذوا نساءهم وبناتهم واولادهم وكتبهم فكانوا يفعلون فيهم ويبيعونهم من بعضهم لبعض ويقولون هؤلاء الكفار الخوارج حتى اتفق ان بعض أهل بدر الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته فقال له حتى تبيت معي هذه الليلة واعطيها لك من الغد (وفيه) خرج العسكر المجرد الى السويس وكبيرهم بونابارته الخازندار ليذهب لمحافظة الينبع صحبة طوسون باشا (وفيه) وصل جماعة من الانكليز وصحبتهم هدية الى الباشا وفيها طيور ببغا هندية خضر الالوان وملونة وريالات فرانسه نقود معباة في براميل وحديد وآلات ومجيئهم وحضورهم في طلب أخذ الغلال وفي كل يوم تسافر المراكب المشحونة بالغلال الى بحري وكلما وردت مراكب سيرت الى بحري حتى شحت الغلال وغلا سعرها وارتفعت من السواحل والريف ولا يكاد يباع الا مادون الويبة وكان سعر الاردب من اربعمائة نصف

على العصيان عليه وكان ينهى أصحابه عن الظلم وينهى عن السكر ويعاقب عليه ولا ينهى عن الزنا ولا يقبحه وملك بعده ابنته فلم تطل مدتها حتى ماتت فملك بعدها امها زوجة كوخان وابنه محمد وبقي ما وراء النهر بيد الخطا الى ان اخذه منهم علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة اثنتي عشرة وستمائة على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان)

قد ذكرنا قبل قصد السلطان سنجر خوارزم واخذها من خوارزم شاه اتسز وعوده اليها وقتل ولد خوارزم شاه وانه هو الذي راسل الخطا واطمعهم في بلاد الاسلام فلما التقى السلطان سنجر وعاد منهزما سار خوارزم شاه الى خراسان فقصد سرخس في ربيع الاول من السنة فلما وصل اليها لقي الامام ابا محمد الزيادي وكان قد جمع بين الزهد والعلم فاكرمه خوارزم شاه اكراما عظيما ورحل من هناك الى مرو الشاهجان فقصده الامام احمد الباخرزي وشفع في اهل مرو وسال ان لا يتعرض اليهم احد من العسكر فاجابه الى ذلك ونزل بظاهر البلد واستدعى ابا الفضل الكرماني الفقيه واعيان اهلها فثار عامة مرو وقتلوا بعض اهل خوارزم شاه واخرجوا اصحابه من البلد واغلقوا ابوابه واستعدوا للامتناع فقاتلهم خوارزم شاه ودخل مدينة مرو سابع عشر ربيع الاول من السنة وقتل كثيرا من اهلها وممن قتل ابراهيم المروزي الفقيه الشافعي وعلي بن محمد بن ارسلان وكان ذا فنون كثيرة من العلم وقتل الشريف علي بن اسحق الموسوي كان راس فتنة ومقدم شر وقتل كثيرا من اعيان اهلها وعاد الى خوارزم واستصحب معه علماء كثيرا من اهلها منهم ابو الفضل الكرماني وابو منصور العبادي والقاضي الحسين بن محمد الارسابندي وأبو محمد الخرقي الفيلسوف وغيرهم ثم سار في شوال من السنة الى نيسابور فخرج اليه جماعة من فقهائها وعلمائها وزهادها وسالوه أن لا يفعل باهل نيسابور ما فعل باهل مرو فاجابهم الى ذلك لكنه استقصى في البحث عن أموال أصحاب السلطان فاخذها وقطع خطبة السلطان سنجر اول ذي القعدة وخطب له فلما ترك الخطيب ذكر السلطان سنجر وذكر خوارزم شاه صاح الناس وثاروا وكادت الفتنة تثور والشر يعود جديدا وانما منع الناس ذووا الرأى والعقل نظرا في العاقبة فقطعت الى أول المحرم سنة سبع وثلاثين فاعيدت خطبة السلطان سنجر ثم سير خوارزم شاه جيشا الى أعمال بيهق فاقاموا بها يقاتلون أهلها خمسة أيام ثم سار عنها ذلك الجيش ينهبون البلاد وعملوا بخراسان اعمالا عظيمة ومنع السلطان من مقاتلة أتسز خوارزم شاه لاجل قوة الخطا بما وراء النهر ومجاورتهم وملك خوارزم شاه هذه البلاد وغيرها من خراسان

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ملك اتابك زنكي بن آقسنقر مدينة الحديثة ونقل من كان بها من آل مهارش الى الموصل ورتب أصحابه فيها وفيها ايضا خطب لزنكي بمدينة آمد وصار

صاحبها

الى الف ومائتين والقول كذلك وربما كان سعره ازيد من القمح الا ان الفول هاف زرعه في هذه السنة ولم يحصل من رميه الا نحو التقاوى وحصل للناس في هذه الايام شدة بسبب ذلك ثم بعد قليل وردت غلال وانحلت الاسعار وتواجدت الغلال بالسواحل والرقع (وفي منتصفه) حضر رجل نصراني من جبل الدروز يتوصل الى الباشا وعرفه انه يحسن الصناعة بدار الضرب ويوفر عليه كثيرا من المصاريف وانها بها نحو الخمسمائة صانع وأن يقوم بالعمل باربعين شخصا لا غير وانه يصنع آلات وعدد الضرب القروش وغيرها ولا تحتاج الى وقود نيران ولا كثير من العمل فصدق الباشا قوله وأمر بان يفرد له مكان ويضم اليه ما يحتاجه من الرجال والحدادين والصناع ليعمل لصناعته العدد والآلات التي يحتاجها وشرع في أشغاله واستمر على ذلك شهورا (وفيه) التفت الباشا الى خدمة الضربخانه وأفنديتها وطمعت نفسه في مصادرتهم وأخذ الاموال لما يرى عليهم من التجمل في الملابس والمراكب لان من طبعه داء الحسد والشره والطمع والتطلع لما في أيدي الناس وارزاقهم فكان ينظر اليهم ويرمقهم وهم يغدون ويروحون الى الضربخانه هم وأولادهم راكبون البغال والرهوانات المجملة وحولهم الخدم والاتباع فيسال عنهم ويستخبر

صاحبها الى طاعته وكان قبل ذلك موافقا لداود على قتال زنكي فلما رأى قوة زنكي صار معه وفيها عزل مجاهد الدين بهروز عن شحنكية بغداد ووليها قزل امير اخور وهو من مماليك السلطان محمود وكان له بروجرد والبصرة فاضيف اليه شحنكية بغداد ثم وصل السلطان الى بغداد فرأى من تبسط العيارين وفسادهم ما ساءه فاعاد بهروز الى الشحنكية فتاب كثير منهم ولم ينتفع الناس بذلك لان ولد الوزير واخا امرأة السلطان كانا يقاسمان العيارين فلم يقدر بهروز على منعهم وفيها تولى عبد الرحمن طغايرك حجبة السلطان واستولى على المملكة وعزل الامير تتر الطغرلي عنها وآل امره الى ان مشى في ركاب عبد الرحمن وفيها توفي ابراهيم السهاوي مقدم الاسماعيلية فاخرجه ولد عباس صاحب الري في تابوته وفيها حج كمال الدين بن طلحة صاحب المخزن وعاد وقد لبس ثياب الصوفية وتخلى عن جميع ما كان عليه واقام في داره مرعي الجانب محروس القاعدة وفيها وصل السلطان الى بغداد وكان الوزير الزينبي بدار السلطان كما ذكرناه فسأل السلطان ان يشفع فيه ليرده الخليفة الى داره فارسل السلطان وزيره الى دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وشفع ان يعود الى داره فاذن له في ذلك واعاد اخاه الى نقابة النقباء فلزم الوزير داره ولم يخرج منها الا الى الجامع وفيها اغار عسكر اتابك زنكي من حلب على بلاد الفرنج فنهبوا واحرقوا وظفروا بسرية الفرنج فقتلوا فيهم واكثروا فكان عدة القتلى سبعمائة رجل وفيها افسد بنو خفاجة بالعراق فسير السلطان مسعود سرية اليهم من العسكر فنهبوا حللهم وقتلوا من ظفروا به منهم وعادوا سالمين وفيها سير رجار الفرنجي صاحب صقلية اسطولا الى اطراف افريقية فاخذوا مراكب سيرت من مصر الى الحسن صاحب افريقية وغدر بالحسن ثم راسله الحسن وجدد الهدنة لاجل حمل الغلات من صقلية الى افريقية لان الغلاء كان فيها شديدا والموت كثيرا وفيها توفي أبو القاسم عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلي الدمشقي وكان عالما وفيها توفي ضياء الدين أبو سعيد الكفرتوثي وزير اتابك زنكي وكان حسن السيرة في وزارته كريما رئيسا وفيها توفي أبو محمد بن طاوس امام الجامع بدمشق في المحرم وكان رجلا صالحا فاضلا وفيها توفي أبو القاسم اسمعيل بن احمد بن عمر بن ابي الاشعث المعروف بابن السمرقندي ولد بدمشق سنة اربع وخمسين واربعمائة وكان مكثرا من الحديث عالي الرواية

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر ملك عماد الدين أتابك زنكي قلعة أشب وغيرها من الهكارية)

في هذه السنة ارسل أتابك زنكي جيشا الى قلعة أشب وكانت أعظم حصون الاكراد الهكارية وامنعها وبها اموالهم واهلهم فحصروها وضيقوا على من بها فملكوها فامر باخرابها وبناء القلعة المعروفة بالعمادية عوضا عنها وكانت هذه القلعة العمادية حصنا عظيما من حصونهم خربوه لكبره لانه كبير جدا وكانوا يعجزون عن حفظه فخربت

عن احوالهم ودورهم ومصارفهم وقد اتفق انه رأى شخصا خرج آخر الصناع وهو راكب رهوانا وحوله ثلاثة من الخدم فسأل عنه فقيل له ان هذا البواب الذي يغلق باب الضربخانه بعد خروج الناس منها ويفتحه لهم في الصباح فسأل عن مرتبه في كل يوم فعرفوه ان له في كل يوم قرشين لا غير فقال ان هذا المرتب له لا يكفي خدمه الذين هم حوله فكيف بمصرف داره وعليق دوابه وجميع لوازمه مما ينفقه ويحتاجه في تجملاته وملابسه وملابس اهله وعياله ان هؤلاء الناس كلهم سراق وكل ما هم فيه من السرقة والاختلاس ولا بد من اخراج الاموال التي اختلسوها وجمعوها وتناجى في ذلك مع المعلم غالي وقرنائه ثم طلب اولا اسمعيل افندي ايلا وهو الافندي الكبير وقال له عرفني خيانة فلان النصراني وفلان اليهودي المورد فقال لا أعلم على أحد منهم خيانة وهذا شيء يدخل بالميزان ويخرج بالميزان ثم صرفه واحضر النصراني وقال له عرفني بخيانة اسمعيل افندي واولاده والمداد وابراهيم افندي الخضراوي الختام وغيره فلم يزد على ما قاله اسمعيل افندي ثم احضر الحاج سالم الجواهرجي وهدده فلم يزد على قول الجماعة شيئا فقال الجميع شركاء بعضهم البعض ومتفقون على خيانتي

ثم امر بحبس الحاج سالم واحضر شخصا آخر من الجواهرجية يسمى صالح الدنف والبسه فروة وجعله

الآن أشب وعمرت العمادية وانما سميت العمادية نسبة الى لقبه وكان نصير الدين جقر نائبه بالموصل قد فتح أكثر القلاع الجبلية .

(ذكر حصر الفرنج طرابلس الغرب)

وفي هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صقلية الى طرابلس الغرب فحصروها وسبب ذلك ان أهلها في أيام الامير الحسن صاحب أفريقية لم يدخلوا أبدا في طاعته ولم يزالوا مخالفين مشاققين له قد قدموا عليهم من بني مطروح مشايخ يدبرون أمرهم فلما رآهم ملك صقلية كذلك جهز اليهم جيشا في البحر فوصلوا اليهم تاسع ذي الحجة فنازلوا البلد وقاتلوه وعلقوا الكلاليب في سوره ونقبوه فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لاهل البلد فقوي أهل طرابلس بهم فخرجوا الى الاسطول فحملوا عليهم حملة منكرة فانهزموا هزيمة فاحشة وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالاسطول وتركوا الاسلحة والاثقال والدواب والآلات فنهبها العرب وأهل البلد ورجع الفرنج الى صقلية فجهزوا أسلحتهم وتجهزوا الى المغرب فوصلوا الى جيجل فلما رآهم أهل البلد هربوا الى البراري والجبال فدخلها الفرنج وسبوا من أدركوا فيها وهدموها وأحرقوها وأخربوا القصر الذي بناه يحيى بن العزيز بن حماد للنزهة ثم عادوا

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج حسن أمير الامراء على السلطان سنجر بخراسان وفيها توفي محمد بن دانشمند صاحب ملطية والثغور واستولى على بلاده الملك مسعود بن قلج أرسلان صاحب قونية وهو من السلجوقية وفيها خرج من الروم عسكر كثير الى الشام فحصروا الفرنج بانطاكية فخرج صاحبها واجتمع بملك الروم وأصلح حاله معه وعاد الى مدينته ومات في رمضان من هذه السنة ثم ان ملك الروم بعد أن صالح صاحب انطاكية سار الى طرابلس فحصرها ثم سار عنها وفيها قبض السلطان مسعود على الامير ترشك وهو من خواص الخليفة وممن ربي عنده وفي داره فساء ذلك الخليفة ثم أطلقه السلطان حفظا لقلب الخليفة وفيها كان بمصر وباء عظيم فهلك منه أكثر البلاد

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر صلح الشهيد السلطان مسعود وأتابك زنكي)

في هذه السنة وصل السلطان مسعود الى بغداد على عادته في كل سنة وجمع العساكر وتجهز لقصد أتابك زنكي وكان حقد عليه حقدا شديدا وسبب ذلك ان أصحاب الاطراف الخارجين على السلطان مسعود كانوا يخرجون عليه على ما تقدم ذكره فكان ينسب ذلك الى أتابك زنكي ويقول هو الذي سعى فيه وأشار به لعلمه انهم كلهم كانوا يصدرون عن رأيه فكان أتابك زنكي لاشك يفعل ذلك لئلا يخلو السلطان فيتمكن منه ومن غيره فلما تفرغ السلطان هذه السنة جمع العساكر ليسير الى بلاده فسير أتابك يستعطفه ويستميله فارسل اليه السلطان أبا عبد الله بن الانباري في تقرير

في خدمة الحاج سالم ثم ركب الباشا الى بيت الازبكية وطلب اسمعيل افندي ابلاهوو اولاده فاحضروهم بجماعة من العسكر في صورة هائلة وهددهم بالقتل وأمر باحضار المشاعل فاحضروه وأوقدوا المشاعل وسعت المتكلمون في العفو عنهم من القتل وقرروا عليهم مبلغا عظيما من الاكياس التزموا بدفعها خوفا من القتل ففرضوا على الحاج سالم بمفرده سبعمائة وخمسين كيسا وعلى ابراهيم المداد مائتي كيس وعلى أحمد أفندي الوزان مائتي كيس وعلى أولاد الشيخ السحيمي مائتي كيس لان لهم بها آلات خدم ووظائف يستغلون أجرتها وأخذ الجماعة في تحصيل ما فرض عليهم فشرعوا في بيع أمتعتهم وجهات ايرادهم ورهنوا وتداينوا بالربا وحولت عليهم الحوالات لطف الله بنا وبهم

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

في سابعه يوم الخميس حضر السيد محمد المحروقي الى مصر ووصل من طريق القصير ثم ركب بحر النيل ولم يحضر الشيخ المهدي بل تخلف عنه بقنا وقوص لبعض أغراضه (وفيه) ألبس الباشا صالح اغا السلحدار خلعة وجعله سر عسكر التجريدة المتوجهة على طريق البر الى الحجاز وكذلك ألبس باقي الكشاف (وفي يوم الاحد) عاشره ورد ساعي وعلى يده مرسوم ببشارة بمولود ولد للسلطان محمود وتسمى مراد وصحبته ايضا مقرر للباشا على ولاية مصر فضربوا مدافع

لوروده وطلع الى القلعة فى موكب وقرئت المراسيم وعملوا شنكا ومدافع ضربت فى الاوقات الخمسة سبعة ايام من القلعة والازبكية وبولاق والجيزة * (واستهل شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٧) *

فيه حضر ابراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية (وفى منتصفه) حضر احمد اغا لاظ الذى كان اميرا بقنا وقوص وباقى الكشاف بعد ان راكوا جميع البلاد القبلية والاراضى وفرضوا عليها الاموال على كل فدان سبعة ريالات وهو شئ كثير جدا واخذوا جميع الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والبر والصدقة بالصعيد ومصر فبلغت ستمائة الف فدان واشاعوا بانهم يطلقون للرصد على المساجد خاصة نصف المفروض وهو ثلاثة ريال ونصف فضجت اصحاب الرزق وحضر الكثير منهم يستغيثون بالمشايخ فركبوا الى الباشا وتكلموا معه فى شان ذلك وقالوا له هذا يترتب عليه خراب المساجد فقال واين المساجد العامرة الذى لم يرض بذلك يرفع يده وانا اعمر المساجد المتخربة وارتب لها ما يكفيها ولم يفد كلامهم فائدة فنزلوا الى بيوتهم (وفى اواخره) انتقل السيد محمد كرم النقيب من دمياط الى طندتا وسكن بها (وسبب) ذلك انه لما طالت اقامته بدمياط وهو ينتظر الفرج وقد ابطأ عليه وهو ينتقل من المكان الذى هو فيه الى مكان آخر على شاطئ البحر وتشاغل بعمارة خان أنشاه هنالك والحرس ملازمون له فلم يزل حتى ورد عليه صديق افندى قاضى العسكر فكلمه

القواعد فاستقرت القاعدة على مائة ألف دينار يحملها الى السلطان ليعود عنه فحمل عشرين ألف دينار اكثرها عروض ثم تنقلت الأحوال بالسلطان الى أن احتاج الى مداراة اتابك وأطلق له الباقى استمالة له وحفظا لقلبه وقعود السلطان عنه كان سببه حصانة بلاده وكثرة عساكره وأمواله ومن جيد الرأى ما فعله الشهيد فى هذه الحادثة فانه كان ولده الاكبر سيف الدين غازى لا يزال عند السلطان سفرا وحضرا بامر والده فارسل اليه ثانية وارسل الى نائبه بها نصير الدين جقر فيقول له ليمنعه عن الدخول الى الموصل والوصول اليه فهرب غازى وبلغ الخبر والده فارسل اليه يأمره بالعودة الى السلطان ولم يجتمع به وارسل معه رسولا الى السلطان يقول ان ولدى هرب خوفا من السلطان لما رأى تغيره على وقد اعدته الى الخدمة ولم اجتمع به فانه مملوكك والبلاد لك فحل ذلك من السلطان محلا عظيما

* (ذكر ملك اتابك بعض ديار بكر) *

وفى هذه السنة سار اتابك زنكى الى ديار بكر ففتح منها عدة بلاد وحصون فمن ذلك مدينة طنزة ومن ذلك مدينة اسعرد ومدينة حيزان وحصن الروق وحصن مطليس وحصن باتسية وحصن ذى القرنين وغير ذلك مما لم يبلغ غيره هذه الاماكن واخذ أيضا من بلد ماردين مما هو بيد الفرنج جملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون جوسلين ورتب امور الجميع وخلى فيها من الاجناد من يحفظها وقصد مدينة آمد وحانى فحصرهما واقام بتلك الناحية مصلحا لما فتحه ومحاصرا لما لم يفتحه

* (ذكر امر العيارين ببغداد) *

وفى هذه السنة زاد امر العيارين وكثر الامر منهم فى الطلب بسبب ابن الوزير وابن قاورت اخى زوجة السلطان لانهما كان لهما نصيب من الذى يأخذه العيارون وكان النائب فى شحنكية بغداد مملوكا اسمه ايلدكز وكان صارما مقداما فلما بلغ منه الاقدام الى ان حضر عند السلطان فقال له السلطان ان السياسة قاصرة والناس قد هلكوا فقال يا سلطان العالم اذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك واخا امرأتك فاى قدرة لى على المفسدين وشرح له الحال فقال له الساعة تخرج وتكبس عليهما اين كانا وتصلبهما فان فعلت والا صلبتك فاخذ خاتمه وخرج فكبس على ابن الوزير فلم يجده فاخذ من كان عنده وكبس على ابن قاورت فاخذه وصلبه فاصبح الناس وهرب ابن الوزير وشاع الامر وروى ابن قاورت مصلوبا فهرب اكثر العيارين وقبض على من اقام وكفى الناس شرهم

* (ذكر حصر سنجر خوارزم وصلحه مع خوارزم شاه) *

قد ذكرنا سنة اثنتين وثلاثين مسير سنجر الى خوارزم وملكه لها وعود اتسز خوارزم شاه اليها وأخذها وما كان منه بخراسان بعد ذلك فلما كان فى هذه السنة سار السلطان سنجر الى خوارزم شاه فجمع خوارزم شاه عساكره وتحصن بالمدينة ولم يخرج منها القتال

لعلمه انه لا يقوى لسنجر وكان القتال يجرى بين الفريقين من وراء السور فاتفق في يوم
من بعض الايام ان هجم امير من امراء سنجر اسمه سنقر على البلد من الجانب الغربي فلم
يبق غيره ملكه قهرا وعنوة وكان منقال التاجي هجم من الشرق فانهزم منقال عن البلد
وبقي سنقر وحده في البلد فقوى عليه خوارزم شاه اتسز فاخرجه من البلد وبقي سنجر
وحده واشتد في حفظه فلما رأى السلطان قوة البلد وامتناعه عزم على العود الى مرو ولم
يمكنه من غير قاعدة تستقر بينهما فاتفق ان خوارزم شاه ارسل رسلا يبذل المال
والطاعة والخدمة ويعود الى ما كان عليه من الانقياد فاجابه الى ذلك واصطلحا وعاد
سنجر الى مرو واقام خوارزم شاه بخوارزم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سار اتابك زنكي عسكر الى مدينة عانة من اعمال الفرات فملكوها
وفيها في المحرم توفي ابو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن احمد الانماطي الحافظ
ببغداد ومولده سنة اثنتين وستين واربعمائة وفيها توفي ابو الفتوح محمد بن الفضل
ابن محمد الاسفرايني الواعظ من اهل اسفراين من خراسان واقام مدة ببغداد يعظ
وسار الى خراسان فلما مات حضر الغزنوي عزاءه ببغداد وبكى واكثر فقال بعض
اصحاب ابي الفتوح للغزنوي كلاما اغاظه فيه فلما قام الغزنوي لامه بعض تلامذته
على حضور العزاء وكثرة البكاء وقال له كنت مهاجرا لهذا الرجل فلما مات حضرت
عزاءه واكثرت البكاء واظهرت الحزن قال كنت ابكي على نفسي كان يقال فلان
وفلان فمن يعدم النظير ايقن بالرحيل وانشد هذه الابيات

ذهب المبرد وانقضت ايامه * وسينقضي بعد المبرد ثعلب
بيت من الآداب اصبح نصفه * خربا وباقي نصفه فسيخرب
فتزودوا من ثعلب فبمثل ما * شرب المبرد عن قليل يشرب
اوصيكم ان تكتبوا انفاسه * ان كانت الانفاس مما يكتب

وفيها توفي الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي في رمضان معزولا ودفن بداره بباب
الازج ثم نقل الى الحربية وفيها توفي ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري النحوي
المفسر وزمخشر احدى قرى خوارزم

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة)

(ذكر فتح الرها وغيرها من البلاد الجزرية)

في هذه السنة سادس جمادى الآخرة فتح اتابك عماد الدين زنكي بن آقسنقر مدينة الرها
من الفرنج وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة ايضا وكان ضررهم قد عم بلاد الجزيرة
وشرهم قد استطار فيها ووصلت غاراتهم الى ادانيها واقاصيها وبلغت آمد ونصيبين
ورأس العين والرقة وكانت مملكتهم بهذه الديار من قريب ماردين الى الفرات مثل
الرها وسروج والبيرة وسن ابن عطير وجملين والموزر والقرادي وغير ذلك وكانت هذه

الاعمال

بان يتشفع له عند الباشا في انتقاله الى طندتا ففعل واجاب الباشا الى ذلك *(واستهل شهر ربيع الآخر
سنة ١٢٢٧)* في رابعه وصل الحجاج المغاربة ووصل ايضا مولاي ابراهيم ابن السلطان سليمان سلطان الغرب وسبب تأخرهم الى هذا الوقت انهم أتوا من طريق الشام وهلك الكثير من فقرائهم المشاة واخبروا انهم قضوا مناسكهم وحجوا وزاروا المدينة واكرمهم الوهابية اكراما زائدا وذهبوا ورجعوا من غير طريق العسكر (وفي عاشره) حضر تامر كاشف ومحو بك وعبد الله اغا وهم الذين كانوا حضروا الى المويلح بعد الهزيمة فاقاموا به مدة ثم ذهبوا الى ينبع البحر عند طوسون باشا ثم حضروا في هذه الايام باستدعاء الباشا وكان محو بك في مركب من مراكب الباشا الكبار التي انشاها فانكسر على شعب وهلك من عسكره اشخاص ونجا هو بمن بقي معه واخبروا عنه انه كان اول من تقدم في البحر هو وحسين بك فقتل من عسكرهما الكثير من دون البقية الذين استعجلوا الفرار (وفيه) خرجت اوراق الفرضة على نسق العام الاول عن اربع سنوات مال وفائظ ومضاف وبراني ورزق واوسية واستقر طلبها في دفعة واحدة ويؤخذ من
اصل حسابها الغلال من الاجران بحساب ثمانية وريال كل اردب ويجمع غلال كل اقليم في نواحي يعينوها

تساق الى الاسكندرية وتباع على الافرنج فشحت الغلال وغلا سعرها مع كون الفلاح لا يقدر على رفع غلته المتحصلة له من زراعة ارضه التى غرم عليها المغارم بطول السنة بل تؤخذ منه قهرا مع الاجحاف فى الثمن والكيل بحيث يكال الاردب اردبا ونصفا ثم يلزمونه باجرة حملها الى المحل المعد لذلك ويلزم ايضا باجرة الكيال وعوائد المباشرين لذلك من الاعوان وخدمة الكشوفية واجرة المعادى وبعض البلاد يطلق لها الاذن بدفع المطلوب بالثمن والبعض النصف غلال والنصف الآخر دراهم حسب رسم المعلم غالى واوامره واذنه فانه هو المرخص فى الامر والنهى فيبيع المأذون له غلته باقصى قيمة برأى من المسلمين الآخر الذى لم تسعده الاقدار وحضر الكثير من الفلاحين وازدحموا بباب المعلم غالى موتر كوا بيادرهم وتعطلوا عن الدراس (وفى) ليلة الاثنين خامس عشره ذهب الباشا الى قصر شبرا وسافر تلك الليلة الى ثغر الاسكندرية ورجع ابنه ابراهيم بك الى الجهة القبلية وكذلك احمد اغا لاظ اتحرير وقبض الاموال (وفيه) ورد الخبر بان العسكر بقبلى ذهبوا خلف الامراء القبليين الفارين الى خلف ابريم وضيقوا عليهم الطرق وماتت خيولهم وجمالهم وتفرق عنهم خدمهم واضمحل حالهم وحضر عدة من مماليكهم واجنادهم الى ناحية أسوان بامان من الاتراك فقبضوا عليهم

الاعمال مع غيرها مما هو غرب الفرات لجوسلين وكان صاحب رأى الفرنج والمقدم على عساكرهم لما هو عليه من الشجاعة والمكر وكان اتابك يعلم انه متى قصد حصرها اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها فيتعذر عليه ملكها لما هى عليه من الحصانة فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج انه غير متفرغ الى قصد بلادهم فلما رأوه انه غير قادر على ترك الارتقية وغيرهم من ملوك ديار بكر حيث انه محارب لهم اطمانوا وفارق جوسلين الرها وعبر الفرات الى بلاد الغربية فجاءت عيون اتابك اليه فاخبروه الخبر فنادى فى العسكر بالرحيل وان لا يتخلف عن الرها احد من غد يومه وجمع الامراء عنده وقال قدموا الطعام وقال لا ياكل معى على مائدتى هذه الا من يطعن غدا معى بباب الرها فلم يتقدم اليه غير امير واحد وصبى لا يعرف لما يعلمون من اقدامه وشجاعته وان احدا لا يقدر على مساواته فى الحرب فقال الامير لذلك الصبى ما انت فى هذا المقام فقال اتابك دعه فوالله انى ارى وجها لا يتخلف عنى وسار والعساكر معه ووصل الى الرها وكان هو اول من حمل على الفرنج وحمل ذلك الصبى وحمل فارس من خيالة الفرنج على اتابك عرضا فاعترضه ذلك الامير فطعنه فقتله وسلم الشهيد ونازل البلد وقاتله ثمانية وعشرين يوما فزحف اليه عدة دفعات وقدم النقابين فنقبوا سور البلد ولج فى قتاله خوفا من اجتماع الفرنج والمسير اليه واستنقاذ البلد منه فسقطت البدنة التى نقبها النقابون واخذ البلد عنوة وقهرا وحصر قلعته فملكها ايضا ونهب الناس الاموال وسبوا الذرية وقتلوا الرجال فلما رأى اتابك البلد اعجبه ورأى ان تخريب مثله لا يجوز فى السياسة فامر فنودى فى العساكر برد ما اخذوه من الرجال والنساء والاطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من اثاثهم وامتعتهم فردوا الجميع عن آخره لم يفقد منه شئ الا الشاذ النادر الذى اخذ وفارق من اخذه العسكر فعاد البلد على حاله الاول وجعل فيه عسكرا يحفظه وتسلم مدينة سروج وسائر الاماكن التى كانت بيد الفرنج شرقى الفرات ما عدا البيرة فانها حصينة منيعة وعلى شاطئ الفرات فسار اليها وحصرها وكانوا قد اكثروا ميرتها ورجالها فبقى على حصارها الى ان رحل عنها على ما نذكره ان شاء الله تعالى (حكى) ان بعض الحكماء بالانساب والتواريخ قال كان صاحب جزيرة صقلية قد ارسل سرية فى البحر الى طرابلس الغرب وتلك الاعمال فنهبوا وقتلوا وكان بصقلية انسان من العلماء المسلمين وهو من اهل الصلاح وكان صاحب صقلية يكرمه ويحترمه ويرجع الى قوله ويقدمه على من عنده من القسوس والرهبان وكان اهل ولايته يقولون انه مسلم بهذا السبب ففى بعض الايام كان جالسا فى منظرة تشرف على البحر واذ قد اقبل مركب لطيف واخبره من فيه ان عسكره دخل بلاد الاسلام وغنموا وقتلوا وظفروا وكان المسلم الى جانبه وقد اغفى فقال له الملك يا فلان اما تسمع ما يقولون قال لا قال انهم يخبرون بكذا وكذا اين كان محمد عن تلك البلاد واهلها فقال له كان غاب عنهم وشهد فتح الرها وقد فتحها المسلمون الآن فضحك منه من كان هناك من الفرنج فقال الملك لا تضحكوا فوالله ما يقول الا الحق فبعد ايام وصلت الاخبار من

فرنج الشام بفتحها * وحكى لى جماعة من أهل الدين والصلاح ان انسانا صالحا رأى الشهيد فى النوم فقال له ما فعل الله بك قال غفر لى بفتح الرها

(ذكر قتل نصير الدين جقر وولاية زين الدين على كوجك قلعة الموصل)

فى هذه السنة فى ذى القعدة قتل نصير الدين جقر نائب اتابك زنكى بالموصل والاعمال جميعها التى شرق الفرات وسبب قتله ان الملك الب ارسلان المعروف بالخفاجى ولد السلطان محمود كان عند اتابك الشهيد وكان يظهر للخلفاء والسلطان مسعود واصحابه بالاطراف ان هذه البلاد لهذا الملك وأنا نائبه فيها وكان ينتظر وفاة السلطان مسعود ليخطب له بالسلطنة ويملك البلاد باسمه وكان هذا الملك بالموصل هذه السنة ونصير الدين يقصده كل يوم ليقوم بخدمته ان عرض شغل فحسن له بعض المفسدين طلب الملك وقال له ان قتلت نصير الدين ملكت الموصل وغيرها من البلاد ولا يبقى مع اتابك زنكى فارس واحد فوقع هذا منه موقعا حسنا وظنه صدقا فلما دخل نصير الدين اليه وثب عليه من عنده من اجناد اتابك ومماليكه فقتلوه والقوا رأسه الى أصحابه ظنا منهم ان اصحابه يتفرقون ويخرج الملك ويملك البلد وكان الامر خلاف ما ظنوه فان اصحابه واصحاب اتابك الذين فى خدمته لما رأوا رأسه قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دولة اتابك مملوأة بالرجال والاجناد ذوى الرأى والتجربة ثم دخل اليه القاضى تاج الدين يحيى بن الشهرزورى ولم يزل به يخدعه وكان فيما قال له لما رآه منزعجا يا مولانا لم تحرد من هذا الكلب هذا واستاذه مماليكك والحمد لله الذى أراحنا منه ومن صاحبه على يدك وما الذى يقعدك فى هذه الدار قم لتصعد القلعة وتاخذ الاموال والسلاح وتملك البلد وتجمع الجند وليس دون الموصل مانع فقام معه وأصعده القلعة فلما قاربها اراد من بها من النقيب والاجناد القتال فتقدم اليهم القاضى تاج الدين وقال لهم افتحوا الباب وتسلموه وافعلوا به ما اردتم ثم فتح الباب ودخل الملك والقاضى اليها ومعهما من اعان على قتل نصير الدين فسجنوا ونزل القاضى وبلغ الخبر اتابك زنكى وهو يحاصر قلعة البيرة وقد اشرف على ملكها فخاف ان تختلف البلاد الشرقية بعد قتل نصير الدين ففارق البيرة وارسل زين الدين على بن بكتكين الى قلعة الموصل واليا على ما كان نصير الدين يتولاه

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قبض السلطان مسعود على وزيره البروجردى ووزر بعده المرزبان بن عبيد الله ابن نصر الاصفهانى وسلم اليه البروجردى فاستخرج امواله ومات مقبوضا وفيها كان اتابك عماد الدين زنكى يحاصر البيرة وهى للفرنج شرق الفرات بعد ملك الرها وهى من امنع الحصون وضيق عليها وقارب ان يفتحها فجاءه خبر قتل نصير الدين نائبه بالموصل فرحل عنها وارسل نائبا الى الموصل واقام ينتظر الخبر فخاف من بالبيرة من الفرنج ان يعود اليهم وكانوا يخافونه خوفا شديدا فارسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين

وقتلوهم عن آخرهم وفعلوا قبل ذلك بغيرهم كذلك (وفى اواخره) سافر عدة من عسكر المغاربة الى الينبع ووصل جملة كبيرة من عسكر الاروام الى الاسكندرية فصرف عليهم الباشا علائف وحضروا الى مصر وانتظموا فى سلك من بها ويعين منهم لسفر من يعين (وفيه) وقعت حادثة بخط الجامع الازهر وهو انه من مدة سابقة من قبل العام الماضى كان يقع بالخطة ونواحيها من الدور والحوانيت سرقات وضياع امتعة وتكرر ذلك حتى ضج الناس وكثر لغطهم وضاع تخمينهم فمن قائل انه مسترعيات يدخلون من نواحى السور ويتفرقون فى الخطة ويفعلون ما يفعلون ومنهم من يقول ان ذلك فعل طائفة من العسكر الذين يقال لهم الحيطة فى بلادهم الى غير ذلك ثم فى تاريخه سرق من بيت امراة رومية صندوق ومتاع فاتهمت أشخاصا من العميان المجاورين بزاويتهم تجاه مدرسة الجوهرية الملاصقة للازهر فقبض عليهم الاغا وقررهم فانكروا وقالوا لسنا سارقين وانما سمعنا فلانا سمعوه وهو محمد بن ابى القاسم الدرقاوى المغربى المنفصل عن مشيخة رواق المغاربة ومعه أخوته وآخرون ونعرفه بصوته وهم يتذاكرون فى ذلك ونحن نسمعهم فلما تحققوا ذلك وشاع بين الناس والاشياخ ذهب بعضهم الى ابى القاسم وخاطبوه وكلموه مرا وخوفوه من

ماردين وسلموها له فملكها المسلمون وفيها اخرج اسطول الفرنج من صقلية الى ساحل افريقية والغرب ففتحوا مدينة برشك وقتلوا أهلها وسبوا حريمهم وباعوه بصقلية على المسلمين وفيها توفى تاشفين بن على بن يوسف صاحب المغرب وكانت ولايته تزيد على اربع سنين وولى بعده أخوه وضعف أمر الملثمين وقوى عبد المؤمن وقد ذكرنا ذلك سنة أربع عشرة وخمسمائة وفيها فى شوال ظهر كوكب عظيم له ذنب من جانبها المشرق وبقى الى نصف ذى القعدة ثم غاب ثم طلع من جانب الغرب فقيل هو هو وقيل بل غيره وفيها كانت فتنة عظيمة بين الامير هاشم بن فليتة بن القاسم العلوى الحسنى أمير مكة والامير نظر الخادم أمير الحاج فنهب اصحاب هاشم الحجاج وهم فى المسجد يطوفون ويصلون ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة وفيها فى ذى الحجة توفى عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمدويه أبو المعالى المروزى بمرو وسافر الكثير وسمع الحديث الكثير وبنى بمرو رباطا ووقف فيه كتبا كثيرة وكان كثير الصدقة والعبادة وتوفى محمد بن عبد الملك ابن حسن بن ابراهيم بن خيرون أبو منصور المقرى فى رجب ومولده فى رجب سنة أربع وخمسين وأربعمائة وهو آخر من روى عن الجوهرى بالاجازة وفى ذى الحجة منها توفى أبو منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ببغداد ومولده سنة اثنتين وستين وأربعمائة وتفقه على الغزالى والشامى ودفن فى تربة الشيخ أبى اسحق

(ثم دخلت سنة اربعين وخمسمائة)

(ذكر اتفاق بوزابة وعباس على منازعة السلطان)

فى هذه السنة سار بوزابة صاحب فارس وخوزستان وعساكره الى قاشان ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود ووصل اليهما الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد واجتمع بوزابة والامير عباس صاحب الرى واتفقا على الخروج عن طاعة السلطان مسعود وملكا كثيرا من بلاده ووصل الخبر اليه وهو ببغداد ومعه الامير عبد الرحمن طغايرك وهو أمير حاجب حاكم فى الدولة وكان ميله اليهما فسار السلطان فى رمضان عن بغداد ونزل بها الامير مهلهل ونظر وجماعة من غلمان بهروز وسار السلطان وعبد الرحمن معه فتقارب العسكران ولم يبق الا المصاف فلحق سليمان شاه بأخيه مسعود وشرع عبد الرحمن فى تقرير الصلح على القاعدة التى أرادوها واضيف الى عبد الرحمن ولاية اذربيجان وارانية الى ما بيده وصار أبو الفتح بن دارست وزير السلطان مسعود وهو وزير بوزابة فصار السلطان معهم تحت الحجر وارسلوا ارسلان بن بلنكرى المعروف بخاص بك وهو ملازم السلطان وتربيته وصار فى خدمة عبد الرحمن ليحقن دمه وصار الجماعة فى خدمة السلطان بالصورة لا بالمعنى والله اعلم

(ذكر استيلاء على بن دبيس بن صدقة على الحلة)

فى هذه السنة سار على بن دبيس الى الحلة هاربا فملكها وكان سبب ذلك ان السلطان

العاقبة وكان المذكور جعل نفسه مريضا ومنقطعا فى داره فغالطهم فقالوا له نحن قصدنا بخطابك التستر على أهل الخرقة المنتسبين الى الازهر فى العمل بالشريعة واخذ العلم أوما علمت ماقد جرى فى العام السابق من حادثة الزغل وغير ذلك فلم يزالوا به حتى وعدهم انه يتكلم مع أولاده ويفحصون على ذلك بينهم وبين نجابتهم (وفى اليوم الثالث) وقيل الثانى ارسل أبو القاسم المذكور فاحضر السيد احمد الذى يقال له جندى المطبخ وابن اخيه وهما اللذان يتعاطيان الحسبة والاحكام بخط الازهر ويتكلمان على الباعة والخضرية والجزارين الكائنين بالخطة فلما حضرا عنده عاهدهما وحلفهما بان يسترا عليه وعلى أولاده ولا يفضحاه ويبعدا عنهم هذه القضية واخبرهما بان ولده لم يزل يتفحص بفطانته حتى عرف السارق ووجد بعض الامتعة ثم فتح خزانة بمجلسه واخرج منها امتعة فسألوه عن الصندوق فقال هو باق عند من هو عنده ولا يمكن احضاره فى النهار فاذا كان آخر الليل انتظروا ولدى محمدا هذا عند جامع الفاكهانى بالعقادين الرومى وهو يأتيكم بالصندوق مع سارقه فاقبضوا عليه واتركوا اولادى ولا تذكروهم ولا تتعرضوا لهم فقالوا له كذلك وحضر الجندى وابن اخيه فى الوقت الذى وعدهم به وصحبتهما اشخاص من اتباع الشرطة ووقفوا

لما أراد الرحيل من بغداد أشار عليه مهلهل أن يحبس علي بن دبيس بقلعة تكريت فعلم ذلك فهرب في جماعة يسيرة نحو خمسة عشر فمضى الى الأزيز وجمع بني أسد وغيرهم وسار الى الحلة وبها أخوه محمد بن دبيس فقاتله فانهزم محمد وملك علي الحلة واستهان السلطان أمره أولا فاستفحل وضم اليه جمعا من غلمانه وغلمان أبيه وأهل بيته وعساكرهم وكثر جمعهم فسار اليه مهلهل فيمن معه في بغداد من العسكر وضربوا معه مصافا فكسرهم وعاد وا منهزمين الى بغداد وكان أهلها يتعصبون لعلي بن دبيس وكانوا يصيحون اذا رأوا مهلهلا وبعض أصحابه يا علي كله وكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب ومد علي يده في اقطاع الامراء بالحلة وتصرف فيها وصار شحنة بغداد ومن فيها على وجل منه وجمع الخليفة جماعة وجعلهم على السور لحفظه وراسل عليا فأعاد بأنني العبد المطيع مهما رسم لي فعلت فسكن الناس ووصلت الاخبار بعد ذلك ان السلطان مسعودا تفرق خصومه عنه فازداد سكون الناس لذلك

(ذكر عدة حوادث)

حج بالناس هذه السنة قايماز الارجواني صاحب أمير الحاج نظر واحتج نظر بأن بركه ذهب في كسرة الحلة وان بينه وبين أمير مكة من الحروب ما لا يمكنه معه الحج وفيها اتصل بالخليفة عن أخيه أبي طالب ما كرهه فضيق عليه واحتاط على غيره من أقاربه وفيها ملك الفرنج لعنهم الله مدينة شنترين وباجة وماردة وأشبونة وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الاندلس وكانت للمسلمين فاختلفوا وأطمع العدو واخذ هذه المدن وقوي بها قوة تمكن وتيقن ملك بلاد الاسلام بالاندلس خيب الله ظنه وكان ما نذكره وفيها سار اسطول الفرنج من صقلية ففتحوا جزيرة قرقنة من أفريقية فقتلوا رجالها وسبوا حريمهم فأرسل الحسن صاحب أفريقية الى رجار ملك صقلية يذكره بالعهود التي بينهم فاعتذر بأنهم غير مطيعين له وفي هذه السنة توفي مجاهد الدين بهروز الغياثي وكان حاكما بالعراق نيفا وثلاثين سنة وبرنقش الزكوي صاحب أصفهان وكان أيضا شحنة بالعراق وهو خادم أرمني لبعض التجار وتوفي الامير ايلدكز شحنة بغداد والشيخ أبو منصور موهوب ابن أحمد بن الخضر الجواليقي اللغوي ومولده في ذي الحجة سنة خمس وستين وأربعمائة وأخذ اللغة عن أبي زكريا التبريزي وكان يؤم بالمقتفي أمير المؤمنين وتوفي أحمد بن محمد ابن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان أبو سعيد بن أبي الفضل الاصفهاني ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وروى الحديث الكثير وكان على سيرة السلف كثير الاتباع للسنة رحمة الله عليه

(ثم دخلت سنة احدى وأربعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج طرابلس الغرب)

في هذه السنة ملك الفرنج لعنهم الله طرابلس الغرب وسبب ذلك ان رجار ملك صقلية جهز اسطولا كثيرا وسيره الى طرابلس فأحاطوا بها برا وبحرا ثالث المحرم فخرج اليهم

أهلها

في انتظاره عند جامع الفاكهاني فحضر اليهم وصحبته شخص صرماتي فقال لهم مكانكم حتى ناتيكم ثم طلعا الى ربع بعطفة الاغا ايضا ثم رجعا في الحال بالصندوق حامله الصرماتي على راسه فقبضوا على ذلك الصرماتي واخذوه بالصندوق الى بيت الاغا فضربوه بالضرب وهو يقول انا السبت وحدي وشركائي ابن ابي القاسم واخواه وآخر يسمى شلاطة وابن عبد الرحيم الجميع خمسة أشخاص فذهب الاغا واخبر كتخدا بك فامره بطلب اولاد أبي القاسم فارسل اليه ورقة يطلبهم فاجابه بان اولاده حاضرون عنده بالازهر من طلبة العلم وليسوا بسارقين فلما اختصار أخذهم الاغا واحضر ذلك الصرماتي معهم لاجل المحاققة فلم يزل يذكر لابن أبي القاسم ما كانوا عليه في سرحاتهم القديمة والجديدة ويقول له أما كنا كذا وكذا وفعلنا ما هو كذا في ليلة كذا واقتسمنا ما هو كذا وكذا ويقيم عليه أدلة وقرائن وأمارات ويقول له أنت رئيسنا وكبيرنا في ذلك كله ولا نمشي الى ناحية ولا سرحة الا باشارتك فعند ذلك لم يسع ابن أبي القاسم الا الانكار واقر واعترف هو واخوته وحبسوا سوية وأما شلاطة ورفيقه فانهما تغيبا وهربا واختفيا وشاعت القضية في المدينة وكثر القال والقيل في أهل الازهر ونواحيه وتذكروا قضية الدراهم الزغل التي ظهرت قبل تاريخه وتذكروا

اقبوا الآخر واجتمع كثير من الذين سرق لهم فهم رجل يبيع السمن أخذ من مخزنه عدة مواعين سمن وصينية

أهلها وانشبوا القتال فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيام فلما كان اليوم الثالث سمع الفرنج بالمدينة ضجة عظيمة وخلت الاسوار من المقاتلة وسبب ذلك ان أهل طرابلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيام يسيرة قد اختلفوا فأخرجت طائفة منهم بني مطروح وقدموا عليهم رجلا من الملثمين قدم يريد الحج ومعه جماعة فولوه امرهم فلما نازلهم الفرنج اعادت الطائفة الاخرى بني مطروح فوقع الحرب بين الطائفتين وخلت الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة ونصبوا السلالم وطلعوا على السور واشتد القتال فملكت الفرنج المدينة عنوة وقهرا بالسيف فسفكوا دماء أهلها وسبوا نساءهم واخذوا اموالهم وهرب من قدر على الهرب والتجأ الى البربر والعرب فنودي بالامان في كافة الناس فرجع كل من فر منها واقام الفرنج ستة أشهر حتى حصنوا سورها وحفروا خندقها ولما عادوا اخذوا رهائن أهلها ومعهم بنو مطروح والملثم ثم اعادوا رهائنهم وولوا عليهم رجلا من بني مطروح واخذوا رهائنه وحده واستقامت أمور المدينة والزم أهل صقلية والروم بالسفر اليها فانعمرت سريعا

ذكر حصر زنكي حصن جعبر وفنك

وفي هذه السنة سار أتابك زنكي الى حصن جعبر وهو مطل على الفرات وكان بيد سالم بن مالك العقيلي سلمه السلطان ملكشاه الى أبيه لما اخذ منه حلب وقد ذكرناه فحصره وسير جيشا الى قلعة فنك وهي تجاور جزيرة ابن عمر بينهما فرسخان فحصرها ايضا وصاحبها حينئذ الامير حسام الدين الكردي البشنوي وكان سبب ذلك انه كان لا يريد ان يكون في وسط بلاده ما هو ملك غيره حزما واحتياطا فنازل قلعة جعبر وحصرها وقاتله من بها فلما طال عليه ذلك ارسل الى صاحبها مع الامير حسان المنبجي لمودة كانت بينهما في معنى تسليمها وقال له تضمن عني الاقطاع الكثير والمال الجزيل فان اجاب الى التسليم والا فقل له والله لاقيمن عليك الى ان املكها عنوة ثم لا ابقي عليك ومن الذي يمنعك مني فصعد اليه حسان وادى اليه الرسالة ووعده وبذل له ما قيل له فامتنع من التسليم فقال له حسان فهو يقول لك من يمنعك مني فقال يمنعني منه الذي منعك من الامير بلك فعاد حسان واخبر الشهيد بامتناعه ولم يذكر له هذا فقتل اتابك بعد ايام وكانت قصة حسان مع بلك ابن اخي ايلغازي ان حسانا كان صاحب منبج فحصره بلك وضيق عليه فبينما هو كذلك في بعض الايام يقاتله جاءه سهم لا يعرف من رماه فقتله وخلص حسان من الحصر وقد تقدم ذكره وكان هذا القول من الاتفاق الحسن ولما قتل اتابك زنكي رحل العسكر الذين كانوا يحاصرون قلعة فنك عنها وهي بيد عقاب صاحبها الى الآن ومعهم يذكرون انهم لهم بها نحو ثلاثمائة سنة ولهم مقصد حسن وفيهم وفاء وعصبية يأخذون بيد كل من يلتجئ اليهم ويقصدهم ولا يسلمونه الى طالبه كائنا من كان قريبا ام غريبا

ذكر قتل اتابك عماد الدين زنكي وشيء من سيرته

الفطاطري التي يعمل عليها الالنافه وامتعة وفرش وجدت في ثلاثة اماكن وخاتم ياقوت ذكروا انه يبيع بجملة دنانير وعقد لؤلؤ وغير ذلك واستمروا اياما والناس يذهبون الى الاغا ويذكرون ما سرق لهم ويسالهم فيقرون باشياء دون أشياء ويذكرون ضياع أشياء منهم فوافيها وباعوها وأكلوا بثمنها ثم اتفق الحال على المرافعة في المحكمة الكبيرة فذهبوا بالجميع واجتمع العالم الكثير من الناس وأصحاب السرقات وغيرهم نساء ورجالا وادعوا على هؤلاء الاشخاص المقبوض عليهم فاحضروا بعض ما ادعوا به عليهم وقالوا أخذنا ولم يقولوا سرقنا وبرأ محمد بن أبي القاسم أخويه وقال انهما لم يكونا معنا في شئ من هذا وحصل الاختلاف في ثبوت القطع بلفظ أخذنا وقد حضرت دعوى أخرى مثل هذه على رجل صباغ ثم ان القاضي كتب اعلاما لكتخدا بك بصورة الواقع وفوض الامر اليه فامر بهم الى بولاق وانزلوهم عند القبطان وصحبتهم أبوهم ابو القاسم فاقاموا أياما ثم ان كتخدا بك أمر بقطع أيدي الثلاثة وهم محمد بن ابي القاسم الدرقاوي ورفيقه الصرماتي والصباغ الذي ثبتت عليه السرقة في الحادثة الاخرى فقطعوا أيدي الثلاثة في بيت

في هذه السنة لخمس مضين من ربيع الآخر قتل أتابك الشهيد عماد الدين زنكي بن
آقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر على ما ذكرناه قتله جماعة من
مماليكه ليلا غيلة وهربوا الى قلعة جعبر فصاحوا على من بها من أهلها من العسكر
يعلمونهم بقتله واظهروا الفرح فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق (حدثني والدي)
عن بعض خواصه قال دخلت اليه في الحال وهو حي فحين رآني ظن أني اريد قتله فاشار
الى باصبعه السبابة يستعطفني فوقعت من هيبته فقلت يامولاي من فعل هذا فلم يقدر
على الكلام وفاضت نفسه رحمه الله قال وكان حسن الصورة اسمر اللون مليح العينين
قد وخطه الشيب وكان قد زاد عمره على ستين سنة لانه كان لما قتل والده صغيرا كما
ذكرناه قبل ولما قتل دفن بالرقة وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته عظيم السياسة
لا يقدر القوي على ظلم الضعيف وكانت البلاد قبل ان يملكها خرابا من الظلم وتنقل
الولاة ومجاورة الفرنج فعمرها وامتلأت اهلا وسكانا (حكى لي والدي) قال رأيت
الموصل واكثرها خراب بحيث يقف الانسان قريب محلة الطبالين ويرى الجامع
العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة قط وكان الانسان لا يقدر على
المشي الى الجامع العتيق الا ومعه من يحميه لبعده عن العمارة وهو الآن في وسط
العمارة وليس في هذه البقاع المذكورة كلها ارض براح قال وحدثني ايضا انه وصل
الى الجزيرة في الشتاء فدخل الامير عز الدين الدبيسي وهو من اكابر امرائه ومن جملة
اقطاعه مدينة دقوقا ونزل في دار انسان يهودي فاستغاث اليهودي الى اتابك وانهى
حاله اليه فنظر الى الدبيسي فتأخر ودخل البلد واخرج بركه وخيامه قال فلقد رأيت
غلمانه ينصبون خيامه في الوحل وقد جعلوا على الارض تبنا يقيهم الطين وخرج فنزلها
وكانت سياسته الى هذا الحد وكانت الموصل من اقل بلاد الله فاكهة فصارت في ايامه
وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين وغير ذلك وكان ايضا شديد الغيرة ولا سيما على
نساء الاجناد وكان يقول ان لم نحفظ نساء الاجناد والا فسدن لكثرة غيبة ازواجهن
في الاسفار وكان اشجع خلق الله أما قبل ان يملك فيكفيه انه حضر مع الامير مودود
صاحب الموصل مدينة طبرية وهي للفرنج فوصلت طعنته باب البلد واثرت فيه وحمل
أيضا على قلعة عقر الحميدية وهي على جبل عال فوصلت طعنته الى سورها الى اشياء اخر
واما بعد الملك فقد كان الاعداء محدقين ببلاده وكلهم يقصدها ويريد اخذها وهو
لا يقنع بحفظها حتى انه لا ينقضي عليه عام حتى يفتح من بلادهم فقد كان الخليفة
المسترشد بالله مجاوره في ناحية تكريت وقصد الموصل وحصرها ثم الى جانبه من ناحية
شهرزور وتلك الناحية السلطان مسعود ثم ابن سقمان صاحب خلاط ثم داود بن
سقمان صاحب حصن كيفا ثم صاحب آمد وماردين ثم الفرنج من مجاورة ماردين
الى دمشق ثم اصحاب دمشق فهذه الولايات قد احتاطت بولايته من كل جهاتها فهو
يقصد هذا مرة وهذا مرة ويأخذ من هذا ويصانع هذا الى ان ملك من كل من يليه طرفا
من بلاده وقد اتينا على أخباره في كتاب الباهر في تاريخ دولته ودولة اولاده فليطلب من
هناك

القبطان ثم انزلوهم في مركب وصحبتهم أبوهم أبو القاسم وولداه الآخران اللذان لم تقطع أيديهما وسفروهم الى
الاسكندرية وذلك في منتصف
شهر جمادى الاولى من السنة
*(واستهل شهر جمادى
الثانية بيوم الخميس سنة
١٢٢٧)*
فيه حضر الثلاثة أشخاص
المقطوعين الايدي وذلك
انهم لما وصلوا الى الاسكندرية
وكان الباشا هناك تشفع فيهم
المتشفعون عنده قائلين انه
جرى عليهم الحد بالقطع فلا
حاجة الى نفيهم وتغريبهم
فامر بنفي أبي القاسم وولديه
الصغيرين الى أبي قير ورجع
ولده الآخر مع رفيقيه
الصرماتي والصباغ الى مصر
فحضروا اليها وذهبوا الى
دورهم وأما ابن أبي القاسم
فذهب الى داره وسلم على
والدته ونزل الى السوق يطوف
على أصحابه ويسلم عليهم وهو
يتألم مما حصل في نفسه ولا
يظهر ذلك لشدة وقاحته
وجودة صدغه وغلاظة وجهه
بل يظهر التجلد وعدم المبالاة
بما وقع له من النكال وكسوف
البال ومرقي السوق والاطفال
حوله وخلفه وأمامه يتفرجون
عليه ويقولون انظروا الحرامي
وهو لا يبالي بهم ولا يلتفت
اليهم حتى قيل انه ذهب الى
مسجد خرب بالباطنية ودعا
اليه غلاما يهواه بناحية الدرب
الاحمر فجلس معه حصة من
النهار ثم فارقه وذهب الى داره واشتد به الالم لان الذي باشر قطع يده لم يحسن القطع فمات في اليوم

(وفي هذا الشهر) وماقبله زودت عساكر كثيرة من الاتراك وعينوا للسفر وخرجوا الى مخيم العرضي خارج باب النصر والفتوح ذكروا انهم يخرجون مساء ويدخلون في الصباح ويقع منهم ما يقع من اخذ الدواب وخطف بعض النساء والاولاد كعادتهم (وفي ليلة الخميس) ثاني عشرينه حضر الباشا من الاسكندرية ليلا وصحبته حسن باشا الى القصر بشبرا وطلع في صبحها الى القلعة وضربوا لقدومه مدافع من الابراج فكان مدة غيبته في هذه المدة شهرين وسبعة ايام واجتهد فيها في عمارة سور المدينة وابراجها وحصنها تحصينا عظيما وجعل بها جبخانات وبارودا ومدافع وآلات حرب ولم تزل العمارة مستمرة بعد خروجه منها على الرسم الذي رسمه لهم واخذ جميع ما ورد عليه من مراكب التجار من البضائع على ذمته ثم باعه للمتسببين بما احب من الثمن وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الافرنجي وحبه اخضر وجرمه اكبر من حب البن اليمني الذي ياتي الى مصر في مراكب الحجاز اخذه في جملة ما اخذ في معاوضة الغلال ورماه على باعة البن بمصر بثلاثة وعشرين فرانسه القنطار والتجار يبيعونه بالزيادة ويخلطونه مع البن اليمني وفي ابتداء وروده كان يباع رخيصا لانه دون البن اليمني في الطعم واللذة في شربه وتعاطيه وبينهما فرق ظاهر يدركه صاحب الكيف البتة

هناك

(ذكر ملك ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود)

لما قتل اتابك زنكي اخذ نور الدين محمود ولده خاتمه من يده وكان حاضرا معه وسار الى حلب فملكها وكان حينئذ يتولى ديوان زنكي ويحكم في دولته من اصحاب العمائم جمال الدين محمد بن علي وهو المنفرد بالحكم ومعه امير حاجب صلاح الدين محمد الباغيسياني فاتفقا على حفظ الدولة وكان مع الشهيد اتابك الملك الب ارسلان ابن السلطان محمود فركب ذلك اليوم واجتمعت العساكر اليه وحضر عنده جمال الدين وصلاح الدين وحسناله الاشتغال بالشرب والمغنيات والجواري وادخلاه الرقة فبقي بها اياما لا يظهر ثم سار الى ماكسين فدخلها واقام بها اياما وجمال الدين يحلف الامراء لسيف الدين غازي ابن اتابك زنكي ويسيرهم الى الموصل ثم سار من ماكسين الى سنجار وكان سيف الدين قد وصل الى الموصل فلما وصلوا الى سنجار ارسل جمال الدين الى الدزداوية وقال له ارسل الى ولد السلطان يقول له اني مملوكك ولكن نبغي الموصل فان ملكتها سلمت اليك سنجار فسار الى الموصل فاخذه جمال الدين وقصد به مدينة بلد وقد بقي معه من العسكر القليل فاشار عليه بعبور دجلة فعبرها الى الشرق في نفر يسير وكان سيف الدين غازي بمدينة شهرزور وهي اقطاعه فارسل اليه زين الدين علي نائب ابيه بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر قبل وصول الملك فلما علم جمال الدين بوصول سيف الدين الى الموصل ارسل اليه يعرفه قلة من معه فارسل اليه بعض عسكره فقبضه وحبس في قلعة الموصل واستقر ملك سيف الدين البلاد وبقي اخوه نور الدين بحلب وهي له وسار اليه صلاح الدين الباغيسياني مدبر امره والقائم بدولته وحفظها وقد استقصينا شرح هذه الحادثة في التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية

(ذكر عصيان الرها)

لما قتل اتابك كان جوسلين الفرنجي الذي كان صاحب الرها في ولايته وهي تل باشر وما يجاورها فراسل اهل الرها وعامتهم من الارمن وحملهم على العصيان والامتناع من المسلمين وتسليم البلد اليه فاجابوه الى ذلك وواعدهم يوما يصل اليهم فيه وسار في عساكره الى الرها وملك البلد وامتنعت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين فقاتلهم فبلغ الخبر الى نور الدين محمود بن زنكي وهو بحلب فسار مجدا اليها في عسكره فلما قاربها خرج جوسلين هاربا عائدا الى بلده ودخل نور الدين المدينة ونهبها حينئذ وسبي اهلها وفي هذه الدفعة نهبت وخلت من اهلها ولم يبق بها منهم الا القليل وكثير من الناس يظن انها نهبت لما فتحها الشهيد وليس كذلك وبلغ الخبر الى سيف الدين غازي بعصيان الرها فسير العساكر اليها فسبقه الملك نور الدين الى البلد واستباحه وهم في الطريق فعادوا ومن اعجب ما يحكى ان زين الدين علي الذي كان نائب الشهيد واولاده بقلعة الموصل جاءه هدية ارسلها اليه نور الدين من هذا الفتح وفي الجملة

جارية فلما دخل اليها وخرج من عندها وقد اغتسل قال لمن عنده تعلمون ما جرى لي في يومنا هذا قالوا لا قال لما فتحنا الرها مع الشهيد وقع في يدي من السبي جارية رائعة اعجبني حسنها ومال قلبي اليها فلم يكن باسرع من ان امر الشهيد فنودي برد السبي والمال المنهوب وكان مهيبا مخوفا فرددتها وقلبي متعلق بها فلما كان الآن جاءتني هدية نور الدين وفيها عدة جوار فيها تلك الجارية فوطئتها خوفا ان تقع مثل تلك الردة

(ذكر استيلاء عبد المؤمن على جزيرة الاندلس)

في هذه السنة سير عبد المؤمن بن علي جيشا الى جزيرة الاندلس فملكوا ما فيها من بلاد الاسلام وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما كان يحاصر مراكش جاء اليه جماعة من اعيان الاندلس منهم ابو جعفر احمد بن محمد بن حمدين ومعهم مكتوب يتضمن بيعة اهل البلاد التي هم فيها لعبد المؤمن ودخولهم في زمرة اصحابه الموحدين واقامتهم لامره فقبل عبد المؤمن ذلك منهم وشكرهم عليه وطيب قلوبهم وطلب منهم النصرة وطلبوا منه النصرة على الفرنج فجهز جيشا كثيفا وسيره معهم وعمر اسطولا وسيره في البحر فسار الاسطول الى الاندلس وقصدوا مدينة اشبيلية وصعدوا في نهرها وبها جيش من الملثمين فحصروها برا وبحرا وملكوها عنوة وقتل فيها جماعة من الناس فسكنوا واستولت العساكر على البلاد وكان لعبد المؤمن منها

(ذكر قتل عبد الرحمن طغايرك وعباس صاحب الري)

في هذه السنة قتل السلطان مسعود امير حاجب دولته عبد الرحمن طغايرك وهو صاحب خلخال وبعض اذربيجان والحاكم في دولة السلطان وليس للسلطان معه حكم وكان سبب قتله ان السلطان لما ضيق عليه عبد الرحمن وبقي معه شبه الاسير ليس له في البلاد حكم حتى ان عبد الرحمن قصد غلاما كان للسلطان وهو بك ارسلان المعروف بابن خاص بك بن بلنكري وقد رباه السلطان وقربه فابعده عنه وصار لا يراه وكان في خاص بك عقل وتدبير وجودة قريحة وتوصل لما يريده بعقله فجمع عبد الرحمن العساكر وخاص بك فيهم وقد استقر بينه وبين السلطان مسعود ان يقتل عبد الرحمن فاستدعى خاص بك جماعة ممن يثق بهم وتحدث معهم في ذلك فكل منهم خاف الاقدام عليه الا رجلا اسمه زنكي وكان جاندارا فانه بذل من نفسه ان يبدأه بالقتل ووافق خاص بك على القيام في الامر جماعة من الامراء فبينما عبد الرحمن في موكبه ضربه زنكي الجاندار بمقرعة حديد كانت في يده على رأسه فسقط الى الارض فاجهز عليه خاص بك واعانه على حماية زنكي والقائمين معه من كان واطاه على ذلك من الامراء وكان قتله بظاهر جنزة وبلغ الخبر الى السلطان مسعود وهو ببغداد ومعه الامير عباس صاحب الري وعسكره اكثر من عسكر السلطان فانكر ذلك وامتعض منه فداراه السلطان ولاطفه واستدعى الامير البقش كون خر وهو امير اللحف وتتر الذي كان حاجبا فلما قوي بهما احضر عباسا اليه في داره فلما دخل اليه منع اصحابه من الدخول معه وعدلوا به الى

(وفيه وصل) مرسوم صحبة قابجي من الديار الرومية مضمونه وكالة دار السعادة باسم كتخدا بك وعزل عثمان اغا الوكيل تابع سعيد اغا فعمل الباشا ديوانا يوم الاحد وقرئ المرسوم وخلع على كتخدا بك خلعة الوكالة وخلعة اخرى باستمراره في الكتخدائية على عادته وركب في موكب الى داره فلما استقر في ذلك ارسل في ثاني يوم فاحضر الكتبة من بيت عثمان اغا وامرهم بعمل حسابه من ابتداء سنة ١٢٢١ لغاية تاريخه فشرعوا في ذلك واصبح عثمان اغا المذكور مسلوب النعمة بالنسبة لما كان فيه ويطالب بما دخل في طرفه وانتزعت منه بلاد الوكالة وتعلقات الحرمين واوقافهما وغير ذلك (وفي يوم الخميس غايته) وصل صالح قوج ومحو بك وسليمان اغا وخليل اغا من ناحية الينبع على طريق القصير من الجهة القبلية وذهبوا الى دورهم

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)

في ثالثه طلع الجماعة الواصلون الى القلعة وسلموا على الباشا وخاطره منحرف منهم ومتكدر عليهم لانه طلبهم للحضور مجردين بدون عساكرهم ليتشاور معهم في الحضر والحملة عساكرهم وقد كان ثبت عنده انهم هم الذين كانوا اسبابا للهزيمة لمخالفتهم على ابنه واضطراب رأيهم وتقصيرهم في نفقات العساكر ومبادرتهم للهرب والهزيمة عند اللقاء وترويجهم لخاصتهم الى

بحرة

جره وقالوا له اخلع الزردية فقال ان لى مع السلطان ايمانا وعهودا فلما كلموه وخرج له غلمان أعدوا الذلك فحينئذ تشهد وخلع الزردية والقاها وضربوه بالسيوف واحتزوا راسه والقوه الى اصحابه ثم ألقوا جسده ونهب رحله وانزعج البلد لذلك وكان عباس من غلمان السلطان محمود حسن السيرة عادلا فى رعيته كثير الجهاد للباطنية قتل منهم خلقا كثيرا وبنى من رؤسهم منارة بالرى وحصر قلعة ألموت ودخل الى قرية من قراهم فالقى فيها النار فاحرق كل من فيها من رجل وامرأة وصبى وغير ذلك وقتل بالجانب الغربى فارسلت ابنته فحملته الى الرى فدفنته هناك وكان مقتله فى ذى القعدة ومن الاتفاق العجيب ان العبادى كان يعظ يوما فحضره عباس فاسمع بعض اهل المجلس ورمى بنفسه نحو الامير عباس فضربه اصحابه ومنعوه خوفا عليه لانه كان شديد الاحتراس من الباطنية لا يزال لابسا الزردية لا تفارقه الغلمان الاجلاد فقال له العبادى كم هذا الاحتراز والله ائن قضى عليك بامر لتحلن انت بيدك ازرار الزردية فينفذ القضاء فيك وكان والله كما قال وقد كان السلطان استوزر ابن دارست وزير بوزابة كارها على ما تقدم ذكره فعزله الآن لانه اختار العزل والعود الى صاحبه بوزابة فلما عزله قرر معه ان يصلح له بوزابة ويزيل ما عنده من الاشمئزاز بسبب قتل عبد الرحمن وعباس فسار الوزير وهو لا يعتقد النجاة فوصل الى بوازبة وكان ما نذكره

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة حبس السلطان مسعود اخاه سليمان شاه بقلعة تكريت وفيها توفى الامير جاولى الطغرلى صاحب ارانية وبعض اذربيجان وكان قد تحرك للعصيان وكان موته فجاة مدقوسا فنزف دماغات وتوفى شيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل بن أبى سعيد الصوفى مات ببغداد ودفن بظاهر رباط الدورى بباب البصرة ومولده سنة اربع وستين واربعمائة وقام فى منصبه ولده عبد الرحيم وفيها توفى مسعود بن بلال شحنة بغداد وسار السلطان عنها وفيها كان بالعراق جراد كثير أمحل اكثر البلاد وفيها ورد العبادى الواعظ رسولا من السلطان سنجر الى الخليفة ووعظ ببغداد وكان له قبول بها وحضر مجلسه السلطان مسعود فمن دونه واما العامة فانهم كانوا يتركون أشغالهم لحضورهم مجلسه والمسابقة اليه وفيها بعد قتل الشهيد زنكى بن آقسنقر قصد صاحب دمشق حصن بعلبك وحصره وكان به نجم الدين أيوب بن شاذى فخاف ان اولاد زنكى لا يمكنهم انجاده بالعاجل فصالحه وسلم القلعة اليه واخذ منه اقطاعا ومالا وملكه عشر قرى من بلاد دمشق وانتقل أيوب الى دمشق فسكنها واقام بها وفى هذه السنة فى ربيع الآخر توفى عبد الله بن على بن أحمد المقرى ابن بنت الشيخ أبى منصور ومولده فى شعبان سنة اربع وستين واربعمائة وكان مقرئا نحويا محدثا وله تصانيف فى القراآت

(ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وخمسمائة)

(ذكر قتل بوزابة)

المراكب وما حصل بينهم وبين ابنه تاوسوزن باشا من المكالمات فلم يزل الواقفين فى بيوتهم ببولاق ومصر والامر بينهم وبين الباشا على السكوت نحو العشرين يوما وامرهم فى ارتجاج واضطراب وعساكرهم مجتمعة حولهم ثم ان الباشا امر بقطع خرجهم وعلائفهم فعند ذلك تحققوا منه المقاطعة (وفى رابع عشرينه) ارسل اليهم علائفهم المنكسرة وقدرها الف وثمانمائة كيس جميعها ريالات فرانسه وامر بحملها على الجمال ووجه اليهم بالسفر فشرعوا فى بيع بلادهم وتعلقاتهم وضاق ذرعهم وتكدر طبعهم الى الغاية وعسر عليهم مفارقة ارض مصر وما صاروا فيه من التنعم والرفاهية والسيادة والامارة والتصرف فى الاحكام والمساكن العظيمة والزوجات والسرارى والخدم والعبيد والجوارى فان الاقل منهم له البيتان والثلاثة من بيوت الامراء ونسائهم اللاتى قتلت ازواجهن على أيديهم وظنوا ان البلاد صفت لهم حتى ان النساء المترفهات ذوات البيوت والايرادات والالتزامات صرن يعرضن انفسهن عليهم ليحتمين فيهم بعد ان كن يعففن ويانفن من ذكرهم فضلا عن قربهم (وفيه) ورد اغا قابجى من دار السلطنة وعلى يده مرسوم بالبشارة بمولد ولد للسلطان فعملوا له دوانا يوم الاحد رابع عشرينه وطلع الاغا المذكور فى موكب الى القلعة وقرئ ذلك المرسوم وصحبته الامراء وضربوا

شنكاو مدافع واستمروا على ذلك ثلاثة ايام في وقت كل أذان كايام الاعياد (وفي يوم الثلاثاء) مات احمد

بك وهو من عظماء الارنؤد وأركانهم وكان عند ما بلغه قطع خرج المذكورين ارسل الى الباشا يقول له اقطع خرجي واعطني علوفة عساكري وأسافر مع اخواني فأغضب الباشا واظهر الرأفة به فتغير طبعه وزاد قهره وعرض جسمه فارسل اليه الباشا حكيمه فسقاه شربة وقصده فمات من ليلته فخرجوا بجنازته من بولاق ودفنوه بالقرافة الصغرى وخرج أمامه صالح آغا وسليمان آغا وطاهر آغا وهم راكبون امامه وطوائف الارنؤد عدد كبير مشاة حوله

(واستهل شهر شعبان بيوم الاحد سنة ١٢٢٧)

في رابعه يوم الاربعاء الموافق لسابع مسرى القبطي اوفى النيل المبارك اذرعه ونزل الباشا في صبح يوم الخميس في جم غفير وعدة وافرة من العساكر وكسر السد بحضرته وحضرة القاضي وجرى الماء في الخليج ومنع المراكب من دخولها الخليج (وفي منتصفه) سافر سليمان آغا ومحو بك بعد ان قضوا اشغالهم وباعوا تعلقاتهم وقبضوا علائفهم (وفي يوم الخميس تاسع عشره) سافر صالح آغا قوج وصحبته نحو المائتين ممن اختارهم من عساكره الارنؤدية وتفرق عنه الباقون وانضموا الى حسن باشا واخيه عابدين بك وغيرهما (وفي يوم والحسين

لما اتصل بالامير بوزابة قتل عباس جمع عساكره من فارس وخوزستان وسار الى اصفهان فحصرها وسير عسكرا آخر الى همذان وعسكرا ثالثا الى قلعة الماهكي من بلد اللحف فاما عسكره بالماهكي فانه سار اليهم الامير البقش كون خر فدفعهم عن اعماله وكانت اقطاعه ثم ان بوزابة سار عن اصفهان يطلب السلطان مسعودا فراسله السلطان في الصلح فلم يجب اليه وسار مجدا فالتقيا بمرج قراتكين وتصافا فاقتتل العسكران فانهزم ميمنة السلطان مسعود وميسرته واقتتل القلبان أشد قتال واعظمه صبر فيه الفريقان وصار الحرب بينهما فسقط بوزابة عن فرسه بسهم أصابه وقيل بل عثر به الفرس فاخذ أسيرا وحمل الى السلطان فقتل بين يديه وانهزم أصحابه لما أخذ هو اسيرا وبلغت هزيمة العسكر السلطاني من الميمنة والميسرة الى همذان وخراسان وقتل من الفريقين خلق كثير وكان هذا الحرب من أعظم الحروب الكائنة بين الاعاجم

(ذكر طاعة أهل قابس للفرنج وغلبة المسلمين عليها)

كان صاحب مدينة قابس قبل هذه السنة انسان اسمه رشيد فتوفي وخلف اولادا فعمد مولى له اسمه يوسف الى ولده الصغير واسمه محمد فولاه الامر واخرج ولده الكبير معمرا واستولى يوسف على البلد وحكم على محمد لصغر سنه وجرى منه اشياء من التعرض الى حرم سيده والعهدة على ناقله وكان من جملتهن امرأة من بني قرة فارسلت الى اخوتها تشكو اليهم ما هي فيه فجاء اخوتها لاخذها فمنعهم منها وقال هذه حرمة مولاي ولم يسلمها فسار بنو قرة ومعمر بن رشيد الى الحسن صاحب افريقية وشكوا اليه ما يفعل يوسف فكاتبه الحسن في ذلك فلم يجبه وقال ان لم يكف الحسن عني والا سلمت قابس الى صاحب صقلية فجهز الحسن العسكر اليه فلما سمع يوسف بذلك ارسل الى رجار الفرنجي صاحب صقلية وبذل له الطاعة وقال له اريد منك خلعة وعهدا بولاية قابس لاكون نائبا عنك كما فعلت مع بني مطروح أصحاب طرابلس فسير اليه رجار الخلعة والعهد فلبسها وقرئ العهد بجمع الناس فجد حينئذ الحسن في تجهيز العسكر الى قابس فساروا اليها ونازلوها وحصروها فثار أهل البلد بيوسف لما اعتمده من طاعة الفرنج وسلموا البلد الى عسكر الحسن وتحصن يوسف في القصر فقاتلوه حتى فتحوه واخذ يوسف أسيرا فتولى عذابه معمر بن رشيد وبنو قرة فقطعوا ذكره وجعلوه في فيه وعذب بانواع العذاب وولي معمر قابس مكان أخيه واخذ بنو قرة اختهم وهرب عيسى أخو يوسف وولد يوسف وقصدوا رجار صاحب صقلية فاستجاروا به وشكوا اليه ما لقوا من الحسن فغضب لذلك وكان ما نذكره سنة ثلاث واربعين وخمسمائة من فتح المهدية ان شاء الله تعالى وهذا الذي كان من يوسف والله أعلم

(ذكر حادثة ينبغي ان يحتاط العاقل من مثلها)

كان هذا يوسف صاحب قابس قد ارسل رسولا الى رجار صاحب صقلية فاجتمع هو

الجمعة) برزت خيام الباشا الى خارج باب النصر وعزم على الخروج والسفر بنفسه الى الحجاز وقد اطمأن خاطره
عندما سافر الجماعة المذكورون
لانه لما قطع خرجهم ورواتبهم
وامرهم بالسفر جمعوا عساكرهم
اليهم وخيولهم واخذوا الدور
والبيوت ببولاق وسكنوها
وصارت لهم صورة هائلة
وكثرت القالة وتخوف الباشا
منهم وصار يذرونه على خاصته
وسفاشيته وغيرهم بالملازمة
والمبيت بالقلعة وغير ذلك
(وفى يوم السبت حادى
عشرينه) اجتمعت العساكر
والمحمل والموكب من باكر النهار
فكان اولهم طوائف الدلاة
ثم العساكر واكابرهم وحسن
باشا واخوه عابدين بك وهو
ماش على اقدامه فى طوائفه
امام الباشا ثم الباشا وكتخدا
بك واغواتهم الصقلية
وطوائفهم وخلفهم الطبلخانات
وعند ركوبه من القلعة ضربوا
عدة مدافع فكان مدة
مرورهم نحو خمس ساعات
وجروا امام الموكب ثمانية
عشر مدفعا وثلاث قنابر

(واستهل شهر رمضان بيوم الاثنين سنة ١٢٢٧)

فى رابع عشرينه وردت
هجانة مبشرون باستيلاء
الاتراك على عقبة الصفراء
والجديدة من غير حرب بل
بالمخادعة والمصالحة مع العرب
وتدبير شريف مكة ولم يجدوا
بها احدا من الوهابيين فعند
ما وصلت هذه البشارة ضربوا مدافع كثيرة ثلاث ليال من القلعة وظهر فيهم الفرح والسرور (وفى تلك الليلة)

والحسين رسول صاحب المهدية عنده فجرى بين الرسولين مناظرة فذكر رسول
يوسف الحسن ونال منه وذمه ثم انهما عادا فى وقت واحد وركبا البحر كل واحد منهما
فى مركبه فارسل رسول الحسن رقعة على جناح طائر يخبره بما كان من رسول يوسف
فسير الحسن جماعة من اصحابه فى البحر فاخذوا رسول يوسف واحضروه عند الحسن
فسبه وقال ملكت الفرنج بلاد الاسلام وطالت لسانك بذمى ثم اركبه جملا وعلى راسه
جلاجل وطيف به فى البلد ونودى عليه هذا جزاء من سعى ان يملك الفرنج بلاد المسلمين
فلما توسط المهدية ثار به العامة فقتلوه بالحجارة

(ذكر ملك الفرنج المرية وغيرها من الاندلس)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى حصر الفرنج مدينة المرية من الاندلس وضيقوا عليها
برا وبحرا فملكوها عنوة واكثروا القتل بها والنهب وملكوا ايضا مدينة شاطبة وولاية
جيان وكلها بالاندلس ثم استعادها المسلمون بعد ذلك منهم على ما نذكره ان شاء
الله تعالى

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكي عدة مواضع من بلاد الفرنج)

فى هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ففتح منه مدينة
ارتاح بالسيف ونهبها وحصر مابولة وبصرفوت وكفرلاثا وكان الفرنج بعد قتل والده
زنكي قد طمعوا وظنوا انهم بعده يستردون ما اخذه فلما رأوا من نور الدين هذا الجد
فى اول امره علموا ان ما املوه بعيد وخاب ظنهم واملهم

(ذكر اخذ الحلة من على بن دبيس وعوده اليها)

فى هذه السنة كثر فساد اصحاب على بن دبيس بالحلة وما جاورها وكثرت الشكاوى منه
فاقطع السلطان مسعود الحلة سلاركرد فسار اليها من همذان ومعه عسكر وانضاف
اليه جماعة من عسكر بغداد وقصدوا الحلة فجمع على عسكره وحشدوا والتقى العسكران
بمطيرباذ فانهزم على وملك سلاركرد الحلة واحتاط على اهل على ورجعت العساكر
واقام هو بالحلة ومماليكه واصحابه وسار على بن دبيس فلحق بالبقش كون خر وكان
باقطاعه فى اللحف متحيزا على السلطان فاستنجده فسار معه الى واسط واتفق هو
والطرنطاى وقصدوا الحلة فاستنقذوها من سلاركرد فى ذى الحجة وفارقها سلاركرد وعاد
الى بغداد

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى خطب للمستنجد بالله يوسف بن المقتفى لامر الله بولاية
العهد وفيها ولى عون الدين يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ببغداد وولى زعيم الدين
يحيى بن جعفر المخزن وفيها فى ربيع الاول مات ابو القاسم طاهر بن سعيد بن ابى
سعيد بن ابى الخير الميهنى شيخ رباط البسطامى ببغداد وفى ربيع الآخر توفيت فاطمة
خاتون بنت السلطان محمد زوجة المقتفى لامر الله وفى رجب منها مات ابو الحسن محمد بن

المظفر بن علي ابن المسلمة ابن رئيس الرؤساء ومولده سنة أربع وثمانين وكان قد تصوف وجعل داره التي في القصر رباطا للصوفية وفيها سار سيف الدين غازي بن زنكي الى قلعة دارا فملكها وغيرها من بلد ماردين ثم سار الى ماردين وحصرها وخرب بلدها ونهبه وكان سبب ذلك ان أتابك زنكي لما قتل تطاول صاحب ماردين وصاحب الحصن الى ما كان قد فتحه من بلادهما فاخذاه فلما ملك سيف الدين وتمكن سار الى ماردين وحصرها وفعل ببلدها الافاعيل العظيمة فلما رأى صاحبها وهو حينئذ حسام الدين تمرتاش ما يفعل في بلده قال كنا نشكو من أتابك الشهيد وأين ايامه لقد كانت اعيادا قد حصرنا غير مرة فلم يأخذ هو ولا احد من عسكره مخلاة تبن بغير ثمن ولا تعدى هو وعسكره حاصل السلطان وارى هذا ينهب البلاد ويخربها ثم راسله وصالحه وزوجه ابنته ورحل سيف الدين عنه وعاد الى الموصل وجهزت ابنة حسام الدين وسيرت اليه فوصلت وهو مريض قد اشفى على الموت فلم يدخل بها وبقيت عنده الى ان توفي وملك قطب الدين مودود فتزوجها على ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها اشتد الغلاء بافريقية ودامت ايامه فان اوله كان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وعظم الامر على اهل البلاد حتى اكل بعضهم بعضا وقصد أهل البوادي المدن من الجوع فاغلقها اهلها دونهم وتبعه وباء وموت كثير حتى خلت البلاد وكان اهل البيت لا يبقى منهم أحد وسار كثير منهم الى صقلية في طلب القوت ولقوا أمرا عظيما

(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة)

(ذكر ملك الفرنج مدينة المهدية بافريقية)

قد ذكرنا سنة احدى وأربعين وخمسمائة مسير أهل يوسف صاحب قابس الى رجار ملك صقلية واستغاثتهم به فغضب لذلك وكان بينه وبين الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب افريقية صلح وعهود الى مدة سنتين وعلم انه فاته فتح البلاد في هذه الشدة التي أصابتهم وكانت الشدة دوام الغلاء في جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين الى هذه السنة وكان اشد ذلك منه سنة اثنتين واربعين فان الناس فارقوا البلاد والقرى ودخل أكثرهم الى مدينة صقلية واكل الناس بعضهم بعضا وكثر الموت في الناس فاغتنم رجار هذه السنة فعمر الاسطول واكثر منه فبلغ نحو مائتين وخمسين شينيا مملوأة رجالا وسلاحا وقوتا وسار الاسطول عن صقلية ووصل الى جزيرة قوصرة وهي ما بين المهدية وصقلية فصادفوا بها مركبا وصل من المهدية فاخذ أهله واحضروا بين يدي جرجي مقدم الاسطول فسألهم عن حال افريقية ووجد في المركب قفص حمام فسألهم هل ارسلوا منها فحلفوا بالله انهم لم يرسلوا شيئا فامر الرجل الذي كان الحمام صحبته ان يكتب بخطه اننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الاسطول المخذول فذكروا انه اقلع الى جزائر القسطنطينية واطلق الحمام فوصل الى المهدية فسر الامير الحسن والناس واراد جرجي بذلك ان يصل بغتة ثم سار

حضر لخداغا الاظ حاكم قنلمو نواحيها وكان من خبره انه لما وصلت اليه الحجاج الذين سافروا في الشهر الماضي وهم صالح اغا وسليمان اغا وجوبك ومن معهم واجتمعوا على المذكور فشكوا له ما حصل لهم وانهم اذا وصلوا الى مصر ووجدوا الباشا منحرفا منهم او امرهم بالخروج والعود الى الحجاز امتنعوا عليه وخالفوه وان قطع خرجهم واعطاهم علائفهم بارزوه ونابذوه وحاربوه واتفق احمد اغا المذكور معهم على ذلك وانه متى حصل هذا المذكور ارسلوا اليه فياتيهم على الفور بعسكره وجنده وينضم اليه الكثير من المقيمين بمصر من طوائف الارنؤد كعابدين بك وحسن باشا وغيرهم بعساكرهم لاتحاد الجنسية فلما حصل وصول المذكورين وقطع الباشا رواتبهم وخرجهم واعطاهم علائفهم المنكسرة وامرهم بالسفر ارسلوا لاحمد اغا لاظ المذكور بالحضور بحكم اتفاقهم معه فتقاعس واحب ان يبدي لنفسه عذرا في شقاقه مع الباشا فارسل اليه مكتوبا يقول له فيه انك كنت قطعت خرج اخواني وعزمت على سفرهم من مصر واخراجهم منها فاقطع ايضا خرجي ودعني اسافر معهم فاخفى الباشا تلك المكاتبة واخر ورود الرسول ويقال له الجالمه بالضرره فيما بينهم حتى اعطى للمذكورين علائفهم على الكامل ودفع لصالح اغا كل

وقدر

وقدر وصولهم الى المهدية وقت السحر ليحيط بها قبل ان يخرج اهلها فلو تم له ذلك
لم يسلم منهم احد فقدر الله تعالى أن ارسل عليهم ريحا هائلا فلم يقدروا على السير الا
بالمقاذيف فطلع النهار ثاني صفر من هذه السنة قبل وصولهم فرآهم الناس فلما رأى
جرجى ذلك وان الخديعة فاتته ارسل الى الامير الحسن يقول انما جئت بهذا الاسطول
طالبا بثار محمد بن رشيد صاحب قابس ورده اليها واما انت فبيننا وبينك عهود
وميثاق الى مدة ونريد منك عسكرا يكون معنا فجمع الحسن الناس من الفقهاء والاعيان
وشاورهم فقالوا نقاتل عدونا فان بلدنا حصين فقال اخاف ان ينزل الى البر ويحصرنا برا
وبحرا ويحول بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما يقوتنا شهرا فنؤخذ قهرا وانا ارى سلامة
المسلمين من الاسر والقتل خيرا من الملك وقد طلب مني عسكرا الى قابس فان فعلت فما
يحل لي معونة الكفار على المسلمين وان امتنعت يقول انتقض ما بيننا من الصلح وليس
يريد الا ان يثبطنا حتى يحول بيننا وبين البر وليس لنا بقتاله طاقة والراى ان نخرج
بالاهل والولد وننزل عن البلد فمن اراد ان يفعل كفعلنا فليبادر معنا وامر في الحال
بالرحيل واخذ معه من حضره وما خف حمله وخرج الناس على وجوههم باهليهم
واولادهم وما خف من اموالهم واثاثهم ومن الناس من اختفى عند النصارى وفي
الكنائس وبقي الاسطول في البحر تمنعه الريح من الوصول الى المهدية الى ثلثي النهار فلم
يبق في البلد ممن عزم على الخروج احد فوصل الفرنج ودخلوا البلد بغير مانع ولا دافع
ودخل جرجى القصر فوجده على حاله لم ياخذ الحسن منه الا ما خف من ذخائر الملوك
وفيه جماعة من حظاياه ورأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة وكل شيء غريب يقل
وجود مثله فختم عليه وجمع سرارى الحسن من قصره وكان عدة من ملك منهم من
زيرى بن مناد الى الحسن تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائة سنة وثمانين سنة من احدى
وستين وثلثمائة الى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وكان بعض القواد قد ارسله الحسن
الى رجار برسالة فاخذ لنفسه ولاهله منه امانا فلم يخرج معهم ولما ملك المدينة نهبت
مقدار ساعتين ونودى بالامان فخرج من كان مستخفيا واصبح جرجى من الغد فارسل
الى من قرب من العرب فدخلوا اليه فاحسن اليهم واعطاهم اموالا جزيلة وارسل من
جند المهدية الذين تخلفوا بها جماعة ومعهم امان لاهل المهدية الذين خرجوا منها ودواب
يحملون عليها الاطفال والنساء وكانوا قد اشرفوا على الهلاك من الجوع ولهم بالمهدية
خبايا وودائع فلما وصل اليهم الامان رجعوا فلم يمض غير جمعة حتى رجع اكثر اهل
البلد واما الحسن فانه سار باهله واولاده وكانوا اثني عشر ولدا ذكرا غير الاناث وخواص
خدمه قاصدا الى محرز بن زياد وهو بالمعلقة فلقيه في طريقه امير من العرب يسمى
حسن بن ثعلب فطلب منه مالا انكسر له في ديوانه فلم يمكن الحسن اخراج مال لئلا
يؤخذ فسلم اليه ولده يحيى رهينة وسار فوصل في اليوم الثاني الى محرز وكان الحسن قد
فضله على جميع العرب واحسن اليه ووصله بكثير من المال فلقيه محرز لقاء جميلا
وتوجع لما حل به فاقام عنده شهورا والحسن كاره للاقامة فاراد المسير الى ديار مصر الى

عاما طلبه وادّه حتى انه كان انشأ مسجدا بساحل بولاق بجوار داره و بنى له منارة
ظريفة واشترى له عقارا
وأمكنة ووقفها على مصالح ذلك
المسجد وشعائره فدفع له
الباشا جميع ما صرفه عليه
وثمن العقار وغيره ولم يترك
لهم طالبة يحتجون بها في
التاخير واعطى الكثير من
رواتبهم لحسن باشا وعابدين
بك أخيه فمالوا عنهم وفارقهم
الكثير من عسكرهم وانضموا
الى اجناسهم المقيمين عند حسن
باشا واخيه فرتبوا لهم العلائف
معهم واكثرهم مستوطنون
ومتزوجون بل ومتناسلون
ويصعب عليهم مفارقة الوطن
وما صاروا فيه من التنعم ولا
يهون بمطلق الحيوان استبدال
النعيم بالجحيم ويعلمون عاقبة
ماهم صائرون اليه لانه فيما
بلغنا ان من سافر منهم الى
بلاده قبض عليه حاكمها
واخذ منه ما معه من المال
الذي جمعه من مصر وما معه
من المتاع واودعه السجن
ويفرض عليه قدرا فلا
يطلقه حتى يقوم بدفعه على
ظن ان يكون اودع شيئا عند
غيره فيشترى نفسه به او
يشتريه اقاربه او يرسل الى
مصر مراسلة لعشيرته واقاربه
فتاخذهم عليه الغيرة
فيرسلون له ما فرض عليه
ويفتدونه والا فيموت بالسجن
او يطلق مجردا او يرجع
الى حالته التي كان عليها في
السابق من الخدم الممتهنة
والاحتطاب من الجبل والتكسب بالصنائع الدنيئة ببيع الاسقاط والكروش

الخليفة الحافظ العلوي واشترى مركبا لسفره فسمع جرجي الفرنجي فجهز شواني لياخذه
فعاد الحسن عن ذلك وعزم على المسير الى عبد المؤمن بالمغرب فارسل كبار اولاده يحيي
وعليا وعليا الى يحيي بن العزيز وهو من بني حماد وهما الاولاد عم يستاذنه في الوصول
اليه وتجديد العهد به والمسير من عنده الى عبد المؤمن فاذن له يحيي فسار اليه فلما وصل
لم يجتمع به يحيي وسيره الى جزيرة بني مزغنان هو واولاده ووكل به من يمنعهم من
التصرف فبقوا كذلك الى ان ملك عبد المؤمن بجاية سنة سبع واربعين فحضر عنده
وتذكر حاله هناك ولما استقر جرجي بالمهدية سير اسطولا بعد اسبوع الى مدينة
سفاقس وسير اسطولا آخر الى مدينة سوسة فاما سوسة فان اهلها لما سمعوا خبر المهدية
وكان واليها علي بن الحسن الامير خرج الى ابيه وخرج الناس لخروجه فدخلها
الفرنج بلا قتال ثاني عشر صفر واما سفاقس فان اهلها اتاهم كثير من العرب فامتنعوا
بهم فقاتلهم الفرنج فخرج اليهم اهل البلد فاظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى
ابعدوا من البلد ثم عطفوا عليهم فانهزم قوم الى البلد وقوم الى البرية وقتل منهم
جماعة ودخل الفرنج البلد فملكوه بعد قتال شديد وقتلى كثيرة واسر من بقي من الرجال
وسبي الحريم وذلك في الثالث والعشرين من صفر ثم نودي بالامان فعاد اهلها اليها
وافتكوا حرمهم واولادهم ورفق بهم وباهل سوسة والمهدية وبعد ذلك وصلت كتب
من رجار لجميع اهل افريقية بالامان والمواعيد الحسنة ولما استقرت احوال البلاد
سار جرجي في اسطول الى قلعة اقليبية وهي قلعة حصينة فلما وصل اليها سمعت به العرب
فاجتمعوا اليها ونزل اليهم الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم خلق كثير فرجعوا
خاسرين الى المهدية وصار للفرنج من طرابلس الغرب الى قريب تونس ومن المغرب
الى دون القيروان والله أعلم

(ذكر حصر الفرنج دمشق وما فعل سيف الدين غازي بن زنكي)

في هذه السنة سار ملك الالمان من بلاده في خلق كثير وجمع عظيم من الفرنج عازما على
قصد بلاد الاسلام وهو لا يشك في ملكها بايسر قتال لكثرة جموعه وتوفر امواله وعدده
فلما وصل الى الشام قصده من به من الفرنج وخدموه وامتثلوا امره ونهيه فامرهم بالمسير
معه الى دمشق ليحصرها و يملكها بزعمه فساروا معه ونازلوها وحصروها وكان صاحبها
مجير الدين ابق بن محمد بن بوري بن طغدكين وليس له من الامر شئ وانما الحكم في البلد
لمعين الدين انز مملوك جده طغدكين وهو الذي اقام مجير الدين وكان معين الدين عاقلا
عادلا خيرا حسن السيرة فجمع العساكر وحفظ البلد واقام الفرنج يحاصرونهم ثم انهم
زحفوا سادس ربيع الاول بفارسهم وراجلهم فخرج اليهم اهل البلد والعسكر فقاتلوهم
وصبروا لهم وفيمن خرج للقتال الفقيه حجة الدين يوسف بن ذي باس الفندلاوي المغربي
وكان شيخا كبيرا فقيها صالحا فلما رآه معين الدين وهو راجل قصده وسلم عليه وقال له
ياشيخ أنت معذور لكبر سنك ونحن نقوم بالذب عن المسلمين وساله أن يعود فلم يفعل

والمؤاجرة في حمل الامتعة ونحو ذلك فلذلك يختارون الاقامة ويتركون مخاديمهم خصوصا والخسة من طباعهم

هذا والباشا يستحث صالح
اغا ورفقاءه في الرحيل بحيث
لم يبق له عذر في التاخير فعند
ما نزلوا الى المراكب وانحدروا
في النيل احضر الباشا الجا
المذكور وهو عبارة عن
الافندي المخصوص بكتابة
سره وايراده ومصرفه واعطاه
جواب الرسالة بمضمونها
تطمينه وتامينه ويذكر له انه
صعب عليه وتاثر من طلبه
المقاطعة وطلبه المفارقة
وعدد له اسباب انحرافه عن
صالح اغا ورفقائه وما
استوجبوه ما حصل لهم من
الاخراج والابعاد واما هو فلم
يحصل منه ما يوجب ذلك وانه
باق على ما يعهده من المودة
والمحبة فان كان ولابد من
قصده وسفره فهو لا يمنعه
من ذلك فياتي بجميع
اتباعه ويتوجه بالسلامة
اينما شاء والا بان صرف عن
نفسه هذا الهاجس فليحضر
في القنجة في قلة ويترك وطاقه
واتباعه ليواجهه ويتحدث
معه في مشورته وانتظام
اموره التي لا يحملها هذا
الكتاب و يعود الى محل
ولايته وحكمه مكرما فراج
عليه ذلك التمويه وركن الى
زخرف القول وظن ان الباشا
لا يصله بمكروه ولا يواجهه
بقبيح من القول فضلا عن
الفعل لانه كان عظيما فيهم ومن الرؤساء المعدودين صاحب همة وشهامة واقدام جسورا في الحروب

وقال

وقال له قد بعت واشتري مني فوالله لا اقلته ولا استقلته يعني قول الله تعالى ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وتقدم فقاتل الفرنج حتى قتل عند النيرب نحو نصف فرسخ عن دمشق وقوي الفرنج وضعف المسلمون فتقدم ملك الالمان حتى نزل بالميدان الاخضر فايقن الناس بانه يملك البلد وكان معين الدين قد ارسل الى سيف الدين غازي بن اتابك زنكي يدعوه الى نصرة المسلمين وكف العدو عنهم فجمع عساكره وسار الى الشام واستصحب معه اخاه نور الدين محمودا من حلب فنزلوا بمدينة حمص وارسل الى معين الدين يقول له قد حضرت ومعي كل من يحمل السلاح من بلادي فاريد ان يكون نوابي بمدينة دمشق لاحضر والقي الفرنج فان انهزمت دخلت انا وعسكري البلد واحتمينا به وان ظفرنا فالبلد لكم لا ينازعكم فيه احد فارسل الى الفرنج يتهددهم ان لم يرحلوا عن البلد فكف الفرنج عن القتال خوفا من كثرة الجراح وربما اضطروا الى قتال سيف الدين فابقوا على نفوسهم فقوي اهل البلد على حفظه واستراحوا من ملازمة الحرب وارسل معين الدين الى الفرنج الغرباء يقول لهم ان ملك المشرق قد حضر فان رحلتم والا سلمت البلد اليه وحينئذ تندمون وارسل الى فرنج الشام يقول لهم باي عقل تساعدون هؤلاء علينا وانتم تعلمون انهم ان ملكوا دمشق اخذوا ما بايديكم من البلاد الساحلية واما انا فان رايت الضعف عن حفظ البلد سلمته الى سيف الدين وانتم تعلمون انه ان ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام في الشام فاجابوه الى التخلي عن ملك الالمان وبذل لهم تسليم حصن بانياس اليهم واجتمع الساحلية بملك الالمان وخوفوه من سيف الدين وكثرة عساكره وتتابع الامداد اليه وانه ربما اخذ دمشق وتضعف عن مقاومته ولم يزالوا به حتى رحل عن البلد وتسلموا قلعة بانياس وعاد الفرنج الالمانية الى بلادهم وهي بزوراء القسطنطينية وكفى الله المؤمنين شرهم وقد ذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق ان بعض العلماء حكى له انه راى الفندلاوي في المنام فقال له ما فعل الله بك واين انت فقال غفر لي وانا في جنات عدن على سرر متقابلين

(ذكر ملك نور الدين محمود بن زنكي حصن العريمة)

لما سار الفرنج عن دمشق رحل نور الدين الى حصن العريمة وهو للفرنج فملكه وسبب ذلك ان ملك الالمان لما خرج الى الشام كان معه ولد الفنش صاحب طليطلة وهو من اولاد اكابر ملوك الفرنج وكان جده هو الذي اخذ طرابلس الشام من المسلمين فاخذ حصن العريمة وملكه واظهر انه يريد اخذ طرابلس من القمص فارسل القمص الى نور الدين محمود وقد اجتمع هو ومعين الدين انر ببعلبك يقول له ولمعين الدين ليقصدا حصن العريمة ويملكاه من ولد الفنش فسارا اليه مجدين في عساكرهما وارسلا الى سيف الدين وهو بحمص يستنجدانه فامدهما بعسكر كثير مع الامير عز الدين ابي بكر الدبيسي صاحب جزيرة ابن عمر وغيرها فنازلوا الحصن وحصروه وبه ابن الفنش وامتنع به

والخطوب وهو الذي مهد البلاد القبلية واخلاها من الاجناد المصرية فلما خلت الديار منهم واستقر هو بقنا وقوص وهو مطلق التصرف وصالح اغا قوج بالاسيوطية ثم ان الباشا وجه صالح اغا الى الحجاز وقلد ابنه ابراهيم باشا ولاية الصعيد فكان يناقض عليه احمد اغا المذكور في افعاله ويمانعه التعدي على اطيان الناس وارزاق الاوقاف والمساجد ويحل عقد ابراماته فيرسل الى ابيه بالاخبار فيحقد ذلك في نفسه ويظهر خلافه ويتغافل واحمد اغا المذكور على جليته وخلوص نيته فلما وصلته الرسالة اعتقد صدقه وبادر بالحضور في قلة من اتباعه حسب اشارته وطلع الى القلعة ليلة السبت وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فعبر عند الباشا وسلم عليه فحادثه وعاتبه ونقم عليه اشياء وهو يجاوبه ويرادده حتى ظهر عليه الغيظ فقام كتخدا بك وابراهيم اغا فاخذاه وخرجا من عند الباشا ودخلا الى مجلس ابراهيم اغا وجلسوا يتحدثون وصار الكتخدا وابراهيم اغا يلاطفان معه القول واشارا اليه بان يستمر معهما الى وقت السحور وسكون حدة الباشا فيدخلون اليه ويتسحرون معه فاجابهم الى رايهم وامر من كان بصحبته من العسكر وهم نحو الخمسين بالنزول الى محلهم فامتنع كبيرهم وقال لا اذهب واترك وحيدا فقال الكتخدا وما الذي يصيبه وهو همشري ومن

فزحف المسلمون اليه غير مرة وتقدم اليه النقابون فنقبوا السور فسقط فسلم حينئذ من به من الفرنج فملكه المسلمون واخذوا كل من به من فارس وراجل وصبي وامراة وفيهم ابن الفنش واخربوا الحصن وعادوا الى سيف الدين وكان مثل ابن الفنش كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بغير اذنين

(ذكر الخلف بين السلطان مسعود وجماعة من الامراء ووصولهم الى بغداد وما كان منهم بالعراق)

في هذه السنة فارق السلطان مسعود جماعة من اكابر الامراء وهم من اذربيجان ايلدكز المسعودي صاحب كنجة وارانية وقيصر ومن الجبل البقش كون خر وتتر الحاجب وهو مسعودي ايضا وطرنطاي المحمودي شحنة واسط والدكز وقرقوب وابن طغايرك وكان سبب ذلك ميل السلطان الى خاص بك واطراحه لهم فخافوا ان يفعل بهم مثل فعله بعبد الرحمن وعباس وبوزابة ففارقوه وساروا نحو العراق فلما بلغوا حلوان خاف الناس ببغداد واعمال العراق وغلت الاسعار وتقدم الامام المقتفي لامر الله باصلاح السور وترميمه وارسل الخليفة اليهم بالعبادي الواعظ فلم يرجعوا الى قوله ووصلوا الى بغداد في ربيع الآخر والملك محمد ابن السلطان محمود معهم ونزلوا بالجانب الشرقي وفارق مسعود بلال شحنة بغداد البلد وخاف من الخليفة وسار الى تكريت وكانت له فعظم الامر على اهل بغداد ووصل اليهم علي بن دبيس صاحب الحلة فنزل بالجانب الغربي فجند الخليفة اجنادا يحتمي بهم ووقع القتال بين الامراء وبين عامة بغداد ومن بها من العساكر واقتتلوا عدة دفعات ففي بعض الايام انهزم الامراء الاعاجم من عامة بغداد مكرا وخديعة وتبعهم العامة فلما ابعدوا عادوا عليهم وصار بعض العسكر من ورائهم ووضعوا السيف فقتل من العامة خلق كثير ولم يبقوا على صغير ولا كبير وفتكوا فيهم فاصيب اهل بغداد بما لم يصابوا بمثله وكثر القتلى والجرحى واسر منهم خلق كثير فقتل البعض وشهر البعض ودفن الناس من عرفوا ومن لم يعرف ترك طريحا بالصحراء وتفرق العسكر في المحال الغربية فاخذوا من اهلها الاموال الكثيرة ونهبوا بلد دجيل وغيره واخذوا النساء والولدان ثم ان الامراء اجتمعوا ونزلوا مقابل التاج وقبلوا الارض واعتذروا وترددت الرسل بينهم وبين الخليفة الى آخر النهار وعادوا الى خيامهم ورحلوا الى النهروان فنهبوا البلاد وافسدوا فيها وعاد مسعود بلال شحنة بغداد من تكريت الى بغداد ثم ان هؤلاء الامراء تفرقوا وفارقوا العراق وتوفي الامير قيصر باذربيجان هذا كله والسلطان مسعود مقيم ببلد الجبال والرسل بينه وبين عمه السلطان سنجر متصلة وكان السلطان سنجر قد ارسل اليه يلومه على تقديم خاص بك ويامره بابعاده ويتهدده بانه ان لم يفعل يقصده ويزيله عن السلطنة وهو يغالط ولا يفعل فسار السلطان سنجر الى الري فلما علم السلطان مسعود بوصوله سار اليه وترضاه واستنزله عما في نفسه فسكن وكان اجتماعهما سنة اربع واربعين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

ذكر

بلدي وان أصيب بشئ كنت ٦٠ أنا قبله فعند ذلك نزلوا وفارقوه وبقي عنده من لا يستغنى عنه في الخدمة فعند ذلك أتاه من يستدعيه الى الباشا فلما كان خارج المجلس قبضوا عليه واخذوا سيفه وسلاحه ونزلوا به الى تحت سلم الركوب وأشعل الضوى المشعل وأداروا كتافه ورموا رقبته ورفعوه في الحال وغسلوه وكفنوه ودفنوه وذلك في سادس ساعة من الليل واصبح الخبر شائعا في المدينة واحضر الباشا الخازندار وطولب بالتعريف عن أمواله وودائعه وعين في الحال باشجاويش ليذهب الى قناويختم على داره ويضبط ماله من الغلال والاموال وطلبت الودائع من هي عنده التي استدلوا عليها بالاوراق فظهر له ودائع في عدة أماكن وصناديق مال وغير ذلك ولم يتعرض لمنزله ولا لحريمه

(واستهل شهر شوال بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٧)

في رابعه يوم السبت قدم قابجي من اسلامبول وعلى يده مقرر للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ومعه فروة لخصوص الباشا فلما وصل الى بولاق فنزل كتخدا بك لملاقاته فركب في موكب جليل وخلفه النوبة التركية وشق من وسط البلد وصعد الى القلعة وحضر الاشياخ واكابر دولتهم وقرئ المرسوم بحضرة الجميع فلما انقضى الديوان ضربوا عدة مدافع من القلعة (وفيه) البس شيخ السادات ابن أخيه سيدي احمد خلعة وتاجا وجعله وكيلا

(ذكر انهزام الفرنج بيغرى)

في هذه السنة هزم نور الدين محمود بن زنكي الفرنج بمكان اسمه يغرى من ارض الشام وكانوا قد تجمعوا ليقصدوا اعمال حلب ليغيروا عليها فعلم نور الدين فسار اليهم في عسكره فالتقوا بيغرى واقتتلوا قتالا شديدا اجلت المعركة عن انهزام الفرنج وقتل كثير منهم وأسر جماعة من مقدميهم ولم ينج من ذلك الجمع الا القليل وارسل من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم وفي هذه الوقعة يقول ابن القيسراني في قصيدته التي اولها

يا ليت ان الصد مصدود * اولا فليت النوم مردود

ومنها ما هو في ذكر نور الدين

وكيف لا يثني على عيشنا الـ * محمود والسلطان محمود
وصارم الاسلام لا ينثني * الا وشلو الكفر مقدود
مكارم لم تك موجودة * الا ونور الدين موجود
وكم له من وقعة يومها * عند ملوك الكفر مشهود

(ذكر ملك الغورية غزنة وعودهم عنها)

في هذه السنة قصد سوري بن الحسين ملك الغور مدينة غزنة فملكها وسبب ذلك ان اخاه ملك الغورية قبله محمد بن الحسين كان قد صاهر بهرام شاه مسعود بن ابراهيم صاحب غزنة وهو من بيت سبكتكين فعظم شانه بالمصاهرة وعلت همته فجمع جموعا كثيرة وسار الى غزنة ليملكها وقيل انما سار اليها مظهرا الخدمة والزيارة وهو يريد المكر والغدر فعلم به بهرام شاه فاخذه وسجنه ثم قتله فعظم قتله على الغورية ولم يمكنهم الاخذ بثاره ولما قتل ملك بعده اخوه سام بن الحسين فمات بالجدري وملك بعده أخوه الملك سوري بن الحسين بلاد الغور والله اعلم وقوي أمره وتمكن في ملكه فجمع عسكره من الفارس والراجل وسار الى غزنة طالبا بثار أخيه المقتول وقاصدا ملك غزنة فلما وصل اليها ملكها في جمادى الاولى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند وجمع جموعا كثيرة وعاد الى غزنة وعلى مقدمته السلار الحسين وابراهيم العلوي امير هندوستان وكان عسكر غزنة الذين اقاموا مع سوري بن الحسين الغوري قد خدموه وقلوبهم مع بهرام شاه وانما هم بظواهرهم مع سوري فلما التقى سوري وبهرام شاه رجع عسكر غزنة الى بهرام شاه وصاروا معه وسلموا اليه سوري ملك الغورية وملك بهرام شاه غزنة في المحرم سنة أربع وأربعين وصلب الملك سوري مع السيد الماهياني في المحرم ايضا من السنة وكان سوري احد الاجواد له الكرم الغزير والمروأة العظيمة حتى انه كان يرمي الدراهم في المقاليع الى الفقراء لتقع بيد من تقع ومن يتفق له ثم عاود الغورية وملكوها وخربوها وقد ذكرناه سنة سبع وأربعين وذكرنا هنالك ابتداء دولة الغورية لانهم في ذلك الوقت عظم محلهم وفارقوا الجبال وقصدوا خراسان

عنه في نقابة الاشراف وأركبه فرسا بعباءة ومشى امامه أيضا الجاويشية المختصين بنقيب الاشراف وأمره بأن يذهب الى الباشا ويقابله ليخلع عليه وارسل صحبته محمد افندي فقال مبارك واشار اليه محمد افندي بان يخلع عليه فروة فقال الباشا ان عمي جعله نائبا عنه ووكيلا فالبس له عندي تلبيس لانه لم يتقلدها بالاصالة من عندي فقام ونزل من غير شيء الى داره بجوار المشهد الحسيني (وفي يوم الخميس ثالث عشرينه) سافر مصطفى بك دالي باشا بجميع الدلاة وغيرهم من العسكر الى الحجاز وحصل للناس في هذا الشهر عدة كربات منها وهو اعظمها عدم وجود الماء العذب وذلك في وقت النيل وجريان الخليج من وسط المدينة حتى كاد الناس يموتون عطشا وذلك بسبب اخذهم الحمير لسخره والرجال لخدمة العسكر المسافرين وغلوهم القرب التي تشترى لنقل الماء فان الباشا اخذ جميع القرب الموجودة بالوكالة عند الجمالية وما كان بغيرها ايضا حتى ارسل الى القدس والخليل فاحضر جميع ما كان بهما وبلغت الغاية في غلو الاثمان حتى بيعت القربة الواحدة التي كان ثمنها مائة وخمسين نصفا بالف وخمسمائة نصف ويأخذون ايضا الجمال التي تنقل الماء بالروايا الى الاسبلة والصهاريج وغيرهما من الخليج فامتنع الجميع عن السراح والخروج واحتاج العسكر ايضا الى الماء فوقفوا

وعلا شانهم وفى بعض الخلف كما ذكرناه والله أعلم

(ذكر ملك الفرنج مدنا من الاندلس)

فى هذه السنة ملك الفرنج بالاندلس مدينة طرطوشة وملكوا معها جميع قلاعها وحصون لاردة وافراغة ولم يبق للمسلمين فى تلك الجهات شئ الا واستولى الفرنج على جميعه لاختلاف المسلمين بينهم وبقى بايديهم الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة توفى ابو بكر المبارك بن الكامل بن أبى غالب البغدادى المعروف أبوه بالخفاف سمع الحديث الكثير وكان مفيد بغداد وفيها غلت الاسعار بالعراق وتعذرت الاقوات بسبب العسكر الوارد وقدم اهل السواد الى بغداد منهزمين قد أخذت أموالهم وهلكوا جوعا وعريا وكذلك أيضا كان الغلاء فى أكثر بلاد خراسان وبلاد الجبل واصفهان وديار فارس والجزيرة والشام واما المغرب فكان اشد غلاء بسبب انقطاع الغيث ودخول العدو اليها وفيها توفى ابراهيم بن نبهان الرقى ومولده سنة تسع وخمسين وأربعمائة وصحب الغزالى والشاشى وروى الجمع بين الصحيحين للحميدى عن مصنفه وفيها فى ذى القعدة توفى الامام ابو الفضل الكرمانى الفقيه الحنفى امام خراسان

(ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة سيف الدين غازى بن اتابك زنكى وبعض سيرته وملك اخيه قطب الدين)

فى هذه السنة توفى سيف الدين غازى بن اتابك زنكى صاحب الموصل بها بمرض حاد ولما اشتد مرضه أرسل الى بغداد واستدعى أوحد الزمان فحضر عنده فرأى شدة مرضه فعالجه فلم ينجع فيه الدواء وتوفى أواخر جمادى الآخرة وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوما وكان حسن الصورة والشباب وكانت ولادته سنة خمسمائة ودفن بالمدرسة التى بناها بالموصل وخلف ولدا ذكرا فرباه عمه نور الدين محمود واحسن تربيته وزوجه ابنة أخيه قطب الدين مودود فلم تطل أيامه وتوفى فى عنفوان شبابه فانقرض عقب سيف الدين وكان كريما شجاعا عاقلا وكان يصنع كل يوم لعسكره طعاما كثيرا بكرة وعشية فاما الذى بكرة فيكون مائة رأس غنم جيدة وهو اول من حمل على رأسه السنجق وأمر الاجناد ان لا يركبوا الا بالسيف فى أوساطهم والدبوس تحت أركبهم فلما فعل ذلك أقتدى به أصحاب الاطراف وبنى المدرسة الاتابكية العتيقة بالموصل وهى من أحسن المدارس ووقفها على الفقهاء الحنفية والشافعية وبنى رباطا للصوفية بالموصل أيضا على باب المشرعة ولم تطل ايامه ليفعل ما فى نفسه من الخير وكان عظيم الهمة ومن جملة كرمه انه قصده شهاب الدين الحيص بيص وامتدحه بقصيدته التى أولها

بالطرق يرصدون مرور السقائين او غيرهم من الفقراء والذين ينقلون الماء بالبلاليص والجرار على رؤسهم فيوجد على كل مورده من الموارد عدة من العسكر وهم واقفون بالاسلحة ينتظرون من يستقى من السقائين أوغيرهم فكان الخدم والنساء والفقراء والبنات والصبيان ينقلون بطول النهار والليل بالاوعية الكبيرة والصغيرة على رؤسهم بمقدار ما يكفيهم للشرب وبيعت القربة الواحدة بخمسة عشر نصف فضة وأكثر وشح وجود اللحم وقلاف الثمن زيادة على غلو سعره المستمر حتى بيع بثمانية عشر نصف فضة كل رطل هذا ان وجد والجاموسى الخفيط باربعة عشر وطلبوا للسفر طائفة من القبانية ومن الخبازين ومن ارباب الصنائع والحرف وشددوا عليهم الطلب فى أواخر الشهر فتغيبوا وهربوا فسمرت بيوتهم وحوانيتهم وكذلك الخبازون والفرانون بالطوابين والافران حتى عدم الخبز من الاسواق ولم يجد أصحاب البيوت فرنا يخبزون فيه عجينهم فمن الناس القادر على الوقود من يخبز عجينه فى داره أوعند جاره الذى يكون عنده فرن او عند بعض الفرانين الذى تكون فرنه بداخل عطفة مستورة خفية أوليلا من الخوف من العسكر والمرصدين لهم وكذلك عدم وجود التبن بسبب رصد العسكر فى الطرق لاخذ ما ياتى به الفلاحون الام

الام يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر

فوصله بالف دينار عين سوى الخام وغيرها ولما توفى سيف الدين غازى كان أخوه قطب الدين مقيما بالموصل فاتفق جمال الدين الوزير وزين الدين على أمير الجيش على تمليكه فاحضروه واستحلفوه وحلفوا له واركبوه الى دار السلطنة وزين الدين فى ركابه واطاعه جميع بلاد اخيه سيف الدين كالموصل والجزيرة ولما ملك تزوج الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش التى كان قد تزوجها اخوه سيف الدين وتوفى قبل الدخول بها وهى أم أولاد قطب الدين سيف الدين وعز الدين وغيرهما من أولاده

(ذكر استيلاء نور الدين على سنجار)

لما ملك قطب الدين مودود الموصل بعد أخيه سيف الدين غازى كان أخوه الاكبر نور الدين محمود بالشام وله حلب وحماة فكاتبه جماعة من الامراء وطلبوه وفيهن كاتبه المقدم عبد الملك والد شمس الدين محمد وكان حينئذ مستحفظا بسنجار فارسل اليه يستدعيه ليتسلم سنجار فسار جريدة فى سبعين فارسا من امراء دولته فوصل الى ماكسين فى نفر يسير قد سبق اصحابه وكان يوما شديد المطر فلم يعرفهم الذى يحفظ الباب فاخبر الشحنة ان نفرا من التركمان المجندين قد دخلوا البلد فلم يستتم كلامه حتى دخل نور الدين الدار على الشحنة فقام اليه وقبل يده ولحق به باقى اصحابه ثم سار الى سنجار فوصلها وليس معه غير ركابى وسلاحدار ونزل بظاهر البلد وارسل الى المقدم يعلمه بوصوله فرآه الرسول وقد سار الى الموصل وترك ولده شمس الدين محمدا بالقلعة فاعلمه بمسير والده الى الموصل واقام من لحق أباه بالطريق فاعلمه بوصول نور الدين فعاد الى سنجار فسلمها اليه فدخلها نور الدين وارسل الى فخر الدين قرا ارسلان صاحب الحصن يستدعيه اليه لمودة كانت بينهما فوصل اليه فى عسكره فلما سمع اتابك قطب الدين وجمال الدين وزين الدين بالموصل بذلك جمعوا عساكرهم وساروا نحو سنجار فوصلوا الى تل يعفر وترددت الرسل بينهم بعد ان كانوا عازمين على قصده بسنجار فقال لهم جمال الدين ليس من الرأى محاققته وقتاله فانا نحن قد عظمنا محله عند السلطان وما هو بصدده من الغزاة وجعلنا انفسنا دونه وهو يظهر للفرنج تعظيمنا وانه تبعنا ولا يزال يقول لهم ان كنتم كما يجب والا سلمت البلاد لصاحب الموصل وحينئذ يفعل بكم ويصنع فاذا لقيناه فان هزمناه طمع السلطان فينا ويقول هذا الذى كانوا يعظمونه ويحتمون به أضعف منهم وقد هزموه وان هو هزمنا طمع فيه الفرنج ويقولون ان الذين كان يحتمى بهم أضعف منه وقد هزمهم وبالجملة فهو ابن اتابك واشار بالصلح وسار هو اليه فاصطلح وسلم سنجار الى اخيه قطب الدين وسلم مدينة حمص والرحبة بارض الشام اليه وبقى الشام له وديار الجزيرة لاخيه واتفقا وعاد نور الدين الى حلب واخذ معه ما كان قد ادخره ابوه عماد الدين اتابك فيها من الخزائن وكانت كثيرة جدا

(ذكر وفاة الحافظ وولاية الظافر ووزارة ابن السلار)

من الارياف فيختطفونه قبل وصوله الى المدينة وحصل بسبب هذه الاحوال المذكورة شبكات ومشاجرات وضرب وقتل وتجريح أبدان ولولا خوف العسكر من الباشا وشدته عليهم حتى بالقتل اذا وصلت الشكوى اليه لحصل أكثر من ذلك *(واستهل شهر ذى القعدة بيوم الجمعة سنة ١٢٢٧)* فى سابعه يوم الخميس سافر الباشا هجانا الى السويس وصحبته حسن باشا (وفى يوم الجمعة خامس عشره) وصل مبشرون من ناحية الحجاز وهم أتراك على الهجن والخبر عنهم ان عساكرهم وصلوا الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها (وفى يوم الاحد سابع عشره) رجع الباشا من ناحية السويس الى مصر (وفيه) وردت أخبار لطائفة الفرنساوية وقنصلهم المقيم بمصر بان بونابارته وعساكر الفرنساوية زحفوا فى جمع عظيم على بلاد المسكوب ووقع بينهم حروب عظيمة فكانت الهزيمة على المسكوب وانكسروا كسرة قوية وكتبوا بذلك أوراقا ونسخها بحيطان دوائرهم وحاراتهم ولما حضر الباشا طلع اليه القنصل وأخبره بتلك الاخبار وأطلعه على الكتب الواردة من بلادهم (وفى ليلة الثلاثاء) عدى الباشا الى بر الجيزة وأمر بخروج العساكر الى البر الغربى وعدى أيضا كتخدا بك وذلك بسبب ان عربان أولاد على نزلوا بناحية الفيوم بجمع عظيم وأكلوا

فى هذه السنة زلزلت الارض زلزلة عظيمة فقيل ان جبلا مقابل حلوان ساخ فى الارض وفيها ولى ابو المظفر يحيى بن هبيرة وزارة الخليفة المقتفى لامر الله وكان قبل ذلك صاحب ديوان الزمام وظهر له كفاية عظيمة عند نزول العساكر بظاهر بغداد وحسن قيام فى ردهم فرغب الخليفة فيه فاستوزره يوم الاربعاء رابع ربيع الآخر سنة اربع واربعين وكان القمر على تربيع زحل فقيل له لو أخرت لبس الخلعة لهذه التربيعات فقال واى سعادة اكبر من وزارة الخليفة ولبسها ذلك اليوم وفيها فى المحرم توفى قاضى القضاة على بن الحسين الزينبى وولى القضاء عماد الدين ابو الحسن على بن أحمد الدامغانى وفيها فى المحرم رخصت الاسعار بالعراق وكثرت الخيرات وخرج اهل السواد الى قراهم وفيها توفى الامير نظر امير الحاج وكان قد سار بالحاج الى الحلة فمرض واشتد مرضه واستخلف على الحاج قايماز الارجوانى وعاد الى بغداد مريضا فتوفى فى ذى القعدة وكان خصيا عاقلا خيرا له معروف كثير وصدقات وافرة وفيها توفى احمد بن نظام الملك الذى كان وزير السلطان محمد والمسترشد بالله وفيها توفى على بن رافع بن خليفة الشيبانى وهو من اعيان خراسان وله مائة وسبع سنين شمسية ومات الامام مسعود الصوابى فى المحرم بها وفيها توفى معين الدين أنز نائب أبق صاحب دمشق وهو كان الحاكم والامر اليه وكان ابق صورة اميرا لا معنى تحتها وفيها توفى القاضى أحمد بن محمد بن الحسين الارجانى أبو بكر قاضى تستر وله شعر حسن فمنه قوله

ولما بلوت الناس اطلب عندهم * اخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطلعت فى حالى رخاء وشدة * وناديت فى الاحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءنى غير شامت * ولم أر فيما سرنى غير حاسد
تمتعتما يا ناظرى بنظرة * واوردتما قلبى أمر الموارد
اعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وفيها توفى أبو عبد الله عيسى بن هبة الله بن عيسى البزاز وكان ظريفا وله شعر حسن كتب اليه صديق له رقعة وزاد فى خطابه فاجابه

قد زدتنى فى الخطاب حتى * خشيت نقصا من الزياده
فاجعل خطابى خطاب مثلى * ولا تغير على عاده *

(ثم دخلت سنة خمس واربعين وخمسمائة)

(ذكر أخذ العرب الحجاج)

فى هذه السنة رابع عشر المحرم خرج العرب زعب ومن انضم اليهم على الحجاج بالغرابى بين مكة والمدينة فاخذوهم ولم يسلم منهم الا القليل وكان سبب ذلك ان نظرا أمير الحاج لما عاد من الحلة على ما ذكرناه وصار على الحاج قايماز الارجوانى وكان حدثا غرا فسار بهم الى مكة فلما رأى أمير مكة قايماز استصغره وطمع فى الحاج وتلطف قايماز الحال معه الى ان عادوا فلما سار عن مكة سمع باجتماع العرب فقال للحاج من المصلحة أنا لا نمضى

وامامهم المناداة على الناس بتزيين الاسواق وما فيها من الحوانيت والدور ووقود القناديل والتعاليق ويسهرون ثلاث ليال بايامها اولها يوم الخميس وآخرها يوم السبت الذى هو خامس عشره واخرجوا وطاقات وخياما الى خارج بابى النصر والفتوح وخرج الباشا فى ثانى يوم الى ناحية العادلية وهو ليلة يوم الزينة وعملوا حراقات ونفوطا وسواريخ ومدافع من كل ناحية مدة ايام الزينة وكتبت البشائر الى جميع النواحى وانعم الباشا بامريات ومناصب على عشرين شخصا من خواصه وعين لطيف بك اغات المفتاح للتوجه الى دار السلطنة بالبشائر والمفاتيح صحبته وسافر فى صبح يوم الزينة على طريق البر وتعين خلافه ايضا للسفر بالبشائر الى البلاد الرومية والشامية والاساكل الاسلامية مثل بلاد الانضول والروملى وردوس وسلانيك وازمير وكريت وغيرها (وفى اواخره) وردت الاخبار المترادفة بوقوع الطاعون الكثير باسلامبول فاشار الحكماء على الباشا بعمل كورنتينه بالاسكندرية على قاعدة اصطلاح الافرنج ببلادهم فلا يدعون احدا من المسافرين الواردين فى المراكب من الديار الرومية يصعد الى البر الا بعد مضى اربعين يوما من وروده واذا مات بالمركب احد فى اثناء المدة استأنفوا الاربعين (وفيه) وشى بعض اليهود على الحاج سالم الجواهرجى المباشر لابراد

الى المدينة فضج الحجيج وتهددوه بالشكوى منه الى السلطان سنجر وتشار لهم فاعطوا العرب مالا استكفى به شرهم فامتنعوا من ذلك فسار بهم الى الغرابي وهو منزل يخرج اليه من مضيق جبلين فوقفوا على فم المضيق وقاتلهم قايماز ومن معه فلما رأى عجزه أخذ لنفسه امانا وظفروا بالحجاج وغنموا اموالهم وجميع ما معهم وتفرق الناس في البر وهلك منهم خلق كثير لا يحصون كثرة ولم يسلم الا القليل فوصل بعضهم الى المدينة وتحملوا منها الى البلاد وأقام بعضهم مع العرب حتى توصل الى البلاد ثم ان الله تعالى اقتص للحجاج من زعب فلم يزل الوافي نقص وذلة ولقد رأيت شابا منهم بالمدينة سنة ست وسبعين وخمسمائة وجرى بيني وبينه مفاوضة قلت له فيها انني والله كنت اميل اليك حتى سمعت انك من زعب فنفرت وخفت شرك فقال لم فقلت بسبب أخذكم الحاج فقال لي انا لم ادرك ذلك الوقت وكيف رأيت الله صنع بنا والله ما افلحنا ولا نجحنا قل العدد وطمع العدو فينا

(ذكر فتح حصن فاميا)

في هذه السنة فتح نور الدين محمود بن الشهيد زنكي حصن فاميا من الفرنج وهو مجاور شيزر وحماة على تل عال من أحصن القلاع وأمنعها فسار نور الدين اليه وحصره وبه الفرنج وقاتلهم وضيق على من بها منهم فاجتمع من بالشام من الفرنج وساروا نحوه ليرحلوه عنهم فلم يصلوا الا وقد ملكه وملأه ذخائر وسلاحا ورجالا وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه مسير الفرنج اليه رحل عنه وقد فرغ من امر الحصن وسار اليهم يطلبهم فحين رأوا ان الحصن قد ملك وقوة عزم نور الدين على لقائهم عدلوا عن طريقه ودخلوا بلادهم وراسلوه في المهادنة وعاد سالما مظفرا ومدحه الشعراء وذكروا هذا الفتح فمن ذلك قول ابن الرومي من قصيدة أولها

اسنى الممالك ما أطلت منارها * وجعلت مرهفة الدسار دسارها
واحق من ملك البلاد واهلها * رؤف تكنف عدله اقطارها

ومنها في وصف الحصن

ادركت ثارك في البغاة وكنت يا * مختار امة أحمد مختارها
ضاقت نجومك فوقها ولطالما * باتت تنافثها النجوم شرارها
عارية الزمن المعير سعالها * منك المغيرة فاستردّ معارها
امست مع الشعرى العبور واصبحت * شعراء تستقلي الفحول شوارها

وهي طويلة

(ذكر حصر الفرنج قرطبة ورحيلهم عنها)

في هذه السنة سار السليطين وهو الاذفونش وهو ملك طليطلة واعمالها وهو من ملوك الجلالقة نوع من الفرنج في اربعين الف فارس الى مدينة قرطبة فحصرها وهي في ضعف وغلاء فبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو بمراكش فجهز عسكرا كثيرا وجهز

الذهب والفضة الى الضربخانه وانعزل عنها كما ذكر في وسط السنة وذلك عند ٦٧ وورود الرجل النصراني الدرزي الشامي بانه كان في أيام مباشرته للايراد يضرب لنفسه دنانير خارجة عن حساب الميري خاصة به فامر الباشا باثبات ذلك وتحقيقه فحصل كلام كثير والحاج سالم يجحد ذلك وينكره فقال له أيوب تابعك الذي كان ينزل آخر النهار بالخرج على حماره في كل يوم بجملة الانصاف العددية التي يفرقها على الصيارف بالمدينة واكثر ما في الخرج خاص بك فاحضروا أيوب المذكور وطلبوه للشهادة فقال لا اشهد الا بما أعلم ولم يحصل هذا مطلقا ولا يجوز لي ولا يخلصني من الله ان أتهم الرجل بالباطل فقال اليهودي هذا رفيقه وصاحبه وخادمه ولا يمكنه انه يخبر ويقر الا اذا خوف وعوقب واذا ثبت قولي فانه يطلع عليه ستة آلاف كيس فلما سمع الباشا قول اليهودي ستة آلاف كيس أمر بحبس الحاج سالم ثم أحضروا أخوته والحاج أيوب وسجنوهم وضربوهم والباشا يطلب ستة آلاف كيس كما قال اليهودي واستمروا على ذلك أياما وذلك الحبس عند قرا على بحواريث الحريم بالازبكية وسبب خصومة شمعون اليهودي مع الحاج سالم انهم احتجوا على اليهودي باشياء وقرروا عليه غرامة أيضا فطلب من الحاج سالم المساعدة وقال له ساعدني كما ساعدتك في غرامتك فقال الحاج سالم انك لم تساعدني بمال من عندك بل هو من حسابي

مقدمهم اباز كريا يحيي بن يرموز ونفذهم الى قرطبة فما قربوا منها فلم يقدروا ان يلقوا عسكر السليطين في الوطاء وارادوا الاجتماع باهل قرطبة ليمنعوها لخطر العاقبة بعد القتال فسلكوا الجبال الوعرة والمضايق المتشعبة فساروا نحو خمسة وعشرين يوما في المسير في مسافة اربعة أيام في السهل فوصلوا الى الجبل المطل على قرطبة فلما رآهم السليطين وتحقق أمرهم رحل عن قرطبة وكان فيها القائد أبو الغمر السائب من ولد القائد بن غلبون وهو من ابطال اهل الاندلس وامرائها فلما رحل الفرنج خرج منها لوقته وصعد الى ابن يرموز وقال له انزلوا عاجلا وادخلوا البلد ففعلوا وباتوا فيها فلما أصبحوا امن الغدر رأوا عسكر السليطين على رأس الجبل الذي كان فيه عسكر عبد المؤمن فقال لهم أبو الغمر هذا الذي خفته عليكم لاني علمت ان السليطين ما اقام الا طالبا لكم فان من الموضع الذي كان فيه طريق سهلة ولو لحقكم هناك نال مراده منكم ومن قرطبة فلما رأى السليطين انهم قد فاتوه علم انه لم يبق له طمع في قرطبة فرحل عائدا الى بلاده وكان حصره لقرطبة ثلاثة اشهر والله اعلم

(ذكر ملك الغورية هراة)

في هذه السنة سار ملك الغور الحسن بن الحسين من بلاد الغور الى هراة فحصرها وكان اهلها قد كاتبوه وطلبوا أن يسلموها اليه هربا من ملك الاتراك لهم وزوال هيبة السلطنة عنهم فامتنع اهل هراة عليه ثلاثة ايام ثم خرجوا اليه وسلموا البلد واطاعوه فاحسن اليهم وافاض عليهم النعم وعمرهم بالعدل واظهر طاعة السلطان سنجر والقيام على الوفاء له والانقياد اليه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أمر علاء الدين محمود بن مسعود الغالب على امر طريثيث اقامة الخطبة للخليفة ولبس السواد ففعل الخطيب ذلك فثار به عمه واقاربه ومن وافقهم وقاتلوه وكسروا المنبر وقتلوا الخطيب وكان فعل علاء الدين هذا لان اباه كان مسلما فلما تغلب الاسماعيلية على طريثيث اظهر موافقتهم وابطن اعتقاد الشريعة وكان يناظر على مذهب الشافعي وازدادت قدما بطريثيث وجرت امورها بارادته فلما حضره الموت اوصى ان يغسله فقيه شافعي واوصى الى ابنه علاء الدين ان امكنه ان يعيد فيها اظهار شريعة الاسلام فعل فلما راى من نفسه قوة فعله فلم يتم له وفيها كثر المرض بالعراق لا سيما ببغداد وكثر الموت أيضا فيها ففارقها السلطان مسعود وفيها توفي الامير علي بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة باسداباذ واتهم طبيبه محمد بن صالح بالمواطاة عليه فمات الطبيب بعده بقريب وفيها استوزر عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب اباجعفر بن ابي أحمد الاندلسي وكان ماسورا عنده فوصف له بالعقل وجودة الكتابة فاخرجه من الحبس واستوزره وهو أول وزير كان للموحدين وفي هذه السنة في المحرم جلس يوسف الدمشقي مدرسا في النظامية ببغداد وكان جلوسه بغير امر الخليفة

معك فقال اليهودي ألست كنت اداري عليك فيما تفعله واتسع الكلام بينهما وحضرة الباشا واعوانه مترقبون لحادث يستخرجون به الاموال باي وجه كان ويتقولون ويوقعون بين هذا وهذا والناس اعداء لبعضهم البعض تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ثم ان السيد محمدا المحروقي خاطب الباشا في شان الحاج سالم وحلف له ان الغرامة الاولى تاخر عليه منها ثلثمائة كيس استدانها من الاوربيين ودفعها وهي باقية عليه الى الآن ومطلوبة منه وذلك بعد ان باع املاكه وحصة التزامه فاذا كان ولابد من تغريمه ثانيا فانا اتكفل اصحاب الديون ونقوم بدفع الثلثمائة كيس المطلوبة للدائنين وندفعها للخزينة فاجابه لذلك وأمر بالافراج عن الحاج سالم واخوته ومن معه فدفعوا القرا على المتولي سجنهم وعقوبتهم واتباعه سبعة أكياس (وفيه) اشتد الامر على اسمعيل افندي أمين عيار الضربخانه واولاده بالطلب من أرباب الحوالات مثل دالي باشا وخلافه وضيق العسكر المعينون عليهم منافسهم ولازموا دورهم ولم يجدوا شافعا ولادافعا ولا رافعا فباعوا أملاكهم وعقاراتهم وفراشهم ومصاغ حريمهم واوانيهم وملابسهم وكان الباشا أخذ من اسمعيل افندي المذكور داره التي بالقلعة عندما انتقل الى القلعة فامره باخلائها ففعل ونزل الى

فمنع يوم الجمعة من دخول الجامع فصلى فى جامع السلطان ومنع من التدريس فتقدم السلطان مسعود الى الشيخ ابى النجيب بان يدرس فيها فامتنع بغير امر الخليفة فاستخرج السلطان اذن الخليفة فى ذلك فدرس منتصف المحرم من السنة وفيها توفى ابو عبد الله محمد ابن على بن مهران الفقيه الشافعى تفقه على الهراسى وولى قضاء نصيبين ثم ترك القضاء وتزهد فاقام بجزيرة ابن عمر ثم انتقل الى جبل ببلد الحصن فى زاوية وكان له كرامات ظاهرة وفيها مات الحسن بن ذى النون بن ابى القاسم بن ابى الحسن الاسعردى ابو المفاخر النيسابورى سمع الحديث الكثير وكان فقيها اديبا دائم الاشتغال يعظ الناس وكان مما ينشد

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا ✱ ومات من بعدهم تلك الكرامات
وخلفونى فى قوم ذوى سفه ✱ لو ابصروا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

✱(ثم دخلت سنة ست واربعين وخمسمائة)✱

✱(ذكر انهزام نور الدين من جوسلين واسر جوسلين بعد ذلك)✱

فى هذه السنة جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين الفرنجى وهى شمال حلب منها تل باشر وعين تاب واعزاز وغيرها وعزم على محاصرتها واخذها وكان جوسلين لعنه الله فارس الفرنج غير مدافع قد جمع الشجاعة والرأى فلما علم بذلك جمع الفرنج فاكثر وسار نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا فانهزم المسلمون وقتل منهم واسر جمع كثير وكان فى جملة من اسر سلاحدار نور الدين فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره الى الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وقال له هذا سلاح زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما اعظم منه فلما علم نور الدين الحال عظم عليه ذلك وعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ بثاره واحضر جماعة من امراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه اما قتيلا او اسيرا لانه علم انه متى قصده بنفسه احتمى بجموعه وحصونه فجعل التركمان عليه العيون فخرج متصيدا فلحقت به طائفة منهم وظفروا به فصانعهم على مال يؤديه اليهم فاجابوه الى اطلاقه اذا حضر المال فارسل فى احضاره فمضى بعضهم الى ابى بكر بن الداية نائب نور الدين بحلب فاعلمه الحال فسير عسكرا معه فكبسوا اولئك التركمان وجوسلين معهم فاخذوه اسيرا واحضروه عنده وكان اسره من اعظم الفتوح لانه كان شيطانا عاتيا شديدا على المسلمين قاسى القلب واصيبت النصرانية كافة باسره ولما اسر سار نور الدين الى قلاعه فملكها وهى تل باشر وعين تاب واعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفرسود وكفرلاثا ودلوك ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك من اعماله فى مدة يسيرة نذكر تفصيلها وكان نور الدين كلما فتح منها حصنا نقل اليه من كل ما يحتاج اليه الحصون خوفا من نكبة تلحق المسلمين من الفرنج فتكون بلادهم غير محتاجة الى ما يمنعها من العدو ومدحه الشعراء فممن قال فيه القيسرانى من قصيدة فى ذكر جوسلين

دار بحارة الروم بالقرب من دار ابنه محمد افندى فاتخذ الباشا دار اسمعيل افندى دار الحريم واسكنهم بها لانها دار عظيمة جليلة عمرها المذكور وصرف عليها فى الايام الخالية اموالا جمة فلما استولى عليها الباشا اسكن بها حريمه وجواريه وسراريه ولما قرر عليه غرامته اسقط عنه منها عشرين كيسا لا غير وجعلها فى ثمن داره المذكورة وذلك لا يقوم بثمن رخامها فقط فلما اشتد الحال باسمعيل افندى اشار عليه بعض المتشفعين بان يكتب له عرضحال ويطلع به الى الباشا صحبة المعلم غالى كبير الاقباط المباشرين ففعل ودخل معه المعلم غالى الى الباشا فعندما رآه مقبلا صحبة المذكور اشار اليه بالرجوع ولم يدعه يتكلم فرجع بقهره ونزل الى داره فمرض وتوفى بعد ايام الى رحمة الله تعالى ومات قبله ولده حسن افندى وبقى جميع الطلب على ولده محمد افندى فحصل له مشقة زائدة وباع اثاث بيته واوانيه وكتبه التى اقتناها وحصلها بالشراء والاستكتاب فباعها بابخس الاثمان على الصحافين وغيرهم وطال عليه الحال وانقضت مواعيد المداينين له فطالبوه وكربوه فتداين من غيرهم بالربا والزيادة وهكذا والله يحسن لنا وله العاقبة (وفيه) قدم الى الاسكندرية قليون من بلاد الانكليز فيه بضائع واشيا للباشا ومنها خمسون الف كيس نقودا اثمان غلال وخيول يأخذونها من مصر

كما أهدت الاقدار للقمص اسره * وأصعد قرن من حواه للك الاسر
طغى وبغى عدوا على غلوائه * فاوبقه الكفران عدواه والكفر
وامست عزاز كاسمها بك عزة * تشق على النسرين لو انها وكر
فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة * فبالافق الداجي الى ذا السنى فقر
كأني بهذا العزم لا فل حده * واقصاه بالاقصى وقد قضي الامر
وقد أصبح البيت المقدس طاهرا * وليس سوى جاري الدماء له طهر

(ذكر حصر غرناطة والمرية من بلاد الاندلس)

في هذه السنة سير عبد المؤمن جيشا كثيفا نحو عشرين ألف فارس الى الاندلس مع أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي وسير معهم نساءهم فكن يسرن مفردات عليهن البرانس السود ليس معهن غير الخدم ومتى قرب منهن رجل ضرب بالسياط فلما قطعوا الخليج ساروا الى غرناطة وبها جمع من المرابطين فحصرها عمر وعسكره وضيقوا عليها فجاء اليه احمد بن ملحان صاحب مدينة وادي آش واصحابه بجماعته ووحدوا وصاروا معه وأتاه ابراهيم بن همشك صهر ابن مردنيش صاحب جيان واصحابه ووحدوا وصاروا ايضا معه فكثر جيشه وحرضوه على المسارعة الى ابن مردنيش ملك بلاد شرق الاندلس ليبغته بالحصار قبل أن يتجهز فلما سمع ابن مردنيش ذلك خاف على نفسه فارسل الى ملك برشلونة من بلاد الفرنج يخبره ويستنجده ويحثه على الوصول اليه فسار اليه الفرنجي في عشرة آلاف فارس وسار عسكر عبد المؤمن فوصلوا الى حمة بلقوارة وبينها وبين مرسية التي هي مقر ابن مردنيش مرحلة فسمعوا بوصول الفرنج فرجع وحصر مدينة المرية وهي للفرنج عدة شهور فاشتد الغلاء في العسكر وعدمت الاقوات فرحلوا عنها وعادوا الى اشبيلية فاقاموا بها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي العبادي الواعظ واسمه المظفر بن اردشير بخوزستان وكان الخليفة المقتفي لامر الله قد سيره في رسالة الى الملك محمد ابن السلطان محمود ليصلح بينه وبين بدر الحواثري فتوفي هناك وجلس ولده ببغداد للعزاء واقيم بحاجب من الديوان العزيز وكان ابنه يجلس ويعظ ويذكر والده ويبكي هو والناس كافة ونقل العبادي الى بغداد ودفن بالشونيزي ومولده سنة احدى وتسعين واربعمائة وسمع الحديث من أبي بكر الهروي وزاهر الشحامي وغيرهما وفيها انفجر بثق النهروان الذي اعمله بهروز بكثرة الزيادة في تامرا واهمال أمرها حتى عظم ذلك وتضرر به الناس وفيها سار الامير قجق في طائفة من عسكر السلطان سنجر الى طريثيث بخراسان واغار على بلاد الاسماعيلية فنهب وسبي وخرب واحرق المساكن وفعل بهم افاعيل عظيمة وعاد سالما

(ثم دخلت سنة سبع واربعين وخمسمائة)

الى بلادهم فطفقوا يطلبون لهم الخيول من أربابها فيقيسون طولها وعرضها وقوائمها بالاشبار فان وجدوا ما يوافق غرضهم ومطلوبهم في القياس والقيافة أخذوه ولو بأغلى ثمن والا تركوه (وفيه) ايضا ارسل الباشا بجميع كشاف الوجه القبلي بحجز جميع الغلال والحجر عليها بالطرقة فلا يدعون احدا يبيع ولا يشتري شيئا منها ولا يسافر بشيء منها في مركب مطلقا ثم طلبوا ما عند اهل البلاد من الغلال حتى ما هو مدخر في دورهم للقوت فاخذوه ايضا ثم زادوا في الامر حتى صاروا يكبسون الدور ويأخذون ما يجدون من الغلال قل او كثر ولا يدفعون له ثمنا بل يقولون لهم نحسب لكم ثمنه من مال السنة القابلة ويشحنون بذلك جميع مراكب الباشا التي استعدها واعدها لنقل الغلال ثم يسيرون بها الى بحري فتنتقل الى مراكب الافرنج بحساب مائة قرش من كل اردب وانقضت السنة ولم تنقض حوادثها بل استمر ما حدث بها كالتي قبلها وزيادة (فمنها) ما احاط به علمنا وذكرنا بعضه ومنها ما لم يحط به علمنا او احاط ونسيناه لحدوث غيره قبل التثبت ومنها ان الباشا عمل ترسخانه عظيمة بساحل بولاق واتخذ عدة مراكب بالاسكندرية لخصوص جلب الاخشاب المتنوعة وكذلك الحطب الرومي من اماكنها الى ذمته ويبيعه على الحطابين بما حدده عليهم من الثمن ويحمل في المراكب المختصة به باجرة محددة (ذكر

ذكر ملك عبد المؤمن بجاية وملك بني حماد

في هذه السنة سار عبد المؤمن بن علي الى بجاية وملكها وملك جميع ممالك بني حماد وكان لما أراد قصدها سار من مراكش الى سبتة سنة ست واربعين فاقام بها مدة يعمل الاسطول ويجمع العساكر القريبة منه وأما ما هو على طريقه الى بجاية من البلاد فكتب اليهم ليتجهزوا ويكونوا على الحركة اى وقت طلبهم والناس يظنون انه يريد العبور الى الاندلس فارسل في قطع السابلة عن بلاد الشرق الغرب برا وبحرا وسار من سبتة في صفر سنة سبع واربعين فاسرع السير وطوى المراحل والعساكر تلقاه في طريقه فلم يشعر اهل بجاية الا وهو في اعمالها وكان ملكها يحيى بن العزيز بن حماد آخر ملوك بني حماد وكان مولعا بالصيد واللهو لا ينظر في شيء من امور مملكته قد حكم فيها بنو حمدون فلما اتصل الخبر بميمون بن حمدون جمع العسكر وسار عن بجاية نحو عبد المؤمن فلقيهم مقدمته وهي تزيد على عشرين ألف فارس فانهزم اهل بجاية من غير قتال ودخلت مقدمة عبد المؤمن بجاية قبل وصول عبد المؤمن بيومين وتفرق جميع عسكر يحيى بن العزيز وهربوا برا وبحرا وتحصن يحيى بقلعة قسنطينية الهواء وهرب اخواه الحرث وعبد الله الى صقلية ودخل عبد المؤمن بجاية وملك جميع بلاد ابن العزيز بغير قتال ثم ان يحيى نزل الى عبد المؤمن بالامان فامنه وكان يحيى قد فرح لما اخذت بلاد افريقية من الحسن بن علي فرحا ظهر عليه فكان يذمه ويذكر معايبه فلم تطل المدة حتى أخذت بلاده ووصل الحسن بن علي الى عبد المؤمن في جزائر بني مزغنان وقد ذكرنا سنة ثلاث واربعين سبب مصيره اليها واجتمعا عنده فارسل عبد المؤمن يحيى ابن العزيز الى بلاد المغرب وأقام بها واجرى عليه شيئا كثيرا وأما الحسن بن علي فانه احسن اليه وألزمه صحبته وأعلى مرتبته فلزمه الى ان فتح عبد المؤمن المهدية فجعله فيها وأمر واليها ان يقتدي برأيه ويرجع الى قوله ولما فتح عبد المؤمن بجاية لم يتعرض الى مال أهلها ولا غيره وسبب ذلك ان بني حمدون استامنوا فوفى لهم بامانه

ذكر ظفر عبد المؤمن بصنهاجة

لما ملك عبد المؤمن بجاية تجمعت صنهاجة في أمم لا يحصيها الا الله تعالى وتقدم عليهم رجل اسمه ابو قصبة واجتمع معهم من كتامة ولواتة وغيرها خلق كثير وقصدوا حرب عبد المؤمن فارسل اليهم جيشا كثيرا ومقدمهم ابو سعيد يخلف وهو من الخمسين فالتقوا في عرض الجبل شرقي بجاية فانهزم ابو قصبة وقتل اكثر من معه ونهبت اموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ولما فرغوا من صنهاجة ساروا الى قلعة بني حماد وهي من احصن القلاع واعلاها لا ترام على رأس جبل شاهق لا يكاد الطرف يحققها لعلوها ولكن القدر اذا جاء لا يمنع منه معقل ولا جيوش فلما رأى اهلها عساكر الموحدين هربوا منها في رؤس الجبال وملكت القلعة واخذ جميع ما فيها من مال وغيره وحمل الى عبد المؤمن فقسمه بين اصحابه

ايضا ويأتي الى ديوان الكمرك ببولاق فيؤخذ كمركه اى مكسه وهو راجع اليه ٧١ ايضا الى ان استقر سعر القنطار الواحد من الحطب بثلثمائة وخمسة عشر نصف فضة واجرة حمله من بولاق الى مصر ثلاثة عشر نصف فضة واجرة تكسيره مثل ذلك فيكون مجموع ذلك ثلثمائة واربعين نصف فضة القنطار وقد اشتريناه قبل استيلاء هذه الدولة بثلاثين نصفا واجرة حمله في المركب عشرة انصاف واجرته من بولاق الى مصر ثلاثة انصاف وتكسيره كذلك فيكون مجموع ذلك ستة واربعين نصفا وكذلك فعل في انواع الاخشاب المكرسنة والحديد والرصاص والقصدير وجميع المجلوبات واستمر ينشئ في المراكب الكبار والصغار التي تسرح في النيل من قبلي الى بحري ومن بحري الى قبلي ولا يبطل الانشاء والاعمال والعمل على الدوام وكل ذلك على ذمته ومرمتها وعمارتها ولوازمها وملاحوها باجرتهم على طرفه لا بالضمان كما كان في السابق ولهم قومة ومباشرون متقيدون بذلك الليل والنهار (ومنها) وهي من الحوادث الغريبة التي لم يتفق في هذه الاعصار مثلها ان في اواخر ربيع الآخر احترق بحر النيل وجف بحر بولاق وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون الى قريب انبابه بمداساتهم

وكذلك بحر مصر القديمة بقي مخاضا وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو واشتد بالناس العطش بسبب ذلك

(ذكر وفاة السلطان مسعود وملك ملكشاه محمد بن محمود)

في هذه السنة اول رجب توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان وكان مرضه حمى حادة نحو اسبوع وكان مولده سنة اثنتين وخمسمائة في ذي القعدة ومات معه سعادة البيت السلجوقي فلم يقم له بعده راية يعتد بها ولا يلتفت اليها

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وكان رحمه الله حسن الاخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس فمن ذلك ان اتابك زنكي صاحب الموصل ارسل اليه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري في رسالة فوصل اليه وأقام معه في العسكر فوقف يوما على خيمة الوزير حتى قارب اذان المغرب فعاد الى خيمته فاذن المغرب وهو في الطريق فرأى انسانا فقيها في خيمة فنزل اليه فصلى معه المغرب ثم سأله كمال الدين من اين هو فقال انا قاضي مدينة كذا فقال له كمال الدين القضاة ثلاثة قاضيان في النار وهو وانا وانت وقاض في الجنة وهو من لم يعرف ابواب هؤلاء الظلمة ولا يراهم فلما كان الغد ارسل السلطان واحضر كمال الدين اليه فلما دخل عليه ورآه ضحك وقال القضاة ثلاثة فقال كمال الدين نعم يا مولانا فقال والله صدقت ما اسعد من لا يرانا ولا نراه ثم امر ان تقضى حاجته واعاده من يومه وكان كريما عفيفا عن الاموال التي للرعايا حسن السيرة فيهم من اصلح السلاطين سيرة والينهم عريكة سهل الاخلاق لطيفا فمن ذلك انه اجتاز يوما في بعض اطراف بغداد فسمع امرأة تقول لاخرى انظري الى السلطان فوقف وقال حتى تجيء هذه الست تنظر الينا وله فضائل كثيرة ومناقب جمة وكان عهد الى ملكشاه ابن اخيه السلطان محمود فلما توفي خطب له الامير خاص بك ورتب الامور وقررها بين يديه واذعن له جميع العسكر بالطاعة ولما وصل الخبر الى بغداد بموت السلطان مسعود هرب الشحنة بها وهو مسعود بلال الى تكريت واستظهر الخليفة المقتفي لامر الله على داره ودور اصحاب السلطان ببغداد واخذ كل ما لهم فيها وكل من كان عنده وديعة لاحد منهم احضرها بالديوان وجمع الخليفة الرجال والعساكر واكثر التجنيد وتقدم باراقة الخمور من مساكن اصحاب السلطان ووجد في دار مسعود بلال شحنة بغداد كثير من الخمر فاريق ولم يكن الناس يظنون انه شرب الخمر بعد الحج وقبض على المؤيد الالوسي الشاعر وعلى الحيص بيص الشاعر ثم اطلق الحيص بيص واعيد عليه ما اخذ منه ثم ان السلطان ملكشاه سير سلاركرد في عسكر الى الحلة فدخلها فسار اليه مسعود بلال شحنة بغداد واظهر له الاتفاق معه فلما اجتمعا قبض عليه مسعود بلال وغرقه واستبد بالحلة فلما علم الخليفة ذلك جهز العساكر اليه مع عون الدين بن هبيرة فسار اليه فلما قاربوا الحلة عبر مسعود بلال الفرات اليهم وقاتلهم فانهزم من عسكر الخليفة ونادى اهل الحلة بشعار الخليفة فلم يدخلها وتمت الهزيمة عليه وعلى اصحابه فعاد الى تكريت وملك عسكر الخليفة الحلة وسير الوزير عسكرا الى الكوفة وعسكرا الى واسط فملكوهما ثم ان عساكر

وبسبب تحكير السقائين ونادى الاغا والوالي على لن يكون حمل القربة الا كان البعيد باثني عشر نصف فضة واستهل شهر بشنس القبطي فزاد النيل في أوله في ليلة واحدة نحو ذراع ثم كان يزيد في كل يوم وليلة مثل دفعات أواخر أبيب ومسرى وجرى بحر بولاق ومصر القديمة وغطى الرمال وسارت فيه المراكب الكبار متعدية ومقلعة وغرقت المقاثي مثل البطيخ والخيار والعبد اللاوي وما كان مزروعا بالسواحل وهو شئ كثير جدا واستمرت الزيادة نحو عشرين يوما حتى تغير وابيض وكاد يحمر وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التي في غير وقتها حتى اعتقدوا انه يوفي أذرع الوفاء قبل نزول النقطة ولم يعهد مثل ذلك وكان ذلك رحمة من الله بعبيده الفقراء العطاش ثم اني طالعت في تاريخ الحافظ المقريزي المسمى بالسلوك في دول الملوك فذكر مثل هذه النادرة في سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ولما ترادفت هذه الزيادات خرج الوالي الى قنطرة السد وجمع الفعلة للعمل في سد فم الخليج ونادى على نزح الخليج وتنظيفه وكسح اوساخه وقطع ارضه ثم وقفت الزيادة

السلطان وصلت الى واسط ففارقها عسكر الخليفة فلما سمع الخليفة ذلك تجهز بنفسه وسار من بغداد الى واسط ففارقها العسكر السلطاني وملكها الخليفة وسار منها الى الحلة ثم عاد الى بغداد فوصلها تاسع عشر ذى القعدة وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان خاص بك بن بلنكرى قبض على الملك ملكشاه الذى خطب له بالسلطنة بعد مسعود وارسل الى اخيه الملك محمد سنة ثمان واربعين وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده أن يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة فسار الملك محمد اليه فلما وصل اجلسه على تخت السلطنة اواثل صفر وخطب له بالسلطنة وخدمه وبالغ فى خدمته وحمل له هدايا عظيمة جليلة المقدار ثم انه دخل الى الملك محمد ثانى يوم وصوله فقتله محمد وقتل معه زنكى الجاندار والقى برأسهما فتفرق اصحابهما ولم ينتطح فيهما عنزان وكان ايدغدى التركمانى المعروف بشملة مع خاص بك فنهاه عن الدخول الى الملك محمد فلم ينته فقتل ونجا شملة فنهب جشير الملك محمد ومضى طالبا خوزستان واخذ محمد من اموال خاص بك شيئا كثيرا واستقر محمد فى السلطنة وتمكن وبقى خاص بك ملقى حتى اكلته الكلاب وكان صبيا تركمانيا اتصل بالسلطان مسعود فتقدم على سائر الامراء ثم كان هذا خاتمة امره

(ذكر الحرب بين نور الدين محمود وبين الفرنج)

فى هذه السنة تجمعت الفرنج وحشدت الفارس والراجل وساروا نحو نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن ملكها فوصلوا اليه وهو بدلوك فلما قربوا منه رجع اليهم والقيهم وجرى المصاف بينهم عند دلوك واقتتلوا اشد قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم انهزم الفرنج وقتل منهم وأسر كثير وعاد نور الدين الى دلوك فملكها واستولى عليها ومما قيل فى ذلك

اعدت بعصرك هذا الانيق * فتوح النبى واعصارها
فواطات يا حبذا احدبها * واسررت من بدرا بدارها
وكان مهاجرها تابعيك * وانصار رأيك انصارها
فجددت اسلام سلمانها * وعمر جدك عمارها
ومايوم انب الا كذا * لئن طال بالنوع اشبارها
صدمت عزيمتها صدمة * اذابت مع الماء احجارها
وفى تل باشر باشرتهم * بزحف تسور اسوارها
وان دالكتهم دلوك فقد * شددت فصدقت اخبارها

(ذكر الحرب بين سنجر والغورية)

فى هذه السنة كان بين السلطان سنجر وبين الغورية حرب وكانت دولتهم اول ما قد ظهرت واول من ملك منهم رجل اسمه الحسين بن الحسن ملك جبال الغور ومدينة

بل نقص قليلا وزاد فى اوان الزيادة على العادة واوفى اذرعه فى ايامه المعتادة فسبحان الفعال (ومنها) شحة الغلال وخلو السواحل منها فلا يجد الناس الا ما بقى بايدى كلا حو الجهات البحرية القريبة فيحملونه على الحمير الى العرصات والرقع ويبيعونه على الناس كل اردب باربعة وعشرين قرشا خلاف المكس والكلف واستقر مكس الاردب الواحد اربعة وثلاثين نصف فضة واجرته اذا كان من طريق البحر من المنوفية او نحوها مائة نصف واقل واكثر واجرته من بولاق الى مصر خمسة وعشرون نصفا (ومنها) انه لما انتظم له ملك بلاد الصعيد ولم يبق له فيه منازع وقلد امارته لابنه ابراهيم باشا ورسم بان يضبط جميع اطيان بلاد الصعيد حتى الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والخيرات الكائنة بمصر وغيرها واوقاف سلاطين مصر المتقدمين وخيراتهم ومساجدهم ومكاتبهم وصهاريجهم ووظائف المدرسين والمقرئين وغير ذلك ففعل ذلك وراك الاراضى باسرها وشاع انه جعل على كل فدان من اراضى الرزق والاوقاف ثلاثة ريالات لا غير وعلى باقى فدادين الاطيان ثمانية ريالات خلاف النبارى وهو مزارع الذرة فجعل على كل عود من عيدان القطوة

فيروز كوه وهى تقارب اعمال غزنة وقوى أمره وتلقب بعلاء الدين وتعرض الى اعمال ثم جمع جيشا وقصد هراة محاصرا لها فنهب عسكره باب واوبة ومار باذ من هراة الرود وسار الى بلخ وحصرها فقاتله الأمير قماج ومعه جمع من الغز فغدروا به وصاروا مع الغورى فملك بلخ فلما سمع السلطان سنجر بذلك سار اليه ليمنعه فلقيه علاء الدين واقتتلوا فانهزم الغورية واسر علاء الدين وقتل من الغورية خلق كثير لاسيما الرجالة واحضر السلطان سنجر علاء الدين بين يديه وقال له يا حسين لو ظفرت بى ما كنت تفعل فاخرج له قيد فضة وقال كنت اقيدك بهذا واحملك الى فيروز كوه فخلع عليه سنجر ورده الى فيروز كوه فبقى بها مدة ثم انه قصد غزنة وملكها حينئذ بهرام شاه بن مسعود بن محمود بن سبكتكين فلم يثبت بها بين يدى علاء الدين بل فارقها الى مدينة كرمان وهى مدينة بين غزنة والهند وسكانها قوم يقال لهم ابغان وليست هذه بالولاية المعروفة بكرمان فلما فارق بهرام شاه غزنة ملكها علاء الدين الغورى واحسن السيرة فى اهلها واستعمل عليهم اخاه سيف الدين واجلسه على تخت المملكة وخطب لنفسه ولاخيه سيف الدين بعده ثم عاد علاء الدين الى بلد الغور وامر اخاه ان يخلع على اعيان البلد خلعا نفيسة ويصلهم بصلات سنية ففعل ذلك واحسن اليهم فلما جاء الشتاء ووقع الثلج وعلم اهل غزنة ان الطريق قد انقطع اليهم كاتبوا بهرام شاه الذى كان صاحبها واستدعوه اليهم فسار نحوهم فى عسكره فلما قارب البلد ثار اهله على سيف الدين فاخذوه بغير قتال وكان العلويون هم الذين تولوا اسره وانهزم الذين كانوا معه فمنهم من نجا ومنهم من اخذ ثم انهم سودوا وجه سيف الدين واركبوه بقرة واطافوا به البلد ثم صلبوه وقالوا فيه اشعارا يهجونه وغنوا بها حتى النساء فلما بلغ الخبر الى اخيه علاء الدين الحسين قال شعرا معناه ان لم اقلع غزنة فى مرة واحدة فلست الحسين ابن الحسين ثم توفى بهرام شاه وملك بعده ابنه خسروشاه وتجهز علاء الدين الحسين وسار الى غزنة سنة خمسين وخمسمائة فلما بلغ الخبر الى خسروشاه سار عنها الى لهاوور وملكها علاء الدين ونهبها ثلاثة ايام واخذ العلويين الذين اسروا اخاه فالقاهم من رؤس الجبال وخرب المحلة التى صلب فيها واخذ النساء اللواتى قيل عنهن انهن كن يغنين بهجاء اخيه والغورية فادخلهن حماما ومنعهن من الخروج حتى متن فيه واقام بغزنة حتى اصلحها ثم عاد الى فيروز كوه ونقل معه من اهل غزنة خلقا كثيرا وحملهم المخالى مملوءة ترابا فبنى به قلعة فى فيروز كوه وهى موجودة الى الآن وتلقب بالسلطان المعظم وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية وقد تقدم سنة ثلاث واربعين وخمسمائة من اخبارهم وفيه مخالفة لهذا فى بعض الامر وكلا سمعناه ورأيناه فى مصنفاتهم فلهذا ذكرنا الامرين واقام الحسين على ذلك مدة واستعمل ابنى اخيه وهما غياث الدين وشهاب الدين

(ذكر ملك غياث الدين وشهاب الدين الغوريين)

بسبب ريالات فرضى اصحاب الرزق والاطيان: بهذا التنظيم وظنوا استمراره فان الكثير من المرتزقة ما كان يحصل له من مزارعى رزقته مقدار ما يحصل له على هذا الحساب (ومنها) انه رسم له بالحجر على جميع حصص الالتزام فلم يبق لاربابها شيئا الا النادر وهو شئ قليل جدا واحتج فى ذلك باستيلاء الامراء المصريين عليها عندما خرجوا من مصر واقاموا بالبلاد القبلية فوضعوا أيديهم على ذلك وانه حاربهم وطردهم وقتلهم وورث ما كان بايديهم بحق او باطل وسعيه المضبوط واما ما كان بايدى اربابه ايام استيلاء المصريين وهم الملتزمون القاطنون بالبلاد القبلية او بمصر ممن يراعى جانبه فانه اذا عرض حاله وطلب اذنا فى التصرف واخبر بانه كان مفروجا عنه أيام استيلاء المصريين واثبت ذلك بالكشف من الروزنامه وغيرها فاما ان يؤذن له فى التصرف أو يقال له نعوضك بدلها من البلاد البحرية ويسوف وتتمادى الايام أو يحيل ذلك على ابنه ابراهيم باشا ويقول أنا لا علاقة لى فى البلاد القبلية والامر فيها لابراهيم باشا واذا ذهب لابراهيم باشا يقول له أنا أعطيت الفائظ فان رضى أعطاه شيئا نزرا ووعده بالاعطاء وان لم يرض قال له هات لى اذنا من افندينا وكل منهما امام محل او مسافر أو أحدهما حاضر

لما

لما قوي امر عمهما علاء الدين الحسين بن الحسين استعمل العمال والامراء على البلاد وكان ابنا أخيه وهما غياث الدين ابو الفتح محمد بن سام وشهاب الدين ابو المظفر محمد بن سام فيمن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة وكان غياث الدين يلقب حينئذ شمس الدين و يلقب الآخر شهاب الدين فلما استعملهما احسنا السيرة في عملهما وعدلا و بذلا الاموال فمال الناس اليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما من يحسدهما الى عمهما علاء الدين وقال انهما يريدان الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك فارسل عمهما يستدعيهما اليه فامتنعا وكانا قد علما الخبر فلما امتنعا جهز اليهما عسكرا مع قائد يسمى خروش الغوري فلما التقوا انهزم خروش ومن معه وأسر هو وابقيا عليه واحسنا اليه وخلعا عليه واظهرا عصيان عمهما وقطعا خطبته فتوجه اليهما علاء الدين وسارا هما ايضا اليه فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم علاء الدين واخذ اسيرا وانهزم عسكره فنادى فيهم ابنا اخيه بالامان فاحضرا عمهما واجلساه على التخت ووقفا في خدمته فبكى علاء الدين وقال هذان صبيان قد فعلا ما لو قدرت عليه منهما لم افعله واحضر القاضي في الحال وزوج غياث الدين بابنته وجعله ولي عهده و بقي كذلك الى ان مات فلما توفي ملك غياث الدين بعده وخطب لنفسه في الغور وغزنة بالملك و بقي كذلك الى ان ملك الغز غزنة بعد موت علاء الدين طمعوا فيها بموته و بقيت بايديهم خمس عشرة سنة يصبون على اهلها العذاب ويتابعون الظلم كعادتهم في كل بلدة ملكوها ولو انهم لما ملكوا احسنوا السيرة في الرعايا لدام ملكهم فلم يزل الغز بغزنة هذه المدة وغياث الدين يقوى امره ويحسن السيرة والناس يميلون اليه ويقصدونه محبة له

(ذكر ملك غياث الدين غزنة وما جاورها من البلاد)

لما قوي امر غياث الدين جهز جيشا كثيفا مع أخيه شهاب الدين الى غزنة فيه اصناف الغورية والخلج والخراسانية فساروا اليها فلقيهم الغز وقاتلوهم فانهزم الغور به وثبت شهاب الدين فيمن ثبت معه على صاحب علمهم فقتله واخذ العلم وتركه على حاله فتراجع الغز ولم يكونوا علموا بما كان من شهاب الدين فجاؤا يطلبون علمهم فكلما جاء اليه طائفة قتلهم فاتى على اكثرهم ودخل غزنة وتسلمها واحسن السيرة في اهلها وأفاض العدل وسار من غزنة الى كرمان وشنوران فملكهما ثم تعدى الى ماء السند وعمل على العبور الى بلد الهند وقصد لهاوور وبها يومئذ خسروشاه بن بهرام شاه المقدم ذكر والده فلما سمع خسروشاه بذلك سار فيمن معه الى ماء السند فمنعه من العبور فرجع عنه وقصد فرشابور فملكها وما يليها من جبال الهند واعمال الافغان والله أعلم

(ذكر ملك شهاب الدين لهاوور)

لما ملك شهاب الدين جبال الهند قوي امره وجنانه وعظمت هيبته في قلوب الناس واحبوه لحسن سيرته فلما خرج الشتاء واقبل الربيع من سنة تسع وسبعين وخمسمائة سار نحو لهاوور في جمع عظيم وحشد كثير من خراسان والغور وغيرهما فعبر الى لهاوور

والآخر غائب فيصير صاحب الحاجة كالجملة المعترضة بين الشارط والمشروط وأمثال ذلك كثير (ومنها) الاستيلاء على جميع مزارع الارز بالبحر الغربي والشرقي ورتب لهم مباشرين وكتابا يصرفون عليهم من الكلف والتقاوي والبهائم و يؤخذ ذلك جميعه من حساب الفرض التي قررها على النواحي وعند استغلال الارز يرفعونها بايديهم و يسعرونها بما يريدونه ويستوفون المصاريف ومعاليم القومة والمباشرين المعين لهم وان فضل بعد ذلك شيء أعطوه للمزارع أو أخذوه منه واعطوه ورقة يحاسب بها في المستقبل وفرض على كل دائرة من دوائر الارز خمسة أكياس في كل سنة خلاف المقرر القديم وعلى كل عود ثلاثة أكياس فاذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيرا على أصحاب الدوائر والمناشر حتى اذا صلح وابيض حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم فان زاد لهم شيء اعطوهم به ورقة وحاسبوا بها من قابل وابطل تعامل المزارعين مع التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم واستقر الحال الى ان صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا و يباع الموجود على ذمته لاهل الاقاليم المتسببين وغيرهم وهو عن كل اردب مائة قرش بل وزيادة و للافرنج و بلاد الروم والشام بما لا ادري (ومنها) أنه حصل بين عبد الله اغا بكتاش الترجمان و بين النصراني الدرزي منافسة وهو الذي حضر

وحصرها وارسل الى صاحبها خسروشاه والى اهلها يتهددهم ان منعوه واعلمهم انه لا يزول حتى يملك البلد وبذل لخسروشاه الامان على نفسه واهله وماله ومن الاقطاع ما اراد وان يزوج ابنته بابن خسروشاه على ان يطا بساطه ويخطب لاخيه فامتنع عليه واقام شهاب الدين محاصرا له مضيقا عليه فلما رأى أهل البلد والعسكر ذلك ضعفت نياتهم فى نصرة صاحبهم فخذلوه فارسل لما رأى ذلك قاضى البلد والخطيب يطلبون له الامان فاجابه شهاب الدين الى ذلك وحلف له وخرج اليه ودخل الغورية الى المدينة وبقى كذلك شهرين مكرما عند شهاب الدين فورد رسول من غياث الدين الى شهاب الدين يامره بانفاذ خسروشاه اليه

(ذكر انقراض دولة سبكتكين)

فلما انفذ غياث الدين الى اخيه شهاب الدين يطلب انفاذ خسروشاه اليه امره شهاب الدين بالتجهز والمسير فقال انا لا اعرف اخاك ولا لى حديث الا معك ولا يمين الا فى عنقك فمناه وطيب قلبه وجهزه وسيره مع ولده وامر بهما اجنادا يحفظونهما فسارا كارهين فلما بلغا فرشابور خرج اهلها اليهما يبكون ويدعون لهما فزجرهم الموكلون بهما وقالوا سلطان يزور سلطانا آخر لاى شئ تبكون وضربوهم فعادوا وخرج ولد خطيبها الى خسروشاه متوجها له قال فلما دخلت عليه اعلمته رسالة أبى وقلت انه قد اعتزل الخطابة ولا حاجة بى الى خدمة غيركم فقال لى سلم عليه واعطانى فرجية فوطا ومصلى من عمل الصوفية وقال هذه تذكرة ابيك عند ابى فسلمها اليه وقل له درمع الدهر كيفما دار وانشد بلسان فصيح

وليس كعهد الدار يا ام مالك ✽ ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

قال فانصرفت الى ابى وعرفته الحال فبكى وقال قد ايقن الرجل بالهلاك ثم رحلوا فلما بلغوا بلد الغور لم يجتمع بهما غياث الدين بل امر بهما فرفعا الى بعض القلاع فكان آخر العهد بهما وهو آخر ملوك آل سبكتكين وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلثمائة فتكون مدة ولايتهم مائتى سنة وثلاث عشرة سنة تقريبا وكان ملوكهم من احسن الملوك سيرة ولا سيما جدهم محمود فان آثاره فى الجهاد معروفة واعماله للآخرة مشهورة

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ✽ قوم بآبائهم أو مجدهم قعدوا

فتبارك الذى لا يزول ملكه ولا تغيره الدهور فاف لهذه الدنيا الدنية تفعل هذا بابنائها نسال الله تعالى ان يكشف عن قلوبنا حتى نرى الدنيا بعين الحقيقة وان يقبل بنا اليه وان يشغلنا به عما سواه انه على كل شئ قدير هكذا ذكر بعض فضلاء خراسان أن خسروشاه آخر ملوك آل سبكتكين وقد ذكر غيره انه توفى فى الملك وملك بعده ابنه ملكشاه وسنذكره فى سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبالجملة فابتداء دولة الغورية عندى فيها

من جبل الدروز يسمى الياس واجتمع بعمر على من اوصله الى الباشا وهو بكتاش وخلافه وعرفوه عن صناعته وانه يعمل آلات باسهل عمل مما يصنعه صناع الضربخانه ويوفر على الباشا كذا وكذا من الاموال التى تذهب فى الدواليب والكلف وما ياخذه المباشرون من المكاسب لانفسهم وافرد له بقعة خاصة به بجانب الضربخانه وامر بحضور ما يطلبه اليه من الحديد والصناع واستمر على ذلك شهورا ولما تمم الآلة صنع قروشا وضربها ناقصة فى الوزن والعيار وبعض كتابتها على نسق القروش الرومية ووزن القرش درهمان وربع وفيه من الفضة الخالصة الربع بل اقل والثلاثة ارباع نحاس وكان المرتب فى الاموال من النحاس فى كل يوم قنطارين فضوعف الى ستة قناطير حتى غلا سعر النحاس والاوانى المتخذة منه فبلغ سعر الرطل النحاس المستعمل مائة واربعين نصف فضة بعد ان كان سعره فى الازمان السابقة اربعة عشر نصفا والقراضة سبعة انصاف أو اقل ثم زاد الطلب للضربخانه الى عشرة قناطير فى كل يوم والمباشر لذلك كله بكتاش افندى ثم ان بكتاش افندى المذكور انحرف على ذلك الدرزى وذلك باغراء المعاير وحصل بينهما مناقشة بين يدى الباشا والمعلم غالى بينهم وانحط الامر فى ذلك المجلس على منع الدرزى من مباشرة العمل ووقت

خلاف لو ينكشف الحق فاصلحه ان شاء الله تعالى

(ذكر الخطبة لغياث الدين بالسلطنة)

لما استقر ملكهم بلهاوور واتسعت مملكتهم وكثرت عساكرهم وأموالهم كتب غياث الدين الى اخيه شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة وتلقب بالقاب السلاطين كان لقبه شمس الدين فتلقب غياث الدين والدنيا معين الاسلام قسيم امير المؤمنين ولقب اخاه بمعز الدين ففعل شهاب الدين ذلك وخطب له بالسلطنة

(ذكر ملك غياث الدين هراة وغيرها من خراسان)

لما فرغ شهاب الدين من اصلاح امر لهاوور وتقرير قواعدها سار الى اخيه غياث الدين فلما اجتمع به استقر رأيهما على المسير الى خراسان وقصد مدينة هراة ومحاصرتها فسار في العسكر الكثيرة اليها وكان بها جماعة من الاتراك السنجرية فنازلا البلد وحصراه وضيقا على من به فاستسلموا اليهما وارسلوا يطلبون الامان منهما فاجاباهم الى ذلك وامناهم فتسلما البلد واخرجا من فيه من الامراء السنجرية واستناب فيه غياث الدين خرنك الغوري وسار غياث الدين واخوه الى فوشنج فملكاها ثم الى باذغيس وكالين وبيوار فملكاها ايضا وتسلم ذلك جميعه غياث الدين واحسن السيرة في اهل البلاد ورجع الى فيروز كوه ورجع شهاب الدين الى غزنة وكان ينبغي ان حوادث الغورية تذكر في السنين وانما جمعناها ليتلو بعضها بعضا ولان فيه ما لم يعرف تاريخه وتركناه بحاله

(ذكر ملك شهاب الدين مدينة آجرة من بلد الهند)

لما رجع شهاب الدين من خراسان الى غزنة اقام بها حتى اراح واستراح هو وعساكره ثم سار الى بلد الهند فحاصر مدينة آجرة وبها ملك من ملوك الهند فلم يظفر منه بطائل وكان للهندي زوجة غالبة على امره فراسلها شهاب الدين انه يتزوجها فاعادت الجواب انها لا تصلح له وان لها ابنة جميلة تزوجه اياها فارسل اليها يجيبها الى التزويج بابنتها فسقت زوجها سما فمات وسلمت البلد اليه فلما تسلمه اخذ الصبية فاسلمت وتزوجها وحملها الى غزنة واجرى عليها الجرايات الوافرة ووكل بها من علمها القرآن وتشاغل عنها فتوفيت والدتها ثم توفيت هي بعد عشر سنين ولم يرها ولم يقربها فبنى لها مشهدا ودفنها فيه واهل غزنة يزورون قبرها ثم عاد الى بلد الهند فذل له صعابها وتيسر له فتح الكثير من بلادهم ودوخ ملوكهم وبلغ منهم ما لم يبلغه احد قبله من ملوك المسلمين

(ذكر ظفر الهند على المسلمين)

لما اشتدت نكاية شهاب الدين في بلاد الهند واثخانه في اهلها واستيلاؤه عليهم اجتمع ملوكهم وتآمروا بينهم ووبخ بعضهم بعضا فاتفق رأيهم على الاجتماع والتعاضد على حربه فجمعوا عساكرهم وحشدوا واقبل اليهم الهنود من كل فج عميق على الصعب والذلول

له الباشا اربعة اكياس لمصرفه فى كل شهر ومنعوا ايضا من كان معه من نصارى الشوام من الطلوع الى الضربخانة واستمر يكتاش افندى ناظرا عليها ودقق على ارباب الوظائف والخدم ليأخذ بذلك وجاهة عند مخدومه ثم ان الباشا بعد ايام امر بنفى الدرزى من مصر وجميع اهله واولاده وانقضى امره بعد ان تعلموا تلك الصناعة منه وفى تلك المدة بلغ ايراد الضربخانه لخزينة الباشا فى كل شهر الفا وخمسمائة كيس وكان الذى يرد منها فى زمن المصريين ثلاثين كيسا فى كل شهر او اقل من ذلك فلما التزم بها السيد احمد المحروقى اوصلها الى خمسين واستمرت على ابنه السيد محمد كذلك مدة فانتبذ لها محمد افندى طبل المعروف بناظر المهمات وزاد عليها ثلاثين كيسا وبقيت تحت نظارة المحروقى بذلك القدر ثم ان الباشا عزل السيد محمدا المحروقى عنها وابقاها على ذمته وقيد خاله فى نظارتها ولم يزل الباشا يلعب بهذه الملاعيب حتى بلغت هذا المبلغ المستمر وربما تزيد وذلك خلاف الغرامات والمصادرات لاربابها ثم وشى له على عبد الله اغا بكتاش بانه يزيد فى وزن القروش وينقص منه عن القدر المحدود فاذا حسب القدر المنقوص وحمل معدله فى مدة نظارته تحصل منه مقدار عظيم من الاكياس فلما نوقش فى ذلك قال هذا الامر يسئل فيه صاحب العيار فاحضروه واحضروا

وجدّوا بجدهم وحديدهم وكان الحاكم على جميع الملوك المجتمعين امرأة هي من اكبر ملوكهم فلما سمع باجتماعهم ومسيرهم اليه تقدم هو ايضا اليهم في عسكر عظيم من الغورية والخلج والخراسانية فالتقوا واقتتلوا فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم المسلمون وركبهم الهنود يقتلون ويأسرون واثخنوا فيهم واصاب شهاب الدين ضربة بطلت منها يده اليسرى وضربة أخرى على رأسه فسقط منها الى الارض وحجز الليل بين الفريقين فاحس شهاب الدين بجماعة من غلمانه الاتراك في ظلمة الليل وهم يطلبونه في القتلى ويبكون وقد رجع الهنود الى ورائهم فرآه بعضهم وهو على ما به من الجهد فجاؤا اليه مسرعين وحملوه على رؤسهم رجالة يتناوبون حمله حتى بلغوا مدينة آجرة مع الصباح وشاع خبر سلامته في الناس فجاؤا اليه يهنؤنه من أقطار البلاد فاول ما عمل انه اخذ امراء الغورية الذين انهزموا عنه واسلموه فملأ مخالي خيلهم شعيرا وحلف ائن لم ياكلوه ليضربن أعناقهم فأكلوه ضرورة وبلغ الخبر الى أخيه غياث الدين فارسل اليه يلومه على عجلته واقدامه وانفذ اليه جيشا عظيما

(ذكر ظفر المسلمين بالهند)

لما سلم شهاب الدين وعاد الى آجرة واتاه المدد من أخيه غياث الدين وعاد الهنود جددوا سلاحهم ووفروا جمعهم واقاموا اعواض من قتل منهم وسارت ملكتهم وهم معها في عدد يضيق عنه الفضاء فراسلها شهاب الدين يخدعها بانه يتزوجها فلم تجبه الى ذلك وقالت اما الحرب واما ان تسلم بلاد الهند وتعود الى غزنة فاجابها الى العود الى غزنة وانه يستأذن اخاه غياث الدين فعل ذلك مكرا وخديعة وكان بين العسكرين نهر وقد حفظ الهنود المخاضات فلا يقدر احد من المسلمين أن يجوزه واقاموا ينتظرون ما يكون من جواب غياث الدين بزعمهم فبينما هم كذلك اذ وصل انسان هندي الى شهاب الدين واعلمه انه يعرف مخاضا قريبا من عسكر الهنود وطلب ان يرسل معه جيشا يعبرهم المخاض ويكبسون الهنود وهم غارون آمنون فخاف شهاب الدين أن تكون خديعة ومكرا فاقام له ضمناء من أهل آجرة والمولتان فارسل معه جيشا كثيفا وجعل عليهم الامير الحسين بن خرميل الغوري وهو الذي صار بعد صاحب هراة وكان من الشجاعة والرأي بالمنزلة المشهورة فسار الجيش مع الهندي فعبروا النهر فلم يشعر الهنود الا وقد خالطهم المسلمون ووضعوا السيف فيهم فاشتغل الذين كانوا يحفظون المخاضات فعبر شهاب الدين وباقي العساكر واحاطوا بالهنود واكثروا القتل فيهم ونادوا بشعار الاسلام فلم ينج من الهنود الا من عجز المسلمون عن قتله واسره وقتلت ملكتهم وتمكن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند وامن معرة فسادهم والتزموا له بالاموال وسلموا اليه الرهائن وصالحوه واقطع مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلي وهي كرسي الممالك التي فتحها من الهند فارسل عسكرا من الخلج مع محمد بن بختيار فملكوا من بلاد الهند مواضع ما وصل اليها مسلم قبله حتى قاربوا حدود الصين من جهة المشرق وقد

ذهبت هذه الخمسة اكياس فطفقوا ينظرون الى بعضهم فقال المورد الحق ان هذه الخمسة اكياس من حساب محمد افندي ومطلوبة له وتجاوز عنها لان اليهودي المورد من مدة سابقة فالتفت الباشا الى محمد افندي وقال له لاي شيء تجاوزت لليهودي عن هذا القدر فقال لعلمي انه خلي ليس عنده شيء فاخذتني الرأفة عليه وتركت مطالبته حتى يحصل له اليسار فقال كيف تتم مسامحتي على اليهودي فقال انه من حسابي فقال ومن اين كان لك ذلك وأمر به فبطحوه وضربوه بالعصي ثم أقاموه واضافوا الخمسة أكياس على باقي الغرامة المطلوبة منه التي هو متعسر في تحصيلها ولولا الاستدانة من الربويين كما قال القائل

شكوت جلوس انسان ثقيل
فجاؤوني بمن هو منه أثقل
فكنت كمن شكا الطاعون يوما
فزادوه على الطاعون دملا

محمد أفندي هذا من وجهاء الناس وخيارهم يفعل به هذه الفعال ثم انحط الحال مع بكتاش افندي على ان فرض عليه ثمانمائة كيس يقوم بدفعها فقال ويعفوني افندينا من نظارة الضربخانة فلم يجبه الى ذلك واستمر في تلك الخدمة مكرها خائفا من عواقبها (ومنها) ان الريال حدثني

حدثني صديق لي من التجار بوقعة بين تشبه هاتين الوقعتين المذكورتين وبينهما بعض الخلاف وقد ذكرناهما سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي يعقوب الكاتب ببغداد وكان يسكن بالمدرسة النظامية وحضر متولي التركات وختم على الغرفة التي كان يسكنها بالمدرسة فثار الفقهاء وضربوا المتولي وهذه عادتهم فيمن يموت بها وليس له وارث فقبض حاجب الباب على رجلين من الفقهاء وعاقبهما وحبسهما فاغلق الفقهاء المدرسة والقوا كرسي الوعاظ في الطريق وصعدوا سطح المدرسة ليلا واستغاثوا وتركوا الادب وكان حينئذ مدرسهم الشيخ أبا النجيب فجاء والقى نفسه تحت التاج يعتذر فعفي عنه وفيها توفي حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وميافارقين وكانت ولايته نيفا وثلاثين سنة وتولى بعده ابنه نجم الدين ألبي وفيها مات أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الارموي الشافعي المحدث ومولده سنة تسع وخمسين واربعمائة وفيها توفي أبو الاسعد عبد الرحمن القشيري في شوال وهو شيخ شيوخ خراسان وفيها في المحرم باض ديك ببغداد بيضة وباض بازي بيضتين وباضت نعامة لاذكر معها بيضة

(ثم دخلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام سنجر من الغز ونهبهم خراسان وما كان منهم)

في هذه السنة في المحرم انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك مسلمون كانوا بما وراء النهر فلما ملك الخطا أخرجوهم منه كما ذكرناه فقصدوا خراسان وكانوا خلقا كثيرا فاقاموا بنواحي بلخ يرعون في مراعيها وكان لهم أمراء اسم أحدهم دينار والآخر بختيار والآخر طوطي والآخر أرسلان والآخر جغر والآخر محمود فاراد الامير قماج وهو مقطع بلخ ابعادهم فصانعوه بشئ بذلوه له فعاد عنهم فاقاموا على حالة حسنة لا يؤذون أحدا ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ثم ان قماج عاودهم وأمرهم بالانتقال عن بلاده فامتنعوا وانضم بعضهم الى بعض واجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك فسار قماج اليهم في عشرة آلاف فارس فجاء اليه أمراؤهم وسألوه ان يكف عنهم ويتركهم في مراعيهم ويعطونه من كل بيت مائتي درهم فلم يجبهم الى ذلك وشدد عليهم في الانتزاح عن بلاده فعادوا عنه واجتمعوا وقاتلوه فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره واكثروا القتل في العسكر والرعايا واسترقوا النساء والاطفال وعملوا كل عظيمة وقتلوا الفقهاء وخربوا المدارس وانتهت الهزيمة بقماج الى مرو وبها السلطان سنجر فاعلمه الحال فراسلهم سنجر يتهددهم فامرهم بمفارقة بلاده فاعتذروا وبذلوا بذلا كثيرا ليكف عنهم ويتركهم في مراعيهم فلم يجبهم الى ذلك وجمع عساكره من أطراف البلاد واجتمع معه ما يزيد على مائة الف فارس وقصدهم ووقع بينهم حرب شديدة فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو ايضا وتبعهم الغز قتلا واسرا فصار قتلى العسكر كالتلال وقتل علاء الدين

الفرانسة بلغ في مصارفته من الفضة العددية الى مائتين وثمانين نصفا بل وزيادة خمسة أنصاف فنودي عليه بنقص عشرة وشددوا في ذلك وبعد أيام نودي بنقص عشرة أخرى فخسر الناس حصة من اموالهم ثم ان ذلك القرش الذي يضاف اليه من الفضة ربع درهم ووزن الريال تسعة دراهم فضة فيكون الريال الواحد بما يضاف اليه من النحاس على هذا الحساب ستة وثلاثين قرشا يخرج منها من الريال ستة قروش ونصف وكلفة الشغل في الجملة قرش او قرشان يبقى بعد ذلك سبعة وعشرون قرشا ونصف وهو المكسب في الريال الواحد وهو من جملة سلب الاموال لان صاحب الريال اذا اراد صرفه أخذ بدله ستة قروش ونصفا وفيها من الفضة درهم ونصف وثمن وهي بدل التسعة دراهم التي هي وزن الريال ثم زيد في الطنبور نغمة وهي الحجر على الفضة العددية فلا يصرفون شيئا منها للصيارف ولا لغيرهم الا بالفرط وهو اربعة قروش على كل الف فيعطي الضربخانة تسعة وعشرون قرشا لا ثلاثين ويأخذ الف فضة عنها خمسة وعشرون قرشا ثم زادوا بعد ذلك في الفرط فجعلوه خمسة قروش فيعطي الفا ومائتين ويأخذ بدلها الفا فانظر الى هذه الزيادة والرذالة وكذا السفالة (ومنها) استمرار غلاء الاسعار في كل شئ وخصوصا في الاقوات

المأكولات كاللحم والسمن
والعسل والسكر وغير ذلك
مثل الخضارات وابطال
جميع المذابح خلاف مذبح
الحسينية والتزم به المحتسب
بمبلغ عظيم مع كفاية لحم
الباشا واكابر دولته بالثمن
القليل ويوزع الباقي على
الجزارين بالسعر الاعلى الذي
يخرج منه ثمن لحوم الدولة من
غير ثمن فينزل الجزار بما
يكون معه من الغنمة او
الاثنين الخفيف الى بيت او
عطفة مستورة فتزدحم عليه
المتبعون له والمنتظرون اليه
ويقع بينهم من المضاربة
والمشاجرة مالا يوصف وثمن
الرطل اثنا عشر نصفا وقد يزيد
على ذلك ولا ينقص عن الاثني
عشر وكذلك الخضراوات
التي كانت تباع جزافا تباع
باقصى القيمة حتى ان الخس
مثلا الذي كان يباع كل
عشرة اعداد بنصف واحد
صارت الواحدة تباع بنصف
وقس على ذلك باقي
الخضراوات وان الباشا لما
وضع يده على الاراضي القريبة
وانشا السواقي تجاه القصر
والبستان بناحية شبرا وحرث
الاراضي الخرس وزرع فيها
انواع الخضراوات واجرى
عليها المياه وقيد لخدمتها
المزارعين ايضا والمزارعين
بالمؤاجرة والمباشر على ذلك كله ذو الفقار كتخدا وعندما يبدو صلاح البقول والخضراوات يبيعها

قماج واسر السلطان سنجر واسر معه جماعة من الامراء فاما الامراء فضربوا اعناقهم
واما السلطان سنجر فان امراء الغز اجتمعوا وقبلوا الارض بين يديه وقالوا نحن عبيدك
لا نخرج عن طاعتك فقد علمنا انك لم ترد قتالنا وانما حملت عليه فانت السلطان ونحن
العبيد فمضى على ذلك شهران او ثلاثة ودخلوا معه الى مرو وهي كرسي ملك خراسان
وطلبها منه بختيار اقطاعا فقال السلطان هذه دار الملك ولا يجوز ان تكون اقطاعا لاحد
فضحكوا منه وحبق له بختيار بفمه فلما رأى ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانكاه
مرو وتاب عن الملك واستولى الغز على البلاد وظهر منهم من الجور ما لم يسمع بمثله وولوا
على نيسابور واليا فقسط على الناس كثيرا وعسفهم وضربهم وعلق في الاسواق ثلاث
غرائر وقال اريد مل‌ء هذه ذهبا فثار عليه العامة فقتلوه ومن معه فركب الغز ودخلوا
نيسابور ونهبوها نهبا مجحفا وجعلوها قاعا صفصفا وقتلوا الكبار والصغار واحرقوها
وقتلوا القضاة والعلماء في البلاد كلها فممن قتل الحسين بن محمد الارسابندي والقاضي
علي بن مسعود والشيخ محيي الدين محمد بن يحيى واكثر الشعراء في مراثي محمد بن يحيى
فممن قال فيه علي بن ابراهيم الكاتب

مضى الذي كان يحيي الدرس من فيه * يسيل بالفضل والافضال واديه
مضى ابن يحيى الذي قد كان صوب حيا * لابن شهر ومصباحا لداجيه
خلا خراسان من علم ومن ورع * لما نعاه الى الآفاق ناعيه
لما اماتوه مات الدين وا اسفا * من ذا الذي بعد محيي الدين يحييه

ويتعذر وصف ما جرى منهم بتلك البلاد جميعها ولم يسلم من خراسان شيء لم تنهبه الغز غير
هراة ودهستان لانها كانت حصينة فامتنعت وقد ذكر بعض مؤرخي خراسان من
اخبارهم ما فيه زيادة وضوح وقال ان هؤلاء الغز قوم انتقلوا من نواحي الثغر من
اقاصي الترك الى ما وراء النهر في ايام المهدي واسلموا واستنصر بهم المقنع صاحب
المخاريق الشعبذة حتى تم امره فلما سارت العساكر اليه خذله هؤلاء الغز واسلموه وهذه
عادتهم في كل دولة كانوا فيها فعلوا مثل ذلك مع الملوك الخاقانية الا ان الاتراك
القارغلية قهروهم وطردوهم عن اوطانهم فدعاهم الامير زنكي بن خليفة الشيباني
المستولي على حدود طخارستان اليه وانزلهم بلاده وكانت بينه وبين الامير قماج عداوة
احكمتها الايام للمجاورة التي بينهما وكل منهما يريد ان يعلو على الآخر ويحكم عليه
فتقوى بهم زنكي وساروا معه الى بلخ لمحاربة قماج فكاتبهم قماج فمالوا اليه وخذلوا
زنكي عند الحرب فاخذ زنكي وابنه اسيرين فقتل قماج ابن زنكي وجعل يطعم اباه لحمه
ثم قتل الاب ايضا واقطع قماج الغز واباحهم مراعي بلاده فلما قام الحسين بن
الحسين الغوري وقصد بلخ خرج اليه قماج وعساكره ومعه الغز ففارقه الغز وانضموا
الى الغوري حتى ملك مدينة بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ ففارقها الغوري بعد قتال
انهزم منه ثم دخل الى السلطان سنجر لعجزه عن مقاومته فرده الى غزنة وبقي الغز
بنواحي طخارستان وفي نفس قماج منهم الغيظ العظيم لما فعلوه معه فاراد صرفهم عن

بلاده

بلاده فتجمعوا وانضم اليهم طوائف من الترك وقدموا عليهم ارسلان بوقا التركي فجمع قماج عسكره ولقيهم فاقتتلوا يوما كاملا الى الليل فانهزم قماج وعسكره وأسر هو وابنه ابو بكر فقتلوهما واستولوا على نواحي بلخ وعاثوا فيها وافسدوا بالنهب والقتل والسلب وبلغ السلطان سنجر الخبر فجمع عساكره وسار اليهم فراسلوه يعتذرون ويتنصلون فلم يقبل عذرهم ووصل اليهم مقدمة السلطان وفيها محمد بن ابي بكر بن قماج المقتول والمؤيد اي ابه في المحرم من سنة ثمان واربعين وخمسمائة ووصل بعدهم السلطان سنجر فالتقاه الغز بعد ان ارسلوا يعتذرون ويبذلون الاموال والطاعة والانقياد الى كل ما يؤمرون به فلم يقبل سنجر ذلك منهم وسار اليهم فلقوه وقاتلوه وصبروا له ودام قتالهم فانهزم عسكر سنجر وهو معهم فتوجهوا الى بلخ على اقبح صورة وتبعهم الغز واقتتلوا مرة ثانية فانهزم السلطان سنجر أيضا وهو منهزما الى مرو في صفر من السنة فقصد الغز اليها فلما سمع العسكر الخراساني بقربهم منهم اجفلوا من بين أيديهم هاربين لما دخل في قلوبهم من خوفهم والرعب منهم فلما فارقها السلطان والعسكر دخلها الغز ونهبوها اشنع نهب واقبحه وذلك في جمادى الاولى من السنة وقتل بها كثير من أهلها وأعيانها منهم قاضي القضاة الحسن بن محمد الارسابندي والقاضي على بن مسعود وغيرهما من الائمة العلماء ولما خرج سنجر من مرو قصد بوزابة واخذه الغز اسيرا واجلسوه على تخت السلطنة على عادته وقاموا بين يديه وبذلوا له الطاعة ثم عاودوا الغارة على مرو في رجب من السنة فمنعهم أهلها وقاتلوهم قتالا شديدا بذلوا فيه جهدهم وطاقتهم ثم انهم عجزوا فاستسلموا اليهم فنهبوها اقبح من النهب الاول لم يتركوا بها شيئا وكان قد فارق سنجر جميع أمراء خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك ولم يبق عنده غير نفر يسير من خواصه وخدمه فلما وصلوا الى نيسابور أحضروا الملك سليمان شاه ابن السلطان محمود فوصل الى نيسابور تاسع عشر جمادى الآخرة من السنة فاجتمعوا عليه وخطبوا له بالسلطنة وسار في هذا الشهر جماعة من العسكر السلطاني الى طائفة كثيرة من الغز فاوقعوا بهم وقتلوا منهم كثيرا وانهزم الباقون الى امرائهم الغزية فاجتمعوا معهم ولما اجتمعت العساكر على الملك سليمان شاه وساروا الى مرو يطلبون الغز فبرز الغز اليهم فساعة رآهم العسكر الخراساني انهزموا وولوا على ادبارهم وقصدوا نيسابور وتبعهم الغز فمروا بطوس وهي معدن العلماء والزهاد فنهبوها وسبوا نساءها وقتلوا رجالها وخربوا مساجدها ومساكن أهلها ولم يسلم من جميع ولاية طوس الا البلد الذي فيه مشهد علي بن موسى الرضا ومواضع أخر يسيرة لها أسوار وممن قتل من أعيان أهلها امامها محمد المارشكي ونقيب العلويين بها علي الموسوي وخطيبها اسمعيل بن الحسن وشيخ شيوخها محمد بن محمد وافنوا من بها من الشيوخ الصالحين وساروا منها الى نيسابور فوصلوا اليها في شوال سنة تسع واربعين ولم يجدوا دونها مانعا ولا مدافعا فنهبوها نهبا ذريعا وقتلوا أهلها فاكثروا حتى ظنوا انهم لم يبقوا بها احدا حتى انه أحصي في محلتين خمسة عشر الف قتيل من الرجال دون النساء والصبيان

١١ بخ مل ١١

المشعبين فيها باغلى ثمن وهم يبيعونها على الناس بما أحبوا وشاع بين الناس اضافة ذلك الى الباشا فيقولون كرنب الباشا وافت الباشا وملوخية الباشا وفجل الباشا وقرنبيط الباشا وزرع أيضا بستانه من أنواع الزهور العجيبة المنظر المتنوعة الاشكال من الاحمر والاصفر والازرق والملون اتوا ببذرها من بلاد الروم فنبتت وافلحت وليس لها الاحسن المنظر فقط ولا رائحة لها اصلا (ومنها) ان ديوان المكس ببولاق الذي يعبرون عنه بالكمرك لم يزل يتزايد فيه المتزايدون حتى اوصلوه الى الف وخمسمائة كيس في السنة وكان في زمن المصريين يؤدي من يلتزمه ثلاثين كيسا مع محاباة الكثير من الناس والعفو عن كثير من البضائع لمن ينسب الى الامراء واصحاب الوجاهة من اهل العلم وغيرهم فلا يتعرضون له ولو تحامى في بعض اتباعهم ولو بالكذب ويعاملون غيرهم بالرفق مع التجاوز الكثير ولا يفتشون المتاع ولا رباط الشئ المحزوم بل على الصندوق او المحزوم قدر يسير معلوم فلما ارتفع امره الى هذه المقادير صاروا لا يعفون عن شئ مطلقا ولا يسامحون أحدا ولو كان عظيما من العلماء أو من غيرهم وكان من عادة التجار اذا بعثوا الى شركائهم محزوما من الاقمشة الرخيصة مثل العاتكي والتابابي جعلوا بداخل طيها أشياء من

وسبوا نساءها واطفالها واخذوا اموالها وبقي القتلى في الدروب كالتلال بعضهم فوق بعض واجتمع اكثر أهلها بالجامع المنيعي تحصنوا به فحصرهم الغز فعجز اهل نيسابور عن منعهم فدخل الغز اليهم فقتلوهم عن آخرهم وكانوا يطلبون من الرجال المال فاذا اعطاهم أحد قتلوه وقتلوا كثيرا من أئمة العلماء والصالحين منهم محمد بن يحيي الفقيه الشافعي الذي لم يكن في زمانه مثله كان رحلة الناس من اقصى الغرب والشرق اليه ورثاه جماعة من العلماء منهم ابو الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي فقال

يا سافكا دم عالم متبحر ✽ قد طار في اقصى الممالك صيته
بالله قل لي يا ظلوم ولا تخف ✽ من كان محيي الدين كيف تميته

ومنهم الزاهد عبد الرحمن بن عبد الصمد الاكاف وأحمد بن الحسين الكاتب سبط القشيري وأبو البركات الفراوي والامام علي الصباغ المتكلم واحمد بن محمد بن حامد وعبد الوهاب المقابادي والقاضي صاعد بن عبد الملك بن صاعد والحسن بن عبد الحميد الرازي وخلق كثير من الائمة والزهاد والصالحين واحرقوا ما بها من خزائن الكتب ولم يسلم الا بعضها وحصروا شارستان وهي منيعة فاحاطوا بها وقاتلهم أهلها من فوق سورها وقصدوا جوين وبذلوا نفوسهم لله تعالى وحموا بعضهم والباقي أتى النهب والقتل عليه ثم قصدوا اسفراين فنهبوها وخربوها وقتلوا في اهلها فاكثروا وممن قتل عبد الرشيد الاشعثي وكان من أعيان دولة السلطان فتركها وأقبل على الاشتغال بالعلم وطلب الآخرة وأبو الحسن الفندورجي وكان من ذوي الفضائل لاسيما في علم الادب ولما فرغ الغز من جوين واسفراين عادوا الى نيسابور فنهبوا ما بقي فيها بعد النهب الاول وكان قد لحق بشهرستان كثير من أهلها فحصرهم الغز واستولوا عليها ونهبوا ما كان فيها لاهلها ولاهل نيسابور وهتكوا الحرم والاطفال وفعلوا ما لم يفعله الكفار مع المسلمين وكان العيارون أيضا ينهبون نيسابور راشد من نهب الغز و يفعلون اقبح من فعلهم ثم ان السلطان سليمان شاه ضعف وكان قبيح السيرة سيئ التدبير وان وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك توفي في شوّال سنة ثمان واربعين فضعف أمره واستوزر سليمان شاه بعده ابنه نظام الملك أبا علي الحسن بن طاهر وانحل أمر دولته بالكلية ففارق خراسان في صفر سنة تسع وأربعين وعاد الى جرجان فاجتمع الامراء وراسلوا الخان محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر وخطبوا له على منابر خراسان واستدعوه اليهم فملكوه أمورهم وانقادوا له في شوّال سنة تسع وأربعين وخمسمائة وساروا معه الى الغز وهم يحاصرون هراة وجرت بينهم حروب كان الظفر في اكثرها للغز ورحلوا في جمادي الاولى من سنة خمسين وخمسمائة وسار معهم من على هراة الى مرو وعاودوا المصادرة لاهلها وسار الخان محمود بن محمد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد على ما نذكره وراسل الغز في الصلح فاصطلحوا في رجب من سنة خمسين وخمسمائة هدنة على دخل وسيرد باقي اخبارهم سنة اثنتين وخمسين

✽(ذكر ملك المؤيد نيسابور وغيرها)✽

الاقمشة الغالية في الثمن مثل المقصبات الحلبي والكشميري والهندي ونحو ذلك فتندرج معها في قلة الكمرك وفي هذا الاوان يحلون رباط المحزوم و يفتحون الصناديق و ينبشون المتاع و يهتكون ستره ويحصرن عدده ويأخذون عشره أي من كل عشرة واحدا أو ثمنه كما يبيعه التاجر غاليا اورخيصا حتى البوابيج والاخفاف والمسرت التي تجلب من الروم يفتحون صناديقها و يعدونها بالواحد و يأخذون عشورها عينا أو ثمنا و يفعل ذلك ايضا متولي كمرك الاسكندرية ودمياط واسلامبول والشام فبذلك غلت أسعار البضائع من كل شئ لفحش هذه الامور وخصوصا في الاقمشة الشامية والحلبية والرومية المنسوجة من القطن والحرير والصوف فان عليها بمفردها مكوسا فاحشة قبل نسجها وكان الدرهم الحرير في السابق بنصف فضة فصار الآن بخمسة عشر نصفا وما يضاف اليه من الاصباغ وكلف الصناع والمكوس المذكورة فبذلك بلغ الغاية في غلو الثمن فيباع الثوب الواحد من القماش الشامي المسمى بالالاجة الذي كانت قيمته في السابق مائتي نصف فضة بالفين فضة مع ما يضاف اليه من ربح البائع وطمع التاجر والنعل الرومي الذي كان يباع بستين نصفا صار يباع باربعمائة نصف والذراع الواحد من الجوخ

كان

كان للسلطان سنجر مملوك اسمه اى ابه ولقبه المؤيد فلما كانت هذه الفتنة تقدم وعلا شانه واطاعه كثير من الامراء فاستولى على نيسابور وطوس ونسا وابيورد وشهرستان والدامغان وازاح الغز عن الجميع وقتل منهم خلقا كثيرا واحسن السيرة وعدل فى الرعية واستمال الناس ووفر الخراج على اهله وبالغ فى مراعاة ارباب البيوت فاستقرت البلاد له ودانت له الرعية لحسن سيرته وعظم شانه وكثرت جموعه فراسله خاقان محمود بن محمد فى تسليم البلاد والحضور عنده فامتنع وترددت الرسل بينهم حتى استقر على المؤيد مال يحمله الى الملك محمود فكف عنه محمود واقام المؤيد بالبلاد هو والسلطان محمود

(ذكر ملك اينانج الرى)

كان اينانج احد مماليك السلطان سنجر فلما كان من فتنة الغز ما ذكرناه هرب من خراسان ووصل الى الرى فاستولى عليها واقام بها وارسل الى السلطان محمد شاه بن محمود صاحب همذان واصفهان وغيرها يخدمه وهاداه وارضاه واظهر له الطاعة وبقى بها الى ان مات السلطان محمد فاستولى على عدة بلاد تجاور الرى فملكها فعظم امره وعلا شانه وصارت عساكره عشرة آلاف فارس فلما ملك سليمان شاه همذان على ما نذكره حضر عنده واطاعه لانه به كان أيام مقام سليمان شاه بخراسان فتقوى أمره بذلك

(ذكر قتل ابن السلار وزير الظافر ووزارة عباس)

فى هذه السنة فى المحرم قتل العادل بن السلار وزير الظافر بالله قتله ربيبه عباس بن ابى الفتوح بن يحيى الصنهاجى اشار اليه بذلك الامير اسامة بن منقذ ووافق عليه الخليفة الظافر بالله فامر ولده نصرا فدخل على العادل وهو عند جدته أم عباس فقتله وولى الوزارة بعده ربيبه عباس وكان عباس قد قدم من المغرب كما ذكرناه الى مصر وتعلم الخياطة وكان خياطا حسنا فلما تزوج ابن السلار بامه احبه واحسن تربيته فجازاه بان قتله وولى بعده وكانت الوزارة فى مصر لمن غلب والخلفاء وراء الحجاب والوزراء كالمتملكين وقل ان وليها احد بعد الافضل الا بحرب وقتل وما شاكل ذلك فلهذا ذكرناهم فى تراجم مفردة والله اعلم

(ذكر الحرب بين العرب وعساكر عبد المؤمن)

فى هذه السنة فى صفر كانت الحرب بين عساكر عبد المؤمن والعرب عند مدينة سطيف وسبب ذلك ان العرب وهم بنو هلال والاثبج وعدى ورياح وزغب وغيرهم من العرب لما ملك عبد المؤمن بلاد بنى حماد اجتمعوا من أرض طرابلس الى اقصى المغرب وقالوا ان جاورنا عبد المؤمن اجلانا من المغرب وليس الرأى الا القاء الجد معه واخراجه من البلاد قبل ان يتمكن وتحالفوا على التعاون والتظافر وان لا يخون بعضهم بعضا وعزموا على لقائه بالرجال والاهل والمال ليقاتلوه قتال الحريم واتصل الخبر بالملك رجار الفرنجى صاحب صقلية فارسل الى امراء العرب وهم محرز بن زياد وجبارة

الذى كان يباع بمائة نصف فضة بلغ فى الثمن الى ألف نصف فضة وهكذا مما يستقصى تتبعه ولا تستقصى مفرداته ويتولى هذه المكارك كل من تزايد فيها من اى ملة كان من نصارى القبط او الشوام او الاروام او من يدعى الاسلام وهم الاقل فى الاشياء الدون والمتولى الآن فى ديوان كمرك بولاق شخص نصرانى رومى يسمى كرابيت من طرف طاهر باشا لانه مختص بارادة واعوان كرابيت من جنسه وعنده قواسة اتراك يحجزون متاع الناس ويقبضون على المسلمين ويسجنونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم واذا عثروا بشخص اخفى عنهم شيئا حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به والزموه بغرامة مجازاة لفعله * والعجب ان بضائع المسلمين يؤخذ عشرها يعنى من العشرة واحد وبضائع الافرنج والنصارى ومن ينتسب اليهم يؤخذ عليها من المائة اثنان ونصف وكذلك احدث عدة اشياء واحتكارات فى كثير من البضائع مثل السكر الذى ياتى من ناحية الصعيد وزيادات فى المكوس القديمة خلاف الحدثات وذلك ان من كان بطالا او كاسد الصنعة او قليل الكسب او خامل الذكر فيعمل فكرته فى شئ مهمل مغفول عنه ويسعى الى الحضرة بواسطة المتقربين او بعرضحال يقرر فيه ان الداعى للحضرة يطلب الالتزام بالصنف الفلانى ويقوم

ابن كامل وحسن بن ثعلب وعيسى بن حسن وغيرهم يحثهم على لقاء عبد المؤمن ويعرض عليهم ان يرسل اليهم خمسة آلاف فارس من الفرنج يقاتلون معهم على شرط ان يرسلوا اليه الرهائن فشكروه وقالوا ما بنا حاجة الى نجدته ولا نستعين بغير المسلمين وساروا في عدد لا يحصى وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية الى بلاد المغرب فلما بلغه خبرهم جهز من الموحدين ما يزيد على ثلاثين الف فارس واستعمل عليهم عبد الله بن عمر الهنتاتي وسعد الله بن يحيي وكان العرب اضعافهم فاستجرهم الموحدون وتبعهم العرب الى ان وصلوا الى ارض سطيف بين جبال فحمل عليهم عسكر عبد المؤمن والعرب على غير اهبة والتقى الجمعان واقتتلوا اشد قتال واعظمه فانجلت المعركة عن انهزام العرب ونصرة الموحدين وترك العرب جميع مالهم من اهل ومال واثاث ونعم فاخذ الموحدون جميع ذلك وعاد الجيش الى عبد المؤمن بجميعه فقسم جميع الاموال على عسكره وترك النساء والاولاد تحت الاحتياط ووكل بهم من الخدم الخصيان من يخدمهم ويقوم بحوائجهم وامر بصيانتهم فلما وصلوا معه الى مراكش انزلهم في المساكن الفسيحة واجرى لهم النفقات الواسعة وامر عبد المؤمن ابنه محمدا ان يكاتب امراء العرب ويعلمهم ان نساءهم واولادهم تحت الحفظ والصيانة وانه قد بذل لهم الامان والكرامة فلما وصل كتاب محمد الى العرب سارعوا الى المسير الى مراكش فلما وصلوا اليها اعطاهم عبد المؤمن نساءهم واولادهم واحسن اليهم واعطاهم اموالا جزيلة فاسترق قلوبهم بذلك واقاموا عنده وكان بهم حفيا واستعان بهم على ولاية ابنه محمد للعهد على ما نذكره سنة احدى وخمسين

(ذكر ملك الفرنج مدينة بونة وموت رجار وملك ابنه غليالم)

في هذه السنة سار اسطول رجار ملك الفرنج بصقلية الى مدينة بونة وكان المقدم عليهم فتاه فيلب المهدوي فحصرها واستعان بالعرب عليها فاخذها في رجب وسبى اهلها وملك ما فيها غير انه اغضى عن جماعة من العلماء والصالحين حتى خرجوا باهليهم واموالهم الى القرى فاقام بها عشرة ايام وعاد الى المهدية وبعض الاسرى معه وعاد الى صقلية فقبض رجار عليه لما اعتمده من الرفق بالمسلمين في بونة وكان فيلب يقال انه وجميع فتيانه مسلمون يكتمون ذلك وشهدوا عليه انه لا يصوم مع الملك وانه مسلم فجمع له رجار الاساقفة والقسوس والرهبان فحكموا بان يحرق فاحرق في رمضان وهذا اول وهن دخل على المسلمين بصقلية ولم يمهل الله رجار بعده الا يسيرا حتى مات في العشر الاول من ذي الحجة من السنة وكان مرضه الخوانيق وكان عمره قريب ثمانين سنة وكان ملكه نحو عشرين سنة ولما مات ملك بعده ابنه غليالم وكان فاسد التدبير سيئ التصرف فاستوزر مايو البرصاني فاساء التدبير فاختلفت عليه حصون من جزيرة صقلية وبلاد قلوريه وتعدى الامر الى افريقية على ما نذكره

(ذكر وفاة بهرام شاه صاحب غزنة)

الخزينة العامرة بكذا من الاكياس في كل سنة فاذا فعل ذلك تنبه المشار اليه فيعد بالانجاز ويؤخر اياما فتتسامع المتكالبون على امثال ذلك فيزيدون على الطالب حتى تستقر الزيادة على شخص اما هو او خلافه ويقيد اسمه بدفتر الروزنامه ويفعل بعد ذلك الملتزم ما يريده وما يقرره على ذلك الصنف ويتخذ له اعوانا وخدمة واتباعا يتولون استخلاص المقررات ويجعلون لانفسهم اقدارا خارجة عن الذي ياخذه كبيرهم والذي تولى كبر ذلك وفتح بابه نصارى الاروام والارمن فتراسوا بذلك وعلت اسافلهم ولبسوا الملابس الفاخرة وركبوا البغال والرهوانات واخذوا بيوت الاعيان التي بمصر القديمة وعمروها وزخرفوها وعملوا فيها بساتين وجنائن وذلك خلاف البيوت التي لهم بداخل المدينة ويركب الكلب منهم وحوله وامامه عدة من الخدم والقواسة يطردون الناس من امامه وخلفه ولم يدعوا شيئا خارجا عن المكس حتى الفحم الذي يجلب من الصعيد والحطب السنط والرتم وحطب الذرة الذي كان يباع منه كل مائة حزمة بمائة نصف فلما احتكروه صار يباع كل مائة حزمة بالف ومائتي نصف وبسبب ذلك تشحطت اشياء كثيرة وغلت اثمانها مثل الجبس والجير وكل ما كان يحتاج للوقود حتى الخبازين في الافران فاننا ادركنا الاردب من

في

في هذه السنة في رجب توفي السلطان بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وكانت ولاية بهرام شاه ستا وثلاثين سنة وكان عادلا حسن السيرة جميل الطريقة محبا للعلماء مكرما لهم باذلا لهم الاموال الكثيرة جامعا للكتب تقرأ بين يديه ويفهم مضمونها ولما مات ملك ولده خسرو شاه الملك بعده

(ذكر ملك الفرنج مدينة عسقلان)

في هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان وكانت من جملة مملكة الظافر بالله العلوي المصري وكان الفرنج كل سنة يقصدونها ويحصرونها فلا يجدون الى ملكها سبيلا وكان الوزراء بمصر لهم الحكم في البلاد والخلفاء معهم اسم لا معنى تحته وكان الوزراء كل سنة يرسلون اليها من الذخائر والاسلحة والاموال والرجال من يقوم بحفظها فلما كان في هذه السنة قتل ابن السلار على ما ذكرناه واختلفت الاهواء في مصر وولي عباس الوزارة والى ان استقرت قاعدته اغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان فاجتمعوا وحصروها فصبر اهلها وقاتلوهم قتالا شديدا حتى انهم بعض الايام قاتلوا خارج السور وردوا الفرنج الى خيامهم مقهورين وتبعهم اهل البلد اليها فايس حينئذ الفرنج من ملكه فبيناهم على عزم الرحيل اذ قد اتاهم الخبر ان البلد قد وقع بين أهله خلاف وقتل منهم قتلى فصبروا وكان سبب هذا الاختلاف انهم لما عادوا عن قتال الفرنج قاهرين منصورين ادعى كل طائفة منهم ان النصرة من جهتهم كانت وانهم هم الذين ردوا الفرنج خاسرين فعظم الخصام بينهم الى ان قتل من احدى الطائفتين قتيل واشتد الخطب وعظم حينئذ وتفاقم الشر ووقعت الحرب بينهم فقتل بينهم قتلى فطمع الفرنج وزحفوا اليه وقاتلوا عليه فلم يجدوا من يمنعهم فملكوه

(ذكر حصر عسكر الخليفة تكريت وعودهم عنها)

في هذه السنة سير الخليفة المقتفي لامر الله عسكرا الى تكريت ليحصروها وارسل معهم مقدما عليهم ابن الوزير عون الدين بن هبيرة وترشك وهو من خواص الخليفة وغيرهما فجرى بين ابن الوزير وترشك منافرة أوجبت أن كتب ابن الوزير يشكو من ترشك فامر الخليفة بالقبض على ترشك فعرف ذلك فارسل الى مسعود بلال صاحب تكريت فصالحه وقبض على ابن الوزير ومن معه من المقدمين وسلمهم الى مسعود بلال فانهزم العسكر وغرق منه كثير وسار مسعود بلال وترشك من تكريت الى طريق خراسان فنهبا وافسدا فسار المقتفي عن بغداد لدفعهما فهربا من بين يديه فقصد تكريت فحصرها اياما وجرى له مع أهلها حروب من وراء السور فقتل من العسكر جماعة بالنشاب فعاد الخليفة عنها ولم يملكها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وصلت مراكب من صقلية فيها جمع من الفرنج فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية وفيها كان بين الكرج بارمينية وبين صلتق صاحب ارزن الروم

الجبس بثمانية عشر نصف فضة والآن بمائتين واربعين نصفا وكذلك اردكنا القنطار من الجير بعشرة انصاف والآن بمائة وعشرين فالحال في الزيادة (ومنها) ان الباشا شرع في عمارة قصر العيني وكان قد تلاشى وخربته العسكر واخذت اخشابه ولم يبق فيه ولا الجدران فشرع في انشائه وتعميره وتجديده على هذه الصورة التي هو عليها الآن على وضع الابنية الرومية (ومنها) انه هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الاماكن فهدم المجالس التي كانت بها والدواوين وديوان قايتباي وهو المقعد المواجه للداخل الى الحوش علو الكلار الذي به الاعمدة وديوان الغوري الكبير وما اشتمل عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الافندية والقلفاوات ايام الدواوين وشرع في بنائها على وضع آخر واصطلاح رومي واقاموا اكثر الابنية من الاخشاب ويبنون الاعالي قبل بناء السفل واشيع انهم وجدوا خبايا تحت بها ذخائر الملوك المصريين الاقدمين (ومنها) ان الباشا ارسل لقطع الاشجار المحتاج اليها في عمل المراكب مثل التوت والنبق من جميع البلاد القبلية والبحرية فانذر العينون لذلك في البلاد فلم يبقوا من ذلك الا القليل لمصانعة اصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون ويجتمع بترسخانة الاخشاب لصناعة المراكب مع ما ينضم اليها من الاخشاب الرومية شيء عظيم جدا يتعجب

مصاف وحرب شديد وانهزم صلتق وأسره الكرج ثم أطلقوه وفيها توفى أبو العباس احـمد بن أبى غالب الوراق المعروف بابن الطلاية الزاهـد البغـدادى بهـا وكان من الصالحين وله حديث وروايه وتوفى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سهل أبو الفتح بن أبى القاسم الكروخى الهروى راوى جامع الترمذى ومولده سنة اثنتين ومن طريقه سمعناه

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة)

(ذكر قتل الظافر وولاية ابنه الفائز)

فى هذه السنة فى المحرم قتل الظافر بالله ابو المنصور اسمعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى صاحب مصر وكان سبب قتله ان وزيره عباسا كان له ولد اسمه نصر فاحبه الظافر وجعله من ندمائه الذين لا يقدر على فراقهم ساعة واحدة فاتفق أن قدم من الشام مؤيد الدولة الامير اسامة بن منقذ الكنانى فى وزارة ابن السلار واتصل بعباس فحسن له قتل العادل بن السلار زوج أمه فقتله وولاه الظافر الوزارة فاستبد بالامر وتم له ذلك وعلم الامراء والاجناد أن ذلك من فعل ابن منقذ فعزموا على قتله فخلا بعباس وقال له كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول قال وماذاك قال الناس يزعمون ان الظافر يفعل بابنك نصر وكان نصر خصيصا بالظافر وكان ملازما له ليله ونهاره وكان من أجمل الناس صورة وكان الظافر يتهم به فانزعج لذلك وعظم عليه وقال كيف الحيلة قال تقتله فيذهب عنا العار فذكر الحال لولده نصر فاتفقا على قتله وقيل ان الظافر أقطع نصر بن عباس قرية قليوب وهى من أعظم قرى مصر فدخل اليه مؤيد الدولة بن منقذ وهو عند أبيه عباس قال له نصر قد اقطعنى مولانا قرية قليوب فقال له مؤيد الدولة ماهى فى مهرك بكثير فعظم عليه وعلى أبيه وأنف من هذه الحال وشرع فى قتل الظافر فامر ابنه فحضر نصر عند الظافر وقال له اشتهى ان تجىء الى دارى لدعوة صنعتها ولا تكثر من الجمع فمشى معه فى نفر يسير من الخدم ليلا فلما دخل الدار قتله ومن معه وأفلت خويدم صغير اختبأ فلم يروه ودفن القتلى فى داره وأخبر أباه عباسا الخبر فبكر الى القصر وطلب من الخدم الخصيصين بخدمة الظافر أن يطلبوا له اذنا فى الدخول عليه لامر يريد ان يأخذ رأيه فيه فقالوا انه ليس فى القصر فقال لابد منه وكان غرضه ان ينفى التهمة عنه بقتله وان يقتل كل من بالقصر ممن يخاف ان ينازعه فيمن يقيمه فى الخلافة فلما ألح عليهم عجزوا عن احضاره فبيناهم يطلبونه حائرين دهشين لا يدرون ما الخبر اذ وصل اليهم الخويدم الصغير الذى شاهد قتله وقد هرب من دار عباس حين غفلوا عنه واخبرهم بقتل الظافر فخرجوا الى عباس وقالوا له سل ولدك عنه فانه يعرف اين هو لانهما خرجا جميعا فلما سمع ذلك منهم قال اريد ان اعترض القصر لئلا يكون قد اغتاله احد من أهله فاستعرض القصر فقتل اخوين للظافر وهما يوسف وجبريل واجلس الفائز بنصر الله ابا القاسم عيسى بن الظافر بامر الله اسمعيل ثانى يوم قتل ابوه وله من العمر خمس سنين فحمله عباس على كتفه واجلسه على سرير

كتقدايات لما تقلدوكالة دار السعادة ونظارة الحرمين انضم اليه ابالبس الكتبة لتحرير الايراد والمصرف وحرروا الاحكار المقررة على الاماكن والاطيان التى اجرها النظار السابقون المدد الطويلة وجعلوا عليها قدرا من المال يقبض فى كل سنة لجهة وقف اصله على عادة مصر السابقة واللاحقة فى استئجار الاوقاف من نظارها والاطيان والاماكن المستاجرة من اوقاف الحرمين وتوابعها كالدشيشة والخاصكية والمحمدية والمرادية وغير ذلك كثير جدا ففتحوا هذا الباب وتسلطوا على الناس فى طلب ما بايديهم من السندات وحجج التاجرات فاذا اطلعوا عليها ولا يخلوا اما ان تكون المدة قد انقضت ومضت او بقى منها بقية من السنين فان كان بقى منها بقية زاد وافى الاجرة المؤجلة التى هى الحكر مثلها اومثليها بحسب حال المحل ورواجه وان كانت المدة قد انقضت ومضت استولوا على عين المحل وضبطوه اوجددواله تاجرا وزادوا فى حكره ويكون ذلك لمصلحة جسيمة وعلى كلتا الحالتين لابد من التغريم والمصالحات الجوانية والبرانية للكتاب والمباشرين والخدم والمعينين ثم المرافعة الى القاضى ودفع المحاصيل والرسوم والتسجيل وكتابة

الملك وبايع له الناس واخذ عباس من القصر من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة ما اراد ولم يترك فيه الا ما لا خير فيه

(ذكر وزارة الملك الصالح بن رزيك)

كان السبب في وزارة الملك الصالح بن رزيك ان عباسا لما قتل الظافر واقام الفائز ظن ان الامر يتم له على ما يريده فكان الحال خلاف ما اعتقده فان الكلمة اختلفت عليه وثار به الجند والسودان وصار اذا امر بالامر لا يلتفت اليه ولا يسمع قوله فارسل من بالقصر من النساء والخدم الى الصالح طلائع بن رزيك يستغيثون به وارسلوا شعورهم على الكتب وكان في منية بني خصيب واليا عليها وعلى اعمالها وليست من الاعمال الجليلة وانما كانت اقرب الاعمال اليهم وكان فيه شهامة فجمع ليقصد عباسا وسار اليه فلما سمع عباس ذلك خرج من مصر نحو الشام بما معه من الاموال التي لا تحصى كثرة والتحف والاشياء التي لا توجد الا هناك مما كان اخذه من القصر فلما سار وقع به الفرنج فقتلوه واخذوا جميع ما معه فتقووا به وسار الملك الصالح فدخل القاهرة باعلام سود وثياب سود حزنا على الظافر والشعور التي ارسلت اليه من القصر على رؤس الرماح وكان هذا من الفال العجيب فان الاعلام السود العباسية دخلتها وازالت الاعلام العلوية بعد خمس عشرة سنة ولما دخل الصالح القاهرة خلع عليه خلع الوزارة واستقر في الامر واحضر الخادم الذي شاهد قتل الظافر فاراه موضع دفنه فاخرجه ونقله الى مقابرهم بالقصر ولما قتل الفرنج عباسا اسروا ابنه فارسل الملك الصالح الى الفرنج وبذل لهم مالا واخذه منهم فسار من الشام مع اصحاب الصالح فلم يكلم احدا منهم كلمة واحدة الى ان رأى القاهرة فانشد

بلى نحن كنا اهلها فابادنا * صروف الليالي والجدود العواثر

وادخل القصر فكان آخر العهد به فانه قتل وصلب على باب زويلة واستقصى الصالح البيوت الكبار والاعيان بالديار المصرية فاهلك اهلها وابعدهم عن ديارهم واخذ اموالهم فمنهم من هلك ومنهم من تفرق في البلاد والحجاز واليمن وغيرها فعل ذلك خوفا منهم ان يثوروا عليه وينازعوه في الوزارة وكان ابن منقذ قد هرب مع عباس فلما قتل هرب الى الشام

(ذكر حصر تكريت ووقعة بكمزا)

في هذه السنة ارسل الخليفة المقتفي لامر الله رسولا الى والي تكريت بسبب من عنده من المأسورين وهم ابن الوزير وغيره فقبضوا على الرسول فسير الخليفة عسكرا اليهم فخرج اهل تكريت فقاتلوا العسكر ومنعوه من الدخول الى البلد فسار الخليفة بنفسه مستهل صفر فنزل على البلد فهرب اهله فدخل العسكر فشعثوا ونهبوا بعضه ونصب على القلعة ثلاثة عشر منجنيقا فسقط من اسوارها برج وبقي الحصر كذلك الى الخامس والعشرين من ربيع الاول وامر الخليفة بالقتال والزحف فاشتد القتال وكثر القتلى ولم

السنداف التي ياخذها واضع اليد (ومنها) التحجير على الاجراء والمعمرين المستعملين في الابنية والعمائر مثل البنائين والنجارين والنشارين والجراتين والزامهم في عمائر الدولة بمصر وغيرها بالاجارة والتسخير واختفى الكثير منهم وابطل صناعته واغلق من له حانوت حانوته فيطلبه كبير حرفته الملتزم باحضاره عنده معمار باشا فاما انه يلازم الشغل او يفتدي نفسه او يقيم بدلا عنه ويدفع له الاجرة من عنده فترك الكثير صناعته واغلق حانوته وتكسب بحرفة اخرى فتعطل بذلك احتياجات الناس في التعمير والبناء بحيث ان من اراد ان يبني له كانونا او مدودا لدابته تحير في امره واقام اياما في تحصيل البناء وما يحتاجه من الطين والجبر والقصرمل وكان الباشا اشترى الف حمار وعملوا لها مزابل واعدوها لنقل اتربة عمائره وشيل القصرمل من مستوقدات الحمامات بالمدينة وبولاق ونودي في المدينة بمنع الناس كافة عن اخذ شئ من القصرمل فكان الذي تلزمه الضرورة لشئ منه ان كان قليلا اخذه كالسرقة في الليل من المستوقد باغلى ثمن وان كان كثيرا لا ياخذه الا بفرمان بالاذن من كتخدا بك بعد ان كان شيئا مبتذلا وليس له قيمة ينقلونه اذا كثر بالمستوقدات الى الكيمان بالاجرة وان احتاجه الناس في ابنيتهم اما نقلوه على حميرهم او نقله خدمة المستوقد باجرتهم

يبلغ منها غرضا فرحل عائدا الى بغداد فدخلها آخر الشهر ثم امر الوزير عون الدين بن هبيرة بالعود الى محاصرتها والاستعداد والاستكثار من الآلات للحصار فسار اليها سابع ربيع الآخر ونازلها وضيق عليها فوصل الخبر بان مسعود بلال وصل الى شهرابان ومعه البقش كون خر وترشك وعسكر كثير ونهبوا البلاد فعاد الوزير الى بغداد وكان سبب وصول هذا العسكر انهم حثوا الملك محمد ابن السلطان محمود على قصد العراق فلم يتهيأ له ذلك فسير هذا العسكر وانضاف اليهم خلق كثير من التركمان فخرج الخليفة اليهم فارسل بلال مسعود الى تكريت واخرج منها الملك ارسلان ابن السلطان طغرل بن محمد وكان محبوسا بتكريت وقال ان هذا سلطان نقاتل بين يديه بازاء الخليفة والتقى العسكران عند بكمزا بالقرب من بعقوبا ودام بينهم المناوشة والمحاربة ثمانية عشر يوما ثم انهم التقوا آخر رجب فاقتتلوا فانهزمت ميمنة عسكر الخليفة وبعض القلب حتى بلغت الهزيمة بغداد ونهبت خزائنه وقتل خازنه فحمل الخليفة بنفسه وولي عهده وصاح يا آل هاشم كذب الشيطان وقرا ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وحمل باقي العسكر معه فانهزم مسعود والبقش وجميع من معهم وتمت الهزيمة وظفر الخليفة بهم وغنم عسكره جميع مال التركمان من دواب وغنم وغير ذلك فبيع كل كبش بدانق وكانوا قد حضروا بنسائهم واولادهم وخركاواتهم وجميع مالهم فاخذ جميعه ونودي من اخذ من اولاد التركمان ونسائهم شيئا فليرده فردوه فاخذ البقش كون خر الملك ارسلان وانهزم الى بلد اللحف وقلعة الماهكي وفي هذه الحرب غدر بنو عوف من عسكر الخليفة ولحقوا بالعجم وعفى هندي الكردي ايضا معهم وكان الملك محمد قد ارسل عسكرا مع خاص بك بن آقسنقر نجدة لكون خر فلما وصلوا الى الراذان بلغهم خبر الهزيمة فعادوا ورجع الخليفة الى بغداد فدخلها اوائل شعبان فوصل الخبر ان مسعود بلال وترشك قصدا مدينة واسط فنهبوا وخربوا فسير الخليفة الوزير ابن هبيرة في عسكر خامس عشر شعبان فانهزم العجم فلحقهم عسكر الخليفة ونهب منهم شيئا كثيرا وعاد الى بغداد فلقب الوزير سلطان العراق ملك الجيوش وسير الخليفة عسكرا الى بلد اللحف فاخذوه وصار في جملته واما الملك ارسلان بن طغرل فان البقش اخذه معه الى بلده فارسل اليه الملك محمد يقول له ليحضر عنده وارسلان معه فمات البقش كون خر في رمضان في هذه السنة وبقي ارسلان مع ابن البقش وحسن الجاندار فحملاه الى الجبل فخاف السلطان محمد ان يصل ارسلان الى زوج امه ابى بكر فيجعله ذريعة الى قهر البلاد فلم ينفعه حذره واتصل ارسلان بابى بكر زوج امه فصار معه وهو واخوه بهلوان ابن ايلدكز لامه وطغرل الذي قتله خوارزمشاه ولد ارسلان هذا وكان طغرل آخر السلجوقية

(ذكر ملك نور الدين محمود مدينة دمشق)

في هذه السنة في صفر ملك نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر مدينة دمشق واخذها

كل فردين بنصف وأقل وأزيد ونحو ذلك كما اذا ضاع لانسان مفتاح خشب لا يجد نجارا يصنع له مفتاحا آخر الا خفية ويطلب عنه خمسة عشر نصف فضة وكان من عادة المفتاح نصف فضة ان كان كبيرا او نصف نصف ان كان صغيرا (ومنها) ان الذي التزم بعمل البارود قرر على نفسه مائتي كيس واحتكر جميع لوازمه مثل الفحم وحطب الترمس والذرة والكبريت فقرر على كل صنف من ذلك مقدارا من الاكياس وابطل الذين كانوا يعملون في السباخ بالكيمان ويستخرجون منه ملح البارود ثم يؤخذ منهم عبيطا الى المعمل فيكررونه حتى يخرج ملحا ابيض يصلح للعمل وهي صناعة قذرة ممتهنة فابطلهم منها وبنى احواضا بدلا عن الصناديق وجعلها مقسمة وطلاها بالخافقي وعمل ساقية واجرى الماء منها الى تلك الاحواض واوقف العمال لذلك بالاجرة يعملون في السباخ المذكور (ومنها) شحة الحطب الرومي في هذه السنة واذا ورد منه شيء حجزه الباشا لاحتياجاته فلا يرى الناس منه شيئا فكان الحطابة يبيعون بدله خشب الاشجار المقطوعة من القطر المصري وافضلها السنط فيباع منه الحملة بثلثمائة نصف فضة واجرة حملها عشرة وتكسيرها عشرة وعز وجود الفحم ايضا حتى بيعت الاقة بعشرين نصفا وذلك لانقطاع الجالب الا ما يأتي قليلا

من صاحبها مجير الدين أنر بن محمد بن بوري بن طغدكين اتابك وكان سبب حرصه على
ملكها ان الفرنج لما ملكوا في العام الماضي مدينة عسقلان لم يكن لنور الدين
طريق الى ازعاجهم عنها لاعتراض دمشق بينه وبين عسقلان فلما ملك الفرنج
عسقلان طمعوا في دمشق حتى انهم استعرضوا كل من بها من مملوك وجارية من
النصارى فمن اراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى وطنه اخذوه قهرا شاء صاحبه
ام ابى وكان لهم على اهلها كل سنة قطيعة يأخذونها منهم فكان رسلهم يدخلون البلد
ويأخذونها منهم فلما رأى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى حينئذ
للمسلمين بالشام مقام فاعمل الحيلة في اخذها حيث علم انها لا تملك قوة لان صاحبها متى
رأى غلبة ممن يقصده راسل الفرنج واستعان بهم لئلا يملكها من يقوى بها على قتالهم
فراسل مجير الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودة حتى وثق اليه
فكان نور الدين يقول له في بعض الاوقات ان فلانا قد كاتبني في تسليم دمشق يعني بعض
امراء مجير الدين فكان يبعد الذي قيل عنه ويأخذ اقطاعه فلما لم يبق عنده من الامراء
احد قدم اميرا يقال له عطاء بن حفاظ السلمي الخادم وكان شهما شجاعا وفوض اليه
امر دولته فكان نور الدين لا يتمكن معه من اخذ دمشق فقبض عليه مجير الدين وقتله
فسار نور الدين حينئذ الى دمشق وكان قد كاتب من بها من الاحداث واستمالهم
فوعدوه بالتسليم اليه فلما حصر نور الدين البلد ارسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم
الاموال وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه فشرعوا في جمع
فارسهم وراجلهم ليرحلوا نور الدين عن البلد فالى ان اجتمع لهم ما يريدون تسلم
نور الدين البلد فعادوا بخفي حنين واما كيفية تسليم دمشق فانه لما حصرها ثار
الاحداث الذين راسلهم فسلموا اليه البلد من الباب الشرقي وملكه وحصر مجير الدين
في القلعة وراسله في تسليمها وبذل له اقطاعا من جملته مدينة حمص فسلمها اليه وسار
الى حمص واعطاه عوضا عنها بالس فلم يرضها وسار منها الى العراق واقام ببغداد وابتنى
بها دارا بالقرب من النظامية وتوفي بها

(ذكر قصد الاسماعيلية خراسان والظفر بهم)

في هذه السنة في ربيع الآخر اجتمع جمع كثير من الاسماعيلية من قهستان بلغت
عدتهم سبعة آلاف رجل ما بين فارس وراجل وساروا يريدون خراسان لاشتغال
عساكرها بالغز وقصدوا اعمال خواف وما يجاورها فلقيهم الامير فرخشاه بن محمود
الكاساني في جماعة من حشمه واصحابه فعلم أن لا طاقة له بهم وسار عنهم وأرسل الامير
محمد بن انز وهو من أكابر امراء خراسان واشجعهم يعرفه الحال وطلب منه المسير اليهم
بعسكره ومن قدر عليه من الامراء ليجتمعوا عليهم ويقاتلوهم فسار محمد بن انز في جماعة
من الامراء وكثير من العسكر واجتمعوا هم وفرخشاه وواقعوا الاسماعيلية وقاتلوهم
وطال الحرب بينهم ثم نصر الله المسلمين وانهزم الاسماعيلية وكثر القتل فيهم واخذهم
السيف من كل مكان وهلك أعيانهم وساداتهم بعضهم قتل وبعضهم اسر ولم يسلم منهم

من ناحية الصعيد مع العسكر يتسببون فيه ويبيعونه بالغلى ثمن كل نصفية ٨٩ باثني عشر قرشا وخمسة عشر قرشا وهي دون
القنطار وكانت تباع في
السابق بستين نصفا وهي
قرش ونصف وغير ذلك امور
واحداثات وابتداعات لا يمكن
استقصاؤها لم يصل الينا
خبرها اذ لا يصل الينا الا
ما تعلقت به اللوازم والاحتياجات
الكلية وقد يستدل بالبعض
على الكل (واما من مات في
هذه السنة ممن له ذكر) فمات
الشيخ الامام العلامة والنحرير
الفهامة الفقيه الاصولي
النحوي شيخ الاسلام والمسلمين
الشيخ عبد الله بن حجازي بن
ابراهيم الشافعي الازهري
الشهير بالشرقاوي شيخ
الجامع الازهر ولد ببلدة
تسمى الطويلة بشرقية بلبيس
بالقرب من القرين في
حدود الخمسين بعد المائة
وتربى بالقرين فلما ترعرع
وحفظ القرآن قدم الى
الجامع الازهر وسمع الكثير
من الشهاب الملوي والجوهري
والحفني واخيه يوسف
والدمنهوري والبليدي
وعطية الاجهوري ومحمد
الفارسي وعلي المنسفيسي
الشهير بالصعيدي وعمر
الطحلاوي وسمع الموطأ فقط
على علي بن العربي الشهير
بالسقاط وباخرة تلقن
بالسلوك والطريقة على
شيخنا الشيخ محمود الكردي
ولازمه وحضر معنا في اذكاره وجمعياته ودرس الدروس بالجامع الازهر وبمدرسة

الا القليل الشريد وخلت قلاعهم وحصونهم من حام ومانع فلولا اشتغال العساكر بالغز لكانوا ملكوها بغير تعب ولا مشقة وأراحوا المسلمين منهم ولكن الله أمره هو بالغه

(ذكر ملك نور الدين تل باشر)

فى هذه السنة أو التى بعدها ملك نور الدين محمود بن زنكى قلعة تل باشر وهى شمالى حلب من أمنع القلاع وسبب ملكها ان الفرنج لما رأوا ملك نور الدين دمشق خافوه وعلموا انه يقوى عليهم ولا يقدرون على الانتصاف منه لما كانوا يرون منه قبل ملكها فراسله من بهذه القلعة من الفرنج وبذلوا له تسليمها فسير اليهم الامير حسان المنبجى وهو من اكابر امرائه وكان اقطاعه ذلك الوقت مدينة منبج وهى تقارب تل باشر وامره ان يسير اليها ويتسلمها فسار اليها وتسلمها منهم وحصنها ورفع اليها من الذخائر ما يكفيها سنين كثيرة

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات استاذ دار ابو الفتوح عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان له صدقات ومعروف كثير ومجالسة للفقراء ولما مات ولى ابنه الاكبر عضد الدين ابو الفرج محمد بن عبد الله ما كان الى ابيه وتوفى عبد الرحمن بن عبد الصمد بن احمد ابن على ابو القاسم الاكاف النيسابورى كان زاهدا عابدا فقيها مناظرا وكان السلطان سنجر يزوره ويتبرك بدعائه وكان ربما حجبه فلا يمكنه من الدخول اليه وفيها توفى ثقة الدولة أبو الحسن على بن محمد الزوينى القزوينى وكان يخدم أبا نصر محمد بن الفرج الابرى وزوجه ابنته شهدة الكاتبة فقربه المقتفى لامر الله ووكله فبنى مدرسة بباب الازج

(ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة)

فى هذه السنة سار الخليفة المقتفى لامر الله الى دقوقا فحصرها وقاتل من بها ثم رحل عنها لانه بلغه ان عسكر الموصل قد تجهز والمسير لمنعه عنها فرحل ولم يبلغ غرضا وفيها استولى شملة التركمانى على خوزستان وصاحبه حينئذ ملكشاه محمود بن محمد فسير الخليفة اليه عسكرا فلقيهم شملة فى رجب وقاتلهم فانهزم عسكر الخليفة وأسر وجوههم ثم احسن اليهم شملة وأطلقهم وأرسل يعتذر فقبل عذره وسار الى خوزستان فملكها وأزاح عنها ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمد وفيها سار الغز الى نيسابور فملكوها بالسيف ودخلوها وقتلوا محمد بن يحيى الفقيه الشافعى ونحوا من ثلاثين الفا وكان السلطان سنجر له اسم السلطنة وهو معتقل لا يلتفت اليه حتى انه أراد كثيرا من الايام ان يركب فلم يكن له من يحمل سلاحه فشده على وسطه وركب وكان اذا قدم اليه طعام يدخر منه ما يأكله وقتا آخر خوفا من انقطاعه عنه لتقصيرهم فى واجبه ولانهم ليس هذا مما يعرفونه وفيها وثب قسوس الارمن بمدينة آنى فاخذوها من الامير شداد وسلموها

السنانية بالصنادقية ورواق الجبرت والطيبرسية وأفتى فى مذهبه وتميز فى الالقاء والتحرير وله مؤلفات دالة على سعة فضله من ذلك حاشيته على التحرير وشرح نظم يحيى العمريطى وشرح العقائد المشرقية والمتن له ايضا وشرح مختصر فى العقائد والفقه والتصوف مشهور فى بلاد داغستان وشرح رسالة عبد الفتاح العادلى فى العقائد ومختصر الشمائل وشرحه له ورسالة فى لا اله الا الله ورسالة فى مسئلة أصولية فى جمع الجوامع وشرح الحكم والوصايا الكردية فى التصوف وشرح ورد سحر للبكرى ومختصر المغنى فى النحو وغير ذلك ولما اراد السلوك فى طريق الخلوتية ولقنه الشيخ الحفنى الاسم الاول حصل له وله واختلال فى عقله ومكث بالمارستان أياما ثم شفى ولازم الاقراء والافادة ثم تلقن من شيخنا الشيخ محمود الكردى وقطع الاسماء عليه والبسه التاج وواظب على مجالسته وكان فى قلة من خشونة العيش وضيق المعيشة فلا يطبخ فى داره الا نادرا وبعض معارفه يواسونه ويرسلون اليه الصحفة من الطعام او يدعونه ليأكل معهم ولما عرفه الناس واشتهر ذكره فواصله بعض تجار الشوام وغيرهم بالزكوات والهدايا والصلات فراج حاله وتجمل بالملابس وكبر تاجه ولما توفى الشيخ الكردى كان المترجم من جملة خلفائه وضم اليه أشخاصا من الطلبة

وسلموها الى أخيه فضلون وفيها في ذي الحجة قتل الاتراك القارغلية طمغاج خان بن محمد بما وراء النهر والقوه في الصحراء ونسبوه الى أشياء قبيحة وكان مدة ملكه مستضعفا غير مهيب وفيها توفي أبو الفضل محمد بن ناصر بن علي البغدادي الحافظ الاديب وكان مشهورا بالفضل وكان شافعيا وصار حنبليا مغاليا وولده سنة سبع وستين وأربعمائة في شعبان وكان موته أيضا في شعبان وفيها كان بالعراق وما جاوره من البلاد زلزلة كبيرة في ذي الحجة وفيها توفي يحيى الغساني النحوي الموصلي وكان فاضلا خيرا وتاج الدين أبو طاهر يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري قاضي جزيرة ابن عمر

(ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة)

(ذكر عصيان الجزائر وافريقية على ملك الفرنج بصقلية وما كان منهم)

قد ذكرنا سنة ثمان وأربعين وخمسمائة موت رجار ملك صقلية وملك ولده غليالم وانه كان فاسد التدبير فخرج عن حكمه عدة من حصون صقلية فلما كان هذه السنة قوي طمع الناس فيه فخرج من طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقنة وأظهروا الخلاف عليه وخالف عليه أهل افريقية فاول من أظهر الخلاف عليه عمر بن أبي الحسين الفرياني بمدينة سفاقس وكان رجار قد استعمل عليها لما فتحها أباه أبا الحسين وكان من العلماء الصالحين فاظهر العجز والضعف وقال استعمل ولدي فاستعمله وأخذ أباه رهينة الى صقلية فلما اراد المسير اليها قال لولده عمر اني كبير السن وقد قارب اجلي فمتى امكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل ولا تراقبهم ولا تنظر في اني أقتل واحسب اني قد مت فلما وجد هذه الفرصة دعا اهل المدينة الى الخلاف وقال يطلع جماعة منكم الى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له ان سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه قال هو امرني بهذا واذا قتل بالشيخ الوف من الاعداء فما مات فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك اول سنة احدى وخمسين وخمسمائة ثم اتبعه يحيى بن مطروح بطرابلس وبعدهما محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فملكها وخرج جميع افريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهدية وسوسة وارسل عمر بن ابي الحسين الى زويلة وهي مدينة بينها وبين المهدية نحو ميدان يحرضهم على الوثوب على من معهم فيها من النصارى ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد الى زويلة فاعانوا اهلها على من بالمهدية من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهدية فلما اتصل الخبر بغليالم ملك صقلية احضر أبا الحسين وعرفه ما عمل ابنه فامره ان يكتب اليه ينهاه عن ذلك ويامره بالعود الى طاعته ويخوفه عاقبة فعله فقال من قدم على هذا يرجع بكتاب فارسل ملك صقلية اليه رسولا يتهدده ويامره بترك ما ارتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك فلما كان الغد خرج اهل البلد جميعهم ومعهم جنازة والرسول يشاهدهم فدفنوها وعادوا وارسل عمر الى الرسول يقول له هذا ابي قد دفنته وقد جلست للعزاء به فاصنعوا به ما اردتم فعاد الرسول الى غليالم فاخبره بما صنع عمر بن

والمجاورين الذين يحضرون في درسه يأتون اليه في كل ليلة عشاء يذكرون معه ويعمل لهم في بعض الاحيان ثريدا ويذهب بهم الى بعض البيوت في مياتم الموتى وليالي السبح والجمع المعتادة ومعهم منشدون ومولهون ومن يقرأ الاعشار عند ختم المجلس فيأكلون العشاء ويسهرون حصة من الليل في الذكر والانشاد والتوله وينادون في انشادهم بقولهم يا بكري مدد يا حفني مدد يا شرقاوي مدد ثم يأتون اليهم بالطاري وهو الطعام بعد انقضاء المجلس ثم يعطونهم أيضا دراهم ثم اشترى له دارا بحارة كتامة المسماة بالعينية وساعده في ثمنها بعض من يعاشره من المياسير وترك الذهاب الى البيوت الا في النادر واستمر على حالته حتى مات الشيخ أحمد العروسي فتولى بعده مشيخة الجامع الازهر فزاد في تكبير عمامته وتعظيمها حتى كان يضرب بعظمها المثل وكانت تعارضت فيه وفي الشيخ مصطفى الصاوي ثم حصل الاتفاق على المترجم وان الشيخ الصاوي يستقر في وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الامام الشافعي بعد صلاة العصر وهي من وظائف مشيخة الجامع ولما تولاها الشيخ العروسي تعدى على الوظيفة المذكورة الشيخ محمد المصيلحي الضرير وكان يرى في نفسه انه أحق بالمشيخة من العروسي فلم ينازعه فيها حسما للشر فلما مات المصيلحي

فلما مات العروسي وتولى المترجم المشيخة اتفقوا على ابقاء الصاوي في الوظيفة ومضى على ذلك اشهر ثم ان المتعصبين من الشرقاوي وسوسوا له وحرضوه على أخذ الوظيفة وان مشيخته لا تتم الا بها وكان مطواعا فتكلم في ذلك الشيخ محمد بن الجوهري وأيوب بك الدفتردار ووافقاه على ذلك واغتر بهما وذهب بجماعته ومن انضم اليهم وهم كثيرون وقرأ بها درسا فلم يحتمل الصاوي ذلك وتشاور مع ذوي الراي والمكايد من رفقائه كالشيخ بدوي الهيتمي واضرابه فبيتوا امرهم وذهب الشيخ مصطفى الى رضوان كتخدا ابراهيم بك الكبير وله به صداقة ومعاملة ومقارضة فسامحه في مبلغ كان عليه له فعند ذلك اهتم رضوان كتخدا المذكور وحضر عند الشرقاوي وتكلم معه وافحمه ثم اجتمعوا في ثاني يوم ببيت الشرقاوي وحضر الصاوي وعزوته وباقي الجماعة فقال الشرقاوي اشهدوا يا جماعة ان هذه الوظيفة استحقاقي واني نزلت عنها الى الشيخ مصطفى الصاوي فقال له الصاوي ارجع اما الآن فلا ولا جميلة لك الآن في ذلك وباكته بكلام كثير وبانفاذه لرأي من حوله وغير ذلك وانفض المجلس على منعه من الوظيفة واستمرار

الى الحسين فاخذ اباه وصلبه فلم يزل يذكر الله تعالى حتى مات واما اهل زويلة فانهم كثر جمعهم بالعرب واهل سفاقس وغيرهم فحصروا المهدية وضيقوا عليها وكانت الاقوات بالمهدية قليلة فسير اليهم صاحب صقلية عشرين شينيا فيها الرجال والطعام والسلاح فدخلوا البلد وارسلوا الى العرب وبذلوا لهم مالا لينهزموا وخرجوا من الغد فقاتلوهم واهل زويلة فانهزمت العرب وبقي اهل زويلة واهل سفاقس وركبوا في البحر فنجوا وبقي اهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهزموا الى زويلة فوجدوا ابوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل اكثرهم ولم ينج الا القليل فتفرقوا ومضى بعضهم الى عبد المؤمن فلما قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيوخ في البر ولم يعرجوا على شيء من اموالهم ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والاطفال ونهبوا الاموال واستقر الفرنج بالمهدية الى ان اخذها منهم عبد المؤمن على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر القبض على سليمان شاه وحبسه بالموصل)

في هذه السنة قبض زين الدين علي كوجك نائب قطب الدين مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل على الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه وكان سليمان شاه عند عمه السلطان سنجر قديما وقد جعله ولي عهده وخطب له على منابر خراسان فلما جرى لسنجر مع الغز ما ذكرناه وتقدم على عسكر خراسان وضعفوا عن الغز مضى الى خوارزم شاه فزوجه ابنة اخيه اتسيس ثم بلغه عنه ما كرهه فابعده فجاء الى اصفهان فمنعه شحنتها من الدخول فمضى الى قاشان فسير اليه محمد شاه ابن اخيه محمود بن محمد عسكرا ابعدوه عنها فسار الى خوزستان فمنعه ملكشاه عنها فقصد اللحف ونزل البندنيجين وارسل رسولا الى الخليفة المقتفي يعلمه بوصوله وترددت الرسل بينهما الى ان استقر الامر على ان يرسل زوجته تكون رهينة فارسلها الى بغداد ومعها كثير من الجواري والاتباع وقال قد ارسلت هؤلاء رهائن فان اذن امير المؤمنين في دخول بغداد فعلت والا رجعت فاكرم الخليفة زوجته ومن معها واذن له في القدوم اليه فقدم ومعه عسكر خفيف يبلغون ثلثمائة رجل فخرج ولد الوزير ابن هبيرة لتلقيه ومعه قاضي القضاة والنقيبان ولم يترجل له ابن الوزير ودخل بغداد وعلى رأسه الشمسة وخلع عليه الخليفة واقام ببغداد الى ان دخل المحرم من سنة احدى وخمسين وخمسمائة فاحضر فيه سليمان شاه الى دار الخليفة واحضر قاضي القضاة والشهود واعيان العباسيين وحلف للخليفة على النصح والموافقة ولزوم الطاعة وانه لا يتعرض الى العراق بحال فلما حلف خطب له ببغداد ولقب القاب ابيه غياث الدنيا والدين وباقي القابه وخلع عليه خلع السلطنة وسير معه من عسكر بغداد ثلاثة آلاف فارس وجعل الامير قويدان صاحب الحلة امير حاجب معه وسار نحو بلاد الجبل في ربيع الاول وسار الخليفة الى حلوان وارسل الى ملكشاه ابن السلطان محمود اخي السلطان محمد صاحب همذان

وغيرها يدعوه الى موافقته فقدم فى الفى فارس فخاف كل منهما صاحبه وجعل ملكشاه ولى عهد سليمان شاه وواهما الخليفة بالمال والاسلحة وغيرها فساروا واجتمعوا هم وايلدكز فصاروا فى جمع كبير فلما سمع السلطان محمد خبرهم ارسل الى قطب الدين مودود صاحب الموصل ونائبه زين الدين يطلب منهما المساعدة ويبذل لهما البذول الكثيرة ان ظفر فاجاباه الى ذلك واتفقا وثبت نفسه وسار الى لقاء سليمان شاه ومن اجتمع معه من عساكره ووقعت الحرب بينهم فى جمادى الاولى واشتد القتال بين الفريقين فانهزم سليمان شاه ومن معه وتشتت العسكر ووصل من عسكر الخليفة وكانوا ثلاثة آلاف رجل نحو من خمسين رجلا ولم يقتل منهم احد وانما اخذت خيولهم واموالهم وتشتتوا وجاؤا متفرقين وفارق سليمان شاه ايلدكز وسار نحو بغداد على شهرزور فخرج اليه زين الدين على فى جماعة من عسكر الموصل وكان بشهرزور الامير بزان مقطعها من جهة زين الدين وسارا فوقفا على طريق سليمان شاه فاخذاه اسيرا وحمله زين الدين الى قلعة الموصل وحبسه بها مكرما محترما الى ان كان من امره ما نذكره سنة خمس وخمسين ان شاء الله فلما قبض سليمان شاه ارسل زين الدين الى السلطان محمد يعرفه ذلك ووعده المعاضدة على كل ما يريده منه والمساعدة له والله أعلم

(ذكر حصر نور الدين قلعة حارم)

فى هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكى الى قلعة حارم وهى للفرنج ثم لبيمند صاحب انطاكية وهى تقارب انطاكية من شرقيها وحصرها وضيق على اهلها وهى قلعة منيعة فى نحور المسلمين فاجتمعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا نحوه ليرحلوه عنها وكان بالحصن شيطان من شياطينهم يعرفون عقله ويرجعون الى رايه فارسل اليهم يقول اننا نقدر على حفظ القلعة وليس بنا ضعف فلا تخاطروا انتم باللقاء فانه ان هزمكم اخذها وغيرها والراى مطاولته فارسلوا اليه وصالحوه على ان يعطوه نصف اعمال حارم فاصطلحوا على ذلك ورحل عنهم فقال بعض الشعراء

ألبست دين محمد يا نوره * عزا له فوق السها آساد *
مازلت تشمله بميّاد القنا * حتى تثقف عوده المياد *
لم يبق مذ ارهفت عزمك دونه * عدد يراع به ولا استعداد
ان المنابر لو تطيق تكلما * حمدتك عن خطبائها الاعواد
ملق باطراف القريحة كلكلا * طرفاه ضرب صادق وجلاد
حاموا فلما عاينوا خوض الردى * حاموا فرائس كيدهم او كادوا
ورأى البرنس وقد تبرنس ذلة * عزما لحارم والمصاد مصاد
من منكر ان ينسف السيل الزبا * وابوه ذاك العارض المداد
أو ان يعيد الشمس كاسفة السنى * نار لها ذاك الشهاب زناد

الصاوى فيها الى ان مات فادت الى المترجم عند ذلك من غير منازع فواظب الاقراء فيها مدة وطالب سدنة الضريح بمعلومها فماطلوه فتشاجر معهم وسبهم فشكوه للمعاضدين لهم وهم أهل المكايد من الفقهاء وغيرهم وتعصبوا أن أليه وانهوا الى الباشا وضموا الى ذلك اشياء حتى اغروا عليه صدره واتفقوا على عزله من المشيخة ثم انحط الامر على ان يلزم داره ولا يخرج منها ولا يتداخل فى شئ من الاشياء فكان ذلك اياما ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضى فركب وقابله ولكن لم يعد الى القراءة فى الوظيفة بل استناب فيها بعض الفقهاء وهو الشيخ محمد الشبراوينى ولما حضرت الفرنساوية الى مصر فى سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ورتبوا ديوانا لاجراء الاحكام بين المسلمين جعلوا المترجم رئيس الديوان وانتفع فى ايامهم بما يتحصل اليه من المعلوم المرتب له عن ذلك وقضايا وشفاعات لبعض الاجناد المصرية وجعالات على ذلك واستيلاء على تركات وودائع خرجت اربابها فى حادثة الفرنساوية وهلكوا واتسعت عليه الدنيا وزاد طمعه فيها واشترى دار ابن بيره بظاهر الازهر وهى دار واسعة من مساكن الامراء الاقدمين وزوجته بنت الشيخ على الزعفرانى هى التى تدبر امره وتحرز كل ما يأتيه ويجمعه ولا يروح ولا يغدو الا عن أمرها ومشورتها

لا ينفع الآباء ما سمكوا من العلياء حتى يرفع الاولاد
وهي طويلة

ذكر وفاة خوارزم شاه اتسز وغيره من الملوك

في هذه السنة تاسع جمادى الآخرة توفي خوارزم شاه اتسز بن محمد بن أنوشتكين وكان قد اصابه فالج فتعالج منه فلم يبرأ فاستعمل ادوية شديدة الحرارة بغير أمر الاطباء فاشتد مرضه وضعفت قوته فتوفي وكان يقول عند الموت ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وكانت ولادته في رجب سنة تسعين واربعمائة ولما توفي ملك بعده ابنه ارسلان فقتل نفرا من اعمامه وسمل أخاله فمات بعد ثلاثة أيام وقيل بل قتل نفسه وارسل الى السلطان سنجر وكان قد هرب من أسر الغز على ما نذكره يبذل الطاعة والانقياد فكتب له منشورا بولاية خوارزم وسير الخلع له في رمضان فبقي في ولايته سالما آمنا وكان اتسز حسن السيرة كافا عن أموال رعيته منصفا لهم محبوبا اليهم مؤثرا للاحسان والخير اليهم وكان الرعية معه بين أمن غامر وعدل شامل وفي سابع عشر الشهر المذكور توفي أبو الفوارس بن محمد بن ارسلان شاه ملك كرمان وملك بعده ابنه سلجوق شاه وفيها توفي الملك مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وما يجاورها من بلاد الروم وملك بعده ابنه قلج ارسلان

ذكر هرب السلطان سنجر من الغز

في هذه السنة في رمضان هرب السلطان سنجر بن ملكشاه من اسر الغز وجماعة من الامراء الذين معه وسار الى قلعة ترمذ واستظهر بها على الغز وكان خوارزم شاه اتسز بن محمد بن انوشتكين والخاقان محمود بن محمد يقصدان الغز فيقاتلانهم فيمن معهما فكانت الحرب بينهم سجالا وغلب كل واحد من الغز والخراسانيين على ناحية من خراسان فهو يا كل دخلها لا رأس لهم يجمعهم وسار السلطان سنجر من ترمذ الى جيحون يريد العبور الى خراسان فاتفق ان مقدم الاتراك القارغلية واسمه علي بك توفي وكان أشد شئ على السلطان سنجر وعلى غيره كثير الشر والفساد واثارة الفتن فلما توفي اقبلت القارغلية على السلطان سنجر وكذلك غيرهم من سائر الامم من اقاصي البلاد وادانيها وعاد الى دار ملكه بمرو في رمضان فكانت مدة اسره مع الغز من سادس جمادى الاولى سنة ثمان واربعين الى رمضان سنة احدى وخمسين وخمسمائة

ذكر البيعة لمحمد بن عبد المؤمن بولاية عهد ابيه

في هذه السنة امر عبد المؤمن بالبيعة لولده محمد بولاية عهده وكان الشرط والقاعدة بين عبد المؤمن وبين عمر ان يلي عمر الامر بعد عبد المؤمن فلما تمكن عبد المؤمن من الملك وكثر اولاده احب ان ينقل الملك اليهم فاحضر امراء العرب من هلال وزغب وعدي وغيرهم اليه ووصلهم واحسن اليهم ووضع عليهم من يقول لهم ايطلبوا من عبد المؤمن ويقولوا له نريد ان تجعل لنا ولي عهد من ولدك يرجع الناس اليه بعدك ففعلوا ذلك

الاملاك والعقار والحمامات والحوانيت بما يغل ايراده مبلغا في كل شهر له صورة وعملت مهم الزواج ابنه المذكور في أيام محمد باشا السير وسنة سبع عشرة ومائتين والف ودعا اليه الباشا واعيان الوقت فاجتمع اليه شئ كثير من الهدايا ولما حضر اليه الباشا أنعم على ابنه باربعة اكياس منها ثمانون ألف درهم وذلك خلاف البقاشيش واتفق للمترجم في ايام الامراء المصرية ان طائفة المجاورين بالازهر من الشرقاويين يقطنون بمدرسة الطيبرسية بباب الازهر وعمل لهم المترجم خزائن برواق معمر فوقع بينهم وبين بعض المجاورين بها مشاجرة فضربوا نقيب الرواق فتعصب لهم الشيخ ابراهيم السجيني شيخ الرواق على الشرقاويين ومنعوهم من الطيبرسية وخزائنها وقهروا المترجم وطائفته فتوسط بامرأة عمياء فقيهة تحضر عنده في درسه الى عديلة هانم ابنة ابراهيم بك فكلمت زوجها ابراهيم بك المعروف بالوالي بان يبني له مكانا خاصا لطائفته فاجابه الى ذلك واخذ مكانا امام الجامع المجاور لمدرسة الجوهرية من غير ثمن واضاف اليه قطعة اخرى وانشأ ذلك رواقا خاصا بهم ونقل اليه الاحجار والعامود الرخام الذي بوسطه من جامع الملك الظاهر

فلم يجبهم اكراما للعمر لعلو منزلته في الموحدين وقال لهم ان الامر لابي حفص عمر فلما علم عمر ذلك خاف على نفسه فحضر عند عبد المؤمن واجاب الى خلع نفسه فحينئذ بويع لمحمد بولاية العهد وكتب الى جميع بلاده بذلك وخطب له فيها جميعها فاخرج عبد المؤمن في ذلك اليوم من الاموال شيئا كثيرا

(ذكر استعمال عبد المؤمن اولاده على البلاد)

في هذه السنة استعمل عبد المؤمن اولاده على البلاد فاستعمل ولده ابا محمد عبد الله على بجاية واعمالها واستعمل ابنه ابا الحسن عليا على فاس واعمالها وولى ابنه ابا سعيد سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة وكذلك غيرهم ولقد سلك في استعمالهم طريقا عجيبا وذلك انه كان قد استعمل على البلاد شيوخ الموحدين المشهورين من اصحاب المهدي محمد بن تومرت وكان يتعذر عليه ان يعزلهم فاخذ اولادهم وتركهم عنده يشتغلون في العلوم فلما مهروا فيها وصاروا يقتدى بهم قال لآبائهم اني اريد ان تكونوا عندي استعين بكم على ما انا بصدده ويكون اولادكم في الاعمال لانهم علماء فقهاء فاجابوا الى ذلك وهم فرحون مسرورون فولى اولادهم ثم وضع عليهم بعضهم ممن يعتمد عليه فقال اني ارى امرا عظيما قد فعلتموه فارقتم فيه الحزم والادب فقالوا وما هو فقال اولادكم في الاعمال واولاد امير المؤمنين ليس لهم منها شئ مع ما فيهم من العلم وحسن السياسة واني اخاف ان ينظر في هذا فتسقط منزلتكم عنده فعلموا صدق القائل فحضروا عند عبد المؤمن وقالوا نحب ان تستعمل على البلاد السادة اولادك فقال لا افعل فلم يزالوا حتى فعل ذلك لهم بسؤالهم اياه

(ذكر حصر السلطان محمد بغداد)

في هذه السنة في ذي الحجة حصر السلطان محمد بغداد وسبب ذلك ان السلطان محمد بن محمود كان قد ارسل الى الخليفة يطلب ان يخطب له ببغداد والعراق فامتنع الخليفة من اجابته الى ذلك فسار من همذان في عساكر كثيرة نحو العراق ووعده اتابك قطب الدين صاحب الموصل ونائبه زين الدين علي بارسال العساكر اليه نجدة له على حصر بغداد فقدم العراق في ذي الحجة سنة احدى وخمسين واضطرب الناس ببغداد وارسل الخليفة يجمع العساكر فاقبل خطلوبرس في عسكر واسط وحل مهلهل الى الحلة فاخذها واهتم الخليفة وعون الدين بن هبيرة بامر الحصار وجمع جميع السفن وقطع الجسر وجعل الجميع تحت التاج ونودي منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسين ان لا يقيم احد بالجانب الغربي فاجفل الناس واهل السواد وقلت الاموال الى حريم دار الخلافة وخرب الخليفة قصر عيسى والمربعة والقرية والمستجدة والنجمي ونهب اصحابه ما وجدوا وخرب اصحاب محمد شاه نهر القلائين والتوثة وشارع ابن رزق الله وباب الميدان وقطفتا واما اهل الكرخ واهل باب البصرة فانهم خرجوا الى عسكر محمد وكسبوا معهم اموالا كثيرة وعبر السلطان محمد فوق حراقة الى الجانب الغربي ونهبت اوتادا تصل به

بيبرس خارج الحسينية وهو تحت نظر الشيخ ابراهيم السعيدي ليكون ذلك تكية له نظير تعصبه عليه وعمل به قوائم وخزائن واشترى له نحو الالاف من جرايات الشون واضافها الى اخباز الجامع وادخلها في دفتره يستلمها خباز الجامع ويصرفها خبزا قرصة لاهل ذلك الرواق في كل يوم ووزعها على الانفار الذين اختارهم من اهل بلاده ومما اتفق للترجمان بخارج باب البرقية خانكاه انشاها خوند طغاي الناصرية بالصحراء على يمنة السالك الى وهدة الجبانة المعروفة الآن بالبستان وكان الناظر عليها شخص من شهود المحكمة يقال له ابن الشاهيني فلما مات تقرر في نظرها المترجم واستولى على جهات ايرادها فلما ولج الفرنساوية اراضي مصر واحدثوا القلاع فوق التلول والاماكن المستعلية حوالي المدينة هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض الحوائط الشمالية وتركوها على ذلك فلما ارتحلوا عن ارض مصر بقيت على وضعها في التخرب وكانت ساقيتها تجاه بابها في علوة يصعد اليها بمزلقان ويجري الماء منها الى الخانكاه على حائط مبني وبه قنطرة يمر من تحتها المارون وتحت الساقية حوض لسقي الدواب وقد ادركنا ذلك وشاهدنا دوران الثور في الساقية ثم ان المترجم ابطل تلك الساقية وبنى مكانها زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عليه قبة

وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عال مربع ٩٦ وعلى اركانه عساكر فضة وبنى بجانبها قصرا ملاصقا لها يحتوي على اروقة

زين الدين هناك وساروا فنزل محمد شاه عند الرملة وفرق الخليفة السلاح على الجند
والعامة ونصب المنجنيقات والعرادات فلما كان في العشرين من المحرم ركب عسكر
محمد شاه وزين الدين على وو تقوا عند الرقة ورموا بالنشاب الى ناحية التاج فعبر اليهم
عامة بغداد فقاتلوهم ورموهم بالنفط وغيره ثم جرى بينهم عدة حروب وفي ثالث صفر
عاودوا القتال واشتدت الحرب وعبر كثير من اهل بغداد سباحة وفي السفن فقتلوا
وكان يوما مشهودا ولم تزل الحرب بينهم كل وقت وعمل الجسر على دجلة وعبر عليه
أكثر العسكر الى الجانب الشرقي وصار القتال في الجانبين وبقي زين الدين في الجانب
الغربي وأمر الخليفة فنودي كل من جرح فله خمسة دنانير فكان كلما جرح انسان
يحضر عند الوزير فيعطيه خمسة دنانير فاتفق ان بعض العامة جرح جرحا ليس بكبير فحضر
الوزير يطلب الدنانير فقال له الوزير ليس هذا الجرح بشيء فعاود القتال فضرب فانشقت
جوفه وخرج شيء من شحمها فحمل الى الوزير فلما رآه قال يا مولانا الوزير ارضيك هذا
فضحك منه واضعف له ورتب له من يعالج جراحته الى ان برئ وتعذرت الاقوات في
العسكر الا ان اللحم والفواكه والخضر كثيرة وكانت الغلات ببغداد كثيرة لان الوزير
كان يفرقها في الجند عوض الدنانير فيبيعونها فلم تزل الاسعار عندهم رخيصة الا ان
اللحم والفاكهة والخضر قليل عندهم واشتد الحصار على اهل بغداد لانقطاع المواد
عنهم وعدم المعيشة لاهلها وكان زين الدين وعسكر الموصل غير مجدين في القتال لاجل
الخليفة والمسلمين وقيل لان نور الدين محمود بن زنكي وهو اخو قطب الدين صاحب
الموصل الاكبر ارسل الى زين الدين يلومه على قتال الخليفة ففتروا وأقصروا ولم تزل الحرب
في أكثر الايام وعمل السلطان محمد شاه اربعمائة سلم ليصعد الرجال فيها الى السور
ويزحفوا ويقاتلوا ففتح اهل بغداد ابواب البلد وقالوا اي حاجة بكم الى السلاليم هذه
الابواب مفتحة فادخلوا منها فلم يقدروا على ان يقربوها فبينما الامر على ذلك اذ وصل
الخبر الى السلطان محمد ان اخاه ملكشاه وايلدكز صاحب بلاد اران ومعه الملك
ارسلان ابن الملك طغرل بن محمد وهو ابن امرأة ايلدكز قد دخلوا همذان واستولوا عليها
واخذوا أهل الامراء الذين مع محمد شاه واموالهم فلما سمع محمد شاه ذلك جد في القتال
لعله يبلغ منه ما فلم يقدر على شيء ورحل عنها نحو همذان في الرابع والعشرين من ربيع
الاول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وعاد زين الدين الى الموصل وتفرق ذلك الجمع
على عزم العود اذا فرغ محمد شاه من اصلاح بلاده فلم يعودوا يجتمعون وفي كثرة حروبهم
لم يقتل بينهم الا نفر يسير وانما الجراح كانت كثيرة ولما ساروا نهبوا بعقوبا وغيرها من
طريق خراسان ولما رحل العسكر عن بغداد اصاب أهلها امراض شديدة حادة وموت
كثير لشدة التي مرت بهم واما ملكشاه وايلدكز ومن معهما فانهم ساروا من همذان
الى الري فخرج اليهم اينانج شحنتها وقاتلهم فهزموه فارسل الملك محمد الامير سقمس
ابن قيماز الحرامي في عسكر نجدة لاينانج فسار سقمس وكان ايلدكز وملكشاه
ومن معهما قد عادوا من الري يريدون محاصرة الخليفة فلقيهم سقمس وقاتلهم

ومساكن ومطبخ وكلار وذهبت
الساقية في ضمن ذلك وجعلها
بئرا وعليه خرزة يملؤن منها
بالدلو ونسيت تلك الساقية
وانطمست معالمها وكأنها لم
تكن وقد ذكر هذه الخانكاه
العلامة المقريزي في خططه
عند ذكر الخوانك لاباس
بايراد ما نصه للمناسبة فقال
خانكاه ام انوك هذه الخانكاه
خارج باب البرقية بالصحراء
انشاتها الخاتون طغاي تجاه
تربة الامير طشتمر الساقي
فجاءت من اجل المباني
وجعلت بها صوفية وقراء
ووقفت عليها الاوقاف الكثيرة
وقررت لكل جارية من جواريها
مرتبا يقوم بها ثم ترجمها بقوله
طغاي الخوندة الكبرى
زوج السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاوون وأم ابنه
الامير انوك كانت من جملة
امائه فاعتقها وتزوجها ويقال
انها اخت الامير آقبغا عبد
الواحد وكانت بديعة الحسن
باهرة الجمال رات من السعادة
ما لم يره غيرها من نساء ملوك
الترك بمصر وتنعمت في ملاذ ما
وصل سواها لمثلها لم يدم
السلطان على محبة امراة
سواها وصارت خوندة بعد
ابنة نوكاي اكبر نسائه حتى
من ابنة الامير تنكز وحج بها
القاضي كريم الدين الكبير

واحتفل بامرها وحمل لها البقول في محاير طين على ظهور الجمال واخذ لها الابقار الحلابة

فهزموه

فهزموه ونهبوا عسكره واثقالهم فاحتاج الملك محمد الى الاسراع فسار فلما بلغ حلوان بلغه ان ايلدكز بالدينور واتاه رسول من نائبه اينانج انه دخل همذان واعاد الخطبة له فيها فقويت نفسه وهرب شملة صاحب خوزستان الى بلاده وتفرق اكثر جمع ايلدكز وملكشاه وبقيا فى خمسة آلاف فارس فعادا الى بلادهما شبه الهارب ولما دخل محمد شاه همذان اراد التجهز لقصد بلاد ايلدكز فابتدأ به مرض السل وبقى به الى ان مات

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى ربيع الاول اطلق ابو الوليد البدر ابن الوزير ابن هبيرة من حبس تكريت ولما قدم بغداد خرج اخوه والموكب يتلقونه وكان يوما مشهودا وكان مقامه فى الحبس يزيد على ثلاث سنين وفيها احترقت بغداد فى ربيع الآخر وكثر الحريق بها واحترق درب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبان وخرابة ابن جردة والظفرية والخاتونية ودار الخلافة وباب الازج وسوق السلطان وغير ذلك وفيها فى شوال قصد الاسماعيلية طابس بخراسان فاوقعوا بها وقعة عظيمة واسروا جماعة من اعيان دولة السلطان ونهبوا اولادهم ودوابهم وقتلوا فيهم وفيها فى ذى القعدة توفى شيخ الاسلام ابو المعالى الحسن ابن عبيد الله بن احمد بن محمد المعروف بابن الرزاز بنيسابور وهو من اعيان الافاضل وفى هذه السنة توفى فريد الدين بن نيسان رئيس آمد والحاكم فيها على صاحبها وولى ما كان اليه بعده ابنه كمال الدين ابو القاسم وتوفى ابو الحسن على بن الحسين الغزنوى الواعظ المشهور ببغداد وكان قدم اليها سنة ست عشرة وخمسمائة وكان له قبول عظيم عند السلاطين والعامة والخلفاء الا ان المقتفى اعرض عنه بعد موت السلطان مسعود لاقبال السلطان عليه وكان موته فى المحرم وتوفى ابو الحسن بن الخل الفقيه الشافعى شيخ الشافعية ببغداد وكان يؤم بالخليفة فى الصلاة وتوفى ابن الآمدى الشاعر وهو من أهل النيل من اعيان الشعراء فى طبقة الغزى والارجانى وكان عمره قد زاد على تسعين سنة وفيها قتل مظفر بن حماد بن ابى الخير صاحب البطيحة قتله نفيس بن فضل ابن أبى الخير فى الحمام وولى بعده وفيها توفى الواوا الحلبى الشاعر المشهور وفيها فى رمضان توفى الحكيم ابو جعفر بن محمد البخارى باسفرائن وكان عالما بعلوم الحكماء الاوائل

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الزلازل بالشام)

فى هذه السنة فى رجب كان بالشام زلازل كثيرة قوية خربت كثيرا من البلاد وهلك فيها ما لا يحصى كثرة فخرب منها بالمرة حماة وشيزر وكفرطاب والمعرة وافامية وحمص وحصن الاكراد وعرقة واللاذقية وطرابلس وانطاكية واما ما لم يكثر فيه الخراب ولكن خرب اكثره فى جميع الشام وتهدمت اسوار البلاد والقلاع فقام نور الدين محمود

الى مداومة البقل والجبن واللبن فى كل يوم بطريق الحج فما عساه يكون بعد ذلك وكان القاضى كريم الدين وامير مجلس وعدة من الامراء يترجلون عند النزول ويشيرون بين يدى محفتها ويقبلون الارض لها كما يفعلون بالسلطان ثم حج بها الامير بشتاك فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الامير تنكز اذا جهز من دمشق تقدمة للسلطان لا بد ان يكون لخوند طغاى منها جزء وافر فلما مات السلطان الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده الى ان ماتت فى شهر شوال سنة تسع واربعين وسبعمائة ايام الوباء عن ألف جارية وثمانين خصيا واموال كثيرة جدا وكانت عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جواريها وجعلت على قبرها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفا وجعلت من جملته خبزا يفرق على الفقراء ودفنت بهذه الخانكاه وهى من احسن الاماكن الى يومنا هذا انتهى كلامه (يقول) الحقير انى دخلت هذه الخانكاه فى أواخر القرن الماضى فوجدت بها روحانية لطيفة وبها مساكن وسكان قاطنون بها وفيهم أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء ودخلته

في ذلك المقام المرضي وخاف على بلاد الاسلام من الفرنج حيث خربت الاسوار فجمع عساكره واقام باطراف البلاد فلم يزل كذلك حتى فرغ من اسوار البلاد واما كثرة القتلى فيكفي ان معلما كان بالمدينة وهي مدينة حماة ذكر عنه انه فارق المكتب لمهم عرض له فجاءت الزلزلة فخربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يات أحد يسال عن صبي كان له بالمكتب

(ذكر ملك نور الدين حصن شيزر)

نبتدئ بذكر هذا الحصن ولمن كان قبل ان يملكه نور الدين محمود بن زنكي فنقول هذا الحصن قريب من حماة بينهما نصف نهار وهو على جبل عال منيع لا يسلك اليه الا من طريق واحدة وكان لآل منقذ الكنانيين يتوارثونه من ايام صالح بن مرداس الى أن انتهى الامر الى مرهف نصر بن علي بن نصر بن منقذ بعد ابيه ابي الحسن علي وكان بيده الى ان مات سنة احدى وتسعين واربعمائة وكان شجاعا كريما فلما حضره الموت استخلف اخاه ابا سلامة مرشد بن علي فقال والله لا وليته ولاخرجن من الدنيا كما دخلتها وكان عالما بالقرآن وهو والد مؤيد الدولة اسامة بن منقذ وولى اخاه الاصغر سلطان بن علي واصطحبا اجمل صحبة مدة من الزمان فاولد مرشد عدة اولاد ذكور وكبروا وسادوا منهم عز الدولة أبو الحسن علي ومؤيد الدولة اسامة وغيرهما ولم يولد لاخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجاءه اولاد ذكور فحسد اخاه على ذلك وخاف اولاد اخيه على اولاده وسعى بينهم المفسدون فغيروا كلا منهما على اخيه فكتب سلطان الى اخيه مرشد ابيات شعر يعاتبه على اشياء بلغته عنه فاجابه بشعر في معناه رأيت اثبات ما تمس الحاجة اليه منه وهي هذه الابيات

ظلوم أبت في الظلم الا تماديا * وفي الصد والهجران الا تناهيا
شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبها * فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوعت الواشين في وطالما * عصيت عذولا في هواها وواشيا
ومال بها تيه الجمال الى القلى * وهيهات ان امسى لها الدهر قاليا
ولا ناسيا ما أودعت من عهودها * وان هي أبدت جفوة وتناسيا
ولما اتاني من قريضك جوهر * جمعت المعالي فيه لي والمعانيا
وكنت هجرت الشعر حينا لانه * تولى برغمي حين ولى شبابيا
وأين من الستين لفظ مفرق * اذا رمت ادنى القول منه عصانيا
وقلت اخي يرعى بني واسرتي * ويحفظ عهدي فيهم وذماميا
ويجزيهم مالم اكافه فعله * لنفسي فقد اعددته من تراثيا
فمالك لما ان حنى الدهر صعدتي * وثلم مني صارما كان ماضيا
تنكرت حتى صار برك قسوة * وقربك مني جفوة وتناسيا
واصبحت صفر الكف مما رجوته * ارى الياس قد عفى سبيل رجائيا

مذهبة وعليها اسم الواقفة رحمها الله تعالى فلوان الشيخ المترجم عمر هذه الخانكاه بدل هذا الذي ارتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة وذكر حسن في حياته وبعد مماته وبالله التوفيق * وللمترجم طبقات جمعها في تراجم الفقهاء الشافعية المتقدمين والمتاخرين من أهل عصره ومن قبلهم من أهل القرن الثاني عشر نقل تراجم المتقدمين من طبقات السبكي والاسنوي وأما المتاخرون فنقلهم من تاريخنا هذا بالحرف الواحد وأظن ان ذلك آخر تاليفاته وعمل تاريخا قبله مختصرا في نحو اربعة كراريس عند قدوم الوزير يوسف باشا الى مصر وخروج الفرنساوية منها واهداه اليه عدد فيه ملوك مصر وذكر في آخره خروج الفرنسيس ودخول العثمانية في نحو ورقتين وهو في غاية البرود وغلط فيه غلطات منها انه ذكر الاشرف شعبان ابن الامير حسين بن الناصر محمد بن قلاوون فجعله ابن السلطان حسن ونحو ذلك ولم يزل المترجم حتى تعلل ومات في يوم الخميس ثاني شهر شوال من السنة وصلى عليه بالازهر في جمع كثير ودفن بمدفنه الذي بناه لنفسه كما ذكر ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة اكبر من طبيزيته التي

على

علي اني ما حلت عما عهدته * ولا غيرت هذي السنون ودادبا

فلا غرو عند الحادثات فانني * اراك يميني والانام شماليا

تحل بها عذراء لو قرنت بها * نجوم السماء لم تعد دراريا

تحلت بدر من صفاتك زانها * كما زان منظوم اللآلي الغوانيا

وعش باقيا للمجد ما كان واهيا * مشيدا من الاحسان ما كان هاويا

وكان الامر بينهما فيه تماسك فلما توفي مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة قلب اخوه لاولاده ظهر المجن وباداهم بما يسوءهم واخرجهم من شيزر فتفرقوا وقصد اكثرهم نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عمهم فغاظه ذلك ولم يمكنه قصده والاخذ بثارهم واعادتهم الى وطنهم لاشتغاله بجهاد الفرنج وتخوفه ان يسلم شيزر الى الفرنج ثم توفي سلطان وولي بعده اولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فاشتد حنقه عليهم وانتظر فرصة تمكنه فلما خربت القلعة هذه السنة بما ذكرناه من الزلزلة لم ينج من بني منقذ الذين بها احد وسبب هلاكهم اجمعين أن صاحبها منهم كان قد ختن ولدا له وعمل دعوة للناس واحضر جميع بني منقذ عنده في داره وكان له فرس يحبه ولا يكاد يفارقه واذا كان في مجلس اقيم الفرس على بابه وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمح الفرس رجلا كان اولهم فقتله وامتنع الناس من الخروج فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ولم ينج منها الا الشريد فبادر اليها بعض امراء نور الدين وكان بالقرب منها فصعد اليها وتسلمها نور الدين منه فملكها وعمر اسوارها ودورها واعادها جديدة

(ذكر وفاة الدبيسي صاحب جزيرة ابن عمر واستيلاء قطب الدين مودود على الجزيرة)

كانت الجزيرة لاتابك زنكي فلما قتل سنة احدى واربعين اقطعها ابنه سيف الدين غازي للامير ابي بكر الدبيسي وكان من اكابر امراء والده فبقيت بيده الى الآن وتمكن منها وصار بحيث يتعذر على قطب الدين اخذها منه فمات في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين ولم يخلف ولدا فاستولى عليها مملوك له اسمه غلبك واطاعه جندها فحصرهم مودود ثلاثة اشهر ثم تسلمها من غلبك في صفر من سنة ثلاث وخمسين واعطاه عوضها اقطاعا كثيرة

(ذكر وفاة السلطان سنجر)

في هذه السنة في ربيع الاول توفي السلطان سنجر بن ملكشاه ابن الب ارسلان ابو الحرث اصابه قولنج ثم بعده اسهال فمات منه ومولده بسنجار من ديار الجزيرة في رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة وسكن خراسان واستوطن مدينة مرو ودخل بغداد مع اخيه السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر بالله فعهد الى محمد بالسلطنة وجعل سنجر ولي عهده فلما مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام امره واطاعه

كان يلبسها في حياته بكثير وعمموها بشاش اخضر وعصبوها بشال كشميري احمر ووقف شخص عند باب مقصورته وبيده مقرعة يدعو الناس لزيارته ويأخذ منهم دراهم ثم ان زوجته وابنها ومن يلوذ بهم ابتدعوا له مولدا وعيدا في أيام مولد العفيفي وكتبوا بذلك فرمانا من الباشا ونادى به تابع الشرطة باسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد وكتبوا اوراقا ورسائل للاعيان واصحاب المظاهر وغيرهم بالحضور وذبحوا ذبائح ولحضروا انباخين وفراشين ومدوا اسمطة بها انواع الاطعمة والحلاوات والمحمرات والخشافات لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والاعيان وارباب الاشاير والبدع ونصبوا قبالة تلك القبة صواري علقوا بها قناديل وبيارق وشراريب حمرا وصفرا يلوحها الريح واجتمع حول ذلك من غوغاء الناس وعملوا قهاوي وبياعين الحلوا والخلالات والترمس المملح والفول المقلي ودهسوا ما بتلك البقعة من قبور الاموات واوقدوا بها النيران وصبوا عليها القاذورات مع ما يلحقهم من البول والغائط وأما ضجة الاوباش والاولاد وصراخهم وفرقعتهم بالبارود وصياحهم وضجيجهم فقد شاهدنا به ما كنا نسمعه من عفاريت الترب وضرب المثل بهم فهم أقبح منهم فان العفاريت الحقيقية لم نر لهم أفعالا مثل هذه ولما مات

الشيخ المترجم ومضى على موته ثلاثة ايام . ثم اجتمع المشايخ فى يوم الاحد خامسه وطلعوا الى القلعة ودخلوا الى الباشا
وذكروا له موت المترجم ويستأذنونه فيمن يجعلونه شيخا على الازهر فقال لهم الباشا اعملوا رأيكم واختاروا شخصا يكون خاليا عن الاغراض وانا اقلده ذلك فقاموا من مجلسه ونزلوا الى بيوتهم واختلفت آراؤهم فالبعض اختار الشيخ المهدى والبعض ذكر الشيخ محمدا الشنوانى واما الشيخ محمد الامير فانه امتنع من ذلك وكذلك ابن الشيخ العروسى والشيخ الشنوانى المذكور منعزل عنهم وليس له درس بالازهر ويقرأ دروسه بجامع الفاكهانى الذى فى العقادين وبيده وظائف خدم الجامع وعند فراغه من الدروس يغير ثيابه ويكنس المسجد ويغسل القناديل ويعمرها بالزيت والفتائل حتى يكنس المراحيض فلما بلغه انهم ذكروه تغيب ثم ان الباشا امر القاضى وهو بهجة افندى بان يجمع المشايخ عنده ويتفقوا على شخص يجتمع رأيهم عليه بالشرط المذكور فارسل اليهم القاضى وجمعهم وذلك فى يوم الثلاثاء سابعه وحضر فقهاء الشافعية مثل القويسنى والفضالى وكثير من المجاورين والشوام والمغاربة فسأل القاضى هل بقى احد فقالوا لم يكن احد غائبا عن الحضور الا ابن العروسى والمهدى والشنوانى فارسلوا

السلاطين وخطب له على اكثر منابر الاسلام بالسلطنة نحوا من اربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة ولم يزل امره عاليا وجده مترقيا الى ان اسره الغز على ما ذكرناه ثم انه خلص بعد مدة وجمع اليه اطرافه وكاد يعود اليه ملكه فادركه اجله وكان مهيبا كريما رفيقا بالرعية وكانت البلاد فى زمانه آمنة ولما مات دفن فى قبة بناها لنفسه سماها دار الآخرة ولما وصل خبر موته الى بغداد قطعت خطبته ولم يجلس له فى الديوان للعزاء ولما حضر السلطان سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود ابن محمد بن بغراخان وهو ابن اخت السلطان سنجر فاقام بها خائفا من الغز فقصد جرجان يستظهر بها وعاد الغز الى مرو وخراسان واجتمع طائفة من عساكر خراسان على اى ابه المؤيد فاستولى على طرف من خراسان وبقيت خراسان على هذا الاختلال الى سنة اربع وخمسين وراسل الغز الملك محمودا على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين وسألوه ان يحضر عندهم ليملكوه عليهم فلم يثق اليهم وخافهم على نفسه فارسل ابنه اليهم فاطاعوه مديدة ثم لحق بهم الملك محمود على ما نذكره سنة ثلاث وخمسين

(ذكر ملك المسلمين مدينة المرية وانقراض دولة الملثمين بالاندلس)

فى هذه السنة انقرضت دولة الملثمين بالاندلس وملك اصحاب عبد المؤمن مدينة المرية من الفرنج وسبب ذلك ان عبد المؤمن لما استعمل ابنه ابا سعيد على الجزيرة الخضراء ومالقة عبر ابو سعيد البحر الى مالقة واتخذها دارا وكاتبه ميمون بن بدر اللمتونى صاحب غرناطة ان يوحد ويسلم اليه غرناطة فقبل ابو سعيد ذلك منه وتسلم غرناطة فسار ميمون الى مالقة باهله وولده فتلقاه ابو سعيد واكرمه ووجهه الى مراكش فاقبل عليه عبد المؤمن وانقرضت دولة الملثمين ولم يبق لهم الا جزيرة ميورقة مع حمو بن غانية فلما ملك ابو سعيد غرناطة جمع الجيوش وسار الى مدينة المرية وهى بايدى الفرنج اخذوها من المسلمين سنة اثنتين واربعين وخمسمائة فلما نازلها وافاه الاسطول من سبتة وفيه خلق كثير من المسلمين فحصروا المرية برا وبحرا وجاء الفرنج الى حصنها فحصرهم فيها ونزل عسكره على الجبل المشرف عليها وبنى ابو سعيد سورا على الجبل المذكور الى البحر وعمل عليه خندقا فصارت المدينة والحصن الذى فيه الفرنج محصورا بهذا السور والخندق ولا يمكن من بعدهما من ان يصل اليهما فجمع الادفونش ملك الفرنج بالاندلس المعروف بالسليطين فى اثنى عشر الف فارس من الفرنج ومعه محمد بن سعد ابن مردنيش فى ستة آلاف فارس من المسلمين وراموا الوصول الى المدينة ودفع المسلمين عنها فلم يطيقوا ذلك فرجع السليطين وابن مردنيش خائبين فمات السليطين فى عوده قبل ان يصل الى طليطلة وتمادى الحصار على المرية ثلاثة اشهر فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج فطلبوا الامان ليسلموا الحصن فاجابهم ابو سعيد اليه وامنهم وتسلم الحصن ورحل الفرنج فى البحر عائدين الى بلادهم فكان ملكهم المرية مدة عشر سنين

(ذكر

(ذكر غزو صاحب طبرستان الاسماعيلية)

في هذه السنة جمع شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار عسكره وسار ولم يعلم احدا جهة مقصده وسلك المضايق وجد السير الى بلد ألموت وهي للاسماعيلية فاغار عليها واحرق القرى والسواد وقتل فاكثر وغنم أموالهم وسبي نساءهم واسترق ابناءهم وباعهم في السوق وعاد سالما غانما وانخذل الاسماعيلية ودخل عليهم من الوهن مالم يصابوا بمثله وخرب من بلادهم مالا يعمر في السنين الكثيرة

(ذكر اخذ حجاج خراسان)

في هذه السنة في ربيع الاول سار حجاج خراسان فلما رحلوا عن بسطام اغار عليهم جمع من الجند الخراسانية قد قصدوا طبرستان فاخذوا من امتعتهم وقتلوا نفرا منهم وسلم الباقون وساروا من موضعهم فبينما هم سائرون اذ طلع عليهم الاسماعيلية فقاتلهم الحجاج قتالا عظيما وصبروا صبرا عظيما فقتل اميرهم فانخزلوا والقوا بايديهم واستسلموا وطلبوا الامان والقوا اسلحتهم مستامنين فاخذهم الاسماعيلية وقتلوهم ولم يبقوا منهم الاشرذمة يسيرة وقتل فيهم من الائمة العلماء والزهاد والصلحاء جمع كثير وكانت مصيبة عظيمة عمت بلاد الاسلام وخصت خراسان ولم يبق بلد الا وفيه المأتم فلما كان الغد طاف شيخ في القتلى والجرحى ينادي يا مسلمون يا حجاج ذهب الملاحدة وانا رجل مسلم فمن اراد الماء سقيته فمن كلمه قتله واجهز عليه فهلكوا اجمعون الا من سلم وولى هاربا وقليل ما هم

(ذكر الحرب بين المؤيد والامير ايثاق)

قد ذكرنا تقدم الامير أي ابه مملوك السلطان سنجر وتقدمه على عساكر خراسان فحسده جماعة من الامراء منهم الامير ايثاق وهو من الامراء السنجرية وانحرف عنه وكان تارة يقصد خوارزمشاه وتارة مازندران وتارة يظهر الموافقة للمؤيد ويبطن المخالفة فلما كان الآن فارق مازندران ومعه عشرة آلاف فارس قد اجتمع معه كل من يريد الغارة على البلاد وكل منحرف عن المؤيد وقصد خراسان واقام بنواحي نسا وابيورد لا يظهر المخالفة للمؤيد بل يراسله بالموافقة والمعاضدة له ويبطن ضدها وانتقل المؤيد من المكاتبة الى المكاشفة وسار اليه جريدة فاغار عليه واوقع به فتفرق عنه جموعه ونجا بحشاشة نفسه وغنم المؤيد وعسكره كل مال ايثاق ومضى منهزما الى مازندران وكان ملكها رستم بينه وبين اخ له اسمه علي تنازع على الملك وقد قوى رستم فلما وصل ايثاق الى مازندران قتل عليا وحمل راسه الى اخيه رستم فعظم ذلك على رستم واشتد واستشاط غضبا وقال آكل لحمي ولا اطعمه غيري ولم يزل ايثاق يتردد في خراسان بالنهب والغارة لاسيما مدينة اسفرايين فانه اكثر من قصدها حتى خربت فراسله السلطان محمود بن محمد والمؤيد يدعوانه الى الموافقة فامتنع فسارا اليه في العساكر فلما قارباه اتاهما كثير من عسكره فمضى من بين ايديهما الى طبرستان في صفر سنة ثلاث وخمسين فتبعاه في

اليهم فحضر العروسي والهيتمي ثم قال واين الشنواني فلابد من حضوره فارسلوا اليه رسولا فغاب ورجع وبيده ورقة ويقول الرسول انه له ثلاثة ايام غائبا عن داره وترك هذه الورقة عند اهله وقال ان طلبوني اعطوهم هذه الورقة فاخذها القاضي وقراها جهارا يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم لحضرة شيخ الاسلام اننا نزلنا عن المشيخة للشيخ بدوي الهيتمي الى آخر ما قال فعندما سمع الحاضرون ذلك القول قاموا قومة واكثرهم طائفة الشوام وقال بعضهم هو لم يثبت له مشيخة حتى انه ينزل عنها لغيره وقال كبارهم من المدرسين لا يكون شيخا الا من يدرس العلوم ويفيد الطلبة وزادوا في اللغط فقال القاضي ومن الذي ترضونه فقالوا نرضى الشيخ المهدي وكذلك قال البقية وقاموا وصافحوه وقرؤا الفاتحة وكتب القاضي اعلاما الى الباشا بما حصل وانفض الجمع وركب الشيخ المهدي الى بيته في كبكبة حوله وخلفه المشايخ وطوائف المجاورين وضربوا الشربات واقبلت عليه الناس للتهنئة وانتظر جواب الاعلام بقية ذلك اليوم فلم يات الجواب ومضى اليوم الثاني والمدبرون يدبرون شغلهم واحضروا الشيخ الشنواني من المكان الذي كان متغيبا فيه بمصر القديمة وعمموا واشغلهم واحضروا السيد منصور اليافاوي المنفصل عن مشيخة

عسا كرهما فارسل شاه مازندران يطلب الصلح فاجابه واصطلحوا وحمل شاه مازندران اموالا جليلة وهدايا نفيسة وسير ايناق ابنه رهينة فعاد عنه

(ذكر الحرب بين المؤيد وسنقر العزيزي)

كان سنقر العزيزي من امراء السلطان سنجر وممن يتساوى ايضا المؤيد اي ابه فلما اشتغل المؤيد بحرب ايناق سار سنقر من عسكر السلطان محمود بن محمد الى هراة ودخلها وبها جماعة من الاتراك وتحصن بها فاشير عليه بان يعتضد بالملك الحسين ملك الغور به فلم يفعل واستبد بنفسه منفردا لانه راى اختلاف الامراء على السلطان محمود بن محمد فطمع وحدثته نفسه بالقوة فقصده المؤيد الى هراة فلما وصل اليها اقتتل من بها شيئا من قتال ثم ان الاتراك مالوا الى المؤيد واطاعوه وانقطع خبر سنقر العزيزي من ذلك الوقت ولم يعلم ما كان منه فقيل انه سقط عن فرسه فمات وقيل بل اغتاله الاتراك فقتلوه وتقدم السلطان محمود الى ولاية هراة في عساكره وجنوده والتقى جماعة من عسكر سنقر بالامير ايناق واغاروا على طوس وقراها فبطلت الزروع والحرث واستولى الخراب على البلاد وعمت الفتن أطراف خراسان واصابهم العين فانهم كانوا ايام السلطان سنجر في ارغد عيش وآمنه وهذا دأب الدنيا لا يصفو نعيمها وخيرها من كدر وشوائب وآفات وقلما يخلص شرها من خير فنسأل الله ان يحسن لنا العون والعقبى بمحمد وآله

(ذكر ملك نور الدين بعلبك)

في هذه السنة ملك نور الدين محمود بعلبك وقلعتها وكانت بيد انسان يقال له ضحاك البقاعي منسوب الى بقاع بعلبك وكان قد ولاه اياها صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك بها فلم يمكن نور الدين محاصرته لقربه من الفرنج فتلطف الحال معه الى الآن فملكها واستولى عليها

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة قلع الخليفة المقتفي لامر الله باب الكعبة وعمل عوضه بابا مصفحا بالنقرة المذهبة وعمل لنفسه من الباب الاول تابوتا يدفن فيه اذا مات وفيها توفي محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت أبو بكر الخجندي رئيس أصحاب الشافعي باصفهان وسمع الحديث بها من ابي علي الحداد وكان صدرا مقدما عند السلاطين وكان ذا حشمة عظيمة وجاه عريض ووقعت لموته فتنة عظيمة باصفهان وقتل فيها خلق كثير وفيها كان بخراسان غلاء شديد اكلت فيه سائر الدواب حتى الناس وكان بنيسابور طباخ فذبح انسانا علويا وطبخه وباعه في الطبيخ ثم ظهر عليه وانه فعل ذلك فقتل وأسفر الغلاء وصلحت أحوال الناس وفيها توفي القاضي أبو العباس احمد بن بختيار بن علي المايداي الواسطي قاضيها وكان فقيها عالما وفيها في ربيع الآخر توفي القاضي برهان الدين ابو القاسم منصور بن ابي سعد محمد بن ابي نصر احمد الصاعدي قاضي نيسابور وكان من ائمة

الفقهاء

الشوام لئلا يعيدوه الى مشيخة الشوام ويعندوا الشيخ قاسما المتولى فعاله واطاعته الذين تطاولوا في مجلس القاضي بالسلام وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل وركبوا في الصباح الى القلعة فقابلوا الباشا فخلع على الشيخ محمد الشنواني فروة سمور وجعله شيخا على الازهر وكذلك على السيد منصور اليافاوي ليكون شيخا على رواق الشوام كما كان في السابق ثم نزلوا وركبوا وصحبتهم اغات الينكجرية بهيئة الموكب وعلى راسه الحوزة الكبيرة وامامه الملازمون بالبراقع والريش على رؤسهم وما زالوا سائرين حتى دخلوا حارة خوشقدم فنزلوا بدار ابن الزعيمي لان دار ذات الشيخ الشنواني صغيرة وضيقة لا تسع ذلك الجمع والذي أنزله في ذلك المنزل السيد محمد المحروقي وقام له بجميع الاحتياجات وارسل من الليل الطباخين والفراشين والاغنام والارز والحطب والسمن والعسل والسكر والقهوة وأوقف عبيده وخدمه لخدمة القادمين للسلام والتهنئة ومناولة القهوة والشربات والبخور وماء الورد وازدحمت الناس عليه وأتوا افواجا اليه وكان ذلك يوم الثلاثاء رابع عشره ووصل الخبر الى الشيخ المهدي ومن معه وحصل لهم كسوف وبطلت مشيخته ولما كان يوم الجمعة حضر الشيخ الجديد الى الازهر وصلى الجمعة وحضر باقي المشايخ وعملوا الختم للشيخ الشرقاوي وحصل ازدحام

الفقهاء الحنفية

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الحرب بين سنقر وارغش)

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين سنقر الهمذاني وارغش المسترشدي وسببها ان سنقر الهمذاني كان قد نهب سواد بغداد بطريق خراسان وكثر جمعه فخرج الخليفة المقتفي لامر الله في جمادى الاولى بنفسه يطلبه فلما وصل الى بلد اللحف قال له الامير خطلو برس انا اكفيك هذا المهم وكان بينه وبين سنقر مودة فركب اليه وتلاقيا وجرى بينهما عتاب طويل لاجل خروجه عن طاعة الخليفة فاجاب سنقر الى الطاعة وعاد خطلو برس واصلح حاله فاقطعه بلد اللحف والامير ارغش المسترشدي فلما توجها الى اللحف جرى بينهما منازعة فاراد سنقر قبض ارغش فرآه محترزا فتحاربا واقتتلا قتالا شديدا وغدر بارغش اصحابه فعاد منهزما الى بغداد وانفرد سنقر ببلد اللحف وخطب فيه للملك محمد فسير من بغداد عسكر القتاله مقدمهم خطلو برس فجرت بينهما حرب شديدة انهزم في آخرها سنقر وقتلت رجاله ونهبت امواله التي في العسكر وسار هو الى قلعة الماهكي واخذ ما كان له فيها واستخلف فيها بعض غلمانه وسار هو الى همذان فلم يلتفت اليه الملك محمد شاه فعاد الى قلعة الماهكي

(ذكر الحرب بين شملة وقايماز السلطاني)

في هذه السنة ايضا كان قتال بين شملة صاحب خوزستان ومعه ابن مكاية وبين قايماز السلطاني في ناحية بادرايا فجمعا عسكرهما وسارا اليه فاتاه الخبر بذلك وهو يشرب فلم يحفل بذلك وركب اليهم في نحو ثلثمائة فارس وكان معجبا بنفسه فحمل عليهم واختلط بهم فاحدقوا به وقاتل اشد قتال فانهزم اصحابه واخذوه اسيرا فتسلمه انسان تركماني كان له عليه دم لانه قتل ابنا للتركماني فقتله بابنه وارسل برأسه الى محمد شاه وارسل الخليفة عسكرا ليقاتل شملة ومن معه فانزاحوا من بين ايديهم ولحقوا بالملك ملكشاه بخوزستان فهلك كثير منهم بالبرد

(ذكر معاودة الغز الفتنة بخراسان)

كان الاتراك الغزية قد اقاموا ببلخ واستوطنوها وتركوا النهب والقتل ببلاد خراسان واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان خاقان محمود بن محمد ارسلان وكان المتولي لامور دولته المؤيد اي ابه وعن رأيه يصدر محمود فلما كان هذه السنة في شعبان سار الغز من بلخ الى مرو وكان السلطان محمود بسرخس في العساكر فسار المؤيد في طائفة من العسكر اليهم فاوقع بطائفة منهم وظفر بهم ولم يزل يتبعهم الى ان دخلوا الى مرو اوائل رمضان وغنم من اموالهم وقتل كثيرا وعاد الى سرخس فاتفق هو والسلطان محمود على قصد الغز وقتالهم فجمعا العساكر وحشدا وسارا الى الغز فالتقوا سادس شوال من هذه السنة وجرت بينهم حرب طال مداها فبقوا يقتتلون من يوم الاثنين

عظيم وخصوصا للتفرج على الشيخ الجديد وكانه لم يكن طول دهره بينهم ولا يلتفتون اليه وبعد فراغ الختم انشد المنشد قصيدة يرثي بها المتوفى من نظم الشيخ عبد الله العدوي المعروف بالقاضي وانفض الجمع * ومات الاستاذ المكرم بقية السلف الصالحين ونتيجة الخلف المعتقد الشيخ محمد المكني ابا السعود ابن الشيخ محمد جلال ابن الشيخ محمد افندي المكني بابي المكارم ابن السيد عبد المنعم ابن السيد محمد المكني بابي السرور صاحب الترجمة ابن السيد القطب الملقب بابي السرور البكري الصديقي العمري من جهة الام تولى خلافة سجادتهم في سنة سبع عشرة ومائتين والف عندما عزل ابن عمه السيد خليل البكري ولم تكن الخلافة في فرعهم بل كانت في اولاد الشيخ احمد بن عبد المنعم وآخرهم السيد خليل المذكور فلما حضرت العثمانية الى مصر واستقر في ولايتها محمد باشا خسرو سعى في السيد خليل الكارهون له وانهوا اليه فيه ورموه بالقبائح ومنها تداخله في الفرنسيس وامتزاجه بهم وعزلوه من نقابة الاشراف ووردت للسيد عمر مكرم ولم يكتفوا بذلك وذكروا انه لا يصلح للخلافة البكرية فقال الباشا وهل موجود في اولادهم خلافه قالوا نعم وذكروا المترجم فعين ذكروه وانه قد طعن في السن وفقير من المال فقال الباشا الفقر لا ينفي النسب وأمر له

بفرس وسرج وعباءة كعادة مركوبهم فأحضروه والبسوه التاج والفرجية وخلع عليه الباشا فروة سمور وانعم عليه

سابع شوال الى نصف الليل من ليلة الاربعاء الحادى عشر من الشهر تواقعوا عدة
وقعات متتابعة ولم يكن بينهما راحة ولا نزول الا لما لا بد منه انهزم الغز فيها ثلاث
دفعات وعادوا الى الحرب فلما اسفر الصبح يوم الاربعاء انكشفت الحرب عن
هزيمة عساكر خراسان وتفرقهم فى البلاد وظفر الغز بهم وقتلوا فاكثروا فيهم واما
الجرحى والاسرى فاكثر من ذلك وعاد المؤيد ومن سلم معه الى طوس فاستولى الغز
على مرو واحسنوا السيرة واكرموا العلماء والائمة مثل تاج الدين أبى سعيد السمعانى
وشيخ الاسلام على البلخى وغيرهما واغاروا على سرخس وخربت القرى وجلى أهلها
وقتل من أهل سرخس نحو عشرة آلاف قتيل ونهبوا طوس أيضا وقتلوا أهلها
الا القليل وعادوا الى مرو وأما السلطان محمود بن محمد الخان والعساكر التى معه
فلم يقدروا على المقام بخراسان من الغز فساروا الى جرجان ينتظرون ما يكون من
الغز فلما دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة أرسل الغز الى السلطان يسألونه أن
يحضر عندهم ليملكوه أمرهم فلم يثق بهم وخافهم على نفسه فارسلوا يطلبون منه ابنه
جلال الدين عمر ليملكوه أمرهم ويصدروا عن أمره ونهيه فى قليل الامور وكثيرها
وترددت الرسل واحتاط السلطان محمود لولده بالعهود والمواثيق وتقرير القواعد ثم سيره
من جرجان الى خراسان فلما سمع الامراء الغزية بقدومه ساروا من مرو الى طريقه
فالتقوه بنيسابور واكرموه وعظموه ودخل نيسابور واتصلت به العساكر الغزية
واجتمعوا عنده فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين
وخمسمائة ثم ان السلطان محمودا سار من جرجان الى خراسان فى الجيوش التى معه من
الامراء السنجرية وتخلف عنه المؤيد أى ابه فوصل الى حدود نسا وابيورد واقطع
نسا الامير اسمه عمر بن حمزة النسوى فقام فى حفظها المقام المرضى ومنع عنها ايدى
المفسدين واقام السلطان محمود بظاهر نسا حتى انسلخ جمادى الآخرة من السنة
ولما كان الغز بنيسابور هذه السنة أرسلوا الى طوس يدعونهم الى الطاعة والموافقة
فامتنع أهل راذكان من اجابتهم الى ذلك واغتروا بسور بلدهم وبما عندهم من
الشجاعة والقوة والعدة الوافرة والذخائر الكثيرة فقصدها طائفة من الغز وحصروهم
وملكوا البلد وقتلوا فيه ونهبوا كثيرا ثم عادوا الى نيسابور وساروا مع جلال
الدين محمد ابن السلطان محمود الخان الى بيهق وحصروا سابزوار سابع عشر جمادى
الآخرة سنة اربع وخمسين وخمسمائة فامتنع اهلها عليهم وقام بامرهم النقيب
عماد الدين على بن محمد بن يحيى العلوى الحسينى نقيب العلويين واجتمعوا معه
ورجعوا الى أمره ونهيه ووقفوا عند اشارته فامتنعوا على الغز وحفظوا البلد منهم
وصبروا على القتال فلما رأى الغز امتناعهم عليهم وقوتهم ارسلوا اليهم يطلبون
الصلح فاصطلحوا ولم يقتل من اهل سابزوار فى تلك الحروب غير رجل واحد ورحل الملك
جلال الدين والغز عن سابزوار فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع
وخمسين وخمسمائة وساروا الى نسا وابيورد

بخمسة أكياس وأن يأخذ له
فائظا فى بعض الاقطاعات
ويعفى من الحلوان وسكن
بداره جهة باب الخرق وراج
أمره واشتهر ذكره من حينئذ
وسار سيرا حسنا مقرونا
بالكمال جاريا على نسق
نظامه بحسب الحال ويتحاكم
لديه خلفاء الطرائق الصورية
وأصحاب الاشاير البدعية
كالاحمدية والرفاعية والبرهامية
والقادرية فيفصل قوانينهم
العادية وينتقل فى أوائل شهر
ربيع الاول الى دار بالازبكية
بدرب عبد الحق فيعمل هناك
وليمة المولد النبوى على
العادة وكذلك مولد
المعراج فى شهر رجب بزاوية
الدشطوطى خارج باب
العدوى ولم يزل على حالته
وطريقته من انكسار النفس
الى أن ضعفت قواه وتعلل
ولازم الفراش فعند ذلك طلب
الشيخ الشنوانى وباقى المشايخ
وعرفهم ان مرضه الذى هو به
مرض الموت لانه بلغ التسعين
وزيادة وانه عهد بالخلافة على
سجادتهم لولده السيد محمد
لانه بالغ رشيد والتمس منهم
بان يركبوا معه من الغد
ويطلعوا الى القلعة ويقابلوا
به الباشا فأجابوه الى ذلك
وركبوا من الغد صحبته الى
القلعة فخلع عليه الباشا فروة
سمور ونزل الى داره بالازبكية بدرب عبد الحق وتوفى المترجم فى اواخر شهر شوال من السنة

(ذكر اسر المؤيد وخلاصه)

قد ذكرنا ان المؤيد اى ابه تخلف عن السلطان ركن الدين محمود بن محمد بجرجان فلما كان الآن سار من جرجان الى خراسان فنزل بقرية من قرى خبوشان اسمها زانك وبها حصن فسمع الغز بوصوله الى زانك فساروا اليه وحصروه فيه فخرج منه هاربا فرآه واحد من الغز فاخذه فوعده بمال جزيل ان اطلقه فقال الغزى واين المال فقال هو مودع فى بعض هذه الجبال فسار هو والغزى فوصلا الى جدار قرية فيها بساتين وعيون فقال للفارس المال ههنا وصعد الجدار ونزل من ظهره ومضى هاربا فرأى الغز قد ملؤا الارض فدخل قرية فعرفه طحان فيها فاعلم زعيم القرية به وطلب منه مركبا فاتاه بما اراد واعانه على الوصول الى نيسابور فوصل اليها واجتمعت العساكر وقوى امره وعاد الى حاله واحسن الى الطحان وبالغ فى الاحسان اليه

(ذكر اجتماع السلطان محمود مع الغز وعودهم الى نيسابور)

لما عاد الغز ومعهم الملك محمد بن محمود الخان الى نسا وابيورد كما ذكرناه خرج والده السلطان محمود الخان وكان هناك فيمن معه من العساكر الخراسانية فاجتمع بهم واتفقت الكلمة على طاعته واراد عمارة البلاد وحفظها فلم يقدر على ذلك فلما اجتمعوا ساروا الى نيسابور وبها المؤيد اى ابه فى شعبان فلما سمع بقربهم منه رحل عنها الى خواف فى سادس عشره ووصلوا اليها فى الحادى والعشرين منه ونزلوا فيه وخافهم الناس خوفا عظيما فلم يفعلوا بهم شيئا وساروا عنها فى السادس والعشرين منه الى سرخس ومرو وكان بها الفقيه المؤيد بن الحسين الموفقى رئيس الشافعية وله بيت قديم وهو من احفاد الامام ابى سهل الصعلوكى وله مصاهرة الى بيت ابى المعالى الجوينى وهو المقدم فى البلد والمشار اليه وله من الاتباع ما لا يحصى فاتفق ان بعض اصحابه قتل انسانا من الشافعية اسمه ابو الفتوح الدستقانى خطا وهذا ابو الفتوح له تعلق بنقيب العلويين بنيسابور وهو ذخر الدين ابو القاسم زيد بن الحسن الحسينى وكان هذا النقيب هو الحاكم هذه المدة بنيسابور فغضب من ذلك وارسل الى الفقيه المؤيد يطلب منه القاتل ليقتص منه ويتهدده ان لم يفعل فامتنع المؤيد من تسليمه وقال لا مدخل لك مع اصحابنا انما حكمك على الطائفة العلويين فجمع النقيب اصحابه ومن يتبعه وقصد الشافعية فاجتمعوا له وقاتلوه فقتل منهم جماعة ثم ان النقيب احرق سوق العطارين واحرقوا سكة معاذ ايضا وسكة باغ طاهر ودار امام الحرمين ابى المعالى الجوينى وكان الفقيه المؤيد الشافعى بها الاصهر الذى بينهم وعظمت المصيبة على كافة الناس وجمع بعد ذلك المؤيد الفقيه جموعا من طوس واسفراين وجوين وغيرهم وقتلوا واحدا من اتباع النقيب زيد يعرف بابن الحاجى الاشنانى فاهتم العلوية ومن معهم فاقتتلوا ثامن عشر شوال من سنة اربع وخمسين وقامت الحرب على ساق واحرقت المدارس والاسواق والمساجد وكثر القتل فى الشافعية فالتجأ المؤيد الشافعى فى شرذمة

وحضروا بجنازته الى الازهر فصلوا عليه وذهبوا به الى القرافة ودفن بمشهد

اسلافهم رحمه الله تعالى ومات الاجل المكرم المهذب فى نفسه النادرة فى ابناء جنسه محمد افندى الودنلى الذى عرف بناظر المهمات ويعرف ايضا بطبل اى الاعرج لانه كان به عرج قدم الى مصر فى ايام قدوم الوزير يوسف باشا وولاه محمد باشا خسرو كشوفية اسيوط ثم رجع الى مصر فى ولاية محمد على باشا فجعله ناظرا على مهمات الدولة وسكن بيت سليمان افندى ميتو بعطفة الى كلبة بناحية الدرب الاحمر فتقيد بعمل الخيام والسروج والبيرقات ولوازم الحروب فضاقت عليه الدار فاشترى بيت ابن الدالى بالبودية بالقرب من قنطرة عمر شاه وهى دار واسعة عظيمة متخربة هى وما حولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن بها ورتب بها ورشات ارباب الاشغال والصنائع والمهمات المتعلقة بالدولة كسبك المدافع والجلل والقنابر والمكاحل والعربات وغير ذلك من الخيام والسروج ومصاريف طوائف العساكر الطبجية والعربجية والرماة وعمر ما حول تلك الدار من الرباع والحوانيت والمسجد الذى بجواره ومكتبا لاقراء الاطفال ورتب تدريسا فى

المسجد المذكور بعد العصر وقرر فيه السيد احمد الطحطاوى الحنفى ومعه عشرة

من الطلبة ورتب لهم الف عثماني تصرف لهم من الروزنامه وللاطفال وكسوتهم خلاف ذلك و يشترى في

الى قلعة فرخك وقصر باع الشافعية من القتال ثم انتقل المؤيد الى قرية من قرى طوس و بطلت دروس الشافعية بنيسابور وخرب البلد وكثر القتل فيه

❁(ذكر حصر صاحب حتلان ترمذ وعوده وموته)❁

في هذه السنة في رجب سار الملك ابو شجاع فرخشاه وهو يزعم انه من اولاد بهرام جور وقد تقدم ذكره ايام كسرى ابرويز الى ترمذ وحصرها وكان سبب ذلك انه كان في طاعة السلطان سنجر فلما خرج عليه الغز طلبه ليحضر معه حربه لهم فجمع عسكره واظهر انه واصل فجمع عنده من العساكر اليه واقام ينتظر ما يكون منه فان ظفر حضر وقال له سبقتني بالحرب وان كان الظفر للغز قال لهم انما تاخرت محبة وارادة ان تملكوا فلما انهزم سنجر وكان ما ذكرناه بقي الى الآن فسار الى ترمذ ليحصرها فجمع صاحبها فيروزشاه احمد بن ابي بكر بن قماج عسكره ولقيه ليمنعه فاقتتلوا فانهزم فيروزشاه ومضى منهزما لا يلوي على شيء فاصابه في الطريق قولنج فمات منه

❁(ذكر عود المؤيد الى نيسابور وتخريب ما بقي منها)❁

في هذه السنة عاد المؤيد اي ابه الى نيسابور في عساكره ومعه الامام المؤيد الموفق الشافعي الذي تقدم ذكر الفتنة بينه وبين ذخر الدين نقيب العلويين وخروجه من نيسابور فلما خرج منها صار مع المؤيد وحضر مع المؤيد وحضر معه حصار نيسابور وتحصن النقيب العلوي بشارستان واشتد الخطب وطال الحرب وسفكت الدماء وهتكت الاستار وخربوا ما بقي من نيسابور من الدور وغيرها وبالغ الشافعية ومن معهم في الانتقام فخربوا المدرسة الصندلية لاصحاب ابي حنيفة وخربوا غيرها وحصروا قهندز وهذه الفتنة استاصلت نيسابور ثم رحل المؤيد اي ابه عنها الى بيهق في شوال من سنة اربع وخمسين وخمسمائة كان ينبغي ان تكون هذه الحوادث الغزية الواقعة في سنة اربع وخمسين مذكورة في سنتها وانما قدمناها ههنا ليتلو بعضها بعضا فيكون احسن لسياقتها

❁(ذكر ملك ملكشاه خوزستان)❁

في هذه السنة ملك ملكشاه ابن السلطان محمود بلد خوزستان واخذه من شملة التركماني وسبب ذلك ان الملك محمد ابن السلطان محمود لما عاد من حصار بغداد كما ذكرناه مرض وبقي مريضا به فلذلك ومضى أخوه ملكشاه الى قم وقاشان ونهبها وصادر أهلها وجمع أموالا كثيرة فراسله أخوه محمد شاه يأمره بالكف عن ذلك ليجعله ولي عهده في الملك فلم يفعل ومضى الى اصفهان فلما قاربها ارسل رسولا الى ابن الخجندي وأعيان البلد في تسليم البلد اليه فامتنعوا من ذلك وقالوا الاخ لك في رقابنا يمين ولا نغدر به فحينئذ شرع ملكشاه في الفساد والمصادرة لاهل القرى فلما سمع محمد شاه الخبر سار عن همذان وعلى مقدمته كردبازوه الخادم فتفرقت جموع ملكشاه عند فرسين فلحق به قويدان وكان قد فارق المقتفي لامر الله واتفق مع سنقر الهمذاني فلحقا كلاهما

عيد الاضحى جواميس وكباشا يذبح منها و يفرق على الفقراء والموظفين ويرسل الى أصحابه عدة كباش في عيد الاضحية الى بيوتهم الكبش والكبشين على قدر مقادرهم ويرسل في كل ليلة من ليالي رمضان عدة قصاع مملوءة بالثريد واللحم الى الفقراء بالجامع الازهر واتفق ان الباشا قصد تعمير الجراة والسواقي التي تنقل الماء من النيل الى القلعة وكانت قد تهدمت وتخربت وتلاشت و بطل عملها مدة سنين فاحضروا المعمارجية فهولوا عليه أمرها واخبروه انها تحتاج خمسمائة كيس تنفق في عمارتها فعرض ذلك على المترجم فقال له انا اعمرها بمائة كيس قال كيف تقول قال بل بثمانين كيسا والتزم بذلك ثم شرع في عمارتها حتى اتمها على ما هي عليه الآن واهدى اليه رجال دولتهم عدة ثوار معونة له فعمر أيضا سواقيها وأدارها و جرى فيها الماء الى القلعة ونواحيها وانتفع بها أهل تلك الجهات ورخص الماء وكثر في تلك الاخطاط وكانوا قاسوا شدة من عدم الماء مدة سنين ومما عد من مناقبه ان القلقات المقيدين بالمراكز وأبواب المدينة كانوا يأخذون من الواردين والداخلين والخارجين والمسافرين من

به وحسنا له قصد بغداد فسار عن بلد خوزستان الى واسط ونزل بالجانب الشرقي وهم على غاية الضر من الجوع فنهبوا القرى نهبا فاحشا فعظم بثق بتلك الناحية فغرق منهم كثير ونجا ملكشاه ومن سلم معه وساروا الى خوزستان فمنعه شملة من العبور فراسله ليمكنه من العبور الى أخيه الملك محمد شاه فلم يجبه الى ذلك وكاتب حينئذ الاكراد الذين هنالك واستدعاهم اليه ففرحوا به ونزل اليه من تلك الجبال خلق كثير فاطاعوه فرحل ونزل على كرخانا وطلب من شملة الحرب فالان له شملة القول وقال انا خطب لك وأكون معك فلم يقبل منه فاضطر شملة الى الحرب فجمع عسكره وقصده فلقيه ملكشاه ومعه سنقر الهمذاني وقويدان وغيرهما من الامراء فاقتتلوا فانهزم شملة وقتل كثير من اصحابه وصعد الى قلعته دندرزين وملك ملكشاه البلاد وجبى الاموال الكثيرة واظهر العدل وتوجه الى ارض فارس

(ذكر الحرب بين التركمان والاسماعيلية بخراسان)

كان بنواحي قهستان طائفة من التركمان فنزل اليهم جمع من الاسماعيلية من قلاعهم وهم الف وسبعمائة فاوقعوا بالتركمان فلم يجدوا الرجال وكانوا قد فارقوا بيوتهم فنهبوا الاموال واخذوا النساء والاطفال واحرقوا ما لم يقدروا على حمله وعاد التركمان فرأوا ما فعل بهم فتبعوا أثر الاسماعيلية فادركوهم وهم يقتسمون الغنيمة فكبروا وحملوا عليهم ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاؤا حتى أفنوهم قتلا وأسرا ولم ينج الا تسعة رجال لا غير

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثر فساد التركمان أصحاب ترجم الايوائي بالجبل فسير اليهم من بغداد عسكر مقدمهم منكبرس المسترشدي فلما قاربهم اجتمع التركمان فالتقوا واقتتلوا هم ومنكبرس فانهزم التركمان اقبح هزيمة وقتل بعضهم وأسر بعض وحملت الرؤس والاسارى الى بغداد وفيها حج الناس فلما وصلوا الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وصل لهم الخبر ان العرب قد اجتمعت لتاخذهم فتركوا الطريق وسلكوا طريق خيبر فوجدوا مشقة شديدة ونجوا من العرب وفيها توفي الشيخ نصر بن منصور بن الحسين العطار أبو القاسم الحراني ومولده بحران سنة اربع وثمانين واربعمائة واقام ببغداد وكثر ماله وصدقاته ايضا وكان يقرأ القرآن وهو والد ظهير الدين الذي حكم في دولة المستضيء بامر الله على ما نذكره ان شاء الله وفيها توفي ابو الوقت عبد الاول ابن عيسى بن شعيب السجزي ببغداد وهو سجزي الاصل هروي المنشأ وكان قدم الى بغداد سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة يريد الحج فسمع الناس بها عليه صحيح البخاري وكان عالي الاسناد فتاخر لذلك عن الحج فلما كان هذه السنة عزم على الحج فمات وفيها توفي يحيى بن سلامة بن الحسن بن محمد أبو الفضل الحصكفي الاديب بميافارقين وله شعر حسن ورسائل جيدة مشهورة وكان يتشيع ومولده بطنزة فمن شعره

وخليع بت اعذله * ويرى عذلي من العبث

الفلاحين وغيرهم ومعهم أشياء أو أحمال ولو حطبا أو برسيما أو تبنا أو سرجينا دراهم على كل شئ ولو امرأة فقيرة معها أو على راسها مقطف من وجميع البهائم تبيعه في الشارع وتقتات بثمنه فيحجزونها ولا يدعونها تمر حتى تدفع لهم نصف فضة ثم يأخذون أيضا من ذلك الشئ ويأخذون على كل حمل حمارا وبغل أو جمل نصف فضة واذا اشترى شخص من ساحل بولاق أو مصر القديمة اردب غلة أو حملة حطب لعياله أخذ منه المتقيدون عند قنطرة الليمون فاذا خلص منهم استقبله الكائنون بالباب الحديد وهكذا سائر الطرق التي يدخل منها المارة الى المدينة ويخرجون مثل باب النصر وباب الفتوح وباب الشعرية وباب العدوي وطرق الازبكية وباب القرافة والبرقية وطرق مصر القديمة فسعى المترجم بابطال ذلك وتكلم مع الباشا وعرفه تضرر الناس وخصوصا الفقراء وهؤلاء المتقيدون لهم علائف يقبضونها من الباشا كغيرهم وهذا قدر زائد فرخص له في ابطال هذا الامر وكتب له بيورلدي بمنع هؤلاء المركوزين عن أخذ شئ من الناس جملة كافية وقيد بكل مركز شخصا من اتباعه لمراقبتهم وأشاع ذلك في الناس فانكفوا وامتنعوا عن اخذ شئ من عامة الناس وكانوا يجمعون من ذلك مقادير من الفضة العددية يتقاسمونها آخر النهار وذلك خلاف ما يأخذونه من الاشياء المحمولة كالجبن

قلت ان الخمر مخبثة * قال حاشاها من الخبث
قلت فالارفاث تتبعها * قال طيب العيش في الرفث
قلت منها القيء قال اجل * شرفت عن مخرج الحدث
وسالوها فقلت متى * قال عند السكون في الجدث

(ثم دخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة)

ذكر ملك عبد المؤمن مدينة المهدية من الفرنج وملكه جميع افريقية قد ذكرنا سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ملك الفرنج مدينة المهدية من صاحبها الحسن بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي وذكرنا ايضا سنة احدى وخمسين ما فعله الفرنج بالمسلمين في زويلة المجاورة للمهدية من القتل والنهب فلما قتلهم الفرنج ونهبوا اموالهم هرب منهم جماعة وقصدوا عبد المؤمن صاحب المغرب وهو بمراكش يستجيرونه فلما وصلوا اليه ودخلوا عليه اكرمهم واخبروه بما جرى على المسلمين وانه ليس في ملوك الاسلام من يقصد سواه ولا يكشف هذا الكرب غيره فدمعت عيناه واطرق ثم رفع راسه وقال ابشروا لانصرنكم ولو بعد حين وامر بانزالهم واطلق لهم الفي دينار ثم امر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج اليه العساكر في السفر وكتب الى جميع نوابه في الغرب وكان قد ملك الى قريب تونس يامرهم بحفظ جميع ما يتحصل من الغلات وان يترك في سنبله ويخزن في مواضعه وان يحفروا الآبار في الطرق ففعلوا جميع ما امرهم به وجمعوا الغلات ثلاث سنين ونقلوها الى المنازل وطينوا عليها فصارت كانها تلال فلما كان في صفر من هذه السنة سار عن مراكش وكان اكثر اسفاره في صفر فسار يطلب افريقية واجتمع من العساكر مائة الف مقاتل ومن الاتباع والسوقة امثالهم وبلغ من حفظه لعساكره انهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتاذى بهم سنبلة واذا نزلوا صلوا جميعهم مع امام واحد بتكبيرة واحدة لا يتخلف منهم احد كائنا من كان وقدم بين يديه الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وكان صاحب المهدية وافريقية وقد ذكرنا سبب مصيره عند عبد المؤمن فلم يزل يسير الى ان وصل الى مدينة تونس في الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة وبها صاحبها احمد بن خراسان واقبل اسطوله في البحر في سبعين شينيا وطريدة وشلندي فلما نازلها ارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته فامتنعوا فقاتلهم من الغد اشد قتال فلم يبق الا اخذها ودخول الاسطول اليها فجاءت ريح عاصف منعت الموحدين من دخول البلد فرجعوا ليباكروا القتال ويملكوه فلما جن الليل نزل سبعة عشر رجلا من اعيان اهله الى عبد المؤمن يسالونه الامان لاهل بلدهم فاجابهم الى الامان لهم في انفسهم واهليهم واموالهم لمبادرتهم الى الطاعة واما من عداهم من اهل البلد فيؤمنهم في انفسهم واهاليهم ويقاسمهم على اموالهم واملاكهم نصفين وان يخرج صاحب البلد هو واهله فاستقر ذلك وتسلم البلد وارسل اليه من يمنع العسكر من الدخول وارسل امناءه ليقاسموا الناس على اموالهم واقام عليها

والزند والخيار وانواع البطيخ والفاكهة والبرسيم والاحطاب والخضارات وغير ذلك ومن مناقبه أيضا ان الجاويشية والقواسة الاتراك المختصين بخدمة الباشا والكتخدا كان من عوائدهم القبيحة انهم في كل يوم جمعة يلبسون أحسن ملابسهم وينتشرون بالمدينة ويطوفون على بيوت الاعيان وأرباب المظاهر واصحاب المناصب وياخذون منهم البقاشيش ويسمونها الجمعية فما هو الآن يصطبح أحد ممن ذكر ويجلس بمجلسه الا واثنان أو ثلاثة عابرون عليه من غير استئذان فيقفون قبالته وبايديهم العصي المفضضة فيعطيهم القرشين أو الثلاثة بحسب منصبه ومقامه فاذا ذهبوا وانصرفوا حضر اليه خلافهم وهكذا ولا يرون في ذلك ثقلا ولا رذالة بل يرون ان ذلك من اللازمات الواجبة فلا يكفي أحد المقصودين الخمسون قرشا أو أقل او أكثر في ذلك اليوم تذهب سبهللا فكان منهم من ينقطع في حريمه ذلك اليوم او يتوارى ويتغيب عن منزله فاذا صادفوه مرة أخرى ذاكروه فما فاتهم في السابق فاما سامحوه واما تمنوا عليه بتركها اوطالبوه بها ان لم يكن ممن يخشونه فسعى أيضا المترجم مع الباشا في منعهم من ذلك * ومن مساويه انه اول من فتح باب الزيادة في متحصل الضربخانه حتى تنبه الباشا من ذلك الوقت لاهل الضربخانه واوقع بهم ما تقدم ذكره ثلاثة

ثلاثة ايام وعرض الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع
قتل واقام اهل تونس بها باجرة تؤخذ من نصف مساكنهم وسار عبد المؤمن منها الى
المهدية والاسطول يحاذيه فى البحر فوصل اليها ثامن عشر رجب وكان حينئذ بالمهدية
اولاد ملوك الفرنج وابطال الفرسان وقد اخلوا زويلة وبينها وبين المهدية غلوة سهم
فدخل عبد المؤمن زويلة وامتلأت بالعساكر والسوقة فصارت مدينة معمورة فى ساعة
ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها وانضاف اليه من صنهاجة والعرب وأهل
البلاد ما يخرج عن الاحصاء وأقبلوا يقاتلون المهدية مدة ايام فلا يؤثر فيها لحصانتها
وقوة سورها وضيق موضع القتال عليها لان البحر دائر با كثرها فكانها كف فى البحر
وزندها متصل بالبر وكانت الفرنج تخرج شجعانهم الى اطراف العسكر فتنال منه
ويعودون سريعا فامر عبد المؤمن أن يبنى سور من غرب المدينة يمنعهم من الخروج
وأحاط الاسطول بها فى البحر وركب عبد المؤمن فى شينى ومعه الحسن بن على الذى كان
صاحبها وطاف بها فى البحر فهاله ما رأى من حصانتها وعلم انها لا تفتح بقتال برا ولا بحرا
وليس لها الا المطاولة وقال للحسن كيف نزلت عن مثل هذا الحصن فقال لقلة من يوثق
به وعدم القوت وحكم القدر فقال صدقت وعاد من البحر وأمر بجمع الغلات والاقوات
وترك القتال فلم يمض غير قليل حتى صار فى العسكر كالجبلين من الحنطة والشعير فكان
من يصل الى العسكر من بعيد يقولون متى حدثت هذه الجبال فيقال لهم هى حنطة
وشعير فيعجبون من ذلك وتمادى الحصار وفى مدته أطاع سفاقس عبد المؤمن
ومدينة طرابلس وجبال نفوسة وقصور افريقية وما والاها وفتح مدينة قابس بالسيف
وسير ابنه أبا محمد عبد الله فى جيش ففتح بلادا ثم ان اهل مدينة قفصة لما رأوا تمكن
عبد المؤمن اجمعوا على المبادرة الى طاعته وتسليم المدينة اليه فتوجه صاحبها يحيى بن
تميم بن المعز ومعه جماعة من اعيانها وقصدوا عبد المؤمن فلما اعلمه حاجبه بهم قال له
عبد المؤمن قد اشتبه عليك ليس هؤلاء اهل قفصة فقال له لم يشتبه على قال له عبد
المؤمن كيف يكون ذلك والمهدى يقول ان اصحابنا يقطعون اشجارها ويهدمون
أسوارها ومع هذا فنقبل منهم ونكف عنهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا فارسل اليهم
طائفة من اصحابه ومدحه شاعر منهم بقصيدة اولها

ما هز عطفيه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

فوصله بالف دينار ولما كان فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة جاء اسطول
صاحب صقلية فى مائة وخمسين شينيا غير الطرائد وكان قد وفد من جزيرة يابسة من
بلاد الاندلس وقد سبى أهلها وأسرهم وحملهم معه فارسل اليهم ملك الفرنج يأمرهم
بالمجىء الى المهدية فقدموا فى التاريخ فلما قاربوا المهدية حطوا شرعهم ليدخلوا الميناء
فخرج اليهم أسطول عبد المؤمن وركب العسكر جميعه ووقفوا على جانب البحر فاستعظم
الفرنج ما رأوه من كثرة العساكر ودخل الرعب قلوبهم وبقى عبد المؤمن يمرغ وجهه على
الارض ويبكى ويدعو للمسلمين بالنصر فتقاتلوا فى البحر فانهزمت شوانى الفرنج واعادوا

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه
وبالجملة فمن رأس العين يأتى
الكدر كما قاله الليث بن سعد
لما سأله الرشيد وقال له
يا أبا الحرث ما صلاح بلدكم
فقال له اما صلاح امر زراعتها
وجدبها وخصبها فبالنيل واما
صلاح احكامها فمن رأس
العين يأتى الكدر فقال له
صدقت ذكر ذلك الحافظ بن
حجر فى المرحمة الغيثية فى
الترجمة الليثية وعلى كل فكان
المترجم احسن من رأينا فى
هذه الدولة وكان قريبا من
الخير وفعله مواظبا على الصلوات
الخمس فى اوقاتها ملازما على
الاشتغال ومطالعة الكتب
والممارسة فى دقائق الفنون
واقتنى كتبا كثيرة فى سائر
الفنون واستنباط الصنائع
حتى انه صنع الجوخ الملون
الذى يعمل ببلاد الافرنج
ويجلب الى الآفاق ويلبسه
الناس للتجمل وكان قل
وجوده بمصر وغلا ثمنه فعمل
عدة انوال ومناسج غريبة
الوضع واحضر اشخاصا من
النساجين فنسجوا الصوف
بعد غزله مدات حددها لهم
فى الطول والعرض ثم يتسلمه
رجال أعدهم لتخميره وتلبيده
بالقلى والصابون منشورا
ومطويا بكيفيات فى اوقات وايام
بمباشرته لهم فى العمل واشارته
ثم يضعونه مطويا فى احواض من خشب ثخين مزفت تملى بالماء من ساقية صنعها لخصوص ذلك يصب منها

القلوع وتبعهم المسلمون فاخذوا منهم سبع شواني ولو كان معهم شواني لاخذوا اكثرها وكان امرا عجيبا وفتحا قريبا وعاد اسطول المسلمين مظفرا منصورا وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويئس اهل المهدية حينئذ من النجدة وصبروا على الحصار ستة اشهر الى آخر شهر ذي الحجة من السنة فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسالوه الامان لمن فيها من الفرنج على انفسهم واموالهم ليخرجوا منها ويعودوا الى بلادهم وكان قوتهم قد فني حتى اكلوا الخيل فعرض عليهم الاسلام ودعاهم اليه فلم يجيبوا ولم يزالوا يترددون اليه اياما بالكلام اللين فاجابهم الى ذلك وامنهم واعطاهم سفنا فركبوا فيها وساروا وكان الزمان شتاء فغرق اكثرهم ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير وكان صاحب صقلية قد قال ان قتل عبد المؤمن اصحابنا بالمهدية قتلنا المسلمين الذين هم بجزيرة صقلية واخذنا حرمهم واموالهم فاهلك الله الفرنج غرقا وكان مدة ملكهم المهدية اثنتي عشرة سنة ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة وسماها عبد المؤمن سنة الاخماس وأقام بالمهدية عشرين يوما فرتب احوالها وأصلح ما انثلم من سورها ونقل اليها الذخائر من الاقوات والرجال والعدد واستعمل عليها بعض اصحابه وجعل معه الحسن بن علي الذي كان صاحبها وأمره ان يقتدي برايه في افعاله وأقطع الحسن بها اقطاعا واعطاه دورا نفيسة يسكنها وكذلك فعل باولاده ورحل من المهدية أول صفر من السنة الى بلاد الغرب

(ذكر ايقاع عبد المؤمن بالعرب)

لما فرغ عبد المؤمن من امر المهدية واراد العود الى الغرب جمع امراء العرب من بني رياح الذين كانوا بافريقية وقال لهم قد وجبت علينا نصرة الاسلام فان المشركين قد استفحل أمرهم بالاندلس واستولوا على كثير من البلاد التي كانت بايدي المسلمين وما يقاتلهم احد مثلكم فبكم فتحت البلاد اول الاسلام وبكم يدفع عنها العدو الآن ونريد منكم عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة يجاهدون في سبيل الله فاجابوا بالسمع والطاعة فحلفهم على ذلك بالله تعالى وبالمصحف فحلفوا ومشوا معه الى مضيق جبل زغوان وكان منهم انسان يقال له يوسف بن مالك وهو من أمرائهم ورؤس القبائل فيهم فجاء الى عبد المؤمن بالليل وقال له سرا ان العرب قد كرهت المسير الى الاندلس وقالوا ما غرضه الا اخراجنا من بلادنا وانهم لا يفون بما حلفوا عليه فقال ياخذ الله عز وجل الغادر فلما كان الليلة الثانية هربوا الى عشائرهم ودخلوا البر ولم يبق منهم الا يوسف ابن مالك فسماه عبد المؤمن يوسف الصادق ولم يحدث عبد المؤمن في أمرهم شيئا وسار مغربا يحث السير حتى قرب من القسطنطينية فنزل في موضع مخصب يقال له وادي النساء والفصل ربيع والكلا مستحسن فاقام به وضبط الطرق فلا يسير من العسكر احد البتة ودام كذلك عشرين يوما فبقي الناس في جميع البلاد لا يعرفون لهذا العسكر خبرا مع كثرته وعظمه ويقولون ما أزعجه الا خبر وصله من الاندلس فحث لاجله في

الماء الى تلك الاحواض تديرها الاثوار وعلى تلك الاحواض مدقات شبيهة بدقات الارز تتحرك في صعودها وهبوطها من ترس خاص يدور بدوران الساقية وما يغيض من ماء الاحواض يجري الى بستان زرعه حول ذلك فيسقى ما به من الاشجار والمزارع فلا يذهب الماء هدرا ثم يخرجونه بعد ذلك ويبردخونه ويصبغونه بانواع الاصباغ ويضعونه في مكبس كبير يقال له التخت صنعه لذلك وعند ذلك يتم عمله فكان الناس يذهبون للتفرج على ذلك لغرابته عندهم ثم حضر اليه شخص فرنساوي واشار عليه باشارات في تغيير المدقات وافسد العمل واشتغل هو بكثرة المهمات فتكاسل عن اعادتها ثانيا وبطل ذلك وكان مع كثرة اشغاله ومصاريفه ليس له كاتب بل يكتب ويحسب لنفسه وبين يديه عدة دفاتر لكل شئ دفتر مخصوص ولا يشغله شئ عن شئ ولما اتسعت دائرته وكثرت حاشيته واجتمعت فيه عدة مناصب مضافة لنظر المهمات مثل معمل البارود [illegible] الفضة ودابغ الجلود وغير ذلك فكان كتخدا بك يحقد عليه في الباطن لامور بينهما حتى قيل إن نفسه طمحت في الكتخدائية فكان يتصدر في الامور والقضايا ويرافع ويدافع ويهزل مع الباشا ويضاحكه ويراده ويدخل عليه من غير استئذان فلم يزل الكتخدا يلقي فيه الدسائس

السير فعادت العرب الذين أجفلوا امامه من البرية الى البلاد لما امنوا جانبه وسكنوا البلاد
التى الفوها واستقروا فى البلاد فلما علم عبد المؤمن برجوعهم جهز اليهم ولديه ابا محمد
وابا عبد الله فى ثلاثين الف مقاتل من اعيان الموحدين وشجعانهم فجدوا السير وقطعوا
المفاوزة فما شعر العرب الا والجيش قد اقبل بغتة من ورائهم من جهة الصحراء ليمنعوهم
الدخول اليها ان راموا ذلك وكانوا قد نزلوا جنوبا من القيروان عند جبل يقال له جبل
القرن وهم زهاء ثمانين الف بيت والمشاهير من مقدميهم ابو محفوظ محرز بن زياد
ومسعود بن زمام البلاط وجبارة بن كامل وغيرهم فلما أطلت عساكر عبد المؤمن
عليهم اضطربوا واختلفت كلمتهم ففر مسعود وجبارة بن كامل ومن معهما من
عشائرهما وثبت محرز بن زياد وأمرهم بالثبات والقتال فلم يلتفتوا اليه فثبت هو ومن
معه من جمهور العرب فناجزهم الموحدون القتال فى العشر الاوسط من ربيع الآخر
من السنة وثبت الجمعان واشتد العراك فاتفق ان محرز بن زياد قتل ورفع رأسه
على رمح فانهزمت جموع العرب عند ذلك واسلموا البيوت والحريم والاولاد والاموال
وحمل جميع ذلك الى عبد المؤمن وهو بذلك المنزل فامر بحفظ النساء العربيات الصرائح
وحملهن معه تحت الحفظ والبر والصيانة الى بلاد الغرب وفعل معهن مثل ما فعل فى
حريم الاثبج ثم أقبلت اليه وفود رياح مهاجرين فى طلب حريمهم كما فعل الاثبج فأجمل
الصنيع لهم ورد الحريم اليهم فلم يبق منهم أحد الا صار عنده وتحت حكمه وهو يخفض
لهم الجناح ويبذل فيهم الاحسان ثم انه جهزهم الى ثغور الاندلس على الشرط الاول
وجمعت عظام العرب المقتولين فى هذه المعركة عند جبل قرن فبقيت دهرا طويلا
كالتل العظيم تلوح للناظرين من مكان بعيد وبقيت افريقية مع نواب عبد المؤمن
آمنة ساكنة لم يبق فيها من امراء العرب خارج عن طاعته الا مسعود البلاط بن
زمام وطائفته فى اطراف البلاد

(ذكر غرق بغداد)

فى هذه السنة ثامن ربيع الآخر كثرت الزيادة فى دجلة وخرق القورج فوق بغداد واقبل
الماء الى البلد فامتلأت الصحارى وخندق البلد وأفسد الماء السور ففتح فيه فتحة يوم
السبت تاسع عشر الشهر فوقع بعض السور عليها فسدها ثم فتح الماء فتحة اخرى
واهملوها ظنا انها تنفس عن السور لئلا يقع فغلب الماء وتعذر سده فغرق قراح
طغرل والاجمة والمختارة والمقتدية ودرب القبار وخرابة ابن جردة والريان وقراح
القاضى وبعض القطيعة وبعض باب الازج وبعض المأمونية وقراح ابى الشحم وبعض
قراح ابن رزين وبعض الظفرية ودب الماء تحت الارض الى اماكن فوقعت واخذ
الناس يعبرون الى الجانب الغربى فبلغت المعبرة عدة دنانير ولم يكن يقدر عليها ثم
نقص الماء وتهدم السور وبقى الماء الذى داخل السور على حاله يدب فى المحال التى لم
يركبها الماء فكثر الخراب وبقيت المحال لا تعرف وانما هى تلول فاخذ الناس حدود

ويعمل معمل الاشغال التى تحت نظره ويعرف الباشا بما يتوفر من ذلك حتى نزعه من نظارة جميع المهمات وقلدها
صالح كتخدا الرزاز ومما
نقمه عليه ان الكتخدا حضر
لزيارة المشهد الحسينى فى عصرية
يوم من رمضان ثم ركب
متوجها الى داره قبيل
الغروب فصادف فى طريقه
عدة قصاع كبار مغطاة تحملها
الرجال فسأل عنها فعرفوه ان
المترجم يرسلها فى كل ليلة من
ليالى رمضان الى فقراء الجامع
الازهر وبها الثريد واللحم
فامتعض من ذلك وعرف
الباشا انه يؤلف الناس
ويتودد اليهم باموال ونحو
ذلك واستمر المترجم بطالا نحو
السنتين ولم يتضعضع ولم يظهر
عليه تغير ونظامه ومطبخه على
حاله وطعامه مبذول ورواتبه
جارية وفى تلك المدة اشتغل
بمطالعة الكتب والممارسة
والمدارسة وعانى الحسابيات
وصناعة التقويم حتى مهر فى
ذلك وعمل الدستور السنوى
وما يشتمل عليه من تقويم
الكواكب السيارة وتداخل
التواريخ والاهلة والاجتماعات
والاستقبالات وطوالع
التحاويل والنصبات ويصنع
بيده أيضا الصنائع الفائقة
مثل الظروف التى تأتى من
بلاد الهند والافرنج والروم
ويضع فيها الكتبة محابرهم
واقلامهم فيصنعها اولا من
الخشب الرقيق والقرطاس
المقوم الملاصق ويصبغها وينقشها بانواع الليق ويعيد على النقوشات بالسندروس المحلول ويضعها فى صندوق

دو رهم بالتخمين واما الجانب الغربي فغرقت فيه مقبرة احمد بن حنبل وغيرها من المقابر وانخسفت القبور المبنية وخرج الموتى على رأس الماء وكذلك المشهد والحربية وكان امرا عظيما

(ذكر عود سنقر الهمذاني الى اللحف وانهزامه)

في هذه السنة عاد سنقر الهمذاني الى اقطاعه وهو قلعة الماهكي وبلد اللحف وكان الخليفة قد اقطعه للامير قايماز العميدي ومعه اربعمائة فارس فارسل اليه سنقر يقول له ارحل عن بلدي فامتنع فسار اليه وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه العميدي ورجع الى بغداد باسوا حال فبرز الخليفة وسار في عساكره الى سنقر فوصل الى النعمانية وسير العساكر مع ترشك ورجع الى بغداد ومضى ترشك نحو سنقر الهمذاني فتوغل سنقر في الجبال هاربا ونهب ترشك ما وجد له ولعسكره من مال وسلاح وغير ذلك وأمر وزيره بقتل من رأى من أصحابه ونزل على الماهكي وحصرها أياما ثم عاد الى البندنيجين وأرسل الى بغداد بالبشارة وأما سنقر فانه لحق بملكشاه فاستنجده فسير معه خمسمائة فارس فعاد ونزل على قلعة هناك وأفسد أصحابه في البلاد وأرسل ترشك الى بغداد يطلب نجدة تخاف ته فاراد سنقر أن يكبس ترشك فعرف ذلك فاحترز فعدل سنقر الى المخادعة فارسل رسولا الى ترشك يطلب منه ان يصلح حاله مع الخليفة فاحتبس ترشك الرسول عنده وركب فيمن خف من أصحابه فكبس سنقر ليلا فانهزم هو وأصحابه وكثر القتل فيهم وغنم ترشك أموالهم ودوابهم وكل مالهم ونجا سنقر جريحا

(ذكر الفتنة بين عامة استراباذ)

في هذه السنة وقع في استراباذ فتنة عظيمة بين العلويين ومن يتبعهم من الشيعة وبين الشافعية ومن معهم وكان سببها ان الامام محمدا الهروي وصل الى استراباذ فعقد مجلس الوعظ وكان قاضيها ابو نصر سعد بن محمد بن اسمعيل النعيمي شافعي المذهب ايضا فثار العلويون ومن يتبعهم من الشيعة بالشافعية ومن يتبعهم باستراباذ ووقعت بين الطائفتين فتنة عظيمة انتصر فيها العلويون فقتل من الشافعية جماعة وهرب القاضي ونهبت داره ودور من معه وجرى عليهم من الامور الشنيعة ما لا حد عليه فسمع شاه مازندران الخبر فاستعظمه وانكر على العلويين فعلهم وبالغ في الانكار مع انه شديد التشيع وقطع عنهم جرايات كانت لهم ووضع الجبايات والمصادرات على العامة فتفرق كثير منهم وعاد القاضي الى منصبه وسكنت الفتنة

(ذكر وفاة الملك محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه)

وفي هذه السنة توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد وهو الذي حاصر بغداد طالبا السلطنة وعاد عنها فاصابه سل وطال به فمات بباب همذان وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فلما حضره الموت امر العساكر فركبت واحضر امواله وجواهره وحظاياه ومماليكه فنظر الى الجميع من طيارة تشرف على ما تحتها فلما رآه

من الزجاج صنعه مخصوص تلك الأشياء والقبورات وجفاف دهانها بحرارة الشمس المحجوب بالزجاج عن الهواء والغبار وعند تمامها تكون في غاية الحسن والظرافة والبهجة بحيث لا يشك من يراها بانها من صناعة الهنداء الافرنج المتقنين الصناعة وكان كلما سمع بشخص ذي معرفة لصناعة من الصنائع او المعارف اجتهد في تحصيلها وتلقيها عنه باي وجه كان ولو ببذل الرغائب واعد بمنزله اماكن لاشخاص من ارباب المعارف ينزلهم فيها ويجري عليهم النفقات والكساوي حتى يجتني ثمار معارفهم وصنائعهم ويجتمع عنده في كل ليلة جمعة جماعة من القراء التي مساكنهم قريبة من داره فيذكر الله معهم حصة من الليل ثم يفرق فيهم دراهم ولما طال به الاهمال وفتور الاحوال والباشا قليل الاقامة بمصر واكثر ايامه غائب عنها فحسن بباله الرحلة من مصر الى الديار الرومية ويذهب الى بلاده فاستاذن الباشا عند وداعه وهو متوجه الى ناحية قبلي فاذن له واخذ في اسباب السفر فارسل الكتخدا الى الباشا ودس اليه كلاما فارسل بمنعه ورتب له خروجا لمطبخه فتعوق عن السفر على غير خاطره وفي اوائل السنة حضرت اليه والدته وابنته وزوجته فانزلهم في دار تجاه داره وأجرى عليهم ما يحتاجون اليه من النفقة

بكى

بكى وقال هذه العساكر والاموال والمماليك والسراري ما ارى يدفعون عني مقدار ذرة ولا يزيدون في اجلي لحظة وامر بالجميع فرفع بعد ان فرق منه شيئا كثيرا وكان عظيما كريما عاقلا كثير التاني في اموره وكان له ولد صغير فسلمه الى آقسنقر الاحمديلي وقال له انا اعلم ان الناس لا تطيع مثل هذا الطفل وهو وديعة عندك فارحل به الى بلادك فرحل الى مراغة فلما مات اختلفت الامراء فطائفة طلبوا ملكشاه اخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه وهم الاكثر وطائفة طلبوا ارسلان الذي مع ايلدكز فاما ملكشاه فانه سار من خوزستان ومعه دكلا صاحب فارس وشملة التركماني وغيرهما فوصل الى اصفهان فسلمها اليه ابن الخجندي وجمع له مالا انفقه عليه وارسل الى العساكر بهمذان يدعوهم الى طاعته فلم يجيبوه لعدم الاتفاق بينهم ولان اكثرهم كان يريد سليمان شاه

●(ذكر اخذ حران من نور الدين وعودها اليه)●

في هذه السنة مرض نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب مرضا شديدا ارجف بموته وكان بقلعة حلب ومعه اخوه الاصغر امير اميران فجمع الناس وحصر القلعة وكان شيركوه وهو اكبر امرائه بحمص فبلغه خبر موته فسار الى دمشق ليتغلب عليها وبها اخوه نجم الدين ايوب فانكر عليه ايوب ذلك وقال اهلكتنا والمصلحة ان تعود الى حلب فان كان نور الدين حيا خدمته في هذا الوقت وان كان قد مات فانا في دمشق نفعل ما نريد من ملكها فعاد الى حلب مجدا وصعد القلعة واجلس نور الدين في شباك يراه الناس وكلمهم فلما رأوه حيا تفرقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حران فملكها فلما عوفي نور الدين قصد حران ليخلصها فهرب اخوه منه وترك اولاده بحران في القلعة فملكها نور الدين وسلمها الى زين الدين علي نائب اخيه قطب الدين صاحب الموصل ثم سار نور الدين بعد اخذ حران الى الرقة وبها اولاد امير ك الجاندار وهو من اعيان الامراء وقد توفي وبقي اولاده فنازلها فشفع جماعة من الامراء فيهم فغضب من ذلك وقال هلا شفعتم في اولاد اخي لما اخذت منهم حران وكانت الشفاعة فيهم من احب الاشياء الي فلم يشفعهم واخذها منهم

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة مرض الخليفة المقتفي لامر الله واشتد مرضه وعوفي فضربت البشائر ببغداد وفرقت الصدقات من الخليفة ومن ارباب الدولة وغلق البلد اسبوعا وفيها عاد ترشك الى بغداد ولم يشعر به احد الا وقد القى نفسه تحت التاج ومعه سيف وكفن وكان قد عصى على الخليفة والتحق بالعجم فعاد الآن فرضي عنه واذن له في دخول دار الخلافة واعطي مالا وفيها في جمادى الاولى ارسل محمد بن انز صاحب قهستان عسكرا الى بلد الاسماعيلية من الجبال فقتلوا كثيرا من العسكر واسروا الامير الذي كان مقدما عليهم اسمه قيمة وهو صهر ابن انز فبقي عندهم اسيرا عدة شهور حتى زوج ابنته من رئيس الاسماعيلية علي بن الحسن وخلص من الاسر وفيها توفي شرف الدين علي بن

فاتفق ان صهره المذكور حلف يمينا بالطلاق الثلاث وحنث فيه ففرق بينه و بين ابنته وطرده فشكاه الى كتخدا بك فكلمه في شانه فلم يقبل وقال لا يجوز ان احلل المحرم لاجلك واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقي ما يلقيه في حقه من النميمة و يذكر له عنه في حقه ما يزيده غيظا وكراهة ويقول له انه يجمع اناسا في كل ليلة جمعة يقرؤن و يدعون عليك وعلى مخدومك وذكر له انه يقول لكم ان قصده السفر الى بلده وانما قصده السفر الى اسلامبول ليجتمع على مخدومه الاول لكونه تولى قبودان باشا وياسة الدونانمه ويقول عندما اكون بدار السلطنة افعل وافعل واخبرهم بحقيقة هؤلاء وافاعيلهم وانقض عليهم امرهم وذكر له ايضا انه استخرج من احكام النجوم التي يعانيها ان الباشا يحصل له نكبة بعد مدة قريبة و يحصل ما يحصل من الفتن فيريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك ونحو ذلك فلما رجع الباشا من سفرته توسل المترجم بالكتخدا في ان ياخذ له اذنا من الباشا بالسفر وهو لا يعلم سريرته ففاوض الباشا في ذلك والقى اليه ما القاه حتى اوغر صدره منه ثم رد عليه بقوله اني استاذنت الباشا فلم يسهل به مفارقتك وقال ان كان من ضيق في المعيشة فاطلق له في كل شهر كيسين منها اربعون الف نصف فضة

ابى القاسم منصور بن ابى سعد الساعدى قاضى نيسابور فى شهر رمضان وكان موته
بالرى ودفن فى مقبرة محمد بن الحسن الشيبانى صاحب ابى حنيفة رضى الله عنهما وكان
القاضى حنفيا ايضا

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير سليمان شاه الى همذان)

فى هذه السنة سار سليمان شاه من الموصل الى همذان ليتولى السلطنة وقد تقدم سبب
قبضه واخذه الى الموصل وسبب مسيره الآن ان الملك محمد ابن السلطان محمود بن
محمد بن ملكشاه لما مات ارسل اكابر الامراء من همذان الى اتابك قطب الدين مودود
ابن زنكى صاحب الموصل يطلبون منه ارسال الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن
ملكشاه اليهم ليولوه السلطنة فاستقرت القاعدة بينهم ان يكون سليمان شاه سلطانا
وقطب الدين اتابكه وجمال الدين وزير قطب الدين وزير السليمان شاه وتحالفوا على
هذا وجهز سليمان شاه بالاموال الكثيرة والبرك والدواب والآلات وغير ذلك مما
يصلح للسلاطين وسار معه زين الدين على وعسكر الموصل الى همذان فلما قاربوا بلاد
الجبل اقبلت العساكر اليهم ارسالا كل يوم يلقاه طائفة وامير فاجتمع مع سليمان شاه
عسكر فخافهم زين الدين على نفسه لانه راى من تسلطهم على السلطان واطراحهم
للادب معه ما اوجب الخوف معه فعاد الى الموصل فحين عاد عنه لم ينتظم امره ولم يتم
له ما اراده وقبض العسكر عليه بباب همذان فى شوال سنة ست وخمسين وخطبوا
لارسلان شاه ابن الملك طغرل وهو الذى زوج ايلدكز بامه وسيذكر مشروحا ان شاء
الله تعالى

(ذكر وفاة الفائز وولاية العاضد العلويين)

فى هذه السنة توفى الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى بن اسمعيل الظافر صاحب مصر
وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين وكان له لما ولى خمس سنين كما ذكرناه ولما مات
دخل الصالح بن رزيك القصر واستدعى خادما كبيرا وقال له من ههنا يصلح للخلافة
فقال ههنا جماعة وذكر اسماءهم وذكر له منهم انسانا كبير السن فامر باحضاره فقال له
بعض اصحابه سرا لا يكون عباس احزم منك حيث اختار الصغير وترك الكبار
واستبد بالامر فاعاد الصالح الرجل الى موضعه وامر حينئذ باحضار العاضد لدين الله ابى
محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ولم يكن ابوه خليفة وكان العاضد ذلك الوقت مراهقا
قارب البلوغ فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح ابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسمع
بمثله وعاشت بعد موت العاضد وخروج الامر من العلويين الى الاتراك وتزوجت

(ذكر وفاة الخليفة المقتفى لامر الله وشئ من سيرته)

فى هذه السنة ثانى ربيع الاول توفى امير المؤمنين المقتفى لامر الله ابو عبد الله محمد بن
المستظهر بالله ابى العباس احمد بن المقتدى بامر الله رضى الله عنه بعلة التراقى وكان
مولده

فلما قال له ذلك قال انا لا يكفينى هذا المقدار فان كان فيطلق لى بخمسة آكياس فقال لم يرض بازيد مما ذكرته لك وكل ذلك
مخادعة من الملك تخذ الحقد
ما حشده فى صدر محمد ومه
ومازال يتردد فى طلب الاذن
حتى اذن له واضمر له القتل
بعد خروجه من مصر فعند
ذلك باع داره وما استجده
حولها والبستان خارج
قناطر السباع وما زاد عن
حاجته من الاشياء والامتعة
واشترى عبيدا وجوارى
وقضى لوازمه وسافر الى
رشيد فعندما مضى من نزوله
يومان او ثلاثة كتبوا الى
خليل بك حاكم الاسكندرية
مرسوما بقتله فبلغه خبر ذلك وهو
بثغر رشيد فلم يصدقه وقال
اى ذنب استوجب به القتل
ولو اراد قتلى ما الذى يمنعه منه
وانا عنده بمصر وانا سافرت
باذنه وودعته وقبلت يديه
وطرفه واخذت خاطره وهو
مبشوش معى كعادته فلما
حصل بالاسكندرية واستقر
بالسفينة ومضى ايام وهم
ينتظرون اعتدال الريح
والاذن من الحاكم بالاقلاع
ووصل المرسوم الى خليل
بك فارسل اليه فى وقت
يدعوه ليتغدى معه فى رأس
التين ونظر الى خليل بك
وهو واقف فى انتظاره على
بعد منه فوق علوة فاجاب
وخرج من السفينة فوصل
اليه جماعة من العسكر واحاطوا به فتحقق عند ذلك ما كان بلغه وهو برشيد ونظر الى خليل بك فلم يره فقال

مولده ثاني عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين واربعمائة وأمه أم ولد تدعى ياعى وكانت خلافته اربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر وستة عشر يوما ووافق أباه المستظهر بالله في علة التراقي وماتا جميعا في ربيع الاول وكان حليما كريما عادلا حسن السيرة من الرجال ذوي الراي والعقل الكثير وهو اول من استبد بالعراق منفردا عن سلطان يكون معه من اول أيام الديلم الى الآن واول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره واصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر الى الآن الا ان يكون المعتضد وكان شجاعا قداما مباشرا للحروب بنفسه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الاخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شئ

(ذكر خلافة المستنجد بالله)

وفي هذه السنة بويع المستنجد بالله امير المؤمنين واسمه يوسف وامه ام ولد تدعى طاوس بعد موت والده وكان للمقتفي حظية وهي ام ولده ابي علي فلما اشتد مرض المقتفي وايست منه أرسلت الى جماعة من الامراء وبذلت لهم الاقطاعات الكثيرة والاموال الجزيلة ليساعدوها على ان يكون ولدها الامير ابو علي خليفة فقالوا كيف الحيلة مع ولي العهد فقالت اذا دخل على والده قبضت عليه وكان يدخل الى ابيه كل يوم فقالوا لابد لنا من أحد من ارباب الدولة فوقع اختيارهم على ابي المعالي بن الكيا الهراسي فدعوه الى ذلك فاجابهم على أن يكون وزيرا فبذلوا له ما طلب فلما استقرت القاعدة بينهم وعلمت أم ابي علي أحضرت عدة من الجواري واعطتهن السكاكين وأمرتهن بقتل ولي العهد المستنجد بالله وكان له خصي صغير يرسله كل وقت يتعرف اخبار والده فرأى الجواري بايديهن السكاكين ورأى بيد أبي علي وامه سيفين فعاد الى المستنجد فاخبره وأرسلته هي الى المستنجد تقول له ان والده قد حضره الموت ليحضر و يشاهده فاستدعى استاذ دار عضد الدولة واخذه معه وجماعة من الفراشين ودخل الدار وقد لبس الدرع واخذ بيده السيف فلما دخل ثار به الجواري فضرب واحدة منهن فجرحها وكذلك اخرى وصاح ودخل استاذ الدار ومعه الفراشون فهرب الجواري وأخذ اخاه أبا علي وامه فسجنهما واخذ الجواري فقتل منهن وغرق منهن ودفع الله عنه فلما توفي المقتفي لامر الله جلس للبيعة فبايعه أهله وأقاربه وأولهم عمه ابو طالب ثم اخوه ابو جعفر بن المقتفي وكان أكبر من المستنجد ثم بايعه الوزير ابن هبيرة وقاضي القضاة وارباب الدولة والعلماء وخطب له يوم الجمعة ونثرت الدنانير والدراهم (حكى عنه) الوزير عون الدين بن هبيرة انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام منذ خمس عشرة سنة وقال لي يبقى ابوك في الخلافة خمس عشرة سنة فكان كما قال صلى الله عليه وسلم قال ثم رايته قبل موت ابي المقتفي باربعة اشهر فدخل بي في باب كبير ثم ارتقى الى راس جبل وصلى بي ركعتين ثم البسني قميصا ثم قال لي قل اللهم اهدني فيمن هديت وذكر دعاء القنوت ولما ولي الخلافة اقر ابن هبيرة على وزارته واصحاب الولايات على ولاياتهم وازال المكوس

امهلوا في حتى اتوضأ واصلي ركعتين وقام من حلاوة الروح والقى بنفسه في البحر فضربوا عليه بالرصاص واخرجوه وعمروا قتله واخرجوا صناديقه واخذوا ما فيها من الكتب لان الباشا ارسل يطلبها واخذ ما معه من المال والدراهم خليل بك فاعطى لولده جانبا منه واذن له بالسفر مع عياله وانقضى امره ووصلت الكتب الى سراية الباشا واودعت عند ولي خوجا وتبدد الكثير منها وفرق منها عدة على غير اهلها وكانت قتلته في اواخر شهر صفر من السنة والله اعلم

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين والف)

(استهل المحرم بيوم الاثنين سنة ١٢٢٨)

فيه وصل الخبر من الجهة القبلية بان ابراهيم بك ابن الباشا قبض على احمد افندي ابن حافظ افندي الذي بيده دفاتر الرزق الاحباسية وشنقه وضرب قاسم افندي ابن امين الدين كاتب الشهر علقة قوية وكان والده اصحبهما معه ليباشر امعه الامور ويعرفاه الاحوال وكان قاسم افندي خصيصا به مثل الوزير والصاحب والنديم ورتب له الباشا في كل سنة ثمانين كيسا خلاف الخروج والكساوي وشرط عليه المناصحة في كشف المستوزات وما يكون فيه تحصيل الاموال فيكانه قصر في كشف بعض الاشياء او ارسل الى والده يعلمه بخيانته ووكاتب الارزاق

والضرائب وقبض على القاضى ابن المرخم وكان بئس الحاكم واخذ منه مالا كثيرا واخذت كتبه فاحرق منها فى الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة فكان منها كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب اخوان الصفا ومايشا كلهما وقدم عضد الدين بن رئيس الرؤساء وكان استاذ الدار ومكنه وتقدم الى الوزير ان يقوم له وعزل قاضى القضاة ابا الحسن على بن احمد الدامغانى ورتب مكانه ابا جعفر عبد الواحد الثقفى وخلع عليه

●(ذكر الحرب بين عسكر خوارزمشاه والاتراك البرزية)●

فى هذه السنة فى ربيع الاول سار طائفة من عسكر خوارزمشاه الى اجنه وهجموا على يغمرخان بن اودك ومن معه من الاتراك البرزية فاوقعوا بهم واكثروا القتل فانهزم يغمرخان وقصد السلطان محمود بن محمد الخان والاتراك الغزية الذين معه وتوسل اليهم بالقرابة وظن يغمرخان ان اختيار الدين ايثاق هو الذى هيج الخوارزمية عليه فطلب من الغز انجاده

●(ذكر احوال المؤيد بخراسان هذه السنة)●

قد ذكرنا سنة ثلاث وخمسين عود المؤيد اى ابه الى نيسابور وتمكنه منها وان ذلك كان سنة اربع وخمسين فلما دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة ورأى المؤيد تحكمه فى نيسابور وتمكنه فى دولته وكثرة جنده وعسكره أحسن السيرة فى الرعية لاسيما أهل نيسابور فانه جبرهم وبالغ فى الاحسان اليهم وشرع فى اصلاح اعمالها واصلاح ولاياتها فسير طائفة من عسكره الى ناحية اسقيل وكان بها جمع قد تمردوا واكثروا العيث والفساد فى البلاد وطال تماديهم فى طغيانهم فارسل اليهم المؤيد يدعوهم الى ترك الشر والفساد ومعاودة الطاعة والصلاح فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما هم عليه فسير اليهم سرية كثيرة فقاتلوهم واذاقوهم عاقبة ما صنعوا فاكثروا القتل فيهم وخربوا حصنهم وسار المؤيد من نيسابور الى بيهق فوصلها رابع عشر ربيع الآخر من السنة وقصد منها حصن خسروجرد وهو حصن منيع بناه كيخسرو الملك قبل فراغه من قتل افراسياب وفيه رجال شجعان فامتنعوا على المؤيد فحصرهم ونصب عليهم المجانيق وجد فى القتال فصبر أهل الحصن حتى نفد صبرهم ثم ملك المؤيد القلعة واخرج كل من فيها ورتب فيها من يحفظها وعاد منها الى نيسابور فى الخامس والعشرين من جمادى الاولى من السنة ثم سار الى هراة فلم يبلغ منها غرضا فعاد الى نيسابور وقصد مدينة كندروهى من اعمال طريثيث وقد تغلب عليها رجل اسمه احمد كان خربنده واجتمع معه جماعة من الرنود وقطاع الطريق والمفسدين فخربوا كثيرا من البلاد وقتلوا كثيرا من الخلق وغنموا من الاموال ما لا يحصى وعظمت المصيبة بهم على خراسان وزاد البلاء فقصدهم المؤيد فتحصنوا بالحصن الذى لهم فقوتلوا اشد قتال ونصب عليهم العرادات والمجنيقات فاذعن هذا الخربنده احمد الى طاعة المؤيد والانخراط فى سلك اصحابه واشياعه فقبله احسن قبول واحسن اليه وانعم عليه ثم انه عصى على المؤيد

فاذن له فى فعله بهما ماذكر واخذ ما كانا جمعاه لانفسهما واظهر انه انما فعل بهما ذلك وانهما منهمكان فى ملاذهما عقوبة على ارتكابهما المعصية (وفى عشرينه) حضر ابراهيم بك المذكور الى مصر وفيه حصلت منافسة بين حسين افندى الروزنامجى وبين شخصين من كتابه وهما مصطفى افندى باش جاجرت وقيطاس افندى واصل ذلك باغراء باطنى على حسين افندى فرفعا امرهما الى الباشا وعرفاه عن مصارف وامور يفعلها حسين افندى ويخفيها عن الباشا وانه اذا حوسب على السنين الماضية يطلع عليه ألوف من الاكياس فعند ما سمع ذلك امرهما بمباشرة حسابه عن اربع سنوات متقدمة فخرجا من عنده واخذا صحبتهما مباشرا تركيا ونزلوا على حين غفلة بعد العصر وتوجهوا الى منزل اخيه عثمان افندى السرجى ففتحوا خزانة الدفاتر واخذوها بتمامها الى بيت ابن الباشا ابراهيم بك الدفتردار واجتمعوا فى صبحها للمحاققة والحساب مع اخيه عثمان افندى المذكور واستمروا فى المناقشة والمحاققة عدة ايام مع المرافعة والمدافعة والميل الكلى على حسين افندى ويذهبون فى كل ليلة يخبرون الباشا بما يفعلون وبالقدر الذى ظهر عليه فيعجبه ذلك ويثنى عليهما ويحرضهما على التدقيق فتنتفخ اوداجهما ويزيدان فى الممانعة والمدافعة والمرافعة

وتحصن بحصنه فاخذه المؤيد منه قهرا وعنوة وقيده واحتاط عليه ثم قتله واراح المسلمين منه ومن شره وفساده وقصد المؤيد فى شهر رمضان ناحية بيهق عازما على قتالهم لخروجهم عن طاعته فلما قاربها اتاه زاهد من اهلها ودعاه الى العفو عنهم والحلم عن ذنوبهم ووعظه وذكره فاجاب الى ذلك ورحل عنهم فارسل السلطان محمود ابن محمد الخان وهو مع الغز الى المؤيد يستقر بنيسابور وطوس واعمالها عليه ورد الحكم فيها اليه فعاد الى نيسابور رابع ذى القعدة من السنة ففرح الناس بما تقرر بينه وبين الملك محمود وبين الغز من ابقاء نيسابور عليه ليزول الخلف والفتن عن الناس

❁(ذكر الحرب بين شاه مازندران ويغمرخان)❁

لما قصد يغمرخان الغز وتوسل اليهم لينصروه على ايثاق لظنه انه هو الذى حسن للخوارزمية قصده فاجابوه الى ذلك وساروا معه على طريق نساوابيورد ووصلوا الى الامير ايثاق فلم يجد لنفسه بهم قوة فاستنجد شاه مازندران فجاءه ومعه من الاكراد والديلم والاتراك والتركمان الذين يسكنون نواحى ابسكون جمع كثير فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم وانهزم الاتراك الغزية والبرزية من شاه مازندران خمس مرات ويعودون وكان على ميمنة شاه مازندران الامير ايثاق فحملت الاتراك الغزية عليه لما يئسوا من الظفر بقلب شاه مازندران فانهزم ايثاق وتبعه باقى العسكر ووصل شاه مازندران الى سارية وقتل من عسكره اكثرهم وحكى ان بعض التجار كفن ودفن من هؤلاء القتلى سبعة آلاف رجل واما ايثاق فانه قصد فى هربه خوارزم واقام بها وسار الغز من المعركة الى دهستان وكان الحرب قريبا منها فنقبوا سورها واوقعوا باهلها ونهبوهم اوائل سنة ست وخمسين وخمسمائة بعد ان خربوا جرجان وفرقوا اهلها فى البلاد وعادوا الى خراسان

❁(ذكر وفاة خسروشاه صاحب غزنة وملك ابنه بعده)❁

فى هذه السنة فى رجب توفى السلطان خسروشاه بن بهرام شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا حسن السيرة فى رعيته محبا للخير واهله مقربا للعلماء محسنا اليهم راجعا الى قولهم وكان ملكه تسع سنين وملك بعده ابنه ملكشاه فلما ملك نزل علاء الدين الحسين ملك الغور الى غزنة فحصرها وكان الشتاء شديدا والثلج كثيرا فلم يمكنه المقام عليها فعاد الى بلاده فى صفر سنة ست وخمسين

❁(ذكر الحرب بين ايثاق وبغراتكين)❁

فى هذه السنة منتصف شعبان كان بين الامير ايثاق والامير بغراتكين برغش الجركانى حرب وكان ايثاق قد سار الى بغراتكين فى آخر اعمال جوين فنهب واخذ امواله وكل ماله وكان ذا نعمة عظيمة واموال جسيمة فانهزم بغراتكين عنها وخلاها فافتقدها ايثاق واستغنى بها وقويت نفسه بسببها وكثرت جموعه وقصده الناس واما بغراتكين

فى الحساب وحسين افندى على حاليته ويظن انه على عادته فى كونه مطلق التصرف فى الاموال الميرية ويبلغها اذا سئل فيها القائم بالدولة ايرادا ومصرفا ليكون اجمالا لا تفصيلا لكونه امينا وعدلا وكان الايراد والمصرف محررا ومضبوطا فى الدفاتر التى بايدى الافندية الكتاب ومن انضم اليهم من كتاب اليهود فى دفاترهم ايضا بالعبرانى لتكون كل فرقة شاهدة وضابطة على الاخرى فلما استقل هذا الباشا بمملكة الديار المصرية واستغول فى تحصيل الاموال باى وجه واستحدث اقلام المكوس وجعلها فى دفاتر تحت ايدى الافندية وكتبة الروزنامه فصارت من جملة الاموال الميرية فى قبضها وصرفها وتحاويلها والباشا مرخى العنان للروزنامجى ومرخص له فى الاذن والتصرف والروزنامجى كذلك مرخى العنان لاحد خواص كتابه المعروف باحمد اليتيم لفطانته ودرايته فكان هو المشار اليه من دون الجميع ويتطاول عليهم ويمقت من فعل فعلا دون اطلاعه ورأى محاسبه ولو كان كبيرا او اعلى منزلة منه فى نفسه فيمتلئ غيظا وينقطع عن حضور الديوان فيهمله ولا يسال عنه والافندى الكبير لا يخرج عن رايه لكونه سادا مسد الجميع فدبروا على احمد افندى المذكور وحفروا له واغروا به حتى نكبه الباشا وصادره فى ثمانين كيسا ويحذوه

فانه ارسل الى المؤيد صاحب نيسابور وسار فى جماعة ومعه دود من اصحابه فتلقاه المؤيد بالقبول

(ذكر وفاة ملكشاه بن محمود)

فى هذه السنة توفى ملكشاه ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان باصفهان مسموما وكان سبب ذلك انه لما كثر جمعه باصفهان ارسل الى بغداد وطلب ان يقطعوا خطبة عمه سليمان شاه ويخطبوا له و يعيدوا القواعد بالعراق الى ما كانت اولا والا قصدهم فوضع الوزير عون الدين بن هبيرة خصيا كان خصيصا به يقال له اغلبك الكوهرائيني فمضى الى بلاد العجم واشترى جارية من قاضى همذان بالف دينار وباعها من ملكشاه وكان قد وضعها على سمه ووعدها امورا عظيمة على ذلك وسمته فى لحم مشوى فاصبح ميتا وجاء الطبيب الى دكلا وشملة فعرفهما انه مسموم فعرفوا ان ذلك من فعل الجارية فاخذت وضربت فاقرت وهرب اغلبك ووصل الى بغداد ووفى له الوزير بجميع ما استقر الحال عليه ولما مات اخرج اهل اصفهان اصحابه من عندهم وخطبوا لسليمان شاه واستقر ملكه بتلك البلاد وعاد شملة الى خوزستان فاخذ ما كان ملكشاه تغلب عليه منها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة حج اسد الدين شيركوه بن شاذى مقدم جيوش نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وشيركوه هذا هو الذى ملك الديار المصرية وسيرد ذكره ان شاء الله تعالى وفيها ارسل زين الدين على نائب قطب الدين صاحب الموصل رسولا الى المستنجد يعتذر مما جناه من مساعدة محمد شاه فى حصار بغداد و يطلب ان يؤذن له فى الحج فارسل اليه يوسف الدمشقى مدرس النظامية وسليمان بن قتلمش يطيبان قلبه عن الخليفة و يعرفانه الاذن فى الحج فحج ودخل الى الخليفة فاكرمه وخلع عليه وفيها توفى قايماز الارجوانى أمير الحاج سقط عن الفرس وهو يلعب بالاكرة فسال مخه من مناخيره واذنيه فمات وفيها فى ربيع الآخر توفى محمد بن يحيى بن على بن مسلم أبو عبد الله الزبيدى من أهل زبيد مدينة باليمن مشهورة وقدم بغداد سنة تسع واربعين وخمسمائة وكان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان نحويا واعظا وصحبه الوزير ابن هبيرة مرة وكان موته ببغداد

(ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة)

(ذكر الفتنة ببغداد)

فى هذه السنة فى ربيع الاول خرج الوزير ابن هبيرة من داره الى الديوان والغلمان يطرقون له وأرادوا ان يردوا باب المدرسة الكمالية بدار الخليفة فمنعهم الفقهاء وضربوهم بالآجر فشهر أصحاب الوزير السيوف وأرادوا ضربهم فمنعهم الوزير ومضى الى الديوان فكتب الفقهاء مطالعة يشكون أصحاب الوزير فامر الخليفة بضرب

الفقهاء

حسين افندى فى اربعمائة كيس وانقطع احمد افندى عن حضور الديوان وتقدم المتأخر وضم الباشا الى دواتهم من طرفه خليل افندى وسموه كاتب الذمة يعنى انه لا يكتب تحويل ولا ورقة ميرى ولا خلاف ذلك مما يسطر فى دواتهم حتى يطلع عليه خليل افندى المذكور ويرسم عليه علامته فاحاط علمه بجميع اسرارهم وكل قليل يستخبر منه الباشا فيحيطه بمعلوماته ولم يزل حتى تحول ديوانهم وانتقل الى بيت خليل افندى تجاه منزل ابراهيم بك ابن الباشا بالازبكية وترأس بالديوان قاسم افندى كاتب الشهر وقريبه قيطاس افندى ومصطفى افندى باش جاجرت و بعد مدة اشهر سافر ابراهيم بك وأخذ صحبته قاسم افندى على الصورة المتقدمة والروزنامجى وولده محمد افندى يراعيان جانب رفيقيه ولا يتعرضان لهما فيما يتصدران له و يضمانه فى عهدتهما فلما وصل الخبر بنكبة ابراهيم بك لقاسم افندى فعند ذلك تصرمعهما وأظهر ابن الروزنامجى مكمون غيظه فى حقهما ومانعهما أيضا وخشن القول لهما فاتفقا على انهاء الحال الى باب الباشا ففعلا ما ذكر وكان حسين افندى عندما استأذن الباشا فى صرف الجامكية السائرة للعامة والخاصة فاذن له فى صرف ما يتعلق بمشايخ العلم والافندية الكتبة والسيد محمد المحروقى بالكامل

الفقهاء وقاديهم ونفيهم من الدار فضى استاذ الدار وعاقبهم هناك واختفى مدرسهم الشيخ أبو طالب ثم ان الوزير أعطى كل فقير دينارا واستحل منهم وأعادهم الى المدينة وظهر مدرسهم

(ذكر قتل ترشك)

في هذه الايام قصد جمع من التركمان الى البندنيجين فامر الخليفة بتجهيز عسكر اليهم وان يكون مقدمهم ترشك وكان في اقطاعه بلد اللحف فارسل اليه الخليفة يستدعيه فامتنع من المجيء الى بغداد وقال يحضر العسكر فانا اقاتل بهم وكان عازما على الغدر فجهز العسكر وساروا اليه وفيهم جماعة من الامراء فلما اجتمعوا بترشك قتلوه وارسلوا رأسه الى بغداد وكان قتل مملوكا للخليفة فدعا اولياء المقتول وقيل لهم ان امير المؤمنين قد اقتص لابيكم ممن قتله

(ذكر قتل سليمان شاه والخطبة لارسلان)

في هذه السنة في ربيع الآخر قتل السلطان سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه وسبب ذلك انه كان فيه تهور وخرق وبلغ به شرب الخمر حتى انه شربها في رمضان نهارا وكان يجمع المساخر ولا يلتفت الى الامراء فاهمل العسكر أمره وصاروا لا يحضرون بابه وكان قد رد جميع الامور الى شرف الدين كردباز الخادم وهو من مشايخ الخدم السلجوقية يرجع الى دين وعقل وحسن تدبير فكان الامراء يشكون اليه وهو يسكنهم فاتفق انه شرب يوما بظاهر همذان في الكشك فحضر عنده كردباز فلامه على فعله فامر سليمان شاه من عنده من المساخرة فعبثوا بكردباز حتى ان بعضهم كشف له سوأته فخرج مغضبا فلما صحا سليمان أرسل اليه يعتذر فقبل عذره الا انه تجنب الحضور عنده فكتب سليمان الى اينانج صاحب الري يطلب منه ان ينجده على كردباز فوصل الرسول واينانج مريض فاعاد الجواب يقول اذا افقت من مرضي حضرت اليك بعسكري فبلغ الخبر كردباز فازداد استيحاشا فارسل الى سليمان يوما يطلبه فقال اذا جاء اينانج حضرت واحضر الامراء واستحلفهم على طاعته وكانوا كارهين لسليمان فحلفوا له فاول ما عمل أن قتل المساخرة الذين لسليمان وقال انما أفعل ذلك لملكك ثم اصطلحا وعمل كردباز دعوة عظيمة حضرها السلطان والامراء فلما صار السلطان سليمان شاه في داره قبض عليه كردباز وعلى وزيره ابي القاسم محمود بن عبد العزيز الحامدي وعلى أصحابه في شوال سنة خمس وخمسين وخمسمائة فقتل وزيره وخواصه وحبس سليمان شاه في قلعة ثم أرسل اليه من خنقه وقيل بل حبسه في دار مجد الدين العلوي رئيس همذان وفيها قتل وقيل بل سقي سما فمات والله أعلم وأرسل الى ايلدكز صاحب ارانية وأكثر بلاد اذربيجان يستدعيه اليه ليخطب للملك ارسلان شاه الذي معه وبلغ الخبر الى اينانج صاحب الري فسار ينهب البلاد الى ان وصل الى همذان فتحصن كردباز وطلب منه اينانج ان يعطيه مصافا فقال أنا لا أحارب الا حتى

وماعداهم ربع استحقاقهم وكتب له فرمانا بذلك فقال له الروزنامجي في بعضهم من يستحق المراعاة كبعض أهل العلم الخاملين واهل الحرمين المهاجرين ومستوطنين بمصر بعيالهم وليس لهم ايراد يتعيشون منه الاماهو مرتب لهم من العلائف في كل سنة وكذلك بعض الملتزمين الذين اعتادوا سداد ماعليهم من الميري وبعضه بمالهم من الاتلافات والعلائف والغلال فقال له النظر في ذلك لرأيك فان هذا شيء يعسر ضبط جزئياته فاعتمد ذلك وطفق يفعل في البعض بالنصف والبعض بالثلث او الثلثين واما العامة والارامل فيصرف لهم الربع لاغير حسب الامر ويقاسون في تحصيل ربع استحقاقهم الشدائد من السعي وتكرار الذهاب والتسويف والرجوع في الاكثر من غير شيء مع بعد المسافة وفيهم الكثير من العواجز فلما ترافعوا في الحساب مانع المتصدر فيما زاد على الربع وطالع الى الباشا فعرفه بذلك فقال الباشا لاتخصموا له الاما كان باذني وفرماني وما كان بدون ذلك فلا وأنكر الحال السابق منه وقال هو متبرع فيما فعله فتاخر عليه مبلغ كبير في مدة أربع سنوات وكذلك كان يحول عليه حوالات لكبار العسكر برسول من أتباعه فلا يسعه الممانعة ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان اتكالا على الحالة التي هو معه عليها

يصل الاتابك الاعظم ايلدكز وسار ايلدكز في عساكره جميعها يزيد على عشرين ألف فارس ومعه ارسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه فوصل الى همذان فلقيهم كردبازو وأنزله دار المملكة وخطب لارسلان شاه بالسلطنة بتلك البلاد وكان ايلدكز اتابكه والبهلوان حاجبه وهو أخوه لامه وكان ايلدكز هذا أحد مماليك السلطان مسعود وأم انه في أول امره فلما ملك اقطعه اران وبعض اذربيجان واتفق الحروب والاختلاف فلم يحضر عنده احد من السلاطين السلجوقية وعظم شانه وقوى امره وتزوج بام الملك ارسلان شاه فولدت له اولادا منهم البهلوان محمد وقزل ارسلان عثمان وقد ذكرنا سبب انتقال ارسلان شاه اليه وبقي عنده الى الآن فلما خطب له بهمذان ارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة لارسلان شاه ايضا وان تعاد القواعد الى ما كانت عليه ايام السلطان مسعود فاهين رسوله واعيد اليه على اقبح حالة واما اينانج صاحب الري فان ايلدكز راسله ولاطفه فاصطلحا وتحالفا على الاتفاق وتزوج البهلوان بن ايلدكز بابنة اينانج ونقلت اليه بهمذان

(ذكر الحرب بين ابن آقسنقر وعسكر ايلدكز)

لما استقر الصلح بين ايلدكز واينانج أرسل الى ابن آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة يدعوه الى الحضور في خدمة السلطان ارسلان شاه فامتنع من ذلك وقال ان كففتم عني والا فعندي سلطان وكان عنده ولد محمد شاه بن محمود كما ذكرناه وكان الوزير ابن هبيرة قد كاتبه يطمعه في الخطبة لولد محمود شاه فجهز ايلدكز عسكرا مع ولده البهلوان فبلغ الخبر الى ابن آقسنقر فارسل الى شاه ارمن صاحب خلاط وحالفه وصارا يدا واحدة فسير اليه شاه ارمن عسكرا كثيرا واعتذر عن تأخره بنفسه لانه في ثغر لا يمكنه مفارقته فقوي بهم ابن آقسنقر وكثر جمعه وسار نحو البهلوان فالتقيا على نهر اسبيرود فاشتد القتال بينهم فانهزم البهلوان اقبح هزيمة ووصل هو وعسكره الى همذان على اقبح صورة واستأمن اكثر اصحابه الى ابن آقسنقر وعاد الى بلده منصورا

(ذكر الحرب بين ايلدكز واينانج)

لما مات ملكشاه ابن السلطان محمود كما ذكرناه أخذ طائفة من اصحابه ابنه محمودا وانحدروا به نحو بلاد فارس فخرج عليهم صاحبها زنكي بن دكلا السلغري فاخذه منهم وتركه في قلعة اصطخر فلما ملك ايلدكز والسلطان ارسلان شاه الذي معه البلاد وارسل ايلدكز الى بغداد يطلب الخطبة للسلطان كما ذكرناه شرع الوزير عون الدين ابو المظفر يحيى بن هبيرة وزير الخليفة في اثارة اصحاب الاطراف عليه وراسل الاحمديلي وكان ماذكرناه وكاتب زنكي بن دكلا صاحب بلاد فارس يبذل له ان يخطب للملك الذي عنده وهو ابن ملكشاه وعلق الخطبة له بظفره بايلدكز فخطب ابن دكلا للملك الذي عنده وانزله من القلعة وضرب الطبل على بابه خمس نوب وجمع عساكره وكاتب اينانج صاحب الري يطلب منه الموافقة وسمع ايلدكز الخبر فحشد وجمع وكثر عسكره

فرجعوا عليه في كثير من ذلك وتأخر عليه مبلغ كبير أيضا فتمموا حساب سنة واحدة على هذا النسق فبلغت نحو الالاف كيس ومائتي كيس وكسور تبلغ في الاربع سنوات خمسة آلاف كيس فتقلق حسين افندي وتحير في امره وزاد وسواسه ولم يجد مغيثا ولا شافعا ولا دافعا (وفي اواخره) عمل الباشا مهما لختان ابن بونابارته الخازندار الغائب ببلاد الحجاز وعمل له زفة في يوم الجمعة بعد الصلاة اجتمع الناس للفرجة عليها (وفيه) أيضا زاد الارجاف بحصول الطاعون ووقوع الموت منه بالاسكندرية فامر الباشا بعمل كورنتينه بثغر رشيد ودمياط والبراس وشبرا وأرسل الى الكاشف الذي بالبحيرة بمنع المسافرين المارين من البر وأمر أيضا بقراءة صحيح البخاري بالازهر وكذلك يقرؤن بالمساجد والزوايا سورة الملك والاحقاف في كل ليلة بنية رفع الوباء فاجتمعوا الاقليلا بالازهر نحو ثلاثة أيام ثم تركوا ذلك وتكاسلوا عن الحضور (وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه) كسفت الشمس وقت الضحوة وكان المنكسف نحو ثلاثة ارباع الجرم وكانت الشمس في برج الدلو أيام الشتاء فاظلم الجو الا قليلا ولم ينتبه له كثير من الناس لظنهم انها غيوم متراكمة لانهم في فصل الشتاء

(واستهل شهر صفر بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٨) فيه في أخريات النهار هبت ريح جنوبية غربية عاصفة باردة وجوهه

وجموعه فكانت اربعين الفا وسار الى اصفهان يريد بلاد فارس وارسل الى زنكي بن دكلا يطلب منه الموافقة وان يعود يخطب لارسلان شاه فلم يفعل وقال ان الخليفة قد اقطعني بلاده وانا سائر اليه فرحل ايلدكز وبلغه ان جشير الارسلان بوقا وهو امير من امراء زنكي وفي اقطاعه ارجان بالقرب منه فانفذ سرية للغارة عليه فاتفق ان ارسلان بوقا عزم على تغيير الخيل التي معه فاضعفها واخذ عوضها من ذلك الجشير فسار في عسكره الى الجشير فصادف العسكر الذي سيره ايلدكز لاخذ دوابه فقاتلهم واخذهم وقتلهم وارسل الرؤس الى صاحبه فكتب بذلك الى بغداد وطلب المدد وعند ذلك وكان الوزير عون الدين بن هبيرة ايضا قد كاتب الامراء الذين مع ايلدكز يدعوهم على طاعته ويضعف رأيهم ويحرضهم على مساعدة زنكي بن دكلا واينانج وكان اينانج قد برز من الري في عشرة آلاف فارس فارسل اليه ابن آقسنقر الاحمديلي خمسة آلاف فارس وهرب ابن البازدار صاحب قزوين وابن طغايرك وغيرهما فلحقوا باينانج وهو في صحراء ساوة واما ايلدكز فانه استشار نصحاءه فاشاروا بقصد اينانج لانه اهم فرحل اليه ونهب زنكي سهيرم وغيرها فرد ايلدكز اليه اميرا في عشرة آلاف فارس لحفظ البلاد فسار زنكي اليهم فلقيهم وقاتلهم فانهزم عسكر ايلدكز اليه فتجلد ايلدكز وارسل يطلب عساكر اذربيجان فجاءته مع ولده قزل ارسلان وسير زنكي بن دكلا عسكرا كثيرا الى اينانج واعتذر عن الحضور بنفسه عنده لخوفه على بلاده من شملة صاحب خوزستان فسار ايلدكز الى اينانج وتدانى العسكران فالتقوا تاسع شعبان وجرى بينهم حرب عظيمة اجلت عن هزيمة اينانج فانهزم اقبح هزيمة وقتلت رجاله ونهبت امواله ودخل الري وتحصن في قلعة طبرك وحصره ايلدكز بالري ثم شرع في الصلح واقترح اينانج اقتراحات فاجابه ايلدكز اليها واعطاه جرباذقان وغيرها وعاد ايلدكز الى همذان وكان ينبغي ان تتأخر هذه الحادثة والتي قبلها وانما قدمت لتتبع اخواتها

(ذكر وفاة ملك الغور وملك ابنه محمد)

في هذه السنة في ربيع الآخر توفي الملك علاء الدين الحسين بن الحسين الغوري ملك الغور بعد انصرافه عن غزنة وكان عادلا من احسن الملوك سيرة في رعيته ولما مات ملك بعده ابنه سيف الدين محمد واطاعه الناس واحبوه وكان قد صار في بلادهم جماعة من دعاة الاسماعيلية وكثر اتباعهم فاخرجهم من تلك الديار جميعها ولم يبق فيها منهم احد وراسل الملوك وهاداهم واستمال المؤيد اي ابه صاحب نيسابور وطلب موافقته

(ذكر الفتنة بنيسابور وتخريبها)

كان اهل العيث والفساد بنيسابور قد طمعوا في نهب الاموال وتخريب البيوت وفعل ما ارادوا فاذا نهوا لم ينتهوا فلما كان الآن تقدم المؤيد اي ابه بقبض اعيان نيسابور منهم نقيب العلويين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسيني وغيره وحبسهم في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وقال انتم الذين اطمعتم الزنود والمفسدين حتى فعلوا هذه الفعال ولو

واستمرت لعصر يوم السبت وكانت قوتها يوم الجمعة أثارت غبارا أصفر ورمالا مع غيم مطبق وقتام ورش مطر قليل في بعض الاوقات (وفي يوم الثلاثاء سابعه) وردت بشائر من البلاد الحجازية باستيلاء العساكر على جدة ومكة من غير حرب وذلك انه لما انهزمت الاتراك في العام الماضي ورجعوا على الصورة التي رجعوا عليها مشتتين ومتفرقين وفيهم من حضر من طريق السويس ومنهم من أتى من البر ومنهم من حضر من ناحية القصير ونفى الباشا من استعجل بالهزيمة والرجوع من غير امره ويخشى صولته ويرى في نفسه انه أحق بالرياسة منه مثل صالح قوج وسليمان وجوأخرجهم من مصر واستراح منهم ثم قتل أحمد اغا لاظ جدد ترتيبا آخر وعرفه كبراء العرب الذين استمالهم واندرجوا معه وشيخ الحويطات أن الذي حصل لهم انما هو من العرب الموهبين وهم عرب حرب والصفراء وانهم مجهودون والوهابية لا يعطونهم شيئا ويقولون لهم قاتلوا عن دينكم وبلادكم فاذا بذلتم لهم الاموال وأغدقتم عليهم بالانعام والعطاء ارتدوا ورجعوا وصاروا معكم وملكوكم البلاد فاجتهد الباشا في جمع الاموال باي وجه كان واستأنف الطلب ورتب الامور وأشاع الخروج بنفسه ونصب العرضي خارج باب النصر وذلك في شهر شعبان وخرج بالموكب كما

اردتم منعهم لامتنعوا وقتل من أهل الفساد جماعة فخربت نيسابور بالكلية ومن جملة ما خرب مسجد عقيل وكان مجمعا لاهل العلم وفيه خزائن الكتب الموقوفة وكان من اعظم منافع نيسابور وخرب أيضا من مدارس الحنفية ثمان مدارس ومن مدارس الشافعية سبع عشرة مدرسة واحرق خمس خزائن للكتب ونهب سبع خزائن كتب وبيعت بابخس الاثمان هذا ما امكن احصاؤه سوى ما لم يذكر

(ذكر خلع السلطان محمود ونهب طوس وغيرها من خراسان)

في هذه السنة في جمادى الآخرة قصد السلطان محمود بن محمد الخان وهو ابن أخت السلطان سنجر وقد ذكرنا انه ملك خراسان بعده ففي هذه السنة حصر المؤيد صاحب نيسابور بشاذياخ وكان الغز مع السلطان محمود فدامت الحرب الى آخر شعبان سنة ست وخمسين وخمسمائة ثم ان محمودا اظهر انه يريد دخول الحمام فدخل الى شهرستان آخر شعبان كالهارب من الغز واقاموا على نيسابور الى آخر شوال ثم عادوا راجعين فعاثوا في القرى ونهبوها ونهبوا طوس نهبا فاحشا وحضروا المشهد الذى لعلى بن موسى وقتلوا كثيرا ممن فيه ونهبوهم ولم يعرضوا للقبة التى فيها القبر فلما دخل السلطان محمود الى نيسابور امهله المؤيد الى ان دخل رمضان من سنة سبع وخمسين وخمسمائة واخذه وكحله واعماه واخذ ما كان معه من الاموال والجواهر والاعلاق النفيسة وكان يخفيها خوفا عليها من الغز لما كان معهم وقطع المؤيد خطبته من نيسابور وغيرها مما هو في تصرفه وخطب لنفسه بعد الخليفة المستنجد بالله واخذ ابنه جلال الدين محمدا الذى كان قد ملكه الغز امرهم قبل ابيه وقد ذكرنا ذلك وسمله ايضا وسجنهما ومعهما جواريهما وحشمهما وبقيا فيها فلم تطل ايامهما ومات السلطان محمود ثم مات ابنه بعده من شده وجده لموت ابيه والله اعلم

(ذكر عمارة شاذياخ نيسابور)

كانت شاذياخ قد بناها عبد الله بن طاهر بن الحسين لما كان اميرا على خراسان للمامون وسبب عمارتها انه رأى امرأة جميلة تقود فرسا تريد سقيه فسألها عن زوجها فاخبرته به فاحضره وقال له خدمة الخيل بالرجال اشبه فلم تقعد انت في دارك وترسل امرأتك مع فرسك فبكى الرجل وقال له ظلمك يحملنا على ذلك فقال وكيف قال لانك تنزل الجند معنا في دورنا فان خرجت انا وزوجتي بقي البيت فارغا فيأخذ الجندي ما لنا فيه وان سقيت أنا الفرس فلا آمن على زوجتي من الجندي فرأيت ان أقيم في البيت وتخدم زوجتي الفرس فعظم الامر عليه وخرج من البلد لوقته ونزل في الخيام وامر الجند فخرجوا من دور الناس وبنى شاذياخ دارا له ولجنده وسكنها وهم معه ثم انها دثرت بعد ذلك فلما كان أيام السلطان الب ارسلان ذكرت له هذه القصة فامر بتجديدها ثم انها تشعثت بعد ذلك فلما كان الآن وخربت نيسابور ولم يمكن حفظها والغز تطرق البلاد وتنهبها امر المؤيد حينئذ بعمل سورها وشد ثلمه وسكناه ففعل ذلك وسكنها هو والناس

تقدم وجلس بالصيوان وقرر للسفر في المقدمة بونابارته الخازندار وأعطاه صناديق الاموال والكساوي وارفق معه عابدين بك ومن يصحبهما وواظب على الخروج الى العرضى والرجوع تارة الى القلعة وتارة الى الازبكية والجيزة وقصر شبرا ويعمل الرماحة والميدان في يومي الخميس والاثنين والمصاف على طرائق حرب الافرنج وسافر بونابارته في اواخر شعبان واستمر العرضى منصوبا والطلب كذلك مطلوبا والعساكر واردة من بلادها على طريق الاسكندرية ودمياط ويخرج الكثير الى العرضى ويستمرون على الدخول الى المدينة في الصباح لقضاء اشغالهم والرجوع اخريات النهار مع تعدى أذاهم للباعة والحمارة وغيرهم ولما غدر الباشا باحمد أغا لاظ وقتله في اواخر رمضان ولم يبق احد ممن يخشى سطوته وسافر عابدين بك في شوال وارتحل بعده بنحو شهر مصطفى بك دالى باشا وصحبته عدة وافرة من العسكر ثم سافر أيضا يحيي اغا ومعه نحو الخمسمائة وهكذا كل قليل يرحل طائفة بعد أخرى والعرضى كما هو وميدان الرماحة كذلك ولما وصل بونابارته الى ينبع البر أخذوا في تاليف العربان واستمالتهم وذهب اليهم ابن شديد الحويطى ومن معه وتقابلوا مع شيخ حرب ولم يزالوا به حتى وافقهم وحضروا به الى بونابارته فاكرمه وخلع عليه الخلع وكذلك على من حضر من اكابر العربان فالبسهم

ممه وخربت حينئذ نيسابور كل خراب ولم يبق فيها اثنان

(ذكر قتل الصالح بن رزيك ووزارة ابنه رزيك)

فى هذه السنة فى شهر رمضان قتل الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك الارمنى وزير العاضد العلوى صاحب مصر وكان سبب قتله انه تحكم فى الدولة التحكم العظيم واستبد بالامر والنهى وجباية الاموال اليه لصغر العاضد ولانه هو الذى ولاه ووتر الناس فانه اخرج كثيرا من اعيانهم وفرقهم فى البلاد ليامن وثوبهم عليه ثم انه زوج ابنته من العاضد فعاداه ايضا الحرم من القصر فارسلت عمة العاضد الاموال الى أمراء المصريين ودعتهم الى قتله وكان اشدهم عليه فى ذلك انسان يقال له ابن الداعى فوقفوا له فى دهليز القصر فلما دخل ضربوه بالسكاكين على دهش فجرحوه جراحات مهلكة الا انه حمل الى داره وفيه حياة فارسل الى العاضد يعاتبه على الرضا بقتله مع اثره فى خلافته فاقسم العاضد انه لا يعلم بذلك ولم يرض به فقال ان كنت بريا فسلم عمتك الى حتى انتقم منها فامر باخذها فارسل اليها فاخذها قهرا واحضرت عنده فقتلها واوصى بالوزارة لابنه رزيك ولقب العادل فانتقل الامر اليه بعد وفاة أبيه وللصالح أشعار حسنة بليغة تدل على فضل غزير فمنها فى الافتخار

ابى الله الا أن يدوم لنا الدهر * ويخدمنا فى ملكنا العز والنصر

علمنا بان المال تفنى الوفه * ويبقى لنا من بعده الاجر والذكر

خلطنا الندى بالباس حتى كاننا * سحاب لديه البرق والرعد والقطر

قرانا اذا رحنا الى الحرب مرة * قرانا ومن اضيافنا الذئب والنسر

كما اننا فى السلم نبذل جودنا * ويرتع فى انعامنا العبد والحر

وكان الصالح كريما فيه ادب له شعر جيد وكان لاهل العلم عنده انفاق ويرسل اليهم العطاء الكثير بلغه أن الشيخ أبا محمد بن الدهان النحوى البغدادى المقيم بالموصل قد شرح بيتا من شعره وهو هذا

تجنب سمعى ما يقول العواذل * واصبح لى شغل من الغزو شاغل

فجهز اليه هدية سنية ليرسلها اليه فقتل قبل ارسالها وبلغه ايضا ان انسانا من أعيان الموصل قد اثنى عليه بمكة فارسل اليه كتابا يشكره ومعه هدية وكان الصالح اماميا لم يكن على مذهب العلويين المصريين ولما ولى العاضد الخلافة وركب سمع الصالح ضجة عظيمة فقال ما الخبر فقيل انهم يفرحون بالخليفة فقال كانى بهؤلاء الجهلة وهم يقولون ما مات الاول حتى استخلف هذا وما علموا انى كنت من ساعة استعرضهم استعراض الغنم قال عمارة دخلت الى الصالح قبل قتله بثلاثة أيام فناولنى قرطاسا فيه بيتان من شعره وهما

نحن فى غفلة ونوم وللمو * ت عيون يقظانة لا تنام

قد رحلنا الى الحمام سنينا * ليت شعرى متى يكون الحمام

الكساوى والفراوى السمور والشالات الكشميرى ففرق عليهم من الكشمير ملء اربع صحاحير وصب عليهم الاموال واعطى لشيخ حرب مائة الف فرانسه عين وحضر باقى المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم فخص شيخ حرب بمفرده ثمانية عشر الف فرانسه ثم رتب لهم علائف تصرف لهم فى كل شهر لكل شخص خمسة فرانسه وغرارة بقسماط وغرارة عدس فعند ذلك ملكوهم الارض التى كان متاسرا بالمدينة من جنسهم فاستمالوه ايضا وسلم لهم المدينة وكل ذلك بمغامرة الشريف غالب امير مكة وتدبيره واشاراته فلما تم ذلك أظهر الشريف غالب امره وملكهم مكة والمدينة وكان ابن مسعود الوهابى حضر فى الموسم وحج ثم ارتحل الى الطائف وبعد رحيله فعل الشريف غالب فعله وسيلقى جزاءه ولما وصلت البشائر بذلك فى يوم الثلاثاء سابعه ضربوا مدافع كثيرة ونودى فى صبح ذلك بزينة المدينة ومصر وبولاق فزينوا خمسة ايام اولها الاربعاء وآخرها الاحد وقاسى الناس فى ليالى هذه الايام العذاب الاليم من شدة البرد والصقيع وسهر الليل الطويل وكان ذلك فى قوة فصل الشتاء وكل صاحب حانوت جالس فيها وبين يديه مجمرة نار يتدفا ويصطلى بحرارتها وهو ملتف بالعباءة والاكسية الصوف أو اللحاف وخرج الباشا من ليلة الاربعاء المذكور ونصبت

فكان آخر عهدي به وقال عمارة أيضا ومن عجيب الاتفاق انى انشدت ابنه قصيدة أقول فيها

ابوك الذى تسطو الليالى بحده * وأنت يمين ان سطا وشمال
لرتبته العظمى وان طال عمره * اليك مصير واجب ومآل
تخالسك اللحظ المصون ودونها * حجاب شريف لا انقضا وحجال

فانتقل الامر اليه بعد ثلاثة أيام

(ذكر الحرب بين العرب وعسكر بغداد)

فى هذه السنة فى شهر رمضان اجتمعت خفاجة الى الحلة والكوفة وطالبوا برسومهم من الطعام والتمر وغير ذلك فمنعهم أمير الحاج ارغش وهو مقطع الكوفة ووافقه على منعه الامير قيصر شحنة الحلة وهما من مماليك الخليفة فافسدت خفاجة ونهبوا سواد الكوفة والحلة فاسرى اليهم الامير قيصر شحنة الحلة فى مائتين وخمسين فارسا وخرج اليهم ارغش فى عسكر وسلاح فانتزحت خفاجة من بين أيديهم وتبعهم العسكر الى رحبة الشام فارسل خفاجة يعتذرون و يقولون قد قنعنا بلبن الابل وخبز الشعير وانتم منعتمونا رسومنا وطلبوا الصلح فلم يجبهم ارغش وقيصر وكان قد اجتمع مع خفاجة كثير من العرب فتصافوا واقتتلوا وارسلت العرب طائفة الى خيام العسكر ورحالهم فحالوا بينهم وبينها وحمل العرب حملة منكرة فانهزم العسكر وقتل كثير منهم وقتل الامير قيصر وأسرت جماعة أخرى وجرح أمير الحاج جراحة شديدة ودخل الرحبة فحماه شحنتها واخذ له الامان وسيره الى بغداد ومن نجا منهم مات عطشا فى البرية وكان اماء العرب يخرجن بالماء يسقين الجرحى فاذا طلبه منهن أحد من العسكر اجهزن عليه وكثر النوح والبكاء ببغداد على القتلى وتجهز الوزير عون الدين بن هبيرة والعساكر معه فخرج فى طلب خفاجة فدخلوا البرية وخرجوا الى البصرة ولما دخلوا البر عاد الوزير الى بغداد وارسل بنو خفاجة يعتذرون ويقولون بغى علينا وفارقنا البلاد فتبعونا واضطررنا الى القتال وسالوا العفو عنهم فاجيبوا الى ذلك

(ذكر حصر المؤيد شارستان)

فى هذه السنة حصر المؤيد اى ابه مدينة شارستان قريب نيسابور وقاتله أهلها ونصب المجانيق والعرادات فصبر أهلها خوفا على انفسهم من المؤيد وكان مع المؤيد جلال الدين الموفقى الفقيه الشافعى فبينما هو راكب اذ وصل اليه حجر منجنيق فقتله خامس جمادى الآخرة من السنة وتعدى الحجر منه الى شيخ من شيوخ بيهق فقتله فعظمت المصيبة بقتل جلال الدين على أهل العلم خصوصا أهل السنة والجماعة وكان فى عنفوان شبابه رحمه الله لما قتل ودام الحصار الى شعبان سنة سبع وخمسين وخمسمائة فنزل خواجكى صاحبها بعدما كثر القتل ودام الحصر وكان لهذه القلعة ثلاثة رؤساؤهم ارباب النهى والامر وهم الذين حفظوها وقاتلوا عنها احدهم خواجكى هذا والثانى داعى

ابن

الخيام وخرجت الجمال المحملة باللوازم من الفرش والاوانى وروايا الماء والبارود لعمل الشنانك والحراقات وفى كل يوم يعمل مرماح وشنك عظيم مهول بالمدافع وبنادق الرصاص المتواصلة من غير فاصل مثل الرعود والطبول من طلوع الشمس الى قريب الظهر وفى أول يوم من ايام الرمى أصيب ابراهيم بك ابن الباشا برصاصة فى كتفه أصابت شخصا من السواس ونفذت منه اليه وهى باردة فتعالل بسببها وخرج بعد يومين فى عربة الى العرضى ثم رجع ولما كان يوم الاحد وقت الزوال ركب الباشا وطلع الى القلعة وقلعوا خيام الشنك وحملوا الجمال ودخلت طوائف العسكر وأذن للناس بقلع الزينة ونزول التعاليق وكان الناس قد عمروا القناديل واشاعوا انها سبعة أيام فلما حصل الاذن بالرفع فكأنما نشطوا من عقال وخلصوا من السجون لما قاسوه من البرد والسهر وتعطيل الاشغال وكساد الصنائع والتكاليف بما لا طاقة لهم به وفيهم من لا يملك قوت عياله او تعمير سراجه فيتكلف مع ذلك هذه التكاليف وكتب الباشا بالبشائر الى دار السلطنة وارسلها صحبة أمين جاويش وكذلك الى جميع النواحى والانعام بالمناصب على خواصه (وفى هذا الشهر) وردت اخبار بوقوع امطار

ابن محمد ابن اخى حرب العلوى والثالث الحسين بن ابى طالب العلوى الفارسى فنزلوا كلهم ايضا الى المؤيد اى ابه فمن معهم من اشياعهم واتباعهم فاما خوارجى فانه اثبت عليه انه قتل زوجته ظلما وعدوانا واخذ مالها فقتل بها وملك المؤيد شارستان وصفت له فنهبها عسكره الا انهم لم يقتلوا امرأة ولا سبوها

(ذكر ملك الكرج مدينة انى)

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت الكرج مع ملكهم وساروا الى مدينة انى من بلاد اران وملكوها وقتلوا فيها خلقا كثيرا فانتدب لهم شاه أرمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط وجمع العساكر واجتمع معه من المطوعة خلق كثير وسار اليهم فلقوه وقاتلوه فانهزم المسلمون وقتل أكثرهم واسر كثير منهم وعاد شاه ارمن مهزوما لم يرجع معه غير اربعمائة فارس من عسكره

(ذكر ولاية عيسى مكة حرسها الله تعالى)

كان امير مكة هذه السنة قاسم بن فليتة بن قاسم بن ابى هاشم العلوى الحسينى فلما سمع بقرب الحجاج من مكة صادر المجاورين وأعيان اهل مكة واخذ كثيرا من اموالهم وهرب من مكة خوفا من امير الحاج أرغش وكان قد حج هذه السنة زين الدين على بن بكتكين صاحب جيش الموصل ومعه طائفة صالحة من العسكر فلما وصل امير الحاج الى مكة رتب مكان قاسم بن فليتة عمه عيسى بن قاسم بن هاشم فبقى كذلك الى شهر رمضان ثم ان قاسم بن فليتة جمع جمعا كثيرا من العرب أطمعهم فى مال له بمكة فاتبعوه فسار بهم اليها فلما سمع عمه عيسى فارقها ودخلها قاسم فاقام بها اميرا اياما ولم يكن له مال يوصله الى العرب ثم انه قتل قائدا كان معه حسن السيرة فتغيرت نيات أصحابه عليه وكاتبوا عمه عيسى فقدم عليهم فهرب وصعد جبل أبى قبيس فسقط عن فرسه فاخذه أصحاب عيسى وقتلوه فعظم عليه قتله فاخذه وغسله ودفنه بالمعلى عند أبيه فليتة واستقر الامر بعده لعيسى والله أعلم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة سار عبد المؤمن بن على الى جبل طارق وهو على ساحل الخليج مما يلى الاندلس فعبر المجاز اليه وبنى عليه مدينة حصينة واقام بها عليه عدة شهور وعاد الى مراكش وفيها فى المحرم ورد نيسابور جمع كثير من تركمان بلاد فارس ومعهم اغنام كثيرة للتجارة فباعوها واخذوا الثمن ونزلوا على مرحلتين من طابس كنكلى وباتوا هناك فنزل اليهم الاسماعيلية وكبسوهم ليلا ووضعوا السيف فيهم فقتلوا اكثرهم ولم ينج منهم الا الشريد وغنم الاسماعيلية جميع ما معهم من مال وعروض وعادوا الى قلاعهم وفيها كثرت الامطار فى اكثر البلاد ولاسيما خراسان فان الامطار توالت فيها من العشرين من المحرم الى منتصف صفر لم تنقطع ولا رأى الناس فيها شمسا وفيها كان بين الكرج وبين الملك صلتق بن على صاحب ارزن الروم قتال وحرب انهزم فيه صلتق وعسكره

وثلوج كثيرة بناحية بحرى وبالاسكندرية ورشيد وبحدود الغربية والمنوفية والبحيرة وشدة برودات من ذلك أناس وبهائم والزروع البدرية وطفح على وجه الماء اسماك موتى كثيرة فكان موج البحر يلقيه على الشطوط وغرق كثير من السفن من الرياح العواصف التى هبت فى اول الشهر (وفى سابعه) يوم وصول البشارة احضر الباشا حسين افندى الروزنامجى وخلع عليه خلعة الابقاء على منصبه فى الروزنامه وقرر عليه الفين وخمسمائة كيس وذلك انهم لما رافعوه فى الحساب على الطريقة المذكورة ارسل اليه الباشا يطلب خمسمائة كيس من اصل الحساب فضاق خناقه ولم يجد له شافعا ولا ذا رحمة فارسل ولده الى محمود بك الدويدار يستجير فيه وليكون واسطة بينه وبين الباشا وهو رجل ظاهره خلاف باطنه فذهب معه الى الباشا فبش فى وجهه ورحب به واجلسه محمود بك فى ناحية من المجلس وتناجى هو مع الباشا ورجع اليه يقول له انه يقول ان الحساب لم يتم الى هذا الحين وانه ظهر على ابيك تاريخ خامس خمسة آلاف كيس وزيادة وانا تكلمت معه وتشفعت عنده فى ترك باقى الحساب والمسامحة فى نصف المبلغ والكسور فيكون الباقى الفين وخمسمائة كيس تقومون بدفعها فقال ومن اين لنا هذا القدر العظيم وقد عزلنا من

وأسرهو وكانت اخته شاه بانوار قد تزوجها شاه ارمن بن سكمان بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط فارسلت الى ملك الكرج هدية جليلة المقدار وطلبت منه ان يفاديها باخيها فاطلقه فعاد الى ملكه وفيها قصد صاحب صيدا من الفرنج نور الدين محمودا صاحب الشام ملتجئا اليه فامنه وسير معه عسكرا يمنعه من الفرنج ايضا فظهر عليهم في الطريق كمين للفرنج فقتلوا من المسلمين جماعة وانهزم الباقون وفيها ملك قرا ارسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان وكانت لطائفة من الاكراد يقال لهم الجونية فلما ملكها اخربها واضاف ولايتها الى حصن طالب وفيها توفي الكمال حمزة بن على بن طلحة صاحب المخزن كان جليل القدر ايام المسترشد بالله وولي المقتفي وبنى مدرسة لاصحاب الشافعي بالقرب من داره ثم حج وعاد وقد لبس الفوط وزي الصوفية وترك الاعمال فقال بعض الشعراء فيه

يا عضد الاسلام يا من سمت ✱ الى العلا همته الفاخره
كانت لك الدنيا فلم ترضها ✱ ملكا فاخلدت الى الآخره

وبقي منقطعا في بيته عشرين سنة ولم يزل محترما يغشاه الناس كافة

✱(ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة)

✱(ذكر فتح المؤيد طوس وغيرها)✱

في هذه السنة في السابع والعشرين من صفر نازل المؤيد أي ابه ابا بكر جاندار بقلعة وسكرة خوى من طوس وكان قد تحصن بها وهي حصينة منيعة لا ترام فقاتله واعانه اهل طوس على ابي بكر لسوء سيرته كانت فيهم وظلمه فلما رأى أبو بكر ملازمة المؤيد ومواصلة القتال عليه خضع وذل ونزل من القلعة بالامان في العشرين من ربيع الاول من السنة فلما نزل منها حبسه المؤيد وامر بتقييده ثم سار منها الى كرستان وصاحبها ابو بكر فاخر فنزل من قلعته وهي من امنع الحصون على رأس جبل عال وصار في طاعة المؤيد ودان له ووافقه وسير جيشا في جمادى الآخرة منها الى اسفراين فتحصن رئيسها عبد الرحمن بن محمد بن على الحاج بالقلعة وكان ابوه كريم خراسان على الاطلاق ولكن كان عبد الرحمن هذا بئس الخلف فلما تحصن احاط به العسكر المؤيدي واستنزلوه من الحصن وحملوه مقيدا الى شاذياخ وحبس بها وقتل في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وملك المؤيد ايضا قهندز نيسابور واستدارت مملكة المؤيد حول نيسابور وعادت الى ما كانت عليه قبل الآن اهلها انتقلوا الى شاذياخ وخربت المدينة العتيقة وسير المؤيد جيشا الى خواف وبها عسكر مع بعض الامراء اسمه ارغش فكمن ارغش جمعا في تلك المضايق والجبال وتقدم الى عسكر المؤيد فقاتلهم وطلع الكمين فانهزم عسكر المؤيد وقتل منهم جمع وعاد الباقون الى المؤيد بنيسابور وسير جيشا الى بوشنج هراة وهي في طاعة الملك محمد بن الحسين الغوري فحصروها واشتد الحصار عليها وقام القتال والزحف فسير الملك محمد الغوري جيشا اليها ليمنع عنها فلما قاربوا هراة فارقها

العسكر

المنصب ايضا حتى كنا نشذ اين ولا يامننا الناس اذا كان القدر دون هذا ايضا فرجع الى الباشا وعاد اليه يقول له لم يمكني تضعيف القدر سوى ما صالح فيه واما المنصب فهو عليكم وفي غد يطلع والدك ويجدد عليه الابقاء وينكمد الخصم وعلى الله السداد ونهض وقبل يده وتوجه فنزل الى دارهم واخبر والده بما حصل فزاد كربه ولم يسعه الا التسليم وركب في صبحها وطلع الى الباشا فخلع عليه ونزل الى داره بقهره وشرع في بيع تعلقاته وما يحصل لديه (وفي يوم الاثنين ثالث عشره) خلع الباشا على مصطفى افندي ونزل الى داره واتاه الناس يهنئونه بالمنصب (وفي يوم الاربعاء ثالث عشرينه) وردت بشائر بتملكهم الطائف وهروب المضايفي منها فعملوا شنكا وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها ثلاثة أيام في كل وقت اذان وشرع الباشا في تشهيل ولده اسمعيل باشا بالبشارة ليسافر الى اسلامبول وتاريخ تملكها في سادس عشرين المحرم (وفي هذه الايام) ابتدعوا تحرير الموازين وعملوا لذلك ديوانا بالقلعة وامروا بابطال موازين الباعة واحضار ما عندهم من الصنج فيزنون الصنجة فان كانت زائدة او ناقصة اخذوها وابقوها عندهم وان كانت محررة الوزن ختموها بختم واخذوا على كل ختم صفيحة ثلاثة انصاف

فضة وهي النصف اوقية والاوقية الى الرطل الذي يكون وزنه غير محرر يعطونه رطلا من حديد ويدفع ثمنه مائة
نصف فضة والنصف رطل
خمسون وهكذا وهو باب
يجمع منه اكياس كثيرة
(وفيه) ايضا طلب الباشا
من ضرب الفوائد غرامة
سبعين الف فرانسه فصدوا
ورمحوا باقليم الجيزة واخذوا
المواشي وشلحوا من صادفوه
ورمح كاشف الجيزة عليهم
فصادف منهم ابا عرمحملة
امتعة لهم وصحبتهم نساء
واولاد فاخذهم ورجع بهم
(وفيه) سافر ابراهيم بك ابن
الباشا الى ناحية قبلي ووصلت
الاخبار بوقوع الطاعون
بالاسكندرية فاشتد خوف
الباشا والعسكر مع قساوتهم
وعسفهم وعدم رحمتهم
*(واستهل شهر ربيع الاول
بيوم الخميس سنة ١٢٢٨)*
(فيه) قلدوا شخصا يسمى
حسين البرلي وهو الكتخدا
عند كتخدا بك وجعلوه في
منصب بيت المال وعزلوا
رجب اغا وكان انسانا سهلا لا
باس به فلما تولى هذا ارسل
لجميع مشايخ الخطط والحارات
وقيد عليهم بانهم يخبرونه
بكل من مات من ذكر او انثى
ولو كان ذا اولاد او ورثة
او غير ذلك وكذلك على
حوانيت الاموات وارسل
فرامانات الى بلاد الارياف
والبنادر بمعنى ذلك (وفي يوم الاحد رابعه) طلب الباشا حسين افندي الروزنامجي وطلب منه ماقرره عليه وكان

العسكر الذي يحصرها وعادوا عنها وصفت تلك الولاية للغزوية

(ذكر اخذ ابن مردنيش غرناطة من عبد المؤمن وعودها اليه)

في هذه السنة ارسل اهل غرناطة من بلاد الاندلس وهي لعبد المؤمن الى الامير ابراهيم
ابن همشك صهر ابن مردنيش فاستدعوه اليهم ليسلموا اليه البلد وكان قد وحد و... ار
من اصحاب عبد المؤمن وفي طاعته وممن يحرضه على قصد ابن مردنيش فلما وصل اليه
رسل اهل غرناطة سار معهم اليها فدخلها وبها جمع من اصحاب عبد المؤمن فامتنعوا
بحصنها فبلغ الخبر ابا سعيد عثمان بن عبد المؤمن وهو بمدينة مالقة فجمع الجيش الذي
كان عنده وتوجه الى غرناطة لنصرة من فيها من اصحابهم فعلم بذلك ابراهيم بن همشك
فاستنجد ابن مردنيش ملك البلاد بشرق الاندلس فارسل اليه الفي فارس من انجاد
اصحابه ومن الفرنج الذين جندهم معه فاجتمعوا بنواحي غرناطة فالتقوا هم ومن
بغرناطة من عسكر عبد المؤمن قبل وصول ابي سعيد اليهم فاشتد القتال بينهم فانهزم
عسكر عبد المؤمن وقدم ابو سعيد واقتتلوا ايضا فانهزم كثير من اصحابه وثبت معه طائفة
من الاعيان والفرسان المشهورين والرجالة والاجلاد حتى قتلوا عن آخرهم وانهزم
حينئذ ابو سعيد ولحق بمالقة وسمع عبد المؤمن الخبر وكان قد سار الى مدينة سلا فسير في
الحال ابنه ابا يعقوب يوسف في عشرين الف مقاتل فيهم جماعة من شيوخ الموحدين
فجدوا المسير فبلغ ذلك ابن مردنيش فسار بنفسه وجيشه الى غرناطة ليعين ابن همشك
فاجتمع منهم بغرناطة جمع كثير فنزل ابن مردنيش في الشريعة بظاهرها ونزل العسكر
الذي ارسله ابن همشك اولا وهم الفا فارس بظاهر القلعة الحمراء ونزل ابن همشك
بباطن القلعة الحمراء فيمن معه ووصل عسكر عبد المؤمن الى جبل قريب من غرناطة
فاقاموا في سفحه اياما ثم سيروا سرية اربعة آلاف فارس فبيتوا العسكر الذي بظاهر
القلعة الحمراء وقاتلوهم من جهاتهم فما لحقوا يركبون فقتلوهم عن آخرهم واقبل
عسكر عبد المؤمن بجملته فنزلوا بضواحي غرناطة فعلم ابن مردنيش وابن همشك انهم
لا طاقة لهم بهم ففروا في الليلة الثانية ولحقوا ببلادهم واستولى الموحدون على غرناطة
في باقي السنة المذكورة وعاد عبد المؤمن من مدينة سلا الى مراكش

(ذكر حصر نور الدين حارم)

في هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الشام العساكر بحلب
وسار الى قلعة حارم وهي للفرنج غربي حلب فحصرها وجد في قتالها فامتنعت عليه
لحصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج ورجالهم وشجعانهم فلما علم الفرنج ذلك
جمعوا فارسهم وراجلهم من سائر البلاد وحشدوا واستعدوا وساروا نحوه ليرحلوه عنها
فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه اليه وراسلوه وتلطفوا الحال معه فلما رأى انه
لا يمكنه اخذ الحصن ولا يجيبونه الى المصاف عاد الى بلاده وممن كان معه في هذه الغزوة
مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ الكناني وكان من الشجاعة في الغاية فلما عاد الى

حلب دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله فى العام الماضى سائرا الى الحج فلما دخله الآن كتب على حائطه

لك الحمد يامولاى كم لك منة * على وفضل لا يحيط به شكرى
نزلت بهذا المسجد العام قافلا * من الغزو موفورا النصيب من الاجر
ومنه رحلت العيس فى عامى الذى * مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فاديت مفروضى واسقطت ثقل ما * تحملت من وزر الشبيبة عن ظهرى

(ذكر ملك الخليفة قلعة الماهكى)

فى هذه السنة فى رجب ملك الخليفة المستنجد بالله قلعة الماهكى وسبب ذلك ان سنقر الهمذانى صاحبها سلمها الى أحد مماليكه ومضى الى همذان فضعف هذا المملوك عن مقاومة ما حولها من التركمان والاكراد فاشير عليه ببيعها من الخليفة فراسل فى ذلك فاستقرت على خمسة عشر ألف دينار وسلاح وغير ذلك من الامتعة وعدة من القرى فسلمها وتسلم ما استقر له وأقام ببغداد وهذه القلعة لم تزل من أيام المقتدر بالله بايدى التركمان والاكراد الى الآن

(ذكر الحرب بين المسلمين والكرج)

فى هذه السنة فى شعبان اجتمعت الكرج فى خلق كثير يبلغون ثلاثين ألف مقاتل ودخلوا بلاد الاسلام وقصدوا مدينة دوين من اذربيجان فملكوها ونهبوها وقتلوا من أهلها وسوادها نحو عشرة آلاف قتيل واخذوا النساء سبايا واسروا كثيرا وأعروا النساء وقادوهن حفاة عراة واحرقوا الجامع والمساجد فلما وصلوا الى بلادهم انكر نساء الكرج مافعلوا بنساء المسلمين وقلن لهم قد احوجتم المسلمين الى أن يفعلوا بنا مثل ما فعلتم بنسائهم وكسونهن ولما بلغ الخبر الى شمس الدين ايلدكز صاحب اذربيجان والجبل واصفهان جمع عساكره وحشدها وانضاف اليه شاه ارمن بن سكمان القطبى صاحب خلاط وابن آقسنقر صاحب مراغة وغيرها فاجتمعوا فى عسكر كثير يزيدون على خمسين ألف مقاتل وساروا الى بلاد الكرج فى صفر سنة ثمان وخمسين ونهبوها وسبوا النساء والصبيان وأسروا الرجال ولقيهم الكرج واقتتلوا أشد قتال صبر فيه الفريقان ودامت الحرب بينهم أكثر من شهر وكان الظفر للمسلمين فانهزم الكرج وقتل منهم كثير وأسر كذلك وكان سبب الهزيمة ان بعض الكرج حضر عند ايلدكز فاسلم على يديه وقال له تعطينى عسكرا حتى اسير بهم فى طريق أعرفها واجىء الى الكرج من ورائهم وهم لا يشعرون فاستوثق منه وسير معه عسكرا وواعده يوما يصل فيه الى الكرج فلما كان ذلك اليوم قاتل المسلمون الكرج فبينما هم فى القتال وصل ذلك الكرجى الذى أسلم ومعه العسكر وكبروا وحملوا على الكرج من ورائهم فانهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وغنم المسلمون من أموالهم مالا يدخل تحت الاحصاء لكثرته فانهم كانوا متيقنين الظفر لكثرتهم فخيب الله ظنهم وتبعهم المسلمون يقتلون

وماهذا التاخير وانا محتاج الى المال فقال لم يبق عندى شئ وقد بعت التزامى واملاكى وبيتى وتداينت من الربويين حتى وفيت خمسمائة كيس وها انا بين يديك فقال له هذا كلام لا يروج على ولا ينفعك بل أخرج المال المدفون فقال لم يكن عندى مال مدفون واما الذى اخبرك عنه فيذهب فيخرجه من محله فحنق منه وسبه وقبض على لحيته ولطمه على وجهه وجرد السيف ليضربه فترجى فيه الكتخدا والحاضرون فامر به فبطحوه وامر القواسة الاتراك بضربه فضربوه بالعصى المفضضة التى بايديهم بعد ان ضربه هو بيده بالعصى وشج جبهته حتى أتوا عليه ثم أقاموه وألبسوه فروته وحملوه وهو مغشى عليه وأركبوه حمارا واحاط به خدمه واتباعه حتى اوصلوه الى منزله وارسل معه جماعة من العسكر يلازمونه ولا يدعونه يدخل الى حريمه ولا يصل اليهم منه احد وركب فى اثره محمود بك الدويدار بامر الباشا وعبر داره ودار اخيه عثمان افندى المذكور واخذه صحبته الى القلعة وهجموا واولاده واخواه فانهم تغيبوا من وقت الطلب واختفوا ونزل اليه فى اليوم الثانى ابراهيم اغا اغات الباب

يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام بنيا إليها وعاد المسلمون منصورين قاهرين

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة وصل الحجاج الى منى ولم يتم الحج لاكثر الناس لصدهم عن دخول مكة والطواف والسعي فمن دخل يوم النحر مكة طاف وسعى وكمل ومن تأخر عن ذلك منع دخول مكة لفتنة جرت بين أمير الحاج وأمير مكة كان سببها ان جماعة من عبيد مكة أفسدوا في الحاج بمنى فنفر عليهم بعض اصحاب أمير الحاج فقتلوا منهم جماعة ورجع من سلم الى مكة وجمعوا جمعا وأغاروا على جمال الحاج وأخذوا منها قريبا من ألف جمل فنادى أمير الحاج في جنده فركبوا بسلاحهم ووقع القتال بينهم فقتل جماعة ونهب جماعة من الحاج واهل مكة فرجع أمير الحاج ولم يدخل مكة ولم يقم بالزاهر غير يوم واحد وعاد كثير من الناس رجالة لقلة الجمال ولقوا شدة وممن حج هذه السنة جدتنا ام أبينا ففاتها الطواف والسعي فاستفتت لها الشيخ الامام أبو القاسم بن البزري فقال تدوم على مابقي عليها من احرامها وان أحبت تفدي وتحل من احرامها الى قابل وتعود الى مكة فتطوف وتسعى فتكمل الحجة الاولى ثم تحرم احراما ثانيا وتعود الى عرفات فتقف وترمي الجمار وتطوف وتسعى فتصير لها حجة ثانية فبقيت على احرامها الى قابل وحجت وفعلت كما قال فتم حجها الاول والثاني وفيها نزل بخراسان برد كثير عظيم المقدار اواخر نيسان وكان اكثره بجوين ونيسابور وما والاهما فاهلك الغلات ثم جاء بعده مطر كثير دام عشرة أيام وفيها في جمادى الآخرة وقع الحريق ببغداد احترق سوق الطيوريين والدور التي تليه مقابله الى سوق الصفرة الجديد والخان الذي في الرحبة ودكاكين البزوريين وغيرها وفيها توفي الكيا الصباحي صاحب ألموت مقدم الاسماعيلية وقام ابنه مقامه فاظهر التوبة وأعاده ومن معه الصلوات وصيام شهر رمضان وأرسلوا الى قزوين يطلبون من يصلي بهم ويعلمهم حدود الاسلام فارسلوا اليهم وفيها في رمضان درس شرف الدين يوسف الدمشقي في المدرسة النظامية ببغداد وكان مدرسا بمدرسة أبي حنيفة وكان موته في ذي القعدة وفيها توفي صدقة بن وزير الواعظ وفيها في المحرم توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية من أعمال الموصل وهو من الشام من بلد بعلبك فانتقل الى الموصل وتبعه اهل السواد والجبال بتلك النواحي وأطاعوه وحسنوا الظن فيه وهو مشهور جدا

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة)

(ذكر وزارة شاور للعاضد بمصر ثم وزارة الضرغام بعده)

في هذه السنة في صفر وزر شاور للعاضد لدين الله العلوي صاحب مصر وكان ابتداء أمره ووزارته انه كان يخدم الصالح بن رزيك ولزمه فاقبل عليه الصالح وولاه الصعيد وهو اكبر الاعمال بعد الوزارة فلما ولي الصعيد ظهرت منه كفاية عظيمة وتقدم زائد واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم فعسر امره على الصالح ولم يمكنه

يطالبه بعلاق ثمانمائة كيس وحينئذ فقال له وكيف احصل شيئا وانا رجل ضعيف وانحى عثمان عند كم في الترسيم وهو الذي يعينني ويقضي اشغالي واخذتم دفاتري المختصة باحوالي مع ما اخذتموه من الدفاتر فاقام عنده ابراهيم اغا برهة ثم ركب الى الباشا وكلمه في ذلك فاطلقوا له اخاه ليسعى في التحصيل (وفي حادي عشره) عدى الباشا الى بر الجيزة بقصد السفر الى بلاد الفيوم واخذ صحبته كتبة مباشرين مسلمين ونصارى واشاع ان سفره الى الصعيد ليكشف على الاراضي وروكها وارتحل في ليلة الثلاثاء ثالث عشره بعدان وجه ابنه اسمعيل الى الديار الرومية في تلك الليلة بالبشارة (وفي خامس عشرينه) حضر لطيف اغا راجعا من اسلامبول وكان قد توجه ببشارة فتح الحرمين واخبروا انه لما وصل الى قرب دار السلطنة خرج لملاقاته الاعيان وعند دخوله الى البلدة عملوا له موكبا عظيما مشى فيه اعيان الدولة واكابرها وصحبته عدة مفاتيح زعموا انها مفاتيح مكة وجدة والمدينة وضعوها على صفائح الذهب والفضة وامامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وحملوا لذلك شنبكا ومدافع وانعم عليه السلطان واعطاه خلعا وهدايا وكذلك

عزله ناستدام استعماله لئلا يخرج عن طاعته فلما جرح الصالح كان من جملة وصيته لولده العادل انه لا يغير على شاور فانني انا اقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم يمكني عزله فلا تغيروا امابه فيكون لكم منه ما تكرهون فلما توفي الصالح من جراحته وولي ابنه العادل الوزارة حسن له اهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه منه ان اقره على عمله فارسل اليه بالعزل فجمع جموعا كثيرة وسار الى القاهرة بهم فهرب منه العادل بن الصالح بن رزيك فاخذ وقتل فكانت مدة وزارته ووزارة ابيه قبله تسع سنين وشهرا واياما وصار شاور وزيرا وتلقب بامير الجيوش واخذ اموال بني رزيك وودائعهم وذخائرهم واخذ منه ايضا طي والكامل ابنا شاور شيئا كثيرا وتفرق كثير منها وجحد وظهرت عليهم عند انتقال الدولة عن شاور والمصريين الى الاتراك ثم ان الضرغام جمع جموعا كثيرة ونازع شاور في الوزارة في شهر رمضان وظهر امره وانهزم شاور منه الى الشام على ما نذكره سنة تسع وخمسين وخمسمائة وصار ضرغام وزيرا كان هذه السنة ثلاثة وزراء العادل بن رزيك وشاور وضرغام فلما تمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيرا من الامراء المصريين لتخلوله البلاد من منازع فضعفت الدولة بهذا السبب حتى خرجت البلاد عن أيديهم

(ذكر وفاة عبد المؤمن وولاية ابنه يوسف)

في هذه السنة في العشرين من جمادى الآخرة توفي عبد المؤمن بن علي صاحب بلاد المغرب وافريقية والاندلس وكان قد سار من مراكش الى سلا فمرض بها ومات ولما حضره الموت جمع شيوخ الموحدين من أصحابه وقال لهم قد جربت ابني محمدا فلم أره يصلح لهذا الامر وانما يصلح له ابني يوسف وهو اولى بها فقدموه ووصاهم به وبايعوه ودعي بامير المؤمنين وكتموا موت عبد المؤمن وحمل من سلا في محفة بصورة مريض الى ان وصل الى مراكش وكان ابنه ابو حفص في تلك المدة حاجبا لابيه فبقي مع أخيه على مثل حاله مع أبيه يخرج فيقول للناس أمير المؤمنين أمر بكذا ويوسف يقعد مقعد ابيه الى ان كملت المبايعة له في جميع البلاد واستقرت قواعد الامور له ثم اظهر موت ابيه عبد المؤمن فكانت ولايته ثلاثة وثلاثين سنة وشهورا وكان عاقلا حازما سديد الرأي حسن السياسة للامور كثيرا لبذل للاموال الا انه كان كثير السفك لدماء المسلمين على الذنب الصغير وكان يعظم أمر الدين ويقويه ويلزم الناس في سائر بلاده بالصلاة ومن رآه وقت الصلاة غير مصل قتل وجمع الناس بالمغرب على مذهب مالك في الفروع وعلى مذهب أبي الحسن الاشعري في الاصول وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين المرجع اليهم والكلام معهم ولهم

(ذكر ملك المؤيد اعمال قومس والخطبة للسلطان ارسلان بخراسان)

في هذه السنة سار المؤيد اي ابه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان واستناب بقومس مملوكه تنكز فاقام تنكز بمدينة بسطام فجرى بين تنكز وبين شاه

مازندران

باشا ومعه خلع واطواخ للباشا وعدة اطواخ بولايات لمن يختار تقليده فاحتفل الباشا به عندما وصلت اخباره وارسل الى امراء الثغور بالاسكندرية ودمياط بالاعتناء بملاقاته عند وروده على ثغر منها (وفيه) حضر خليل بك حاكم الاسكندرية الى مصر فرارا من الطاعون لانه قد فشا بها ومات اكثر عسكره واتباعه

(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاحد سنة ١٢٢٨)

(في ثامنه) حضر الباشا على حين غفلة من الفيوم الى الجيزة واخبروا انه لما وصل الى ناحية بني سويف ركب بغلة سريعة العدو ومعه بعض خواصه على الهجن والبغال فوصل الى الفيوم في اربع ساعات وانقطع اكثر المرافقين له ومات منهم سبعة عشر هجينا (وفي يوم الثلاثاء عاشره) عملوا مولد المشهد الحسيني المعتاد وتقيد لتنظيمه السيد المحروقي الذي تولى النظارة عليه وجلس ببيت السادات المجاور للمشهد بعد ان اخلوه له وفي ذلك اليوم امر الباشا بعمل كورنتينه بالجيزة ونوه باقامته بها وزاد به الخوف والوهم من الطاعون لحصول القليل منه بمصر وهلك الحكيم الفرنساوي وبعض

مازندران اختلاف أدى الى الحرب فجمع كل منهما عسكره والتقوا أوائل ذى الحجة فى هذه السنة واقتتلوا فانهزم عسكر مازندران وأخذت اسلابهم وقتل منهم طائفة كبيرة ولما ملك المؤيد بلاد قومس أرسل اليه السلطان ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه خلعا نفيسة والوية معقودة وهدية جليلة وامره ان يهتم باشغال بلاد خراسان و يتولى ذلك اجمع وان يخطب له فلبس المؤيد الخلع فخطب له فى البلاد التى هى بيده وكان السبب فى هذا اتابك شمس الدين ايلدكز فانه كان هو الذى يحكم فى مملكة ارسلان وليس لارسلان غير الاسم وكان بين ايلدكز و بين المؤيد مودة ذكرناها عند قتل المؤيد فلما اطاع المؤيد السلطان ارسلان خطب له ببلاده وهى قومس ونيسابور وطوس واعمال نيسابور جميعها ومن نسا الى طبس كنكلى وكان يخطب لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطبة فى جرجان ودهستان لخوارزمشاه بن ارسلان بن اتسز و بعده للامير ايثاق وكانت الخطبة فى مرو و بلخ وهراة وسرخس وهذه البلاد بيد الغز الا هراة فانها بيد الامير ايتكين وهو مسالم للغز فكانوا يخطبون للسلطان سنجر فيقولون اللهم اغفر للسلطان السعيد المبارك سنجر و بعده للامير الذى هو الحاكم فى تلك البلاد

(ذكر قتل الغز ملك الغور)

فى هذه السنة فى رجب قتل سيف الدين محمد بن الحسين الغورى ملك الغور قتله الغز وسبب ذلك انه جمع عساكره وحشد فاكثر وسار من جبال الغور يريد الغز وهم ببلخ واجتمعوا وتقدموا اليه فاتفق ان ملك الغور خرج من معسكره فى جماعة من خاصته جريدة فسمع به امراء الغز فساروا يطلبونه مجدين قبل ان يعود الى معسكره فاوقعوا به فقاتلهم اشد قتال رآه الناس فقتل ومعه نفر ممن كان معه واسر طائفة وهربت طائفة فلحقوا بعسكرهم وعادوا الى بلادهم منهزمين لا يقف الاب على أبيه ولا الاخ على أخيه وتركوا كل ما معهم بحاله ونجوا بنفوسهم فكان عمر ملك الغور لما قتل نحو عشرين سنة وكان عادلا حسن السيرة فمن عدله وخوفه عاقبة الظلم انه حاصر اهل هراة فلما ملكها أراد عسكره ان ينهبوها فنزل على درب المدينة واحضر الاموال والثياب فاعطى جميع عسكره منها وقال هذا خير من ان تنهبوا أموال المسلمين وتسخطوا الله تعالى فان الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم ولما قتل عاد الغز الى بلخ ومرو وقد غنموا شيئا كثيرا من العسكر الغورى لان أهله تركوه ونجوا

(ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج)

فى هذه السنة انهزم نور الدين محمود بن زنكى من الفرنج تحت حصن الاكراد وهى الوقعة المعروفة بالبقيعة تحت حصن الاكراد حاصراه وعازما على قصد طرابلس ومحاصرتها فبينما الناس يوما فى خيامهم وسط النهار لم يرعهم الا ظهور صلبان الفرنج من وراء الجبل الذى عليه حصن الاكراد وذلك ان الفرنج اجتمعوا واتفق رأيهم على

نصارى ارواموهم يعتقدون صحة الكورنتينه وانها تمنع الطاعون وقاضى الشريعة الذى هو قاضى العسكر يحقق قولهم و يمشى على مذهبهم ولرغبة الباشا فى الحياة الدنيا وكذلك أهل دائرته وخوفهم من الموت يصدقون قولهم حتى انه اتفق انه مات بالمحكمة عند القاضى شخص من اتباعه فامر بحرق ثيابه وغسل المحل الذى مات فيه وتبخيره بالبخورات وكذلك غسل الاوانى التى كان يمسها و بخروها وأمروا أصحاب الشرطة انهم يأمرون الناس واصحاب الاسواق بالكنس والرش والتنظيف فى كل وقت ونشر الثياب واذا ورد عليهم مكاتبات خرقوها بالسكاكين ودخنوها بالبخور قبل ورودها ولما عزم الباشا على كورنتينة الجيزة ارسل فى ذلك اليوم بان ينادوا بها على سكانها بان من كان يملك قوته وقوت عياله ستين يوما واحب الاقامة فليمكث بالبلدة والا فليخرج منها ويذهب و يسكن حيث أراد فى غيرها ولهم مهلة اربع ساعات فانزعج سكان الجيزة وخرج من خرج واقام من أقام وكان ذلك وقت الحصاد ولهم مزارع واسباب مع مجاوريهم من اهل القرى ولا يخفى احتياجات الشخص لنفسه وعياله وبهائمه فمنعوا جميع ذلك حتى سدوا خروق السور والابواب ومنعوا المعادى مطلقا وأقام الباشا ببيت الازبكيه لا يجتمع

كبسة المسلمين نهارا فانهم يكونون آمنين فركبوا من وقتهم ولم يتوقفوا حتى يجمعوا عساكرهم وساروا مجدين فلم يشعر بذلك المسلمون الا وقد قربوا منهم فارادوا منعهم فلم يطيقوا ذلك فارسلوا الى نور الدين يعرفونه الحال فرهقهم الفرنج بالحملة فلم يثبت المسلمون وعادوا يطلبون معسكر المسلمين والفرنج فى ظهورهم فوصلوا معا الى العسكر النورى فلم يتمكن المسلمون من ركوب الخيل واخذ السلاح الا وقد خالطوهم فاكثروا القتل والاسر وكان اشدهم على المسلمين الدوقس الرومى فانه كان قد خرج من بلاده الى الساحل فى جمع كثير من الروم فقاتلوا محتسبين فى زعمهم فلم يبقوا على احد وقصدوا خيمة نور الدين وقد ركب فيها فرسه ونجا بنفسه ولسرعته ركب الفرس والشبحة فى رجله فنزل انسان كردى قطعها فنجا نور الدين وقتل الكردى فاحسن نور الدين الى مخلفيه ووقف عليهم الوقوف ونزل نور الدين على بحيرة قدس بالقرب من حمص وبينه وبين المعركة اربعة فراسخ وتلاحق به من سلم من العسكر وقال له بعضهم ليس من الراى ان تقيم ههنا فان الفرنج ربما حملهم الطمع على المجىء الينا فنؤخذ ونحن على هذا الحال فوبخه واسكته وقال اذا كان معى الف فارس لقيتهم ولا ابالى بهم ووالله لا استظل بسقف حتى آخذ بثارى وثار الاسلام ثم ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والثياب والخيام والسلاح والخيل فاعطى الناس عوض ما اخذ منهم جميعه بقولهم فعاد العسكر كان لم تصبه هزيمة وكل من قتل اعطى اقطاعه لاولاده واما الفرنج فانهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لانها اقرب البلاد اليهم فلما بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم قالوا لم يفعل هذا الا وعنده قوة يمنعنا بها ولما راى اصحاب نور الدين كثرة خرجه قال له بعضهم ان لك فى بلادك ادرارات وصدقات كثيرة على الفقهاء والفقراء والصوفية والقراء فلو استعنت فى هذا الوقت لكان اصلح فغضب من ذلك وقال والله انى لا ارجو النصر الا باولئك فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عنى وانا نائم على فراشى بسهام لا تخطئ واصرفها الى من لا يقاتل عنى الا اذا رآنى بسهام قد تصيب وقد تخطئ وهؤلاء القوم لهم نصيب فى بيت المال كيف يحل لى ان اعطيه غيرهم ثم ان الفرنج راسلوا نور الدين يطلبون منه الصلح فلم يجبهم وتركوا عند حصن الاكراد من يحميه وعادوا الى بلادهم

(ذكر اجلاء بنى أسد من العراق)

فى هذه السنة أمر الخليفة المستنجد بالله باهلاك بنى أسد أهل الحلة المزيدية لما ظهر من فسادهم ولما كان فى نفس الخليفة منهم من مساعدتهم السلطان محمدا لما حصر بغداد فامر يزدن بن قماج بقتالهم واجلائهم من البلاد وكانوا منبسطين فى البطائح والاو يرفلا يقدر عليهم فتوجه يزدن اليهم وجمع عساكر كثيرة من فارس وراجل وأرسل الى ابن معروف مقدم المنتفق وهو بارض البصرة فجاء فى خلق كثير وحصرهم وسكر عنهم الماء وصابرهم مدة فارسل الخليفة يعتب على يزدن ويعجزه وينسبه الى

موافقته

باحد من الناس الى يوم الجمعة فعدى فى ذلك اليوم وقت الفجر وطلع الى قصر الجيزة واوقف مركبين الاولى ببر الجيزة والاخرى فى مقابلتها ببر مصر القديمة فاذا ارسل الكتخدا او المعلم غالى اليه مراسلة ناولها المرسل للقيد بذلك فى طرف مزراق بعد تبخير الورقة بالشيح واللبان والكبريت ويتناولها منه الآخر بمزراق آخر على بعد منهما وعاد راجعا فاذا قرب من البر تناولها المنتظر لها ايضا بمزراق وغمسها فى الخل وبخرها بالبخور المذكور ثم يوصلها لحضرة المشار اليه بكيفية اخرى فاقام اياما وسافر الى الفيوم ورجع كما ذكر وارسل مماليكه ومن يعز عليه ويخاف عليه من الموت الى اسيوط (وفى يوم السبت سابعه) نودى بالاسواق بان السيد محمدا المحروقى شاه بندر التجار بمصر وله الحكم على جميع التجار واهل الحرف والمتسببين فى قضاياهم وقوانينهم وله الامر والنهى فيهم (وفيه) وصل الى مصر عدة كبيرة من العساكر الرومية على طريق دمياط ونصبوا لهم وطاقا خارج باب النصر وحضر فيهم نحو الخمسمائة نفر ارباب صنائع بنائين ونجارين وخراطين فانزلوهم بوكالة بخط الخليفة (وفى يوم الاحد ثامنه) تقلد الحسبة الخواجا محمود حسن والبس الخلعة وركب وشق المدينة وامامه الميزان فرسم برد الموازين الى الارطال

موافقته فى التشيع وكان يزدن يتشيع فخذ هو وابن معروف فى قتالهم والتضييق عليهم وسد مسالكهم فى الماء فاستسلموا حينئذ فقتل منهم اربعة آلاف قتيل ونودى فيمن بقى من وجد بعد هذا فى الحلة المزيدية فقد حل دمه فتفرقوا فى البلاد ولم يبق منهم بالعراق من يعرف وسلمت بطائحهم الى ابن معروف وبلادهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة وقع فى بغداد حريق فى باب درب فراشا الى مشرعة الصباغين من الجانبين وفيها فى رجب توفى سديد الدولة أبو عبد الله بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم المعروف بابن الانبارى كاتب الانشاء بديوان الخلافة وكان فاضلا اديبا ذا تقدم كثير عند الخلفاء والسلاطين وخدم من سنة ثلاثين وخمسمائة الى الآن فى ديوان الخلافة وعاش حتى قارب تسعين سنة وتوفى فى رمضان هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز بن محمد المتوثى وسمع الحديث وهو من الشعراء المشهورين الا انه كثير الهجو ومن شعره

يا من هجرت ولا تبالى * هل ترجع دولة الوصال
هل اطمع يا عذاب قلبى * ان ينعم فى هواك بالى
الطرف كما عهدت باك * والجسم كما ترين بالى
ما ضرك أن تعلليني * فى الوصل بموعد المحال
اهواك وأنت حظ غيرى * يا قاتلتى فما احتيالى

وهى اكثر من هذا

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة)

(ذكر مسير شيركوه وعساكر نور الدين الى ديار مصر وعودهم عنها)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سير نور الدين محمود بن زنكى عسكرا كثيرا الى مصر وجعل عليهم الامير اسد الدين شيركوه بن شاذى وهو مقدم عسكره وأكبر امراء دولته وأشجعهم وسنذكر سنة اربع وستين سبب اتصاله بنور الدين وعلو شانه عنده ان شاء الله تعالى وكان سبب ارسال هذا الجيش ان شاور وزير العاضد لدين الله العلوى صاحب مصر نازعه فى الوزارة ضرغام وغلب عليها فهرب شاور منه الى الشام ملتجئا الى نور الدين ومستجيرا به فاكرم مثواه واحسن اليه وانعم عليه وكان وصوله فى ربيع الاول من السنة وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ويكون لنور الدين ثلث دخل البلاد بعد اقطاعات العساكر ويكون شيركوه مقيما بعساكره فى مصر ويتصرف هو بامر نور الدين واختياره فبقى نور الدين يقدم الى هذا الغرض رجلا ويؤخر اخرى فتارة يحمله رعاية قصد شاور وبابه وطلب الزيادة فى الملك والتقوى على الفرنج وتارة يمنعه منه خطر الطريق وان الفرنج فيه وتخوف ان شاور ان استقرت قاعدته ربما لا يفى ثم قوى عزمه على ارسال الجيوش فتقدم بتجهيزها وازاحة

الزياتى التى عبرة الرطل منها اربع عشرة اوقية فى جميع الادهان والخضراوات على العادة القديمة ونقص من اسعار اللحم وغيره ففرح الناس بذلك ولكن لم يستمر ذلك (وفى يوم الاربعاء حادى عشره) بين الظهر والعصر كانت السماء مصحية والشمس مضيئة صافية فما هو الا والسماء والجو طلع به غيم وقتام ورياح نكباء غربية جنوبية واظلم ضوء الشمس وارعدت رعدتين الثانية اعظم من الاولى وبرق ظاهر ضوؤه وامطرت مطرا متوسطا ثم سكن الريح وانجلت السماء وقت العصر وكان ذلك سابع بشنس القبطى وآخر يوم من نيسان الرومى فسبحان الملك الفعال مغير الشؤون والاحوال وحصل فى تاليه يوم الجمعة مثل ذلك الوقت ايضا غيوم ورعود كثيرة ومطر أزيد من اليوم الاول

(واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢٢٨)

(فى ثانى عشره) وصل فى النيل على طريق دمياط اغا من طرف الدولة يقال له قهوجى باشا السلطان فاعتنى الباشا بشأنه وحضر الى قصره بشبرا وأمر باحضار عدة من المدافع وآلات الشنك وعملوا أمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدات ونبه على الطوائف بالاجتماع على ملابسهم وزينتهم ووصل الاغا المذكور يوم الاحد فخرج الاغوات

علمها وكان هوى أسد الدين فى ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس مالا يبالى بمخافة فتجهز وساروا جميعا وشاور فى صحبتهم فى جمادى الاولى من سنة تسع وخمسين وتقدم نور الدين الى شيركوه ان يعيد شاور الى منصبه وينتقم له ممن نازعه فيه وسار نور الدين الى طرف بلاد الفرنج مما يلى دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرض لاسد الدين ومن معه فكان قصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين ووصل أسد الدين والعساكر معه الى مدينة بلبيس فخرج اليهم ناصر الدين اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة ووصل أسد الدين فنزل على القاهرة اواخر جمادى الآخرة فخرج ضرغام من القاهرة سلخ الشهر فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقى يومين ثم حمل ودفن فى القرافة وقتل أخوه فارس المسلمين وخلع على شاور مستهل رجب وأعيد الى الوزارة وتمكن منها وأقام اسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور وعاد عما كان قرره لنور الدين من البلاد المصرية ولاسد الدين أيضا وأرسل اليه يامره بالعود الى الشام فاعاد الجواب بالامتناع وطلب ما كان قد استقر بينهم فلم يجبه شاور اليه فلما رأى ذلك أرسل الى نوابه فتسلموا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقية فارسل شاور الى الفرنج يستمدهم ويخوفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج قد ايقنوا بالهلاك ان تم ملكه لها فلما أرسل شاور يطلب منهم أن يساعدوه على اخراج اسد الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه وسارعوا الى تلبية دعوته ونصرته وطمعوا فى تملك الديار المصرية وكان قد بذل لهم مالا على المسير اليه وتجهزوا وساروا فلما بلغ نور الدين ذلك سار بعساكره الى اطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير فلم يمنعهم ذلك لعلمهم ان الخطر فى مقامهم اذا ملك أسد الدين مصر أشد فتركوا فى بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس فى الباقين الى مصر وكان قد وصل الى الساحل جمع كثير من الفرنج فى البحر لزيارة البيت المقدس فاستعان بهم الفرنج الساحلية فاعانوهم فسار بعضهم معهم وأقام بعضهم فى البلاد لحفظها فلما قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدين وقصد مدينة بلبيس فاقام بها هو وعسكره وجعلها له ظهرا يتحصن به فاجتمعت العساكر المصرية والفرنج ونازلوا أسد الدين شيركوه بمدينة بلبيس وحصروه بها ثلاثة اشهر وهو ممتنع بها مع ان سورها قصير جدا وليس لها خندق ولا فصيل يحميها وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيئا فبينما هم كذلك اذ أتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على حارم وملك نور الدين حارم ومسيره الى بانياس على ما نذكره ان شاء الله تعالى فحينئذ سقط فى أيديهم وارادوا العودة الى بلادهم ليحفظوها فراسلوا أسد الدين فى الصلح والعود الى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها الى المصريين فاجابهم الى ذلك لانه لم يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج ولان الاقوات والذخائر قلت عليه وخرج من بلبيس فى ذى الحجة فحدثنى من رأى اسد الدين حين خرج من بلبيس قال اخرج اصحابه بين يديه وبقى فى آخرهم وبيده لت من حديد يحمى ساقتهم والمسلمون والفرنج ينظرون اليه قال فاتاه فرنجى من الغرباء الذين خرجوا من البحر فقال له أما

والسفاشية والصقلية وهم لابسون القواويق وجميع العساكر الخيالة ليلا فما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بأسرهم جهة شبرا وانتظموا فى موكب ودخلوا من باب النصر ويقدمهم طوائف الدلاة واكابرهم ويتلوهم أرباب المناصب مثل الاغا والوالى والمحتسب وبواقى وجاقات المصرية ثم موكب كتخدا بك وبعده موكب الاغا الواصل وفى اثره ما وصل معه من الخلع وهى اربع بقج وخنجران مجوهران وسيف وثلاث شلنجات عليها ريش مجوهرة وخلف ذلك العساكر الخيالة والتفكعية وخلفهم النوبة التركية فكان مدة مرورهم نحو ساعتين وربع وليس فيهم رجالة مشاة سوى الخدم وقليل عسكر مشاة واما بقية العسكر فهم متفرقون بالاسواق والازقة كالجراد المنتشر خلاف من يرد منهم فى كل وقت من الاجناس المختلفة براو بحرا فمن الخلع الواردة ما هو مختص بالباشا وهو فروة وخنجر وريشة بشلنج وأطواخ ولابنه ابراهيم بك مثل ذلك واسكنوا ذلك الاغا ورفيقه واتباعهما بمنزل ابراهيم بك ابن الباشا بالازبكية بقنطرة الدكة وارسل باحضار ولده من ناحية قبلى فحضر على الهجن ولبس الخلعة بولايته على الصعيد فنزل بالجيزة وعدى الى بر مصر عند أبيه بقصر شبرا ولبس الخلعة وأقام عند أبيه ثلاث ليال ثم عدى الى بر الجيزة وعندما وصل الى البر امر بتغريق السفينة بمن فيها من

تخاف ان يغدر بك هؤلاء المصريون والفرنج وقد أحاطوا بك وباصحابك ولا يبقى لكم بقية فقال شيركوه يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما افعله كنت والله أضع السيف فلا يقتل منا رجل حتى يقتل منهم رجال وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفني شجعانهم فنملك بلادهم ومن بقي منهم والله لو أطاعني هؤلاء لخرجت اليكم من أول يوم ولكنهم امتنعوا فصلب على وجهه وقال كنا نعجب من فرنج هذه البلاد ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك والآن فقد عذرناهم ثم رجع عنه وسار شيركوه الى الشام فوصل سالما وكان الفرنج قد وضعوا له على مضيق في الطريق رصدا ليأخذوه أو ينالوا منه ظفرا فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق ففيه يقول عمارة

أخذتم على الافرنج كل ثنية * وقلتم لأيدي الخيل مري على مري

لئن نصبوا في البر جسرا فانكم * عبرتم ببحر من حديد على الجسر

ولفظة مري في آخر البيت الأول اسم ملك الفرنج

(ذكر هزيمة الفرنج وفتح حارم)

في هذه السنة في شهر رمضان فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة حارم من الفرنج وسبب ذلك ان نور الدين لما عاد منهزما من البقيعة تحت حصن الاكراد كما ذكرناه قبل فرق الاموال والسلاح وغير ذلك من الآلات على ما تقدم فعاد العسكر كأنهم لم يصابوا واخذ في الاستعداد للجهاد والاخذ بثأره واتفق مسير بعض الفرنج مع ملكهم الى مصر كما ذكرناه فاراد ان يقصد بلادهم ليعودوا عن مصر فارسل رسلا الى اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وديار الجزيرة والى فخر الدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا والى نجم الدين البي صاحب ماردين وغيرهم من اصحاب الاطراف يستنجدهم فاما قطب الدين فانه جمع عسكره وسار مجدا وفي مقدمته زين الدين علي امير جيشه واما فخر الدين صاحب الحصن فبلغني عنه انه قال له ندماؤه وخواصه على اي شيء عزمت فقال على القعود فان نور الدين قد تحشف من كثرة الصوم والصلاة وهو يلقي نفسه في المهالك فكلهم وافقه على هذا الرأي فلما كان الغد امر بالتجهز للغزاة فقال له اولئك ما عدا مما بدا فارقناك امس على حالة فنراك اليوم على ضدها فقال ان نور الدين قد سلك معي طريقا ان لم انجده خرج أهل بلادي عن طاعتي واخرجوا البلاد عن يدي فانه قد كاتب زهادها وعبادها والمنقطعين عن الدنيا يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر ويستمد منهم الدعاء ويطلب ان يحثوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من اولئك ومعه اصحابه واتباعه وهم يقرؤن كتب نور الدين ويبكون ويلعنوني ويدعون علي فلا بد من المسير اليه ثم تجهز وسار بنفسه واما نجم الدين فانه سير عسكرا فلما اجتمعت العساكر سار نحو حارم فحصرها ونصب عليها المجانيق وتابع الزحف اليها فاجتمع من بقي بالساحل من الفرنج فجاؤا في حدهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم وقسوسهم ورهبانهم واقبلوا اليه من كل حدب ينسلون وكان المقدم عليهم البرنس بيمند صاحب انطاكية وقمص

الفرش ثم أخرجوه وهاو كذلك أمر من معه من الرجال بالغطوس في الماء وغسل ثيابهم كل ذلك خوفا من رائحة الطاعون ونظيرا وهروبا من الموت (وفي خامس عشرينه) سافر ابراهيم بك راجعا الى الصعيد (وفيه حضر) عرضي الباشا الذي كان سافر في ربيع الاول الى الجهة القبلية ومعه الكتبة أيضا المسلمون لتحرير حساب الاقباط ومساحة الاراضي (وفي أواخره) نودي على أهل الجيزة باستمرار الكورنتينه شهري رجب وشعبان وان يعطوا لهم فسحة للمتسببين والباعة ثلاثة أيام وكذلك لمن يخرج او اذا دخل لا يخرج اذا كان عنده ما يكفيه ويكفي عياله في مدة الشهرين والثلاثة أيام المفسح لهم فيها ليقضوا أشغالهم واحتياجاتهم فخرج أهل البلدة باسرهم ولم يبق منهم الا القليل النادر القادر وأيضا تفرقوا في البلاد وبقي الكثير منهم حول البلدة وفي الغيطان حول بيادرهم واجرانهم وعملوا لهم اخصاصا تظلهم من حر الشمس ووهج الهجير وينادي المقيم بالبلدة بحاجته من أعلى السور لرفيقه أو صاحبه الذي هو خارج البلدة فيجيبه ويرد جوابه من مكان بعيد ولا يمكنونهم من تناول الاشياء وأما العسكر فانهم يدخلون ويخرجون ويقضون حوائجهم ويشترون الخضراوات والبطيخ وغيره ويبيعونه على المقيمين بالبلدة باغلى الاثمان واذا أراد أحد من اهل البلدة الخروج منعوه

صاحب طرابلس واسمه الهياوابن جوسلين وهو من مشاهير الفرنج والدوك وهو مقدم كبير من الروم وجمعوا الفارس والراجل فلما قاربوه رحل عن حارم الى ارتاح طمعا ان يتبعوه فيتمكن منهم لبعدهم عن بلادهم اذا لقوه فساروا فنزلوا على عم ثم علموا عجزهم عن لقائه فعادوا الى حارم فلما عادوا تبعهم نور الدين في ابطال المسلمين على تعبية الحرب فلما تقاربوا اصطفوا للقتال فبدا الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وفيها عسكر حلب وصاحب الحصن فانهزم المسلمون فيها وتبعهم الفرنج فقيل كانت تلك الهزيمة من الميمنة على اتفاق ورأى دبروه وهو ان يتبعهم الفرنج فيبعدوا عن راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين بالسيوف فاذا عاد فرسانهم لم يلقوا راجلا يلجؤن اليه ولا وزرا يعتمدون عليه ويعود المنهزمون في آثارهم فيأخذهم المسلمون من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فكان الامر على ما دبروه فان الفرنج لما تبعوا المنهزمين عطف عليهم زين الدين على في عسكر الموصل على راجل الفرنج فافناهم قتلا واسرا وعادت خيالتهم ولم يمعنوا في الطلب خوفا على راجلهم فعاد المنهزمون في آثارهم فلما وصل الفرنج راوا رجالهم قتلى واسرى فسقط في ايديهم وراوا انهم قد هلكوا وبقوا في الوسط قد احدق بهم المسلمون من كل جانب فاشتدت الحرب وقامت على ساق وكثر القتل في الفرنج وتمت عليهم الهزيمة فعدل حينئذ المسلمون من القتل الى الاسر فاسروا ما لا يحد وفي جملة الاسرى صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس وكان شيطان الفرنج واشدهم شكيمة على المسلمين والدوك مقدم الروم وابن جوسلين وكان عدة القتلى تزيد على عشرة آلاف قتيل واشار المسلمون على نور الدين بالمسير الى انطاكية وتملكها لخلوها من حام يحميها ومقاتل يذب عنها فلم يفعل وقال اما المدينة فامرها سهل واما القلعة فمنيعة وربما سلموها الى ملك الروم لان صاحبها ابن اخيه ومجاورة بيمند أحب الي من مجاورة صاحب قسطنطينية وبث السرايا في تلك الاعمال فنهبوها وأسروا اهلها وقتلوهم ثم انه فادى برنس بيمند صاحب انطاكية واشترى من المسلمين خلقا كثيرا فاطلقهم

(ذكر ملك نور الدين قلعة بانياس من الفرنج ايضا)

في ذي الحجة من هذه السنة فتح نور الدين محمود قلعة بانياس وهي بالقرب دمشق وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ولما فتح حارم أذن لعسكر الموصل وديار بكر بالعود الى بلادهم واظهر انه يريد طبرية فجعل من بقي من الفرنج همتهم حفظها وتقويتها فسار محمود الى بانياس لعلمه بقلة من فيها من الحماة المانعين عنها ونازلها وضيق عليها وقاتلها وكان في جملة عسكره اخوه نصرة الدين امير أميران فاصابه سهم فاذهب احدى عينيه فلما رآه نور الدين قال له لو كشف لك عن الاجر الذي أعد لك لتمنيت ذهاب الاخرى وجد في حصارها فسمع الفرنج فجمعوا فلم تتكامل عدتهم حتى فتحها على ان الفرنج كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم وأسرهم فملك القلعة وملأها ذخائر وعدة

من أخذ شيء من متاعه أو بهيمته أو شاته أو حمـاره ولا يخرج الا مجردا بطوله (وفي أواخره) وصل من الديار الرومية مواصل وعلى يده مرسوم فقرئ بالمحكمة في يوم الاحد ثامن عشرينه بحضرة كتخدا بك والقاضي والمشايخ وأكابر الدولة والجم الغفير من الناس ومضمونه الامر للخطباء في المساجد يوم الجمعة على المنابر بان يقولوا عند الدعاء للسلطان فيقولوا السلطان ابن السلطان بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات محمود خان ابن السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان أحمد خان الغازي خادم الحرمين الشريفين لانه استحق ان ينعت بهذه النعوت لكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين وطردت الخوارج واخرجتهم منها لان المفتي أفتاهم بانهم كفار لتكفيرهم المسلمين ويجعلونهم مشركين ولخروجهم على السلطان وقتلهم الانفس وان من قاتلهم يكون مغازيا ومجاهدا وشهيدا اذا قتل ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وعملوا شنكا واستمر ضربهم المدافع عند كل أذان عشرة أيام وذلك ونحوه من الخور

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٨)

(في منتصفه) حضر بونابارته الخازندار من الديار الحجازية على طريق القصير (وفي اواخره) سافر قهوجي باشا الذي تقدم

ورحالا

وجالاوشاطر الفرنج في اعمال طبرية وقرروا له على الاعمال التي لم يشاطرهم عليها مالا في كل سنة ووصل خبر ملك حارم وحصن بانياس الى الفرنج بمصر فصالحوا واشيركوه وعادوا ليدركوا بانياس فلم يصلوا الا وقد ملكها ولما عاد منها الى دمشق كان بيده خاتم بفص ياقوت من احسن الجوهر وكان يسمى الجبل لكبره وحسنه فسقط من يده في شعراء بانياس وهي كثيرة الاشجار ملتفة الاغصان فلما ابعد عن المكان الذي ضاع فيه علم به فاعاد اصحابه في طلبه ودلهم على المكان الذي كان آخر عهده به فيه وقال اظنه هناك سقط فعادوا اليه فوجدوه فقال بعض الشعراء الشاميين اظنه ابن منير يمدحه ويهنئه بهذه الغزاة ويذكر الجبل الياقوت

ان يمترالشكاك فيك بانك المهدي مطفي جمرة الدجال
فلعودة الجبل الذي اضللته * بالامس بين غياطل وجبال
لم يعطها الا سليمان وقد * ندت الربا عوشك لا عجال
وحرب سرير ملكك انه * كسريره عن كل خد عالي
فلو البحار السبعة استهوينه * وأمرتهن قذفنه في الحال

ولما فتح الحصن كان معه ولد معين الدين أنز الذي سلم بانياس الى الفرنج فقال له للمسلمين بعد الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذاك قال لان اليوم برد الله جلد والدك من نار جهنم

(ذكر اخذ الاتراك غزنة من ملكشاه وعوده اليها)

في هذه السنة قصد بلاد غزنة الاتراك المعروفون بغزونهبوها وخربوها وقصدوا غزنة وبها صاحبها ملكشاه بن خسروشاه المحمودي فعلم انه لا طاقة له بهم ففارقها وسار الى مدينة لهاوور وملك الغز مدينة غزنة وكان المقيم بامرهم اميرا اسمه زنكي بن علي بن خليفة الشيباني ثم ان صاحبها ملكشاه جمع وعاد الى غزنة ففارقها زنكي وعاد ملكها ملكشاه ودخلها في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة وتمكن في دار ملكه

(ذكر وفاة جمال الدين الوزير وشيء من سيرته)

في هذه السنة توفي جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي بن ابي منصور الاصفهاني وزير قطب الدين صاحب الموصل في شعبان مقبوضا وكان قد قبض عليه سنة ثمان وخمسين فبقي في الحبس نحو سنة حكى لي انسان صوفي يقال له ابو القاسم كان مختصا بخدمته في الحبس قال لم يزل مشغولا في محبسه بامر آخرته وكان يقول كنت اخشى ان انقل من الدست الى القبر فلما اتفق ان مرض قال لي في بعض الايام يا أبا القاسم اذا جاء طائر ابيض الى الدار فعرفني قال فقلت في نفسي قد اختلط عقله فلما كان الغد اكثر السؤال عنه واذا طائر أبيض لم أر مثله قد سقط فقلت جاء الطائر فاستبشر ثم قال جاء الحق واقبل على الشهادة وذكر الله تعالى الى ان توفي فلما توفي طار ذلك الطائر فعلمت انه رأى شيئا

ذكر حضوره بالخلع والشلنجات والخناجر بعدما اعطى خدمته مبلغا من الاكياس واصحب معه الباشا هدية عظيمة لاصاحب الدولة واكابرها وقدره من الذهب العين اربعون الف دينار ومن النصفيات يعني نصف الدينار ستون الفا ومن فروق البن خمسمائة فرق ومن السكر المكرر مرتين مائة قنطار ومن المكرر مرة واحدة مائتي قنطار ومائتا قدر صيني الذي يقال له اسكي معدن مملوءة بالمربيات وأنواع الشربات الممسك المطيب المختلف الانواع ومن الخيول خمسون جوادا مرختة بالجوهر والنمدكش (١) واللؤلؤ والمرجان وخمسون حصانا من غير رخوت واقمشة هندية كشميري ومقصبات وشاهي ومهترخان في عدة تعابي بقج وبخور عود وعنبر وأشياء أخرى (وفيه) ايضا حضر اغا يقال له جانم افندي وصحبته مرسوم قرئ بالديوان في يوم الاثنين مضمونه البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه عثمان واجتمع لسماع ذلك المشايخ والاعيان وضربوا بعد قراءته شنكا ومدافع واستمر ذلك سبعة ايام في كل وقت من الاوقات الخمسة (وفي يوم الثلاثاء عشرينه) الموافق لثالث عشر مسرى القبطي أوفى النيل المبارك أذرعه ونودي بذلك في الاسواق على العادة وكثر اجتماع ١٨ يخ مل ١١ غوغاء الناس للخروج الى الروضة وناحية السد والولائم في البيوت المطلة على الخليج

وما يحصل من اجتماع الاخلاط امام جرى الماء كما هو المعتاد فى كل سنة وانه اذا نودى بالوفاء حصل ذلك
الاجتماع فى تلك الليلة
وكسروا السد فى صبحها
عادة لا تتخلف فيما نعلم فلما
كان آخر النهار ورد الخبر بان
الباشا امر بتاخير فتح الخليج
الى يوم الخميس ثانيه فكان
كذلك وخرج الباشا فى صبح
يوم الخميس وكسر السد
وجرى الماء فى الخليج وتكلف
أرباب الدور المطلة على الخليج
كافة ثانية اضيافهم

*(واستهل شهر رمضان
بيوم الجمعة سنة ١٢٢٨)*
(وفى خامسه) يوم الثلاثاء
حضر ابن الباشا المسمى
باسمعيل من الديار الرومية
ووصل الى ساحل النيل بشبرا
وضربوا لوصوله مدافع من القلعة
وبولاق وشبرا والجيزة وتقدم
انه توجه بشارة الحرمين
واكرمته الدولة واعطوه
أطواخا (وفى عاشره) حضر
قاصد من الديار الرومية
ووصل الى ساحل النيل
وصحبته بشارة بمولودة ولدت
لحضرة السلطان فعملوا
الديوان بالقلعة واجتمع به
المشايخ والاعيان وأكابر
الدولة وقرئ الفرمان الواصل
فى شان ذلك وفى مضمونه
الامر لكافة بالفرح والسرور
وعمل الشنك وبعد الفراغ من
ذلك ضربت المدافع من ابراج
القلعة واستمر ضربها فى كل
وقت أذان خمسة ايام وهذا لم يعهد فى الدول الماضية الا للاولاد الذكور واما الاناث

ومن

فى معناه ودفن بالموصل عند فتح الكرامى رحمة الله عليهما نحو سنة ثم نقل الى المدينة
فدفن بالقرب من حرم النبى صلى الله عليه وسلم فى رباط بناه لنفسه وقال لابى القاسم
بينى وبين أسد الدين شيركوه عهد من مات منا قبل صاحبه حمله الى المدينة فدفنه بها
فى التربة التى عملها فاذا أنا مت فامض اليه وذكره فلما توفى سار أبو القاسم الى
شيركوه فى المعنى فقال له شيركوه كم تريد فقال اريد اجرة جمل يحمله وجمل يحملنى
وزادى فانتهره وقال مثل جمال الدين يحمل هكذا الى مكة واعطاه مالا صالحا يحمل
معه جماعة يحجون عن جمال الدين وجماعة يقرؤن عليه بين يدى تابوته اذا حمل واذا
نزل عن الجمل واذا وصل الى مدينة يدخل اولئك القراء ينادون للصلاة عليه فيصلى
عليه فى كل بلدة يجتاز بها واعطاه أيضا مالا للصدقة عنه فصلى عليه فى تكريت وبغداد
والحلة وفيد ومكة والمدينة وكان يجتمع له فى كل بلد من الخلق ما لا يحصى ولما أرادوا
الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على موضع مرتفع وأنشد باعلى صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادى فتثنى رماله * عليه وبالنادى فتثنى أرامله

فلم نر باكيا أكثر من ذلك اليوم فطافوا به حول الكعبة وصلوا عليه بالحرم الشريف
وبين قبره وقبر النبى صلى الله عليه وسلم خمسة عشر ذراعا وأما سيرته فكان رحمه الله
اسخى الناس واكثرهم بذلا للمال رحيما بالخلق متعطفا عليهم عادلا فيهم فمن اعماله
الحسنة انه جدد بناء مسجد الخيف بمنى وغرم عليه أموالا كثيرة جسيمة وبنى الحجر
بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وذهبها وعملها بالرخام ولما اراد ذلك ارسل الى المقتفى
لامر الله هدية جليلة وطلب منه ذلك وارسل الى الامير عيسى امير مكة هدية كبيرة
وخلعا سنية منها عمامة مشتراها بثلثمائة دينار حتى مكنه من ذلك وعمر ايضا المسجد
الذى على جبل عرفات والدرج التى يصعد فيها اليه وكان الناس يلقون شدة فى
صعودهم وعمل بعرفات أيضا مصانع للماء واجرى الماء اليها من نعمان فى طرق معمولة
تحت الارض فخرج عليها مال كثير وكان يجرى الماء فى المصانع كل سنة أيام عرفات
وبنى سورا على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى فيد وبنى لها ايضا فصيلا وكان
يخرج على باب داره كل يوم للصعاليك والفقراء مائة دينار أميرى هذا سوى الادرارات
والتعهدات للائمة والصالحين وارباب البيوت ومن ابنيته العجيبة التى لم ير الناس
مثلها الجسر الذى بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص
والكلس فقبض قبل ان يفرغ وبنى عندها ايضا جسرا كذلك على النهر المعروف
بالارماد وبنى الربط وقصده الناس من اقطار الارض ويكفيه ان ابن الجندى رئيس
أصحاب الشافعى باصفهان قصده وابن الكافى قاضى همذان فاخرج عليهما مالا
عظيما وكانت صدقاته وصلاته من اقاصى خراسان الى حدود اليمن وكان يشترى
الاسرى كل سنة بعشرة آلاف دينار هذا من الشام حسب سوى ما يشترى من الكرج
حكى لى والدى عنه قال كثيرا ما كنت ارى جمال الدين اذا قدم اليه الطعام يأخذ منه

ومن الحلوى ويتركه في خبز بين يديه فكنت انا ومن يراه نظن انه يحمله الى ام ولده على فاتفق انه في بعض السنين جاء الى الجزيرة مع قطب الدين وكنت اتولى دواتها وحمل جاريته ام ولده الى دارى لتدخل الحمام فبقيت في الدار اياما فبينما انا عنده في الخيام وقدا كل الطعام فعل كما كان يفعل ثم تفرق الناس فقمت فقال اقعد فقعدت فلما خلا المكان قال لى قد آثرتك اليوم على نفسى فانى في الخيام ما يمكننى ان افعل ما كنت افعله خذ هذا الخبز واحمله انت في كمك في هذا المنديل واترك الجماقة من راسك وعد الى بيتك فاذا رايت في طريقك فقيرا يقع في نفسك انه مستحق فاقعد انت بنفسك واطعمه هذا الطعام قال ففعلت ذلك وكان معى جمع كثير ففرقتهم في الطريق لئلا يرونى افعل ذلك وبقيت في غلمانى فرأيت في موضع انسانا اعمى وعنده اولاده وزوجته وهم من الفقر في حال شديد فنزلت عن دابتى اليهم واخرجت الطعام واطعمتهم اياه وقلت للرجل تجئ غدا بكرة الى دار فلان اعنى دارى ولم اعرفه نفسى فانى آخذ لك من صدقة جمال الدين شيئا ثم ركبت اليه العصر فلما رآنى قال ما الذى فعلت في الذى قلت لك فاخذت اذكر له شيئا يتعلق بدواتهم فقال ليس عن هذا اسالك انما اسالك عن الطعام الذى سلمته اليك فذكرت له الحال ففرح ثم قال بقى انك لو قلت للرجل يجئ اليك هو واهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجرى لهم كل شهر دنانير قال فقلت له قد قلت للرجل حتى يجئ الى فازداد فرحا وفعلت بالرجل ما قال ولم يزل يصل اليه رسمه حتى قبض وله من هذا كثير فمن ذلك انه تصدق بثيابه من على بدنه في بعض السنين التى تعذرت الاقوات فيها

(ذكر اجلاء القارغلية من وراء النهر)

كان خان خانان الصينى ملك الخطا قد فوض ولاية سمرقند وبخارا الى الخان جغرى خان بن حسن تكين واستعمله عليهما وهو من بيت الملك قديم الابوة فبقى فيهما مدبرا لامورها فلما كان الآن ارسل اليه ملك الخطا باجلاء الاتراك القارغلية من اعمال بخارا وسمرقند الى كاشغر وان يتركوا حمل السلاح ويشتغلوا بالزراعة وغيرها من الاعمال فتقدم جغرى خان اليهم بذلك فامتنعوا فالزمهم والح عليهم بالانتقال فاجتمعوا وصارت كلمتهم واحدة فكثروا وساروا الى بخارا فارسل الفقيه محمد بن عمر بن برهان الدين عبد العزيز بن مازة رئيس بخارى الى جغرى خان يعلمه ذلك ويحثه على الوصول اليهم بعساكره قبل ان يعظم شرهم وينهبوا البلاد وارسل اليهم ابن مازة يقول لهم ان الكفار بالامس لما طرقوا هذه البلاد امتنعوا عن النهب والقتل وانتم مسلمون غزاة يقبح بكم مد الايدى الى الاموال والدماء وانا ابذل لكم من الاموال ما ترضون به لتكفوا عن النهب والغارة فترددت الرسل بينهم في تقرير القاعدة وابن مازة يطاول بهم ويمادى الايام الى ان وصل جغرى خان فلم يشعر الاتراك القارغلية الا وقد دهمهم جغرى خان في جيوشه وجموعه بغتة ووضع السيف فيهم فانهزموا وتفرقوا وكثر القتل فيهم والنهب

فليس لمن ذكر (وفي ليلة الاربعاء سابع عشرينه) عمل الباشا جمعية ببيت الازبكية واحضر الاعيان والمشايخ والقضاة الثلاثة وهم بهجت افندى المنفصل عن قضاء مصر وصديق افندى المتوجه الى قضاء مكة المنفصل عن قضاء مصر العام الذى قبله والقاضى المتوجه الى المدينة فعقدوا عقد ابنه اسمعيل باشا على ابنة عارف بك التى حضرت بصحبته من الديار الرومية وعقدوا عقد اخته ابنة الباشا على محمد افندى الذى تقلد الدفترادرية ولما تم ذلك قدموا لهم تعالى بقج في كل واحدة اربع قطع من الاقمشة الهندية وهى شال كشميرى وطاقة مسجر وطاقة قطنى هندى وطاقة شاهى وفرقوا على الدون من الناس الحاضرين محارم ثم ان الباشا شرع في الاهتمام الى سفر الحجاز وتشهيل المطاليب واللوازم فمن جملة ذلك اربعون صندوقا من الصفيح المشمع داخلها بالشمع والمصطكى وبالخشب من خارج وفوق الخشب جلود البقر المدبوغ ليودع بها ماء النيل المغلى لشربه وشرب خاصته ومثلها في كل شهر يتقيد بعمل ذلك وغيره السيد المحروقى ويرسله في كل شهر

(واستهل شهر شوال بيوم الاحد سنة ١٢٢٨)

(في سابعه يوم السبت) اداروا كسوة الكعبة وكانت مصنوعة من نحو خمس سنوات وموضوعة في مكان بالمشهد

واختفى طائفة منهم في الغياض والآجام ثم ظفر بهم أصحاب جغري خان فقطعوا دابرهم ودفعوا عن بخارا ونواحيها ضررهم وخلت الارض منهم

(ذكر استيلاء سنقر على الطالقان وغرشستان)

في هذه السنة استولى الامير صلاح الدين سنقر وهو من مماليك السنجرية على بلاد الطالقان وأغار على حدود غرشستان وتابع الغارات عليها حتى ملكها فصار الولايتان له وبحكمه وله فيها حصون منيعة وقلاع حصينة وصالح الامراء الغزية وحمل لهم الاتاوة كل سنة

(ذكر قتل صاحب هراة)

كان صاحب هراة ايتكين بينه وبين الغزية هادنة فلما توفي ملك الغور محمد طمع في بلادهم فغزاهم غير مرة ونهب وأغار فلما كان في شهر رمضان من هذه السنة جمع ايتكين جموعه وسار الى بلاد الغور وساروا الى باميان والى ولاية بست والرخج فقاتله صاحبها طغرل تكين برنقش العلكي من قبل الغورية فظهروا الى باميان واستولى على بست والرخج فسلمهما الى بعض اولاد ملوك الغور وأما ايتكين فانه توغل في بلاد الغور فأتاه أهلها وقاتلوه وصدوه وصدقوه القتال فانهزم عسكره وقتل هو في المعركة

(ذكر ملك شاه مازندران قومس وبسطام)

قد ذكرنا استيلاء المؤيد صاحب نيسابور على قومس وبسطام وتلك البلاد وانه استناب بها مملوكه تنكز فلما كان هذه السنة جهز شاه مازندران جيشا واستعمل عليهم أميرا له يعرف بسابق الدين القزويني فسار الى دامغان فملكها فجمع تنكز من عنده من العساكر وسار اليه الى دامغان فخرج اليه القزويني فوصل الى تنكز على غرة منه فلم يشعر هو وعسكره الا وقد كبسهم القزويني ووضع السيف فيهم فتفرقوا وولوا منهزمين واستولى عسكر شاه مازندران على تلك البلاد وعاد تنكز الى المؤيد صاحب نيسابور واشتغل بالغارة على بسطام وبلاد قومس

(ذكر عصيان غمارة بالمغرب)

لما تحقق الناس موت عبد المؤمن سنة تسع وخمسين ثارت قبائل غمارة مع مفتاح بن عمرو وكان مقدما كبيرا وتبعوه بأجمعهم وامتنعوا في جبالهم وهي معاقل مانعة وهم أمة فتجهز اليهم أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ومعه أخواه عمر وعثمان في جيش كبير من الموحدين والعرب وتقدموا اليهم فاقتتلوا سنة احدى وستين وخمسمائة فانهزمت غمارة وقتل منهم كثير وفيمن قتل مفتاح بن عمرو مقدمهم وجماعة من أعيانهم ومقدميهم وملكوا بلادهم عنوة وكان هناك قبائل كثيرة يريدون الفتنة فانتظروا ما يكون من غمارة فلما قتلوا ذلت تلك القبائل وانقادوا للطاعة ولم يبق متحرك لفتنة ومعصية فسكنت الدهماء في جميع المغرب

(ذكر عدة حوادث)

الحسيني فاخرجوها في مستهل الشهر وقد توقفت لطول المدة فاصلحوها وجددوها وكان عليها اسم السلطان مصطفى فغيروه وكتبوا اسم السلطان محمود فاجتمع الناس للفرجة عليها وكان المباشر لها الرئيس حسن المحروقي وركب في موكبها (وفي ليلة السبت رابع عشره) خرج محمد علي باشا مسافرا الى الحجاز وكان خروجه وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور الى بركة الحاج وخرج الاعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار فأخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار وركب هو متوجها الى السويس بعد مضي ثمان ساعات وربع من النهار وبرزت الخيالة والسفاشية الى خارج باب النصر ليذهبوا على طريق البر وقبل خروج الباشا بيومين قدمت هجانة مبشرون بالقبض على عثمان المضايفي بناحية الطائف وكان قد جرد على الطائف فبرز اليه الشريف غالب وصحبته عساكر الاتراك والعربان فحاربوه وحاربهم فأصيب جواده فنزل الى الارض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه فخرج من بينهم ومشى وتباعد عنهم نحو أربع ساعات فصادفه جماعة من جند الشريف فقبضوا عليه وأصابته جراحة وعندما سقط من بين قومه ارتفع الحرب فيما بين الفريقين آخريات النهار ولما أحضروه الى الشريف جعل في رقبته الجنزير

في هذه السنة أغار الامير محمد بن أنز على بلد الاسماعيلية بخراسان وأهلها غافلون فقتل منهم وغنم واسر وسبي وأكثر وملأ أصحابه أيديهم من ذلك وفيها توفي أبو الفضل نصر ابن خلف ملك سجستان وعمره أكثر من مائة سنة ومدة ملكه ثمانون سنة وملك بعده ابنه شمس الدين ابو الفتح أحمد بن نصر وكان أبو الفضل ملكا عادلا عفيفا عن رعيته وله آثار حسنة في نصرة السلطان سنجر في غير موقف وفيها خرج ملك الروم من القسطنطينية في عساكر لا تحصى وقصد بلاد الاسلام التي بيد قلج أرسلان وابن دانشمند فاجتمع التركمان في تلك البلاد في جمع كبير فكانوا يغيرون على اطراف عسكره ليلا فاذا أصبح لا يرى أحدا وكثر القتل في الروم حتى بلغت عدة القتلى عشرات الوف فعاد الى القسطنطينية ولما عاد ملك المسلمون منه عدة حصون وفيها توفي الامام عمر الخوارزمي خطيب بلخ ومفتيها وا القاضي ابو بكر المحمودي صاحب التصانيف والاشعار وله مقامات بالفارسية على نمط مقامات الحريري بالعربية

* (ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة) *

* (ذكر وفاة شاه مازندران وملك ابنه بعده) *

في هذه السنة ثامن ربيع الاول توفي شاه مازندران رستم بن علي بن شهريار بن قارن ولما توفي كتم ابنه علاء الدين الحسن موته اياما حتى استولى على سائر الحصون والبلاد ثم اظهره فلما ظهر خبر وفاته اظهر اينانج صاحب جرجان ودهستان المنازعة لولده في الملك ولم يرع حق ابيه عليه فانه لم يزل يذب عنه ويحميه اذا التجأ اليه وامكن الملك مقيم ولم يحصل من منازعته على شئ غير سوء السمعة وقبح الاحدوثة

* (ذكر حصر المؤيد نسا ورحيلهم عنها) *

كان المؤيد قد سير جيشا الى مدينة نسا فحصروها الى جمادى الاولى من هذه السنة فسير خوارزمشاه بن ارسلان بن اتسز جيشا الى نسا فلما قاربوها رحل عنها عسكر المؤيد وعادوا الى نيسابور أواخر جمادى الاولى وسار عسكر المؤيد الى عسكر خوارزم لانهم توجهوا الى نيسابور فتقدم العسكر المؤيدي ليردوهم عنها فلما سمع العسكر الخوارزمي بهم عاد عنهم وصار صاحب نسا في طاعة خوارزمشاه والخطبة له فيها وسار عسكر خوارزم الى دهستان فالتجأ صاحبها الامير اينانج الى المؤيد صاحب نيسابور بعد تمكن الوحشة بينهما فقبله المؤيد احسن قبول وسير اليه جيشا كثيفا فاقاموا عنده حتى دفع الضرر عن نفسه وبلده من جهة طبرستان واما دهستان فان عسكر خوارزم غلبوا عليها وصار لهم فيها شحنة

* (ذكر استيلاء المؤيد على هراة) *

قد ذكرنا قتل صاحب هراة سنة تسع وخمسين فلما قتل تجهز الامراء الغزية وساروا الى هراة وحصروها وقد تولى امرها انسان يلقب اثير الدين وكان له ميل الى الغز وهو يحاربهم ظاهرا ويراسلهم باطنا فهلك لهذا السبب خلق كثير من أهل هراة فاجتمع

والمضايفي هذا زوج اخت الشريف وخرج عنه وانضم الى الوهابيين فكان اعظم اعوانهم وهو الذى كان يحارب لهم ويقاتل ويجمع قبائل العربان ويدعوهم عدة سنين ويوجه السرايا على المخالفين وغامره واشتهر لذلك ذكره في الاقطار وهو الذى كان افتتح الطائف وحاربها وحاصرها وقتل الرجال وسبي النساء وهدم قبة ابن عباس الغريبة الشكل والوصف وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب في العام الماضي بناحية الصفراء والجديدة وهزمهم وشتت شملهم ولما قبضوا عليه احضروه الى جدة واستمر في الترسيم عند الشريف ليأخذ بذلك وجاهة عند الاتراك الذى هو على ملتهم ويتحقق لديهم نصحه لهم ومسالمته اياهم وسيلقى قريبا منهم جزاء فعله ووبال امره كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل

* (واستهل شهر ذي القعدة بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٨) (وفي أوائله) وردت أخبار من الجهة الرومية بان عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من ايدي طائفة الصرب وكانوا استولوا عليها نيفا واربعين سنة والله اعلم بصحة ذلك (وفيه عزل) محمود حسن من الحسبة وتقلدها عثمان اغا المعروف بالورداني (وفي خامس عشره) وصل عثمان المضايفي صحبة المتسفرين معه الى الريدانية آخر الليل واشيع ذلك فلما طلعت الشمس ضربوا مدافع من

اليه اهلها فقتلوه وقام مقامه ابو الفتوح بن على بن فضل الله الطغرائى فارسل اهلها الى المؤيد اى ابه صاحب نيسابور بالطاعة والانقياد اليه فسير اليهم مملوكه سيف الدين تنكز فى جيش وسير جيشا آخر فاغاروا على سرخس ومرو فأخذوا دواب الغز وعادوا سالمين فلما سمع الغز بذلك رحلوا عن هراة الى مرو

(ذكر الحرب بين قلج ارسلان و بين ابن الدانشمند)

فى هذه السنة كانت الفتنة بين الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية وما يجاورها من بلاد الروم و بين ياغى ارسلان بن دانشمند صاحب ملطية وما يجاورها من بلاد الروم وجرى بينهما حرب شديدة وسببها ان قلج ارسلان تزوج ابنة الملك صلتق بن على بن ابى القاسم فسيرت الزوجة الى قلج ارسلان مع جهاز كثير لا يعلم قدره فاغار ياغى صاحب ملطية عليه واخذ العروس وما معها واراد ان يزوجها بابن أخيه ذى النون بن محمد بن دانشمند فامرها بالردة عن الاسلام فتزوجها من ابن اخيه فجمع قلج ارسلان عسكره وسار الى ابن دانشمند فالتقيا واقتتلا فانهزم قلج ارسلان والتجأ الى ملك الروم واستنصره فارسل اليه جيشا كثيرا فمات ياغى ارسلان بن دانشمند فى تلك الايام وملك قلج ارسلان بعض بلاده واصطلح هو والملك ابراهيم بن محمد ابن دانشمند لانه ملك البلاد بعده بعد ياغى ارسلان واستولى ذو النون بن محمد بن دانشمند على مدينة قيسارية وملك شاهان شاه بن مسعود أخو قلج ارسلان على مدينة انكورية واستقرت القواعد بينهم واتفقوا

(ذكر الفتنة بين نور الدين وقلج ارسلان)

فى هذه السنة كانت وحشة متأكدة بين نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وبين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب الروم أدت الى الحرب والتضاغن فلما بلغ خبرها الى مصر كتب الصالح بن رزيك وزير صاحب مصر الى قلج ارسلان ينهاه عن ذلك ويأمره بموافقته وكتب فيه شعرا

نقول ولكن اين من يتفهم * ويعلم وجه الرأى والرأى مبهم
وما كل من قاس الامور وساسها * يوفق للامر الذى هو أحزم
وما احد فى الملك يبقى مخلدا * وما احد مما قضى الله يسلم
امن بعد ما ذاق العدا طعم حربكم * بفيهم وكانت وهى صاب وعلقم
رجعتم الى حكم التنافس بينكم * وفيكم من الشحناء نار تضرم
اما عندكم من يتقى الله وحده * اما فى رعايا كم من الناس مسلم
تعالوا لعل الله ينصر دينه * اذا ما نصرنا الدين نحن وانتم
وننهض نحو الكافرين بعزمة * بامثالها تحوى البلاد وتقسم

وهى اطول من هذا هكذا ذكر بعض العلماء هذه الحادثة وان الصالح ارسل بهذا الشعر فان كان الشعر للصالح فينبغى ان تكون الحادثة قبل هذا التاريخ ويحتمل ان

القلعة الا ماوشهر ورا بوصوله اسيرا وركب صالح بك السلحدار فى عدة كبيرة وخرجوا لملاقاته واحضاره فلما واجهه صالح بك نزع من عنقه الحديد واركبه هجينا ودخل به الى المدينة وامامه الجاويشية وانقواسة الاتراك و بايديهم العصى المفضضة وخلفه صالح بك وطوائفه وطلعوا به الى القلعة وادخله الى مجلس كتخدا بك وصحبته حسن باشا وطاهر باشا و باقى الاعيان ونجيب افندى قبى كتخدا الباشا ووكيله بباب الدولة وكان متأخرا عن السفر ينتظر قدوم المضايفى ليأخذه بصحبته الى دار السلطنة فلما دخل عليهم اجلسوه معهم اخذ ثوه ساعة وهو يجيبهم من نفس كلامهم باحسن خطاب وافصح جواب وفيه سكون وتؤدة فى الخطاب وظاهر عليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال الجماعة لبعضهم البعض يا اسفا على مثل هذا اذا ذهب الى اسلامبول يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم حصة ثم احضروا الطعام فواكلهم ثم اخذه كتخدا بك الى منزله فاقام عنده مكرما ثلاثا حتى تمم نجيب افندى اشغاله فاركبوه وتوجهوا به الى بولاق وانزلوه فى السفينة مع نجيب افندى ووضعوا فى عنقه الجنزير وانحدروا طالبين الديار الرومية وذلك يوم الاثنين حادى عشرينه (وفى اواخره) اوصلت اخبار بان مسعود الوهابى ارسل

ان يكون هذا التنافس كان ايام الصالح فكتب الابيات ثم امتد الى الآن

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى صفر وقع فى اصفهان فتنة عظيمة بين صدر الدين عبد اللطيف بن الخجندى وغيره من اصحاب المذاهب بسبب التعصب للمذاهب فدام القتال بين الطائفتين ثمانية ايام متتابعة قتل فيها خلق كثير واحترق وهدم كثير من الدور والاسواق ثم افترقوا على اقبح صورة وفيها ابتنى الاسماعيلية قلعة بالقرب من قزوين فقيل لشمس الدين ايلدكز عنها فلم يكن له انكار لهذه الحال خوفا من شرهم وفتالتهم فتقدموا بعد ذلك الى قزوين فحصروها وقاتلهم اهلها اشد قتال رآه الناس وحكى لى بعض اصدقائنا بل مشايخنا من الائمة الفضلاء قال كنت بقزوين اشتغل بالعلم وكان بها انسان يقود جمعا كبيرا وكان موصوفا بالشجاعة وله عصابة حمراء اذا قاتل عصب بها رأسه قال فكنت احبه واشتهى الجلوس معه قال فبينما انا عنده يوما واذا هو يقول كانى بالملاحدة وقد قصدوا البلد غدا فخرجنا اليهم وقاتلناهم فكنت اول الناس وانا متعصب بهذه العصابة فقاتلناهم فلم يقتل غيرى ثم ترجع الملاحدة ويرجع اهل البلد قال فوالله لما كان الغد اذ قد وقع الصوت بوصول الملاحدة فخرج الناس قال فذكرت قول الرجل فخرجت والله وليس لى همة الا انى انظر هل يصح ما قال أم لا قال فلم يكن الا قليل حتى عاد الناس وهو محمول على ايديهم قتيلا بعصابته الحمراء وذكروا انه لم يقتل بينهم غيره فبقيت متعجبا من قوله كيف صح ولم يتغير منه شئ ومن اين له هذا اليقين ولما حكى لى هذه الحكاية لم اساله عن تاريخها وانما كان فى هذه المدة فى تلك البلاد فلهذا اثبتها هذه السنة على الظن والتخمين وفيها قبض المؤيد اى ابه صاحب نيسابور على وزيره ضياء الملك محمد بن ابى طالب سعد بن ابى القاسم محمود الرازى وحبسه واستوزر بعده نصير الدين ابا بكر محمد بن ابى نصر محمد المستوفى وهو من اعيان الدولة السنجرية وفى هذه السنة وردت الاخبار ان الناس حجوا سنة تسع وخمسين ولقوا شدة وانقطع منهم خلق كثير فى فيد والثعلبية وواقصة وغيرها وهلك كثير ولم يمض الحجاج الى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الاسباب ولشدة الغلاء فيها وعدم ما يقتات ووقع الوباء فى البادية وهلك منهم عالم لا يحصون وهلكت مواشيهم وكانت الاسعار بمكة غالية وفيها فى صفر قبض المستنجد بالله على الامير توبة بن العقيلى وكان قد قرب منه قربا عظيما بحيث يخلو معه واحبه المستنجد محبة كثيرة فحسده الوزير ابن هبيرة فوضع كتبا من العجم مع قوم وامرهم ان يتعرضوا فيؤخذوا ففعلوا ذلك واخذوا واحضروا عند الخليفة فاظهروا الكتب بعد الامتناع الشديد فلما وقف الخليفة عليها خرج الى نهر الملك يتصيد وكانت حلل توبة على الفرات فحضر عنده فامر بالقبض عليه فقبض وادخل بغداد ليلا وحبس فكان آخر العهد به فلم يمتع الوزير بعده بالحياة بل مات بعد ثلاثة اشهر وكان توبة من اكمل العرب مروءة وعقلا وسخاء واجازة

قصادا من عارفه الى ناحية جدة فتقابلوا طوسون باشا والشريف غالب خلع عليهم واخذهم الى ابيه فخاطبهم وسالهم عما جاؤا فيه فقالوا الامير سعود الوهابى يطلب الافراج عن المضايق ويفتديه بمائة الف فرانسه وكذلك يريد اجراء الصلح بينه وبينكم وكف القتال فقال لهم فانه سافر الى الدولة واما الصلح فلا نأباه بشروط وهو ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من اول ابتداء الحرب الى وقت تاريخه وان يأتى بكل ما اخذه واستلمه من الجواهر والذخائر التى كانت بالحجرة الشريفة وكذلك ثمن ما استهلك منها وان يأتى بعد ذلك ويتلاقى معى ونتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك وان ابى ذلك ولم يات فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا اكتب جوابا لانه لم يرسل معكم جوابا ولا كتابا وكما ارسلكم بمجرد الكلام فعودوا اليه كذلك فلما اصبح الصباح وقت انصرافهم امر باجتماع العساكر فاجتمعوا ونصبوا ميدان الحرب والرمى المتتابع من البنادق والمدافع ليشاهد الرسل ذلك ويروه ويخبروا عنه مرسلهم

(واستهل شهر ذى الحجة الحرام بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٨)*

(فى ليلة الاحد تاسع عشره) وقعت كائنة لطيف باشا وذلك ان المذكور مملوك الباشا اهداه له عارف بك وهو عارف افندى ابن خليل باشا المنفصل عن قضاء مصر

واجتمع فيه من خلال الكمال ما تفرق فى الناس وفيها فى ربيع الاول توفى الشهاب محمود بن عبد العزيز الحامدى الهروى وزير السلطان ارسلان ووزير اتابك شمس الدين ايلدكز وفيها توفى عون الدين الوزير ابن هبيرة واسمه يحيى بن محمد بن المظفر وزير الخليفة وكان موته فى جمادى الاولى ومولده سنة تسعين واربعمائة ودفن بالمدرسة التى بناها للحنابلة بباب البصرة وكان حنبلى المذهب دينا خيرا عالما يسمع حديث النبى صلى الله عليه وسلم وله فيه التصانيف الحسنة وكان ذا رأى سديد ونافق على المقتفى نفاقا عظيما حتى ان المقتفى كان يقول لم يزر لبنى العباس مثله ولما مات قبض على اولاده واهله وتوفى بهذه السنة محمد بن سعيد البغدادى بالموصل وله شعر حسن فمن قوله

افدى الذى وكلنى حبه * بطول اعلالى وامراضى
ولست ادرى بعد ذا كله * اساخط مولاى ام راضى

وفيها توفى الشيخ الامام ابو القاسم عمر بن عكرمة بن البزرى الشافعى تفقه على الفقيه الكيا الهراسى وكان واحد عصره فى الفقه تاتيه الفتاوى من العراق وخراسان وسائر البلاد وهو من جزيرة ابن عمر

* (ثم دخلت سنة احدى وستين وخمسمائة) *

* (ذكر فتح المنيطرة من الفرنج) *

فى هذه السنة فتح نور الدين محمود بن زنكى حصن المنيطرة من الشام وكان بيد الفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكره وانما سار اليه جريدة على غرة منهم وعلم انه ان جمع العساكر حذروا فسار اليه جريدة وانتهز الفرصة وحصره وجد فى قتاله فاخذه عنوة وقهرا وقتل من بها وسبى وغنم غنيمة كثيرة فان الذين به كانوا آمنين فاخذتهم خيل الله بغتة وهم لا يشعرون ولم يجتمع الفرنج لدفعه الا وقد ملكه ولو علموا انه جريدة فى قلة من العساكر لاسرعوا اليه وانما ظنوه انه فى جمع كثير فلما ملكه تفرقوا وايسوا من رده

* (ذكر قتل خطلوبرس مقطع واسط) *

فى هذه السنة قتل خطلوبرس مقطع واسط قتله ابن اخى شملة صاحب خوزستان وسبب ذلك ان ابن شنكا وهو ابن اخى شملة كان قد صاهر منكبرس مقطع البصرة فاتفق ان المستنجد بالله قتل منكبرس سنة تسع وخمسين وخمسمائة فلما قتل قصد ابن شنكا البصرة ونهب قراها فارسل من بغداد الى كمشتكين صاحب البصرة بحاربه ابن شنكا فقال انا عامل لست بصاحب جيش يعنى انه ضامن لا يقدر على اقامة عسكر فطمع ابن شنكا واصعد الى واسط ونهب سوادها فجمع خطلوبرس مقطعها جمعا وخرج الى قتاله وكاتب ابن شنكا الامراء الذين مع خطلوبرس فاستمالهم ثم قاتلهم فانهزم عسكره فقتله واخذ ابن شنكا علم خطلوبرس فنصبه فلما رآه اصحابه

ظنوه

نحو خمس سنوات واختص به الباشا واحبه ورقاه فى الخدم والمناصب الى ان جعله الخشار اغاسى اى صاحب المفتاح وصار له حرمة زائدة وكلمة فى باب الباشا وشهرة فلما حصلت النصرة للعسكر واستولوا على المدينة واتوا بمفاتيح زعموا انها مفاتيح المدينة كان هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة وارسلوا صحبته مضيان الذى كان مقام ابا المدينة ولما وصل الى دار السلطنة ووصلت اخباره احتفل اهل الدولة بشأنه احتفالا زائدا ونزلوا لملاقاته فى المراكب فى مسافة بعيدة ودخلوا الى اسلامبول فى موكب جليل وابهة عظيمة الى الغاية ومشت اعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركبانا وكان يوم دخوله يوما مشهودا وقتلوا مضيان المذكور فى ذلك اليوم وعلقوه على باب السراية وعملوا شنانك ومدافع وافراحا وولائم وانعم السلطان على لطيف المذكور واعطاه اطواخا وارسل اليه اعيان الدولة الهدايا والتحف ورجع الى مصر فى ابهة زائدة وداخله الغرور وتعاظم فى نفسه ولم يحتفل الباشا بامره وكذلك اهل دولته لكونه من جنس المماليك وايضا قد ثبتت عداوتهم فى نفوسهم وكراهتهم له اشد من كراهتهم لابناشنا وخصوصا كتخدا بك فانه اشد الناس عداوة وبغضا فى جنس المماليك وطفق يلقى لمخدومه ما يغير خاطره عليه

ومنها انه يضم اليه اجناسه من المماليك البطالين ليكونوا عزوته

ظنوه باقيا فعلوا يعودون اليه وكل من رجع اخذه ابن شنكا فقتله او اسره •

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة خرج الكرج في جمع كثير واغاروا على بلدان حتى بلغوا كنجة فقتلوا واسروا وسبوا كثيرا ونهبوا اموالا لا تحصى وفيها توفي الحسن بن العباس بن رستم ابو عبد الله الاصفهاني الرستمي الشيخ الصالح وهو مشهور ويروي عن احمد بن خلف وغيره وفيها في ربيع الآخر توفي الشيخ عبد القادر بن ابي صالح ابو محمد الجيلي المقيم ببغداد ومولده سنة سبعين واربعمائة وكان من الصلاح على حال وهو حنبلي المذهب ومدرسته ورباطه مشهوران ببغداد

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وخمسمائة)

(ذكر عود اسد الدين شيركوه الى مصر)

قد ذكرنا سنة تسع وخمسين وخمسمائة مسير اسد الدين شيركوه الى مصر وما كان منه وقفوله الى الشام فلما وصل الى الشام أقام على حاله في خدمة نور الدين الى الآن وكان بعد عوده منها لا يزال يتحدث بها وبقصدها وكان عنده من الحرص على ذلك كثير فلما كان هذه السنة تجهز وسار في ربيع الآخر في جيش قوي وسير معه نور الدين جماعة من الامراء فبلغت عدتهم الفي فارس وكان كارها لذلك ولكن لما رأى جد اسد الدين في المسير لم يمكنه الا ان يسير معه جمعا خوفا من حادث يتجدد عليهم فيضعف الاسلام فلما اجتمع معه عسكره سار الى مصر على البر وترك بلاد الفرنج على يمينه فوصل الديار المصرية فقصد اطفيح وعبر النيل عندها الى الجانب الغربي ونزل بالجيزة مقابل مصر وتصرف في البلاد الغربية وحكم عليها واقام نيفا وخمسين يوما وكان شاور لما بلغه مجيء اسد الدين اليهم قد ارسل الى الفرنج يستنجدهم فاتوه على الصعب والذلول طمعا في ملكها وخوفا ان يملكها اسد الدين فلا يبقى لهم في بلادهم مقام معه ومع نور الدين فالرجاء يقودهم والخوف يسوقهم فلما وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب الغربي وكان اسد الدين وعساكره قد ساروا الى الصعيد فبلغ مكانا يعرف بالبابين وسارت العساكر المصرية والفرنج وراءه فادركوه بها في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة وكان ارسل الى المصريين والفرنج جواسيس فعادوا اليه واخبروه بكثرة عددهم وعددهم وجدهم في طلبه فعزم على قتالهم الا انه خاف من اصحابه ان تضعف نفوسهم عن القتال في هذا المقام الخطر الذي عطبهم فيه اقرب من سلامتهم لقلة عددهم وبعدهم عن اوطانهم وبلادهم وخطر الطريق فاستشارهم فكلهم اشاروا عليه بعبور النيل الى الجانب الشرقي والعود الى الشام وقالوا ان نحن انهزمنا وهو الذي يغلب على الظن فالى اين نلتجئ وبمن نحتمي وكل من في هذه الديار من جندي وعامي وفلاح عدو لنا فقام امير من مماليك نور الدين يقال له شرف الدين برغش صاحب شقيف وكان شجاعا وقال من يخاف القتل والاسر فلا يخدم الملوك بل يكون في بيته مع امراته والله لئن عدنا الى نور

ويغترون به بحيث ان الباشا فوض اليه الامر ان ظهر منه شيء في غيابه وسافر الباشا في اثر ذلك واستمر لطيف باشا مع الجماعة في صلف وهم يحدقون عليه ويرصدون حركاته ويتوقعون ما يوجب الايقاع به وهو في غفلة وتيه لا يظن بهم سوا فطلب من الكتخدا الزيادة في رواتبه وعلائفه لسعة دائرته وكثرة حواشيه ومصاريفه فقال له الكتخدا انا لست صاحب الامر وقد كان هنا ولم يزدك شيئا فراسله وكاتبه فان امر بشيء فانا لا اخالف ما يامر به وتزايد هو والحاضرون في الكلام والمفاقة ففارقهم على غير حالة ونزل الى داره وارسل في العشية الى مماليك الباشا يحضروا اليه في الصباح ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة واسر اليهم ان يصحبوا ما خف من متاعهم واسلحتهم فلما اصبحوا استعدوا كما اشار اليهم وشدوا خيولهم ووصل خبرهم الى الكتخدا فطلب كبيرهم وساله فاخبره ان لطيف باشا طلبهم ليعمل معهم رماحة فقال ان هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة ومنعهم من الركوب وفي الحال احضر حسن باشا وطاهر باشا واحمد اغا المسمى بونابارته الخازندار

 وصالح بك السلحدار وابراهيم أغا أغات الباب ومحو بك وخلافهم ودبوس اوغلى

الدين من غير غلبة ولا بلاء نعتذر فيه اياخذون مالنا من اقطاع وجامكية وليعودن علينا
بجميع ما اخذناه منذ خدمناها الى يومنا هذا او يقول تاخذون اموال المسلمين وتفرون عن
عدوهم وتسلمون مثل مصر الى الكفار والحق بيده فقال اسد الدين هذا الرأى وبه
اعمل وقال ابن اخيه صلاح الدين مثله وكثر الموافقون لهم واجتمعت الكلمة على
القتال فاقام بمكانه حتى ادركه المصريون والفرنج وهو على تعبية وجعل الاثقال فى
القلب يتكثر بها ولانه لم يمكنه ان يتركها بمكان آخر فينهبها اهل البلاد وجعل صلاح
الدين فى القلب وقال له ولمن معه ان المصريين والفرنج يجعلون حملتهم على القلب ظنا
منهم انى فيه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا تهلكوا نفوسكم واندفعوا قدامهم
بين ايديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا فى اعقابهم واختار هو من شجعان عسكره جمعا
يثق بهم ويعرف صبرهم فى الحرب ووقف بهم فى الميمنة فلما تقاتل الطائفتان فعل
الفرنج ما ذكره وحملوا على القلب فقاتلهم من به قتالا يسيرا وانهزموا بين ايديهم غير
متفرقين ومعهم الفرنج فحمل حينئذ اسد الدين فيمن معه على من تخلف من الذين حملوا
من المسلمين والفرنج الفارس والراجل فهزمهم ووضع السيف فيهم فاثخن واكثر القتل
والاسر فلما عاد الفرنج من اثر المسلمين رأوا عسكرهم مهزوما والارض منهم قفرا
فانهزموا ايضا وكان هذا من اعجب ما يؤرخ ان الفى فارس تهزم عساكر مصر وفرنج
الساحل

(ذكر ملك اسد الدين الاسكندرية وعوده الى الشام)

لما انهزم المصريون والفرنج من اسد الدين بالبابين سار الى ثغر الاسكندرية وجبى ما فى
القرى على طريقه من الاموال ووصل الى الاسكندرية فتسلمها بمساعدة من اهلها
سلموها اليه فاستناب بها صلاح الدين ابن اخيه وعاد الى الصعيد فملكه وجبى امواله
واقام به حتى صام رمضان واما المصريون والفرنج فانهم عادوا واجتمعوا على القاهرة
واصلحوا حال عساكرهم وجمعوا وساروا الى الاسكندرية فحصروا صلاح الدين بها
واشتد الحصار وقل الطعام على من بها فصبر اهلها على ذلك وسار اسد الدين من الصعيد
اليهم وكان شاور قد افسد بعض من معه من التركمان فوصل رسل الفرنج والمصريين
يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين الف دينار سوى ما اخذه من البلاد فاجاب الى ذلك
وشرط على الفرنج ان لا يقيموا بالبلاد ولا يملكوا منها قرية واحدة فاجابوا الى ذلك
واصطلحوا وعادوا الى الشام وتسلم المصريون الاسكندرية فى نصف شوال ووصل
شيركوه الى دمشق ثامن عشر ذى القعدة واما الفرنج فانهم استقر بينهم وبين المصريين
ان يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون ابوابها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من انفاذ
عسكر اليهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة الف دينار هذا كله استقر مع
شاور فان العاضد لم يكن له معه حكم لانه قد حجر عليه وحجبه عن الامور كلها وعاد الفرنج
الى بلادهم بالساحل الشامى وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم وكان الكامل

واسمعيل باشا ابن الباشا ومحمود بك الدويدار وتوافق الجميع على الايقاع به وارادوه يوم السبت مجتمعين
وقد بلغه الخبر واخذوا عليه
الطرق وارسلوا يطلبونه
للحضور فى مجلسهم فامتنع
وقال ما المراد من حضورى
فنزل اليه دبوس اوغلى وخدعه
فلم يقبل فركب وعاد اليه
ثانيا يامره بالخروج من مصر
ان لم يحضر مجلسهم فقال
اما الحضور فلا يكون واما
الخروج فلا اخالف فيه بشرط
ان يكون بكفالة حسن باشا
او طاهر باشا فانى لا آمن ان
يتبعونى ويقتلونى خصوصا
وقد اوقفوا بجميع الطرق
ففارقه دبوس اوغلى فتحير
فى امره وامر بشد الخيول واراد
الركوب فلم يتسع له
ذلك ولم يزل فى نقض وابرام
الى الليل فشركوا الجهات
وابواب المدينة ايضا بالعساكر
وكثر جمعهم بالقلعة وابوابها
وفى تاسع ساعة من الليل نزل
حسن باشا ومحمود بك فى نحو
الالفين من العسكر واحتاطوا
بداره بسويقة العزى وقد
اغلق داره فصاروا يضربون
عليه بالبنادق والقرابين الى
آخر الليل فلما اعياهم ذلك
هجموا على دور الناس التى
حوله وتسلقوا عليه من
الاسطحة ونزلوا الى سطح
داره وقتلوا من صادفوه من
عسكره واتباعه واختفى هو
فى مخبأة اسفل الدار ومعه ستة
اشخاص من الجوارى ومملوك واحد وعلم بمكانهم اغات الحريم فداروا بالدار يفتشون عليه

شجاع

فلم يجدوه فنهبوا جميع ما في الدار ولم يتركوا بها شيئا وسبوا الحريم والجواري والمماليك والعبيد وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ودور حواشيه وهم نيف وعشرون دارا حتى حوانيت الباعة وغيرهم التي بالخطة ودار علي كتخدا اصالح الفلاح هذا ما جرى بتلك الناحية وباقي نواحي المدينة لا يدرون بشئ من ذلك الا انهم لما طلع نهار يوم الاحد وخرج الناس الى الاسواق والشوارع وجدوا العساكر مائجة وابواب البلد مغلقة وحولها العساكر مجتمعة ومنهم من يعدو ومعه شئ من المنهوبات فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوي التي من عادتهم التبكير بفتحها وظنوا ظنا واستمر لطيف باشا بالمخباة الى الليل واشتد به الخوف وتيقن ان العبيد الطواشي سينم عليه ويعرفهم بمكانه فلما اظلم الليل وفرغوا من النهب والتفتيش وخلا المكان خرج من المخباة بمفرده ونط من الاسطحة حتى خلص الى دار خازنداره وصحبته كبير عسكره وآخر يسمى يوسف كاشف دياب من بقايا الاجناد المصرية وباتوا بقية تلك الليلة ويوم الاثنين والكتخدا واهل دولته يدأبون في الفحص والتفتيش عليه ويتهمون كثيرا من الناس بمعرفة مكانه ومحمود بك داره بالقرب من داره اوقف اشخاصا من عسكره على الاسطحة ليلا ونهارا للرصد وكان المذكور له اعة قاد في شخص يسمى حسن افندي الليلي

شجاع بن شاور قد ارسل الى نور الدين مع بعض الامراء ينهي محبته وولاءه ويسأله الدخول في طاعته وضمن على نفسه انه يفعل هذا ويبذل مالا يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك وحمل اليه مالا جزيلا فبقي الامر على ذلك الى ان قصد الفرنج مصر سنة اربع وستين وخمسمائة فكان ما نذكره هناك ان شاء الله تعالى

❁(ذكر ملك نور الدين صافيثا وعريمة)❁

في هذه السنة جمع نور الدين العساكر فسار اليه اخوه قطب الدين من الموصل وغيره فاجتمعوا على حمص فدخل نور الدين بالعساكر بلاد الفرنج فاجتازوا على حصن الاكراد فاغاروا ونهبوا وقصدوا عرقة فنازلوها وحصروها وحصروا حلبة واخذوها وخربوها وسارت عساكر المسلمين في بلادهم يمينا وشمالا تغير وتخرب البلاد وفتحوا العريمة وصافيثا وعادوا الى حمص فصاموا بها رمضان ثم ساروا الى بانياس وقصدوا حصن هونين وهو للفرنج ايضا من امنع حصونهم ومعاقلهم فانهزم الفرنج عنه واحرقوه فوصل نور الدين من الغد فهدم سوره جميعه واراد الدخول الى بيروت فتجدد في العسكر خلف اوجب التفرق فعاد قطب الدين الى الموصل واعطاه نور الدين مدينة الرقة على الفرات وكانت له فاخذها في طريقه وعاد الى الموصل

❁(ذكر قصد ابن سنكا البصرة)❁

في هذه السنة عاود ابن سنكا قصد البصرة ونهب بلدها وخربه من الجهة الشرقية وسار الى مطارا فخرج اليه كمشتكين صاحب البصرة وواقعه فاجتمع بشرف الدين ابي جعفر بن البلدي الناظر فيها ووقعهما مقطعهما ارغش واتصلت الاخبار بان ابن سنكا واصل الى واسط فخاف الناس منه خوفا شديدا فلم يصل اليها

❁(ذكر قصد شملة العراق)❁

في هذه السنة وصل شملة صاحب خوزستان الى قلعة الماهكي من اعمال بغداد وارسل الى الخليفة المستنجد بالله يطلب شيئا من البلاد ويشتط في الطلب فسير الخليفة اكثر عساكره اليه يمنعوه وارسل اليه يوسف الدمشقي يلومه ويحذره عاقبة فعله فاعتذر بان ايلدكز والسلطان ارسلا نشاه اقطعا الملك الذي عنده وهو ولد ملكشاه البصرة وواسط وعرض التوقيع بذلك وقال انا اقنع بثلث ذلك فعاد الدمشقي بذلك فامر الخليفة بلعنه وانه من الخوارج وجمعت العساكر وسيرت الى ارغش المسترشدي وكان بالنعمانية هو وشرف الدين ابو جعفر بن البلدي ناظر واسط مقابل شملة ثم ان شملة ارسل قلج ابن اخيه في طائفة من العسكر لقتال طائفة من الاكراد فركب ارغش في بعض العسكر الذي عنده وسار الى قلج فحاربه فاسر قلج وبعض اصحابه وسيرهم الى بغداد وبلغ شملة وطلب الصلح فلم تقع الاجابة اليه ثم ان ارغش سقط عن فرسه بعد الوقعة فمات وبقي شملة مقيما مقابل عسكر الخليفة فلما علم انه لا قدرة له عليهم رحل وعاد الى بلاده وكانت مدة سفره اربعة اشهر

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة عصى غازى بن حسان المنبجى على نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام وكان نور الدين قد اقطعه مدينة منبج فامتنع عليه فيها فسير اليه عسكرا فحصروه واخذوها منه واقطعها نور الدين اخاه قطب الدين ينال بن حسان وكان عادلا خيرا محسنا الى الرعية جميل السيرة فبقى فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وفيها توفى فخر الدين ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا وآمد ديار بكر ولما اشتد مرضه ارسل الى نور الدين محمود صاحب الشام يقول له بيننا صحبة فى جهاد الكفار واريد ان ترعى اولادى ثم توفى وملك بعده ولده محمد فقام نور الدين الشامى بنصرته والذب عنه بحيث ان أخاه قطب الدين مودود صاحب الموصل اراد قصد بلاده فارسل اليه اخوه نور الدين يمنعه ويقول له ان قصدته أو تعرضت الى بلاده منعتك قهرا فامتنع من قصده وفيها توفى ابو المعالى محمد ابن الحسين بن حمدون الكاتب ببغداد وكان على ديوان الزمام فقبض عليه فمات محبوسا وفيها توفى قماج المسترشدى ولد الامير يزدن وهو من أكابر الامراء ببغداد

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة)

(ذكر فراق زين الدين الموصل وتحكم قطب الدين فى البلاد)

فى هذه السنة فارق زين الدين على بن بكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكى صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم فى الدولة واكثر البلاد بيده منها اربل وفيه بيته واولاده وخزائنه ومنها شهرزور وجميع القلاع التى معها وجميع بلد الهكارية وقلاعه منه العمادية وغيرها وبلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل هو بها وكان قد اصابه طرش وعمى أيضا فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته باربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقى معه اربل حسب وكان شجاعا عاقلا حسن السيرة سليم القلب ميمون النقيبة لم ينهزم من حرب قط وكان كريما كثير العطاء للجند وغيرهم مدحه الحيص بيص بقصيدة فلما اراد ان ينشد قال أنا لا أعرف ما يقول ولكنى اعلم انه يريد شيئا فامر له بخمسمائة دينار وفرس وخلعة مجموع ذلك ألف دينار ولم يزل باربل الى ان مات بها بهذه السنة ولما فارق زين الدين قلعة الموصل سلمها قطب الدين الى فخر الدين عبد المسيح وحكمه فى البلاد فعمر القلعة وكانت خرابا لان زين الدين كان قليل الالتفات الى العمارة وسار عبد المسيح سيرة سديدة وسياسة عظيمة وهو خصى أبيض من مماليك زنكى اتابك عماد الدين

(ذكر الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة)

فى هذه السنة أرسل آقسنقر الاحمديلى صاحب مراغة الى بغداد يسال ان يخطب للملك الذى هو عنده وهو ولد السلطان محمد شاه ويبذل انه لا يطأ ارض العراق ولا يطلب شيئا

والباب لفظ تركى علم على المحمص الجوهر اى المقلى ومن شان حسن افندى هذا انه رجل درويش يدخل الى بيوت الاعيان والاكابر من الناس الاتراك وغيرهم وفى جيوبه من ذلك المحمص فيفرق على اهل المجلس منه ويلاطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ويعرف باللغة التركية ويجانس الفريقين فمن اعطاه شيئا اخذه ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئا وبعضهم يقول له انظر ضميرى اوفالى فيعد على سبحته ازواجا وافرادا ثم يقول ضميرك كذا وكذا فيضحكون منه فوشى بحسن افندى هذا الى كتخدا بك وباقى الجماعة بانه كان يقول لطيف باشا انه يلى سيادة مصر واحكامها ويقول له هذا وقت انتهاز الفرصة فى غيبة الباشا ونحو ذلك وجسموا الدعوى وانه كان يعتقد صحة كلامه ويزوره فى داره ورتب له ترتيبا واشاعوا انه اراد ان يضم اليه اجناس المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ويعطيهم نفقات ويريد اثارة فتنة ويقتال الكتخدا بك وحسن باشا وامثالهما على حين غفلة ويملك القلعة والبلد وان الباجى يغريه على ذلك وكل وقت يقول له جاء وقتك ونحو ذلك من الكلام الذى المولى جل جلاله اعلم بصحته فارسل كتخدا بك الى الباجى فحضر بين يديه فى يوم الاثنين فسأله عنه فقال لا ادرى فقال

غيرذلك وبذل مالا يحمله اذا اجيب الى ما التمسه فاجيب بتطييب قلبه وبلغ الخبر ايلدكز صاحب البلاد فساءه ذلك وجهز عسكرا كثيفا وجعل المقدم عليهم ابنه البهلوان وسيرهم الى آقسنقر فوقعت بينهم حرب اجلت عن هزيمة آقسنقر وتحصنه بمراغة ونازله البهلوان وحصره وضيق عليه ثم ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا وعاد البهلوان الى أبيه بهمذان

●(ذكر عدة حوادث)●

في هذه السنة استوزر الخليفة المستنجد بالله شرف الدين أبا جعفر أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي وكان ناظر ابواسط ابان في ولايتها عن كفاية عظيمة فاحضره الخليفة واستوزره وكان عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء قد تحكم تحكما عظيما فتقدم الخليفة الى ابن البلدي بكف يده وايدي اهله واصحابه ففعل ذلك ووكل بتاج الدين اخي استاذ الدار وطالبه بحساب نهر الملك لانه كان يتولاه من أيام المقتفي وكذلك فعل بغيره فحصل بذلك اموال جمة وخاف استاذ الدار على نفسه فحمل مالا كثيرا وفي هذه السنة توفي عبد الكريم بن محمد بن منصور ابو سعد بن ابي المظفر السمعاني المروزي الفقيه الشافعي وكان مكثرا من سماع الحديث سافر في طلبه وسمع منه ما لم يسمعه غيره ورحل الى ما وراء النهر وخراسان دفعات ودخل الى بلد الجبل واصفهان والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد وله التصانيف المشهورة منها ذيل تاريخ بغداد وتاريخ مدينة مرو وكتاب النسب وغير ذلك احسن فيها ما شاء وقد جمع مشيخته فزادت عدتهم على اربعة آلاف شيخ وقد ذكره ابو الفرج بن الجوزي فقطعه فمن جملة قوله فيه انه كان يأخذ الشيخ ببغداد ويعبر به الى فوق نهر عيسى فيقول حدثني فلان بما وراء النهر وهذا بارد جدا فان الرجل سافر الى ما وراء النهر حقا وسمع في عامة بلاده من عامة شيوخه فاي حاجة به الى هذا التدليس البارد وانما ذنبه عند ابن الجوزي انه شافعي وله اسوة بغيره فان ابن الجوزي لم يبق على احد الا مكسري الحنابلة وفيها توفي قاضي القضاة ابو البركات جعفر بن عبد الواحد الثقفي في جمادى الآخرة وفيها توفي يوسف الدمشقي مدرس النظامية بخوزستان وكان قد سار رسولا الى شملة وفيها توفي الشيخ ابو النجيب السهروردي الصوفي الفقيه وكان من الصالحين المشهورين ودفن ببغداد

●(ثم دخلت سنة اربع وستين وخمسمائة)●

●(ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر)●

في هذه السنة ملك نور الدين محمود بن زنكي قلعة جعبر اخذها من صاحبها شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي وكانت بيده وبيد آبائه من قبله من أيام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهي من امنع القلاع واحصنها مطلة على الفرات من الجانب الشرقي واما سبب ملكها فان صاحبها نزل منها يتصيد فاخذه بنو كلاب وحملوه

انظر في حسابك هل تجده ام لا فامسك سبحته وعدها كعادته وقال انكم تجدونه وتقتلونه ثم ان الكتخدا اشار الى اعوانه فاخذوه ونزلوا به واركبوه على حماره وذهبوا به الى بولاق فانزلوه في مركب وانحدروا به الى شلقان وشلحوه من ثيابه واغرقوه في البحر (وفي ذلك اليوم) عرفهم اغات حريم لطيف باشا بعد ان هددوه وقرروه عن محل استاذه واخبرهم انه في المخباة وأراهم المكان فقصدوه فوجدوا به الجواري الستة والمملوك ولم يجدوه معهم فسالوهم عنه فقالوا انه كان معنا وخرج في ليلة امس ولم نعلم اين ذهب فاخرجوهم واخذوا ما وجدوه في المخباة من متاع وسروج ومصاغ ونقود وغير ذلك فلما كان بعد الغروب من ليلة الثلاثاء اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق فاراد ان ينتقل من بيت الخازندار الى مكان آخر فطلع الى السطح وصعد على حائط يريد النزول منها هو ورفيقه البيوكباشي ليخلص الى حوش مجاور لتلك الدار فنظرهما شخص من العسكر المرصد با على سطح دار محمود بك الدويدار فصاح على القريبين منه لينتبهوا له فعندما صاح ضربه لطيف باشا رصاصة فاصابته وتنبهت المرصدون بالنواحي عند سماع الصيحة وبندقة الرصاصة وتسارعوا اليه من كل ناحية وقبضوا عليه وعلى رفيقه واتوا بهما الى

الى نور الدين في رجب سنة ثلاث وستين فاعتقله واحسن اليه ورغبه في الاقطاع والمال ليسلم اليه القلعة فلم يفعل فعدل الى الشدة والعنف وتهدده فلم يفعل فسير اليها نور الدين عسكرا مقدمه الامير فخر الدين مسعود بن علي الزعفراني فحصرها مدة فلم يظفر منها بشئ فامدهم بعسكر آخر وجعل على الجميع الامير مجد الدين أبابكر المعروف بابن الداية وهو رضيع نور الدين وأكبر امرائه فحصرها أيضا فلم ير له فيها مطمعا فسلك مع صاحبها طريق اللين وأشار عليه ان يأخذ من نور الدين العوض ولا يخاطر في حفظها بنفسه فقبل قوله وسلمها فاخذ عوضا عنها سروج واعمالها والملاحة التي بين بلد حلب وباب بزاعة وعشرين ألف دينار معجلة وهذا اقطاع عظيم جدا الا انه لاحصن فيه وهذا آخر أمر بني مالك بالقلعة ولكل أمر أمد ولكل ولاية نهاية بلغني انه قيل لصاحبها أيما أحب اليك وأحسن مقاما سروج والشام أم القلعة فقال هذه أكثر مالا واما العز ففارقناه بالقلعة

(ذكر ملك اسد الدين مصر وقتل شاور)

في هذه السنة في ربيع الاول سار اسد الدين شيركوه بن شاذي الى ديار مصر فملكها ومعه العساكر النورية وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج من البلاد المصرية وانهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة وتسلموا ابوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم واعيان فرسانهم وحكموا على المسلمين حكما جائرا وركبوهم بالاذى العظيم فلما رأوا ذلك وان البلاد ليس فيها من يردهم أرسلوا الى ملك الفرنج بالشام وهو مري ولم يكن للفرنج مذ ظهروا بالشام مثله شجاعة ومكرا ودهاء يستدعونه ليملكها واعلموه خلوها من موانع وهونوا أمرها عليه فلم يجبهم فاجتمع اليه فرسان الفرنج وذوو الرأي منهم وأشاروا عليه بقصدها وتملكها فقال لهم الرأي عندي اننا لا نقصدها ولا طعمة لنا فيها واموالها تساق الينا نتقوى بها على نور الدين وان نحن قصدناها لنملكها فان صاحبها وعساكره وعامة بلاده وفلاحيها لا يسلمونها الينا ويقاتلونا دونها ويحملهم الخوف منا على تسليمها الى نور الدين ولئن صار له فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الفرنج واجلاؤهم من أرض الشام فلم يقبلوا قوله وقالوا انها لا مانع فيها ولا حامي والى ان يتجهز عسكر نور الدين ويسير اليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من أمرها وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويظهرون انهم يريدون قصد مدينة حمص فلما سمع نور الدين شرع أيضا يجمع عساكره وأمرهم بالقدوم عليه وجد الفرنج في السير الى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبيس وملكوها قهرا مستهل صفر ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة عداوة منهم لشاور منهم ابن الخياط وابن فرجلة فقوي جنان الفرنج وساروا من بلبيس الى مصر فنزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها فخاف الناس منهم ان يفعلوا بهم كما فعلوا باهل بلبيس فحملهم الخوف منهم

على

محمود ملك فبات عنده ورمحت المبشرون الى بيوت الاعيان يبشرونهم بالقبض عليه ويأخذون على ذلك البقاشيش فلما طلع نهار يوم الثلاثاء طلع به محمود ملك الى القلعة وقد اجتمع اكابرهم بديوان الكتخدا واتفقوا على قتله ووافقهم على ذلك اسمعيل ابن الباشا باغتقوه عليه لانه في الاصل مملوك صهره عارف ملك فعندما وصل الى الدرج قبض عليه الاعوان وهو بجانب محمود ملك فقبض بيده على علاقة سيفه وهو يقول له بالتركي عرظنداليم يعني انا في عرضك ومدت يده على قيطان السيف فانفرج بعضهم سكينا وقطع القيطان وجذبوه الى اسفل سلم الركوبة واخذوا عمامته وضربه المشاعلي بالسيف ضربات ووقع الى الارض ولم ينقطع عنقه فكملوا ذبحه مثل الشاة وقطعوا راسه وفعلوا برفيقه كذلك وعلقوا رؤسهما تجاه باب زويلة طول النهار (وفي ثاني يوم وهو يوم الاربعاء ثاني عشرينه) احضروا أيضا يوسف كاشف دياب وقتلوه أيضا عند باب زويلة وانقضى امرهم والله اعلم بحقيقة الحال وفتح اهل الاسواق حوانيتهم بعد ماتخيل الناس بانها ستكون فتنة عظيمة وان العسكر ينهبون المدينة وخصوصا الكائنون بالعرضي خارج باب النصر فانهم جياع ويردانون وغالبهم مفاليس لان معظمهم من الجند الواردين

على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه فلو ان الفرنج احسنوا
السيرة في بلبيس لملكوا مصر والقاهرة ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك اي ما فعلوا
ليقضي الله امرا كان مفعولا وامر شاور باحراق مدينة مصر تاسع صفر وامر اهلها
بالانتقال منها الى القاهرة وان ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة
وافتقر اهلها وذهبت اموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفا ان يملكها
الفرنج فبقيت النار تحرقها اربعة وخمسين يوما وارسل الخليفة العاضد الى نور الدين
يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وارسل في الكتب شعور النساء
وقال هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج فشرع في تسيير
الجيوش واما الفرنج فانهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على اهلها وشاور هو
المتولي للامر والعساكر والقتال فضاق به الامر وضعف عن ردهم فاخلد الى اعمال
الحيلة فارسل الى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبته له قديما وان هواه معه لخوفه من
نور الدين والعاضد وانما المسلمون لا يوافقونه على التسليم اليه ويشير بالصلح
واخذ مال لئلا يتسلم البلاد نور الدين فاجابه الى ذلك على ان يعطوه الف الف دينار
مصرية يعجل البعض ويمهل بالبعض فاستقرت القاعدة على ذلك ورأى الفرنج ان
البلاد قد امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا ناخذ المال
فنتقوى به ونعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ومكروا ومكر الله والله خير
الماكرين فعجل لهم شاور مائة الف دينار وسألهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال
فرحلوا قريبا وجعل شاور يجمع لهم المال من اهل القاهرة ومصر فلم يتحصل
له القدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار وسببه ان اهل مصر كانوا قد احترقت دورهم
وما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرون على الاقوات فضلا عن الاقساط واما اهل
القاهرة فالاغلب على اهلها الجند وغلمانهم فلهذا تعذرت عليهم الاموال وهم
في خلال هذا يراسلون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثلث بلاد مصر وان يكون
اسد الدين مقيما عندهم في عسكر واقطاعهم من البلاد المصرية ايضا خارجا عن الثلث
الذي لهم وكان نور الدين لما وصله كتب العاضد بحلب ارسل الى اسد الدين يستدعيه
اليه فخرج القاصد في طلبه فلقيه على باب حلب وقد قدمها من حمص وكانت اقطاعه
وكان سبب وصوله ان كتب المصريين وصلته ايضا في المعنى فسار ايضا الى نور الدين
واجتمع به وعجب نور الدين من حضوره في الحال وسره ذلك وتفاءل به وامر بالتجهيز
الى مصر واعطاه مائتي الف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير ذلك وحكمه
في العسكر والخزائن واختار من العسكر الفي فارس واخذ المال وجمع ستة آلاف
فارس وسار هو ونور الدين الى باب دمشق فوصلها سلخ صفر ورحل الى رأس الماء
واعطى نور الدين كل فارس ممن مع اسد الدين عشرين دينارا معونة غير محسوبة من
جامكيته واضاف الى اسد الدين جماعة اخرى من الامراء منهم مملوكه عز الدين جرديك
وغرس الدين قلج وشرف الدين برغش وعين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال بن

الذين لم يحصل لهم كسب من نهب او حادث واقع ادركوه ولولا انهم اوقفوا عساكر عند الابواب منعتهم من العبور
لحصل منهم غاية الضرر
(وانقضت السنة) وحوادثها
التي ربما استمرت الى ماشاء
الله بدوامها وانقضائها (فمنها)
ان الباشا لما فرغ من امر
الجهة القبلية بعدما ولى ابنه
ابراهيم باشا عليها وحرر اراضي
الصعيد وقاس جملة اراضيه
وفدنه وضبطه باجمعه ولم يترك
منه الا ما قل وضبط لديوانه
جميع الاراضي الميرية
والاقطاعات التي كانت
للملتزمين من الامراء والهوارة
وذوي البيوت القديمة والرزق
الاحباسية والسواقي
والمناخات والمرصد على
الاهالي والخيرات وعلى البر
والصدقة وغير ذلك مثل
مصارف الولاية التي رتبها
اهالي الخير المتقدمون لاربابها
رغبة منهم في الخير وتوسعة
على الفقراء المحتاجين وذوي
البيوت والدواوين المفتوحة
المعدة لاطعام الطعام للضيفان
والواردين والقاصدين
وابناء السبيل والمسافرين
فمن ذلك ان بناحية سهاج
دار الشيخ عارف وهو رجل
مشهور كاسلافه ومعتقد بتلك
الناحية وغيرها ومنزله محط
الرحال الوافدين والقاصدين
من الاكابر والاصاغر
والفقراء والمحتاجين فيقري
الكل بما يليق بهم ويرتب
لهم التراتيب والاحتياجات وعندما تصرفهم بعد قضاء اشغالهم يزودهم ويهاديهم بالغلال والسمن والعسل

حسان المنبجي وصلاح الدين يوسف بن ايوب اخي شيركوه وعلى كره منه وهي ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم احب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه وسيرد ذلك عند موت شيركوه ان شاء الله تعالى وسار اسد الدين شيركوه من رأس الماء مجدا منتصف ربيع الاول فلما قارب مصر رحل الفرنج الى بلادهم بخفي حنين خائبين مما املوا وسمع نور الدين بعودهم فسره ذلك وامر بضرب البشائر في البلاد وبث رسله في الآفاق مبشرين بذلك فانه كان فتحا جديدا لمصر وحفظا لبلاد الشام وغيرها فاما اسد الدين فانه وصل الى القاهرة سابع جمادى الآخرة ودخل اليها واجتمع بالعاضد لدين الله وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وفرح به اهل مصر واجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع من ذلك لانه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على اظهار ما في نفسه وشرع يماطل اسد الدين في تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال واقطاع الجند وافراد ثلث البلاد لنور الدين وهو يركب كل يوم الى اسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم انه عزم على ان يعمل دعوة يدعو اليها اسد الدين والامراء الذين معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج فنهاه ابنه الكامل وقال له والله لئن عزمت على هذا الامر لاعرفن شيركوه فقال له ابوه والله لئن لم تفعل هذا لنقتلن جميعا فقال صدقت ولأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد اسلامية خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج فانه ليس بينك وبين عود الفرنج الا ان يسمعوا بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارسا واحدا ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه ولما رأى العسكر النوري مطل شاور خافوا شره فاتفق صلاح الدين يوسف بن ايوب وعز الدين جرديك وغيرهم على قتل شاور فنهاهم اسد الدين فسكتوا وهم على ذلك العزم من قتله فاتفق ان شاور قصد عسكر اسد الدين على عادته فلم يجده في الخيام كان قد مضى يزور قبر الشافعي رضي الله تعالى عنه فلقيه صلاح الدين يوسف وجرديك في جمع من العسكر وخدموه واعلموه بان شيركوه في زيارة قبر الامام الشافعي فقال نمضي اليه فساروا جميعا فسايره صلاح الدين وجرديك والقوه الى الارض عن فرسه فهرب اصحابه عنه فاخذ اسيرا فلم يمكنهم قتله بغير امر اسد الدين فتوكلوا بحفظه وسيروا وأعلموا اسد الدين فحضر ولم يمكنه الا اتمام ما عملوه وسمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر فارسل الى اسد الدين يطلب منه رأس شاور وتابع الرسل بذلك فقتل وارسل رأسه الى العاضد في السابع عشر من ربيع الآخر ودخل اسد الدين القاهرة فرأى من اجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم امير المؤمنين يعني العاضد يأمركم بنهب دار شاور فتفرق الناس عنه اليها فنهبوها وقصد هو قصر العاضد فخلع عليه خلع الوزارة ولقب الملك المنصور وامير الجيوش وسار بالخلع الى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقر في الامر وغلب عليه ولم يبق له مانع ولا

منازع

والتمر والاغنام وهذا دأبه ودأب اسلافه من قبله على الدوام والاستمرار ورزقته المرصدة التي يزرعها وينفق منها ستمائة فدان فضبطوها ولم يسمحوا له منها الا بمائة فدان بعد التوسط والترجي والتشفع وامثال ذلك بحرجا واسيوط ومنفلوط وفرشوط وغيرها واذا قال المتشفع والمترجي للتام ينبغي مراعاة مثل هذا ومسامحته لانه يطعم الطعام وتنزل بداره الضيفان فيقول ومن كلفه بذلك فيقال له وكيف يفعل اذا نزلت به الضيوف على حسب ما اعتادوه فيقول يشترون ما يأكلون بدراهمهم من اكياسهم او يغلقون ابوابهم ويستقلون بانفسهم وعيالهم ويقتصدون في معايشهم فيعتادون ذلك وهذا الذي يفعلونه تبذير واسراف ونحو ذلك على حسب حالهم وشأنهم في بلادهم ويقول الديوان احق بهذا فان عليه مصاريف ونفقات ومهمات ومحاربات الاعداء وخصوصا افتتاح بلاد الحجاز ولما حضر ابراهيم باشا الى مصر وكان ابوه على اهبة السفر الى الحجاز حضر الكثير من اهالي الصعيد يشكون ما نزل بهم ويستغيثون ويتشفعون بوجهاء المشايخ وغيرهم فاذا خوطب الباشا في شيء من ذلك يعتذر بانه مشغول البال واهتمامه بالسفر وانه اناط امر الجهة القبلية واحكامها وتعلقاتها بابنه ابراهيم باشا وان الدولة

نازع واستعمل على الاعمال من يثق اليه من اصحابه واقطع البلاد لعساكره واما الكامل بن شاور فانه لما قتل ابوه دخل القصر هو واخوته معتصمين به فكان آخر العهد بهم فكان شيركوه يتأسف عليه كيف عدم لانه بلغه ما كان منه مع ابيه في منعه من قتل شيركوه وكان يقول وددت انه بقي لاحسن اليه جزاء اصنيعه

(ذكر وفاة اسد الدين شيركوه)

لما ثبتت قدم اسد الدين وظن انه لم يبق له منازع اتاه اجله حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اربع وستين وخمسمائة وكانت ولايته شهرين وخمسة ايام واما ابتداء امره وسبب اتصاله بنور الدين فانه كان هو واخوه نجم الدين ايوب ابنا شاذي من بلد دوين من أذربيجان واصلهما من الاكراد الزوادية وهذا القبيل هم اشرف الاكراد فقدما العراق وخدما مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فرأى من نجم الدين عقلا وافرا وحسن سيرة وكان اكبر من شيركوه فجعله مستحفظا لقلعة تكريت وهي له فسارا اليها ومعه اخوه شيركوه فلما انهزم اتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر بالعراق من قراجا الساقي على ماذكرناه سنة ست وعشرين وخمسمائة وصل منهزما الى تكريت فخدمه نجم الدين واقام له السفن فعبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فاحسن ايوب صحبتهم وسيرهم ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت لملاحة جرت بينهما فاخرجهما بهروز من القلعة فسارا الى الشهيد زنكي فاحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعا حسنا فلما ملك قلعة بعلبك جعل ايوب مستحفظا بها فلما قتل الشهيد حصر عسكر دمشق بعلبك وهو بها فضاق عليه الامر وكان سيف الدين غازي بن زنكي مشغولا عنه باصلاح البلاد فاضطر الى تسليمها اليهم فسلمها على اقطاع ذكره فاجيب الى ذلك وصار من اكبر الامراء بدمشق واتصل اخوه اسد الدين شيركوه بنور الدين محمود بعد قتل زنكي وكان يخدمه في ايام والده فقربه وقدمه ورأى منه شجاعة يعجز غيره عنها فزاده حتى صار له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره فلما اراد نور الدين ملك دمشق امره فراسل اخاه ايوب وهو بها وطلب منه المساعدة على فتحها فاجاب الى ذلك على ما يراد منه على اقطاع ذكره له ولاخيه وقرى يتملكانها فاعطاهما ما طلبا وفتح دمشق على ماذكرناه ووفى لهما وصارا اعظم امراء دولته فلما أراد ان يرسل العساكر الى مصر لم ير لهذا الامر العظيم والمقام الخطر غيره فارسله ففعل ماذكرناه اولا وآخرا والله أعلم

(ذكر ملك صلاح الدين مصر)

لما توفي اسد الدين شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن اخيه ايوب بن شاذي قد سار معه على كره منه للسير حكى لي عنه بعض اصدقائنا ممن كان قريبا اليه خصيصا به قال لما وردت كتب العاضد على نور الدين يستغيث به من الفرنج ويطلب ارسال

فالمنة ولاية الصعيد فانا الاعلاقة لي بذلك واذا خوطب ابناؤنا جابهم بعد المحاجة بما تقدم ذكره ونحو ذلك واذا قيل له هذا على مسجد فيقول كشفت على المساجد فوجدتها خرابا والنظار عليها اباكاون الايراد والخزينة أولى منهم ويكفيهم الذي أسامحهم فيما اكلوه في السنين الماضية والذي وجدته عامرا اطلقت له ما يكفيه وزيادة واني وجدت لبعض المساجد اطيانا واسعة وهي خراب ومعطلة والمسجد يكفيه مؤذن واحد واجرته نصفان وامام مثل ذلك واما فرشه واسرجته فاني أرتب له راتبا من الديوان في كل سنة فاذا تكرر عليه الرجاء أحال الامر على أبيه ولا يمكن العود اليه لحركاته وتنقلاته وكثرة اشغاله وزوغانه ولما زاد الحال بكثرة المشتكين والواردين وبرز الباشا للسفر بل وسافر بالفعل فلم يمكث بعده ابنه الا اياما قليلة يبيت بالجيزة ليلة وعند اخيه ببولاق ليلة اخرى ثم سافر راجعا الى الصعيد يتمم ما بقي عليه لاهله من العذاب الشديد فانه فعل بهم فعل التتار عندما جالوا بالاقطار واذل اعزة اهله واساء اسوا السوء معهم في فعله فسلب نعمهم واموالهم وياخذ ابقارهم واغنامهم ويحاسبهم على ما كان في تصرفهم واستهلكوه او يحتج عليهم بذنب لم يقترفوه ثم يفرض عليهم المغارم الهائلة والمقادير من الاموال التي ليست بايديهم

العساكر أحضرني وأعلمني الحال وقال تمضي الى عمك أسد الدين بحمص مع رسولي اليه ليحضر وتحثه أنت على الاسراع فما يحتمل الأمر التأخير ففعلت وخرجنا من حلب فما كنا على ميل من حلب حتى لقيناه قادما في هذا المعنى فأمره نور الدين بالمسير فلما قال له نور الدين ذلك التفت عمي الي فقال لي تجهز يا يوسف فقلت والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت بالاسكندرية وغيرها ما لا أنساه أبدا فقال لنور الدين لا بد من مسيره معي فتأمر به فأمرني نور الدين وأنا أستقيل وانقضى المجلس وتجهز أسد الدين ولم يبق غير المسير قال لي نور الدين لا بد من مسيرك مع عمك فشكوت اليه الضائقة وعدم البرك فأعطاني ما تجهزت به فكأنما أساق الى الموت فسرت معه وملكها ثم توفي فملكني الله تعالى ما لا كنت أطمع في بعضه وأما كيفية ولايته فان جماعة من الامراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة العاضدية بعده منهم عين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال وسيف الدين المشطوب الهكاري وشهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين وكل واحد من هؤلاء يخطبها وقد جمع أصحابه ليغالب عليها فأرسل العاضد الى صلاح الدين أحضره عنده وخلع عليه وولاه الوزارة بعد عمه وكان الذي حمله على ذلك أن أصحابه قالوا له ليس في الجماعة أضعف ولا أصغر سنا من يوسف والرأي أن يولى فانه لا يخرج من تحت حكمنا ثم نضع على العساكر من يستميلهم الينا فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد ثم نأخذ يوسف أو نخرجه فلما خلع عليه لقب الملك الناصر ولم يطعه أحد من أولئك الامراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خدموه وكان الفقيه عيسى الهكاري معه فسعى مع المشطوب حتى أماله اليه وقال له ان هذا الأمر لا يصل اليك مع عين الدولة والحارمي وغيرهما ثم قصد الحارمي وقال هذا صلاح الدين هو ابن أختك وعزه وملكه لك وقد استقام له الأمر فلا تكن أول من يسعى في اخراجه عنه ولا يصل اليك فمال اليه أيضا ثم فعل مثل هذا بالباقين وكلهم أطاع غير عين الدولة الياروقي فانه قال أنا لا أخدم يوسف وعاد الى نور الدين بالشام ومعه غيره من الامراء وثبت قدم صلاح الدين ومع هذا فهو نائب عن نور الدين وكان نور الدين يكاتبه بالأمير الاسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما عن أن يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل يكتب الأمير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل الأموال فمالوا اليه وأحبوه وضعف أمر العاضد ثم أرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل اليه اخوته وأهله فأرسلهم اليه وشرط عليهم طاعته والقيام بأمره ومساعدته وكلهم فعل ذلك وأخذ اقطاعات الامراء المصريين فأعطاها أهله والامراء الذين معه وزادهم فازدادوا له حبا وطاعة قد اعتبرت التواريخ فرأيت كثيرا من التواريخ الاسلامية التي يمكن ضبطها ورأيت كثيرا ممن يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه الى بعض أهله وأقاربه منهم أول الاسلام معاوية بن أبي سفيان أول من ملك من أهل بيته فتنتقل

الملك

الهاطالة ويلزمهم بتحصيلها وغلاقها وتعجيلها فتعجز أيديهم عن الاتمام فعند ذلك يجري عليهم أنواع الآلام من الضرب والتعليق والكي بالنار والتحريق فانه بلغني والعهدة على الناقل انه ربط الرجل ممدودا على خشبة طولها وامسك بطرفيها الرجال وجعلوا يقلبونه على النار المضرمة مثل الكباب وليس ذلك بمعهد على شاب جاهل سنه دون العشرين عاما وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه لم يؤدبه مؤدب ولا يعرف شريعة ولا مأمورات ولا منهيات وسمعت ان قائلا قال له وحق من أعطاك قال ومن هو الذي أعطاني قال له ربك قال له انه لم يعطني شيئا والذي أعطاني أبي فلو كان الذي قلت فانه كان يعطيني وأنا ببلدي وقد جئت وعلى رأسي قبع مزفت مثل المقلاة فلهذا لم تبلغه دعوى ولم يتخلق الا بالأخلاق التي دربه عليها والده وهي تحصيل المال بأي وجه كان فانزل بأهل الصعيد الذل والهوان فلقد كان به من المقادم والهوارة كل شهم يستحي الرئيس من مكالمته والنظر اليه بالملابس الفاخرة والاكراك السمور والخيول المسومة والانعام والاتباع والجند والعبيد والاكام الواسعة والمضايف والانعامات والاغداقات والتصدقات وخصوصا أكابرهم المشهورون وهمام وما أدراك ما همام وقد تقدم

الملك من اعقابه الى بني مروان من بني عمه ثم من بعده السفاح اول من ملك من بني العباس انتقل الملك من اعقابه الى اخيه المنصور ثم السامانية اول من استبد منهم نصر بن احمد فانتقل الملك عنه الى اخيه اسمعيل بن احمد واعقابه ثم يعقوب الصفار وهو اول من ملك من أهل بيته فانتقل الملك الى أخيه عمرو واعقابه ثم عماد الدولة ابن بويه أول من ملك من أهله انتقل الملك عنه الى اخويه ركن الدولة ومعز الدولة ثم خلص في أعقاب ركن الدولة ومعز الدولة ثم خلص في اعقاب ركن الدولة ثم الدولة السلجوقية أول من ملك منهم طغرلبك انتقل الملك الى اولاد أخيه داود ثم هذا شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك الى اعقاب أخيه أيوب ثم ابن صلاح الدين لما انشا الدولة وعظمها وصار كانه أول لها انتقل الملك الى اعقاب اخيه العادل ولم يبق بيد اعقابه غير حلب وهذه أعظم الدول الاسلامية ولولا خوف التطويل لذكرنا اكثر من هذا والذى اظنه السبب في ذلك ان الذى يكون أول دولة يكثر ويأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به فلهذا يحرمه الله اعقابه ومن يفعل ذلك من اجلهم عقوبة له

(ذكر وقعة السودان بمصر)

في هذه السنة في اوائل ذى القعدة قتل مؤتمن الخلافة وهو خصى كان بقصر العاضد اليه الحكم فيه والتقدم على جميع من يحويه فاتفق هو وجماعة من المصريين على مكاتبة الفرنج واستدعائهم الى البلاد والتقوى بهم على صلاح الدين ومن معه وسيروا الكتب مع انسان يثقون اليه واقاموا ينتظرون جوابه وسار ذلك القاصد الى البئر البيضاء فلقيه انسان تركماني فرأى معه نعلين جديدين فاخذهما منه وقال في نفسه لو كانا مما يلبسه هذا الرجل لكانا خلقين فانه رث الهيئة وارتاب به وبهما فاتى به صلاح الدين ففتقهما فرأى الكتاب فيهما فقرأه وسكت عليه وكان مقصود مؤتمن الخلافة ان يتحرك الفرنج الى الديار المصرية فاذا وصلوا اليها خرج صلاح الدين في العساكر الى قتالهم فيثور مؤتمن الخلافة بمن معه من المصريين على متخلفيهم فيقتلونهم ثم يخرجون باجمعهم يتبعون صلاح الدين فياتونه من وراء ظهره والفرنج من بين يديه فلا يبقى لهم باقية فلما قرأ الكتاب سال عن كاتبه فقيل رجل يهودى فاحضر فامر بضربه وتقريره فابتدأ واسلم واخبره الخبر واخفى صلاح الدين الحال وان مؤتمن الخلافة استشعر فلازم القصر ولم يخرج منه خوفا واذا خرج لم يبعد من صلاح الدين وصلاح الدين لا يظهر له شيئا من الطلب لئلا ينكر ذلك فلما طال الامر خرج من القصر الى قرية له تعرف بالخرقانية للتنزه فلما علم به صلاح الدين ارسل اليه جماعة فاخذوه وقتلوه وأتوا برأسه وعزل جميع الخدم الذين يتولون امر قصر الخلافة واستعمل على الجميع بهاء الدين قراقوش وهو خصى ابيض وكان لا يجرى في القصر صغير ولا كبير الا بامره فغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة للجنسية ولانه كان يتعصب لهم فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين الفا وقصدوا حرب الاجناد

في ترجمته ما يغني عن الاعادة فخربت دور الجميع وتشتتوا وما توافر باقوس عسر عليه مفارقة وطنه جرى عليه ما جرى على غيره وصار في عداد المزارعين وقد رايت بعض بني همام وقد حضروا الى مصر ليعرضوا حالهم على الباشا لعله يرفق بهم ويسامحهم في بعض ما ضبطه ابنه من تعلقاتهم يتعيشون به وهم أولاد عبد الكريم وشاهين ولدى همام الكبير ومعهم حريمهم وجواريهم وزوجة عبد الكريم ويقولون لها الست الكبيرة وهي أم أولاده فلما وصلوا الى ساحل مصر القديمة ورأى ارباب ديوان المكس الجوارى وعدتهن ثلاثة حجزوهن وطالبوهم بكمركهن فقالوا هؤلاء جوارنا للخدمة وليسوا مجلوبين للبيع فلم يعبؤا بذلك وقبضوا منهم ما قبضوه ثم انهم لم يتمكنوا من الباشا وكان اذ ذاك قد توجه الى الفيوم وعاد الى العرضى مسافرا الى الحجاز فاستمروا بمصر حتى نفدت نفقاتهم ورايتهم مرة مارين بالشارع وهم مختلفون وفيهم صغير مراهق واتفق انهم تفاقموا مع ابن عمهم وهو عمر وشكوه الى مصطفى بك دالى باشا بانه حاف عليهم في أشياء من استحقاقهم دعوى مفلس على مفلس فاحضره وحبسه مدة وما ادرى ما حصل لهم بعد ذلك وهكذا تخفض العالي وتعلي من سفل اللهم انا نعوذ بك من زوال النعم ونزول النقم

(واما من مات في هذه السنة)

الصلاحية فاجتمع العسكر أيضا وقاتلوهم بين القصرين وكثر القتل في الفريقين فارسل صلاح الدين الى محلتهم المعروفة بالمنصورة فاحرقها على اموالهم واولادهم فلما اتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين فركبهم السيف واخذت عليهم افواه السكك فطلبوا الامان بعد ان كثر فيهم القتل فاجيبوا الى ذلك فاخرجوا من مصر الى الجيزة فعبر اليهم شمس الدولة اخو صلاح الدين الاكبر في طائفة من العسكر فاباده م بالسيف ولم يبق منهم الا القليل الشريد وكفى الله تعالى شرهم والله اعلم

(ذكر ملك شملة فارس واخراجه عنها)

في هذه السنة ملك شملة صاحب خوزستان بلاد فارس واخرج عنها وسبب ذلك ان زنكي بن دكلا صاحبها اساء السيرة مع عسكره فارسلوا الى شملة بخوزستان وحسنوا له قصد فارس فجمع عساكره وتجهز وسار اليها فخرج اليه زنكي بن دكلا ووقعت بينهم حرب خامر فيها اصحاب زنكي عليه فانهزم في شرذمة من عسكره ونجا بنفسه وقصد الاكراد الشوانكار والتجأ اليهم فاجاره صاحبها واحسن ضيافته ونزل شملة ببلاد فارس فملكها فاساء السيرة الى اهلها ونهب ابن اخيه ابن شنكا البلاد فتغيرت بواطن اهلها عليه واجتمع الى زنكي بعض العسكر الذين خامروا عليه لما رأوا من سوء سيرة شملة واستعاد زنكي بلاده ورجع الى ملكه وعاد شملة الى بلاد خوزستان

(ذكر ملك ايلدكز الري)

في هذه السنة ملك ايلدكز مدينة الري والبلاد التي كانت بيد اينانج وسبب ذلك ان ايلدكز كان قد استقر الامر بينه وبين اينانج على مال يؤديه الى ايلدكز فمنعه سنتين فارسل ايلدكز يطلب المال فاعتذر بكثرة غلمانه وحاشيته فتجهز ايلدكز وقصد الري فالتقاه اينانج وجار بهم حرب باعظمها فانهزم اينانج ومضى منهزما فتحصن بقلعة طبرك فحصره ايلدكز فيها وراسل جماعة من مماليكه فاطمعهم في الاقطاعات والاموال والاحسان العظيم ليقتلوا اينانج فقتلوه وكانوا جماعة كثيرة وسلموا البلد الى ايلدكز فرتب فيه عمر بن علي ياغ وعاد الى همذان ولم يف للغلمان الذين قتلوا اينانج وسلموا البلد اليه بما وعدهم وقال مثل هؤلاء ينبغي ان لا يستخدموا وابعدهم عنه فتفرقوا في البلاد فسار بعضهم وهو الذي تولى قتله الى خوارزمشاه فصلبه خوارزمشاه نكالا بما فعل بصاحبه

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة رؤي في دار الخليفة رجل غريب في الطريق التي يركب فيه وفي يده سكين صغيرة وفي يده الاخرى سكين كبيرة فاخذوه وقرروه فقال انا من حلب فحبس وعوقب البواب ولم يعلم من اين دخل وفيها قبض ابن البلدي وزير الخليفة على الحسين بن محمد المعروف بابن السيني وعلى اخيه الاصغر وكانا ابني عمة عضد الدين استاذ الدار وكان الاصغر عامل البيمارستان فقطعت يده ورجله قيل كان عنده

وفات الاستاذ الشهير والجهبذ النحرير الرئيس المفضل والفريد المبجل نادرة عصره ووحيد دهره الشيخ شمس الدين محمد ابو الانوار بن عبد الرحمن المعروف بابن عارفين سبط بني الوفاء وخليفة السادات الحنفاء وشيخ سجادتها ومحط رحال سيادتها وشهرته غنية عن مزيد الافصاح ومناقبه اظهر من البيان والايضاح وامه السيدة صفية بنت الاستاذ جمال الدين يوسف ابي الارشاد بن وفا تزوج بها الخواجا عبد الرحمن المعروف بعارفين فاولدها المترجم واخاه الشيخ يوسف وكان اسن منه فتربى مع اخيه في حجر السيادة والصيانة والحشمة وقرأ القرآن وتولع بطلب العلم وحضر دروس اشياخ الوقت وتلقى طريقة اسلافه واورادهم واحزابهم عن خاله الاستاذ شمس الدين محمد ابي الاشراق ابن وفا عن عمه الشيخ عبد الخالق عن ابيه الشيخ يوسف ابي الارشاد عن والده ابي التخصيص عبد الوهاب الى آخر السند المنتهي الى الاستاذ ابي الحسن الشاذلي ولازم العلامة القدوة الشيخ موسى البجيرمي فحضر عليه كما ذكره في برنامج شيوخه ام البراهين وشرح المصنف عليها والآجرومية وشرحها للشيخ خالد وشرح الستين مسئلة للعلال المحلي وهو اول اشياخه ثم لازم الشيخ خليلا المغربي فحضر عليه شرح ايساغوجي لشيخ الاسلام زكريا الانصاري

صبح يقيض بها ويحمل الى الديوان بالصبح الصحيحة وقيل غير ذلك وحمل الى البيمارستان فمات به وكان شاعرا فى شعره وهو محبوس هذه الابيات

سلام على اهلى وصحبى وجلاسى * ومن فى فؤادى ذكرهم راسب راسى
أعالج فيكم كل هم ولا أرى * لداء همومى غير رؤيتكم آسى
لقد ابدت الايام لى كل شدة * تشيب لها الاكباد فضلا عن الراس
فيا بنة عبد الله صبرا على الذى * لقيت فوذا الحكم من مالك الناس
فلو ابصرت عيناك ذلى بكيت لى * بدمع سوى بالدم دامع رجاس
أقول لقلبى والهموم تنوشه * وقد حدثته النفس بالضر واليأس
فلوهم طيف من خيالى يزوركم * لمانعه دون المغالق حراسى
وما حذرى الا على النفس لا على * سواها لانى حلف فقر وافلاس

وفيها توفى المعمر بن عبد الواحد بن رجاء ابو احمد الاصفهانى الحافظ روى عن أصحاب ابى نعيم وكان موته بالبادية ذاهبا الى الحج فى ذى القعدة وفى رجب منها توفى الشيخ ابو محمد الفارقى المتكلم على الناس وكان أحد الزهاد له كرامات كثيرة وكان يتكلم على الخاطر وكلامه مجموع مشهور وفيها مات جعفر الرقاص من ندماء دار الخلافة وفى شوال منها توفى القاضى ابو الحسن على بن يحيى القرشى الدمشقى وفى ذى الحجة توفى نجم الدين بن محمد بن على بن القاسم الشهرزورى قاضى الموصل وولى ابنه حجة الدين عبد القاهر القضاء

(ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة)

(ذكر حصر الفرنج دمياط)

فى هذه السنة فى صفر نزل الفرنج على مدينة دمياط من الديار المصرية وحصروها وكان الفرنج بالشام لما ملك أسد الدين شيركوه مصر قد خافوه وأيقنوا بالهلاك وكاتبوا الفرنج الذين بصقلية والاندلس وغيرها يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك الاتراك مصر وانهم خائفون على البيت المقدس منهم فارسلوا جماعة من القسوس والرهبان يحرضونهم على الحركة فامدوهم بالاموال والرجال والسلاح واتعدوا للنزول على دمياط ظنا منهم أنهم يملكونها ويتخذونها ظهرا يملكون به الديار المصرية فرد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا فالى أن دخلوا كان أسد الدين قد مات وملك صلاح الدين فاجتمعوا عليها وحصروها وضيقوا على من بها فارسل اليها صلاح الدين العساكر فى النيل وحشر فيها كل من عنده وأمدهم بالاموال والسلاح والذخائر وأرسل الى نور الدين يشكو ما هم فيه من المخافة ويقول انى ان تأخرت عن دمياط ملكها الفرنج وان سرت اليها خلفنى المصريون فى أهلها بالشر وخرجوا عن طاعتى وساروا فى اثرى والفرنج امامى فلا يبقى لنا باقية فسير نور الدين العساكر اليه ارسالا يتلو بعضها بعضا ثم سار هو بنفسه الى بلاد الفرنج الشامية فنهبها وأغار عليها واستباحها

وشرح العصام على السمرقندية والفاكهى على القطر ومتن التوضيح والاشمونى على الخلاصة ورسالة الوضع والمغنى وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد المجيرى الملوى فى صحيح البخارى والشيخ عبد السلام على الجوهرة وأجازه بمروياته ومؤلفاته الاجازة العامة وكذلك أجازه الشيخ احمد الجوهرى الشافعى اجازة عامة واجازة خاصة بطريقة مولاى عبد الله الشريف ولازم وقرأ وشارك ولده الشيخ محمد الجوهرى الصغير وحضر ايضا دروس الاستاذ الحفنى فى شرح التلخيص للسعد التفتازانى وشرح التحرير لشيخ الاسلام وشرح الالفية لابن عقيل والاشمونى وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوى المالكى فى شرح الآجرومية للشيخ خالد وشيئا من شرح الهمزية للعلامة ابن حجر وشيئا من تفسير الجلالين والبيضاوى وحضر الشيخ مصطفى السندوبى الشافعى فى شرح ابن القاسم الغزى على ابى شجاع وعلى السيد البليدى فى شرح التهذيب للخبيصى وعلى الشيخ عطية الاجهورى الشافعى فى شرح الخطيب على أبى شجاع وشرح التحرير لشيخ الاسلام وتفسير الجلالين وعلى الشيخ محمد النادى شرح السلم لمصنفه وشرح التحرير وعلى الشيخ أحمد القوصى شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادى وسمع المسلسل بالاولية من عالم أهل المغرب فى وقته الشيخ محمد بن سودة التاودى الفاسى المالكى

فوصلت الغارات الى مالم تكن تبلغه قبل لخلو البلاد من مانع فلما رأى الفرنج تتابع العساكر الى مصر ودخول نور الدين الى بلادهم ونهبها وتخريبها رجعوا خائبين لم يظفروا بشئ ووجدوا بلادهم خرابا وأهلها بين قتيل وأسير فكانوا موضع المثل خرجت النعامة تطلب قرنين رجعت بلا اذنين وكان مدة مقامهم على دمياط خمسين يوما أخرج فيها صلاح الدين أموالا لا تحصى حكى انه قال ما رأيت اكرم من العاضد ارسل الى مرة لمقام الفرنج على دمياط الف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها

❁(ذكر حصر نور الدين الكرك)❁

في هذه السنة في جمادى الآخرة سار نور الدين الى بلد الفرنج فحصر الكرك وهو من امنع المعاقل على طرف البر وكان سبب ذلك ان صلاح الدين ارسل الى نور الدين يطلب ان يرسل اليه والده نجم الدين ايوب فجهزه نور الدين وسيره وسير معه عسكرا واجتمع معه من التجار خلق كثير وانضاف اليهم من كان له مع صلاح الدين انس وصحبة فخاف نور الدين عليهم من الفرنج فسار في عساكره الى الكرك فحصره وضيق عليه ونصب عليه المنجنيقات فاتاه الخبران الفرنج قد جمعوا له وساروا اليه وقد جعلوا في مقدمتهم اليه ابن هنفرى وفريب بن الرقيق وهما فارسا الفرنج في وقتهما فرحل نور الدين نحو هذين المقدمين ليلقاهما ومن معهما قبل ان يلتحق بهما باقي الفرنج فلما قاربهما رجعا القهقرى واجتمعا بباقي الفرنج وسلك نور الدين وسط بلادهم ينهب ويحرق ما على طريقه من القرى الى ان وصل الى بلاد الاسلام فنزل على عشترا واقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم فلم يبرحوا من مكانهم فاقام هو حتى اتاهم خبر الزلزلة الحادثة فرحل واما نجم الدين أيوب فانه وصل الى مصر سالما هو ومن معه وخرج العاضد الخليفة التقاءا كراما له

❁(ذكر غزوة اسرية نورية)❁

كان شهاب الدين الياس بن ايلغازى بن ارتق صاحب قلعة البيرة قد سار في عسكره وهو في مائتي فارس الى نور الدين وهو بعشترا فلما وصل الى قرية اللبوة وهي من عمل بعلبك ركب متصيدا فصادف ثلثمائة فارس من الفرنج قد ساروا للاغارة على بلاد الاسلام سابع عشر شوال فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان لاسيما المسلمون فان الف فارس لا يصبرون لحملة ثلثمائة فارس افرنجية وكثر القتلى بين الطائفتين فانهزم الفرنج وعمهم القتل والاسر فلم يفلت منهم الا من لا يعتد به وسار شهاب الدين برؤس القتلى وبالاسرى الى نور الدين فركب نور الدين والعسكر فلقوهم فرأى نور الدين في الرؤس راس مقدم الاسبتار صاحب حصن الاكراد وكان من الشجاعة بمحل كبير وكان شجا في حلوق المسلمين

❁(ذكر الزلزلة وما فعلته بالشام)❁

في هذه السنة ايضا ثاني عشر شوال كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلها

عندور ودخل مصر في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف بقصد الحج وكتب له اجازة بخطه مع سنده واجازه ايضا بدلائل الخيرات واحزاب الشاذلي وكذلك تلقى الاجازة من الاستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المرزوقي وتلقى ايضا من امام الحرم المكي الشيخ ابراهيم ابن الرئيس محمد الزمزمي الاجازة بالمسبعات واستجازه ايضا بالاسلافه من الاحزاب وكذا من ابي الفوز وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة والف بمكة سنة حجة المترجم

❁(وصل)❁ ولما مات السيد محمد ابو هادي وانقرضت بموته سلسلة اولاد الظهور وذلك في سنة ست وسبعين ومائة و الف تاقت نفس المترجم لخلافتهم وتهيأ لذلك ولبس التاج ايضا والعصابة التي يجعلونها عليه فلم يتم له ذلك وعورض بسيدى احمد بن اسمعيل بك المعروف بالدالي المكنى بابي الامداد لانه في طبقته في النسب وامه السيدة ام المفاخر ابنة الشيخ عبد الخالق باتفاق ارباب الحل والعقد لكونه من بيت الامارة وقد صار منزلهم كمنازل الامراء في الاتساع والتانق والمجالس المزخرفة والقيعان والقصور وفي ضمنه البستان بالنخيل والاشجار وما يجتنى منها من الفواكه والثمار لان معظم الوجاهة والسيادة في هذه الازمان بالمساكن الانيقة

وجهت

وهدمت اكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدها كان بالشام فخربت كثيرا من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وشيزر وبعرين وحلب وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهلك منهم ما يخرج عن الحد فلما اتاه الخبر سار الى بعلبك ليعمر ما انهدم من سورها وقلعتها فلما وصلها اتاه خبر باقي البلاد وخراب اسوارها وقلاعها وخلوها من اهلها فجعل ببعلبك من يعمرها ويحفظها وسار الى حمص ففعل مثل ذلك ثم الى حماة ثم الى بعرين وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج ثم اتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب ممن نجا كل مبلغ وكانوا لا يقدرون يأوون مساكنهم خوفا من الزلزلة فاقام بظاهرها وباشر عمارتها بنفسه فلم يزل كذلك حتى احكم اسوار البلاد وجوامعها واما بلاد الفرنج فان الزلازل ايضا عملت بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفا من نور الدين عليها فاشتغل كل منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر

(ذكر وفاة قطب الدين مودود بن زنكي وملك ابنه سيف الدين غازي)

في هذه السنة في ذي الحجة مات قطب الدين مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بالموصل وكان مرضه حمى حادة ولما اشتد مرضه وصى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكي وعدل عنه الى ابنه الآخر سيف الدين غازي وانما صرف الملك عن ابنه الاكبر عماد الدين زنكي بن مودود لان القيم بامور دولته والمقدم فيها كان خادما له يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين لانه كان طوع عمه نور الدين لكثرة مقامه عنده ولانه زوج ابنته وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق فخر الدين وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي وهي والدة سيف الدين على صرف الملك عن عماد الدين الى سيف الدين فدخل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنصرا به ليعينه على اخذ الملك لنفسه وتوفي قطب الدين وعمره نحو اربعين سنة وكان ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا وكان فخر الدين هو المدبر للامور والحاكم في الدولة وكان قطب الدين من احسن الملوك سيرة واعفهم عن اموال رعيته محسنا اليهم كثير الانعام عليهم محبوبا الى كبيرهم وصغيرهم عطوفا على شريفهم ووضيعهم كريم الاخلاق حسن الصحبة لهم فكأن القائل اراده بقوله

خلق كماء المزن طيب مذاقة * والروضة الغناء طيب نسيم
كالسيف لكن فيه حلم واسع * عمن جنى والسيف غير حليم
كالغيث الا أن وابل جوده * ابدا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر الا أنه ذو رحمة * والدهر قاسي القلب غير رحيم

وكان سريع الانفعال للخير بطيئا عن الشر جم المناقب قليل المعايب رحمه الله ورضي عنه وعن جميع المسلمين بمنه وكرمه انه جواد كريم

والملابس الفاخرة وكثرة الايراد والخدم والحشم خصوصا ان اقترن بذلك شيء من المزايا المتعدية من بذل الاحسان واكرام الضيفان فعند ذلك يصير به قطب الزمان وفريد العصر والاوان فلو فرضنا ان شخصا اجتمعت فيه اوصاف الكمالات المعنوية والمعارف اللدنية وخلا عما ذكر وكان صعلوكا قليل المال كثير العيال فلا يعد في الرجال ولا يلتفت اليه بحال حكم الهيئة واحكام ربانية فلما تقلدها سيدي احمد المذكور دون المترجم بقي متطلعا يسلي نفسه بالاماني ثم قصد الحج في سنة تسع وسبعين كما ذكر فلما عاد من الحج تزوج بوالدة الشيخ محمد ابي هادي واسكنها بمنزل ملاصق لدار الخليفة توصلا وتقربا لما امله ولم تطل مدة الشيخ الى الامداد وتوفي سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه في ترجمته وعند ذلك لم يبق للمترجم معارض وقد مهد احواله وتشدد امره مع من يخشى صولته ومعارضته من الاشياخ وغيرهم ودفن السيد احمد وركب المترجم في صبحها مع اشياخ الوقت والشيخ احمد البكري وجماعة الحزب ونقبائهم الى الرباط بالخرنفش ودخل الى خلوة جدهم فجلس بها ساعة وقرأ ارباب الحزب وظيفتهم ثم ركب مع المشايخ الى امير البلدة وكان اذ ذاك علي بك فخلع عليه وركبوا الى دارهم ومحل سيادتهم المعهودة واصبح متقلدا خلافة اسلافهم ومشيخة سجادتهم فكان لها

❁(ذكر حالة ينبغي للملوك ان يحترزوا من مثلها)❁

حدثني والدي رحمه الله قال كنت أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين كما علمتم فلما كان قبل موته بيسير أتانا كتاب من الديوان بالموصل يامرون بمساحة جميع بساتين العقيمة وهذه العقيمة هي قرية تحاذي الجزيرة منها دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها يمسح فيؤخذ منه على كل جريب شئ معلوم وبعضها عليه خراج وبعضها مطلق عن الجميع قال وكان لي فيها ملك كثير فكنت اقول ان المصلحة ان لا يغير على الناس شئ وما أقول هذا الاجل ملكي فانني انا امسح ملكي واعمار يدان يدوم الدعاء من الناس للدولة فجاءني كتاب النائب يقول لابد من المساحة قال فاظهرت الامر وكان بها قوم صالحون لي بهم انس وبيننا مودة فجاءني الناس كلهم واولئك معهم يطلبون المراجعة فاعلمتهم اني راجعت وما أجبت الى ذلك فجاءني منهم رجلان اعرف صلاحهما وطلبا مني المعاودة ومخاطبة ثانية ففعلت فاصروا على المساحة فعرفتهما الحال قال فما مضى الا عدة أيام واذ قد جاءني الرجلان فلما رأيتهما ظننت انهما جاآ يطلبان المعاودة فعجبت منهما وأخذت اعتذر اليهما فقالا ما جئنا اليك في هذا وانما جئنا نعرفك ان حاجتنا قضيت قال فظننت انهما قد ارسلا الى الموصل الى من يشفع لهما فقلت من الذي خاطب في هذا بالموصل فقالا ان حاجتنا قد قضيت من السماء ولكافة أهل العقيمة قال فظننت أن هذا مما قد حدثا به نفوسهما ثم قاما عني فلم يمض غير عشرة أيام واذا قد جاءنا كتاب من الموصل يامرون باطلاق المساجين والمحبوسين والمكوس ويامرون بالصدقة ويقال ان السلطان يعني قطب الدين مريض يعني على حالة شديدة ثم بعد يومين أو ثلاثة جاءنا الكتاب بوفاته فعجبت من قولهما واعتقدته كرامة لهما فدار والدي بعد ذلك يكثر اكرامهما واحترامهما ويزورهما

❁(ذكر الحرب بين عساكر ابن عبد المؤمن وابن مردنيش)❁

كان محمد بن سعيد بن مردنيش ملك شرق الاندلس قد اتفق هو والفرنج وامتنع على عبد المؤمن وابنه بعده فاستفحل امره لاسيما بعد وفاة عبد المؤمن فلما كان هذه السنة جهز اليه يوسف بن عبد المؤمن فجاسوا بلاده وخربوها واخذوا مدينتين من بلاده واخافوا عساكره وجنوده واقاموا ببلاده مدة ينتقلون فيها ويجبون اموالها

❁(ذكر وفاة صاحب كرمان والخلف بين أولاده)❁

في هذه السنة توفي الملك طغرل بن قاورت صاحب كرمان واختلف اولاده بهرام شاه وارسلان شاه وهو الاكبر وجرى بينهما قتال انهزم فيه بهرام شاه الى خراسان فدخل على المؤيد صاحب نيسابور واستنجده فانجده بعساكر سار بها الى كرمان فجرى بين الاخوين حرب ظفر فيها بهرام شاه وهرب ارسلان شاه فقصد اصفهان مستجيرا بايلدكز فانفذ معه عسكرا واستنقذوا البلاد من بهرام شاه وسلموها الى اخيه ارسلان شاه فعاد بهرام شاه الى نيسابور مستجيرا بالمؤيد صاحبها فاقام عنده فاتفق ان أخاه ارسلان شاه مات فسار

الى

اهلا ومحلا وتقدم على اخيه الشيخ يوسف مع كونه اسن منه لما فيه من زيادة الفضيلة ولما تبطه به من مخادعته وسلامة صدر اخيه وحسن ظنه فيه وانتظم امره واحسن سلوكه بشهامة وحشمة ورآسة وتؤدة وأدب مع الاشياخ والاقران وتحبب الى ارباب المظاهر والاكابر واستجلاب الخواطر وسلوك الطرائق الحميدة والتباعد عن الامور المخلة بالمروءة والاخذ بالحزم والرفق مع الاشتغال في بعض الاحيان بالمطالعة والمذاكرة في المسائل الدينية والادبية ومعاشرة الفضلاء ومجالستهم والمناقشة معهم في النكات واقتناء الكتب من كل فن كل ذلك مع الجد والتحصيل للاسباب الدنيوية وما يتوصل به الى كثرة الايراد بحسن تداخل وجميل طريقة مبعدة عما يخل بالمقدار بحيث يقضي مرامه من العظيم وجميل الفضل له ويراسل ويكاتب ويشاح على ادنى شئ ويحاسب ولا يدفع لارباب الاقلام عوائدهم المقررة في الدفاتر بل يرون ان اخذها منه من الكبائر وكذلك دواوين المكوس المبني على الاجحاف فكل ما نسب له فيها فهو معاف وكلما طال الامد زاد المدد وخصوصا اذا تقلبت الدول وارتفعت السفل كان الاسبق القديم في اعينهم هو الجليل العظيم وهم لديه صغار لا ينظر اليهم الا بعين الاحتقار ولما انقرضت بقايا الشيوخ الذين

الى كرمان فملكها واقام بها بغير منازع

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثرت الاذية من عبد الملك بن محمد بن عطاء وتطرق الى بلاد حلوان ونهب وافسدوا واخذ من الحجاج فانفذ اليه من بغداد عسكر فنازلوه في قلاعه وضايقوه ونهبوا امواله واموال اهله حتى اذعن بالطاعة ولا يعاود اذى الحجاج ولا غيرهم فعاد عنهم العسكر وفيها توفي مجد الدين ابو بكر بن الداية وهو رضيع نور الدين وكان أعظم الامراء منزلة عنده وله في اقطاعه حلب وحارم وقلعة جعبر فلما توفي رد نور الدين ما كان له الى أخيه شمس الدين علي بن الداية وفيها في شعبان توفي احمد بن صالح بن شافع أبو الفضل الجيلي وهو من مشهوري المحدثين (الجيلي) بالجيم والياء تحتها نقطتان

(ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة)

(ذكر وفاة المستنجد بالله)

في هذه السنة تاسع ربيع الآخر توفي المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن المقتفي لامر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله وقد تقدم باقي النسب في غير موضع وامه أم ولد اسمها طاوس وقيل نرجس رومية ومولده مستهل ربيع الآخر سنة عشر وخمسمائة وكان أسمر تام القامة طويل اللحية وكان سبب موته انه مرض واشتد مرضه وكان قد خافه استاذ الدار عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء وقطب الدين قايماز المقتفوي وهو حينئذ أكبر امير ببغداد فلما اشتد مرض الخليفة اتفقا ووضعا الطبيب على ان يصف له ما يؤذيه فوصف له دخول الحمام فامتنع لضعفه ثم انه دخل واغلق عليه بابه فمات وهكذا سمعت عن غير واحد ممن يعلم الحال وقيل ان الخليفة كتب الى وزيره مع طبيبه ابن صفية يامره بالقبض على استاذ الدار وقطب الدين وصلبهما فاجتمع ابن صفية باستاذ الدار واعطاه خط الخليفة فقال له تعود وتقول انني أوصلت الخط الى الوزير ففعل ذلك وحضر استاذ الدار قطب الدين ويزدن وأخاه تنامش وعرض الخط عليهم فاتفقوا على قتل الخليفة فدخل اليه يزدن وقايماز الحميدي فحملاه الى الحمام وهو يستغيث والقياه واغلقا الباب عليه وهو يصيح الى ان مات رحمه الله وكان وزيره ابا جعفر بن البلدي وبينه وبين استاذ الدار وبين قطب الدين عداوة مستحكمة لان المستنجد بالله كان يامره باشياء تتعلق بهما فيفعلها فكانا يظنان انه هو الذي يسعى بهما فلما مرض المستنجد وارجف بموته ركب الوزير ومعه الامراء والاجناد وغيرهما بالعدد فلم يتحقق عنده خبر موته فارسل اليه عضد الدين يقول ان أمير المؤمنين قد خف ما به من المرض واقبلت العافية فخاف الوزير ان يدخل دار الخلافة بالجند فربما انكر عليه ذلك فعاد الى داره وتفرق الناس عنه وكان عضد الدين وقطب الدين قد استعدا للهرب لما ركب الوزير خوفا منه ان دخل الدار ان ياخذهما فلما عاد اغلق استاذ الدار ابواب الدار واظهروا وفاة المستنجد واحضر هو وقطب الدين ابنه ابا محمد الحسن

كان يهابهم ويخضع لهم ويتأدب معهم وكانوا على طرائق الاقدمين في العفة والاجتماع عما يخل بتعظيم العلم واهله والتباعد عن بني الدنيا الا بقدر الضرورة وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك وهم اعاظم مدرسي الوقت فاحدقوا به واكثروا من التردد عليه وعلى موائده وبالغوا في تعظيمه وتقبيل يده ومدحوه بالقصائد البليغة طمعا في صلاته وجوائزه القليلة وحصول الشهرة لهم وزوال الخمول والتعارف بمن يتردد الى داره من الامراء والاكابر وزادهوا يضاوجها ووجاهة بمجالستهم ولا يريهم فضلا بسعيهم اليه ويزداد كبرا وتيها وبلغ به انه لا يقوم لاكثرهم اذا دخل عليه ومنهم من يدخل بغاية الادب فيضم ثيابه ويقول عند مشاهدته يا مولاي يا واحد فيجيبه هو بقوله يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم فاذا حصل بالقرب منه يحو ذراعين حبا على ركبتيه ومد يديه لتقبيل يده او طرف ثوبه واما الادون فلا يقبل الا طرف ثوبه وكذلك اتباعه وخدمه الخواص واذا كان من اهل الذمة او كبار المباشرين وقبلوا ايده وخاطبهم في اشغاله وهم قيام وانصرفوا طلب الطست والابريق وغسل يده بالصابون لازالة اثر افواههم ولا يجيب في رد تحية الا بقول خير خير ولا يقطع غالب اوقاته مع مجالسيه وخاصته

وبايعاه بالخلافة ولقباه المستضيء بامر الله وشرطا عليه شروطا ان يكون عضد الدين وزيرا وابنه كمال الدين استاذ الدار وقطب الدين امير العسكر فاجابهم الى ذلك ولم يتول الخلافة من اسمه الحسن الا الحسن بن علي بن ابي طالب والمستضيء بامر الله واتفقا في الكنية والكرم فبايعه اهل بيته البيعة الخاصة يوم توفي ابوه وبايعه الناس من الغد في التاج بيعة عامة واظهر من العدل اضعاف ما عمل ابوه وفرق اموالا جليلة المقدار وعلم الوزير ابن البلدي فسقط في يده وقرع سنه ندما على ما فرط في عوده حيث لا ينفعه واتاه من يستدعيه للجلوس للعزاء والبيعة للمستضيء فمضى الى دار الخلافة فلما دخلها صرف الى موضع وقتل وقطع قطعا والقي في دجلة رحمه الله واخذ جميع ما في داره فرأيا فيها خطوط المستنجد بالله بامره فيهما بالقبض عليهما وخط الوزير قد راجعه في ذلك وصرفه عنه فلما وقفا عليها عرفا براءته مما كانا يظنان فيه فندما حيث فرطا في قتله وكان المستنجد بالله من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلا فيهم كثير الرفق بهم واطلق كثيرا من المكوس ولم يترك بالعراق منها شيئا وكان شديدا على اهل العيث والفساد والسعاية بالناس (بلغني) انه قبض على انسان كان يسعى بالناس فاطال حبسه فشفع فيه بعض اصحابه المختصين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال انا اعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي انسانا آخر مثله لا كف شره عن الناس ولم يطلقه وورد كثيرا من الاموال على اصحابها ايضا وقبض على القاضي ابن المرخم واخذ منه مالا كثيرا فاعاده على اصحابه ايضا وكان ابن المرخم ظالما جائرا في احكامه

(ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار سيف الدين عليها)

لما بلغ نور الدين محمودا وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وملك ولده سيف الدين غازي الموصل والبلاد التي كانت لابيه بعد وفاته وقام فخر الدين عبد المسيح بالامر معه وتحكمه عليه وكان يبغض فخر الدين لما يبلغه عنه من خشونة سياسته فقال انا اولى بتدبير اولاد اخي وملكهم وسار عند انقضاء العزاء جريدة في قلة من العسكر وعبر الفرات عند قلعة جعبر مستهل المحرم من هذه السنة وقصد الرقة فحصرها واخذها ثم سار الى الخابور فملكه جميعه وملك نصيبين واقام بها يجمع العساكر فاتاه بها نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وكثر جمعه وكان قد ترك اكثر عساكره بالشام لحفظ ثغوره فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها ونصب عليها المنجنيقات وملكها وسلمها الى عماد الدين ابن اخيه قطب الدين وكان قد جاءته كتب الامراء الذين بالموصل سرا يبذلون له الطاعة ويحثونه على الوصول اليهم فسار الى الموصل فاتى مدينة بلد وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقي وسار فنزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل ومن العجب انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة وكان سيف الدين غازي قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين الى الاتابك شمس الدين ايلدكز صاحب همذان وبلد الجبل واذربيجان واصفهان

والري

ومشاربه الابانتقاد اهل مصره وغيبة غالب اهل عصره وتنبسط نفسه لذلك واليه يصغي كلا ان الانسان ليطغى وفي سنة تسعين ومائة والف ورد الى مصر عبد الرزاق افندي رئيس الكتاب ومن اكابر اهل الدولة فتداخل معه واصطحب به واهدى اليه هدايا واستدعاه واضافه وحضر في ذلك العام محمد باشا المعروف بالعزتي واليا على مصر فانهى اليه بمعونة الرئيس المذكور احتياج زاوية اسلافه للعمارة ودعا الباشا لزيارة قبورهم في يوم المولد المعتاد السنوي وذكر له المقصود واظهر له بعض الخلل وزين له ذلك الفعل وانه من تمام الشعائر الاسلامية والمشاهد التي يجب الاعتناء بشانها والسعي والطواف بحرمها وكان المعين والسفير والمساعد في ذلك ايضا شيخنا محدث العصر السيد محمد مرتضى وهو عند العثمانيين مقبول القول وكان عبد الرزاق الرئيس يتلقى عنه المسلسلات والاجازات وقرا عليه مقامات الحريري فاجاب الباشا ووعد باتمام ذلك وكاتب الدولة وورد الامر باطلاق خمسين كيسا لمصرف العمارة من خزينة مصر فشرع في هدم حوائطها ووسعها من وضعها الاصلي واندرس في جدرانها قبور ومدافن وحيطانها وزخرفها بالنقوش وانواع الرخام الملون والمموه بالذهب والاعمدة الرخام ثم كاتب الدولة

والرى وتلك الاعمال يستنجده على عمه نور الدين فارسل ايلدكز رسولا الى نور الدين ينهاه عن التعرض الى الموصل ويقول له ان هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها فلم يلتفت اليه وقال للرسول قل لصاحبك انا اصلح لاولاد اخي منك فلم تدخل نفسك بيننا وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان فانك قد ملكت هذه المملكة العظيمة واهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها وقد بليت انا ولي مثل ربع بلادك بالفرنج وهم اشجع العالم فاخذت معظم بلادهم واسرت ملوكهم ولا يحل لي السكوت عنك فانه يجب علينا القيام بحفظ ما اهملت وازالة الظلم عن المسلمين فاقام نور الدين على الموصل فعزم من بها من الامراء على مجاهرة فخر الدين عبد المسيح بالعصيان وتسليم البلاد الى نور الدين فعلم ذلك فارسل الى نور الدين في تسليم البلاد اليه على ان يقره بيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان ولماله فاجابه الى ذلك وشرط ان فخر الدين ياخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعا يرضيه فتسلم البلد ثالث عشر جمادى الاولى من هذه السنة ودخل القلعة من باب السر لانه لما بلغه عصيان عبد المسيح عليه حلف ان لا يدخلها الا من احصن موضع فيها ولما ملكها اطلق ما بها من المكوس وغيرها من ابواب المظالم وكذلك فعل بنصيبين وسنجار والخابور وهكذا كان جميع بلاده من الشام ومصر ووصله وهو على الموصل يحاصرها خلعة من الخليفة المستضيء بامر الله فلبسها ولما ملك الموصل خلعها على سيف الدين ابن اخيه وامره وهو بالموصل بعمارة الجامع النوري وركب هو بنفسه الى موضعه فرآه وصعد منارة مسجد ابي حاضر فاشرف منها على موضع الجامع فامر ان يضاف الى الارض التي شاهدها ما يجاورها من الدور والحوانيت وان لا يؤخذ منها شيء بغير اختيار اصحابه وولى الشيخ محمد الملا عمارته وكان من الصالحين الاخيار فاشترى الاملاك من اصحابها باوفر الاثمان وعمره فخرج عليه اموال كثيرة وفرغ من عمارته سنة ثمان وستين وخمسمائة واما نور الدين فانه عاد الى الشام واستناب في قلعة الموصل خصيا كان له اسمه كمشتكين ولقبه سعد الدين وامر سيف الدين ان لا ينفرد عنه بقليل من الامور ولا بكثير وحكمه واقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن اخيه قطب الدين فلما فعل ذلك قال كمال الدين ابن الشهرزوري هذا طريق الى اذى يحصل لبيت اتابك لان عماد الدين كبير لا يرى طاعة سيف الدين وسيف الدين هو الملك لا يرى الاغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف ويطمع الاعداء فكان كذلك على ما نذكره سنة سبعين وخمسمائة وكان مقام نور الدين بالموصل اربعة وعشرين يوما واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وغير اسمه فسماه عبد الله واقطعه اقطاعا كبيرا

(ذكر غزو صلاح الدين بلاد الفرنج وفتح ايلة)

وفي هذه السنة سار صلاح الدين ايضا عن مصر الى بلاد الفرنج فاغار على اعمال

وانهى ان ذلك القدر لم يكف وان العمارة لم تكمل والاحسان بالانعام فاطلقوا له خمسين كيسا اخرى واتمها على هذا الوضع الذي هي عليه الآن وانشأ حولها اماكن ومخادع ووسع القصر الملاصق لها المختص به لجلوسه ومواضع الحريم ايام المولد ثم ارسل في اثر ذلك كتخداه ووزيره الشيخ ابراهيم السندوبي الى دار السلطنة بمكاتبات وعرض لرجال الدولة والتمس رفع ما على قرية زفتا وغيرها مما في حوزه من الالتزام من المال الميري الذي يدفع الى الديوان في كل سنة وكان ابراهيم المذكور غاية في الدهاء والحيل السلطانية والتصنعات الشيطانية والتخليطات الوهمية وتقليبات الملامتية فتمم مرامه بما ابتدعه من الخرقة والايهامات الملفقة ولم يدفع ما جرت به العادة من العوائد بل اجتلب خلاف ذلك فوائد ولما حضر حسن باشا الجزايرلي الى مصر على رأس القرن وخرج الامراء المصريون الى الجهة القبلية واستباح اموالهم وقبض على نسائهم واولادهم وامر بانزالهم سوق المزاد وبيعهم زاعما انهم ارقاء لبيت المال وفعل ذلك فاجتمع الاشياخ وذهبوا اليه فكان المخاطب له المترجم قائلا له انت اتيت الى هذه البلدة وارسلك السلطان الى اقامة العدل ورفع الظلم كما تقول او لبيع الاحرار وامهات الاولاد وهتك الحريم فقال هؤلاء ارقاء

عسقلان والرملة وهجم على ربض غزة فنهبه واتاه ملك الفرنج في قلة من العسكر مسرعين لرده عن البلاد فقاتلهم وهزمهم وافلت ملك الفرنج بعد ان اشرف ان يؤخذ اسيرا وعاد الى مصر وعمل مراكب مفصلة وحملها قطعا على الجمال في البر وقصد ايلة فجمع قطع المراكب والقاها في البحر وحصر ايلة برا وبحرا وفتحها في العشر الاول من ربيع الآخر واستباح اهلها وما فيها وعاد الى مصر

(ذكر ما اعتمده صلاح الدين بمصر هذه السنة)

كان بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيها من يريد حبسه فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وازال ما كان فيها من الظلم وبنى دار العدل مدرسة للشافعية ايضا وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة واقام قاضيا شافعيا في مصر فاستناب القضاة الشافعية في جميع البلاد في العشرين من جمادى الآخرة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اشترى تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين منازل العز بمصر وبناها مدرسة للشافعية وفيها اغار شمس الدولة تورانشاه اخو صلاح الدين على الاعراب الذين بالصعيد وكانوا قد افسدوا في البلاد ومدوا أيديهم فكفوا عما كانوا يفعلونه وفيها مات القاضي ابن الخلال من اعيان الكتاب المصريين وفضلائهم وكان صاحب ديوان الانشاء بها وفيها وقع حريق ببغداد في درب المطبخ وفي خرابة ابن جردة وفيها توفي الامير نصر بن المستظهر بالله عم المستنجد بالله وجوه وهو آخر من مات من أولاد المستظهر بالله وكان موته في ذي القعدة ودفن في الترب بالرصافة وفيها جعل ظهير الدين ابو بكر نصر بن العطار صاحب المخزن ببغداد ولقب ظهير الدين وفيها حج بالناس الامير طاشتكين المستنجدي وكان نعم الامير رحمه الله

(ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة)

(ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العلوية)

في هذه السنة في ثاني جمعة من المحرم قطعت خطبة العاضد لدين الله ابي محمد الامام عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد بن ابي القاسم محمد بن المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحسن علي بن الحاكم بامر الله ابي علي المنصور ابن العزيز بالله ابي منصور بن نزار بن المعز لدين الله ابي تميم معد بن المنصور بالله ابي الظاهر اسمعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم محمد بن المهدي بالله ابي محمد عبيد الله وهو اول العلويين من هذا البيت الذين خطب لهم بالخلافة وخوطبوا بامرة المؤمنين وكان سبب الخطبة العباسية بمصر ان صلاح الدين يوسف بن ايوب لما ثبت قدمه بمصر وازال المخالفين له وضعف امر الخليفة بها العاضد وصار قصره يحكم فيه صلاح الدين ونائبه قراقوش وهو خصي كان من اعيان الامراء الاسدية كلهم يرجعون اليه فكتب اليه نور الدين محمود بن زنكي يأمره بقطع الخطبة

العاضدية

لبيت المال فقال له هذا لا يجوز ولم يقل به احد فاغتاظ غيظا شديدا وطلب كاتب ديوانه وقال له اكتب أسماء هؤلاء واخبر السلطان بمعارضتهم لاوامره فقال له السيد محمود البنوفري اكتب ماتريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا فافحمهم وانكف عن اتمام قصده وايضا تتبع اموالهم وودائعهم وكان ابراهيم بك الكبير قد اودع عند المترجم وديعة وكذلك مراد بك اودع عند محمد افندي البكري وديعة وعلم ذلك حسن باشا فارسل عسكرا الى السيد البكري فلم تسعه المخالفة وسلم ما عنده وارسل كذلك يطلب من المترجم وديعة ابراهيم بك فامتنع من دفعها قائلا الان صاحبها حي وقد كتبت على نفسي وثيقة بان لا أسلم ذلك مادام صاحبها في قيد الحياة فاشتد غيظ الباشا منه وقصد البطش به فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق فكان يقول لم أر في جميع الممالك التي وجلتها من اجترأ على مخالفتي مثل هذا الرجل فانه أحرق قلبي ولما ارتحل من مصر ورجع المصريون الى دولتهم حصل من مراد بك في حق السيد البكري ما حصل وغرمه مبلغا عظيما باع فيه اقطاعه في نظير تفريطه في وديعته واحتج عليه بامتناع نظيره وحصل له قهر ومرض بسببه وتسلسل به المرض حتى مات ويقال ان مراد بك ارسل اليه الحكيم ودس له السم في العلاج ثم مات رحمه الله

العاضدية واقامة الخطبة المستضيئية فامتنع صلاح الدين واعتذر بالخوف من قيام اهل الديار المصرية عليهم لميلهم الى العلويين وكان صلاح الدين يكره قطع الخطبة لهم و يريد بقاءهم خوفا من نور الدين فانه كان يخافه ان يدخل الى الديار المصرية ياخذها منه فكان يريد ان يكون العاضد معه حتى ان قصده نور الدين امتنع به وباهل مصر عليه فلما اعتذر الى نور الدين بذلك لم يقبل عذره والح عليه بقطع خطبته والزمه الزاما لافسحة له فى مخالفته وكان على الحقيقة نائب نور الدين واتفق ان العاضد مرض هذا الوقت مرضا شديدا فلما عزم صلاح الدين على قطع خطبته استشار امراءه فمنهم من اشار به ولم يفكر فى المصريين ومنهم من خافه الا انه ما يمكنه الا امتثال امر نور الدين وكان قد دخل الى مصر انسان اعجمى يعرف بالامير العالم رايته انا بالموصل فلما راى ماهم فيه من الاحجام وان احدا لا يتجاسر يخطب للعباسى قال انا ابتدئ بالخطبة له فلما كان اول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضئ ففعلوا ذلك فلم ينتطح فيها عنزان وكتب بذلك الى سائر بلاد مصر ففعلوا وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه احد من اهله واصحابه بقطع الخطبة وقالوا ان عوفى فهو يعلم وان توفى فلا ينبغى ان نفجعه بمثل هذه الحادثة قبل موته فتوفى يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع الخطبة ولما توفى جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه فحفظه بهاء الدين قراقوش الذى كان قد رتبه قبل موت العاضد فحمل الجميع الى صلاح الدين وكان من كثرته يخرج عن الاحصاء وفيه من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة ما تخلو الدنيا عن مثله ومن الجواهر التى لم توجد عند غيرهم فمنه الحبل الياقوت وزنه سبعة عشر درهما او سبعة عشر مثقالا انا لا اشك فانى رأيته ووزنته واللؤلؤ الذى لم يوجد مثله ومنها النصاب الزمرذ الذى طوله اربع اصابع فى عرض عقد كبير ووجد فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد وقد احتاطوا بالحفظ فلما رأوه ظنوه عمل لاجل اللعب فيه فسخروا من العاضد فاخذه انسان فضرب به فضرط فتضاحكوا منه ثم آخر كذلك وكان كل من ضرب به ضرط فالقاه احدهم فكسره فاذا الطبل لاجل القولنج فندموا على كسره لما قيل لهم ذلك وكان فيه من الكتب النفيسة المعدومة المثل ما لا يعد فباع جميع ما فيه ونقل اهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم واخرج جميع من فيه من امة وعبد فباع البعض واعتق البعض ووهب البعض وخلا القصر من سكانه كأن لم يغن بالامس فسبحان الحى الدائم الذى لا يزول ملكه ولا تغيره الدهور ولا يقرب النقص حماه ولما اشتد مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه فظن ذلك خديعة فلم يمض اليه فلما توفى علم صدقه فندم على تخلفه عنه وكان يصفه كثيرا بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه وانقياده وكان فى نسبه تسع خطب لهم بالخلافة وهم الحافظ والمستنصر والظاهر والحاكم والعزيز والمعز والمنصور والقائم والمهدى ومنهم من لم يخطب له بالخلافة ابوه يوسف بن الحافظ وجد ابيه وهو الامير ابو القاسم محمد بن

وكانت منه هفوة ولابد للجواد من كبوة ومن لم ينظر فى العواقب فليس له الدهر بصاحب حتى قيل انه هو الذى عرف حسن باشا عن ذلك لينال به زيادة فى الحظوة عنده و يترك منها حصة لنفسه بقرينة ما ظهر عليه فى عقب ذلك من التوسع وقد غلب على ظنه بل وظن غالب الناس انقراض المصريين وغفلوا عن تقلبات الدهر فى كل حين واما المترجم فانه لما اخذ بالحزم سلم وورد الامانة الى صاحبها دين قدم وحسنت فيهم سيرته وزادت عندهم محبته وفى عقب ذلك نزل السيد محمد افندى البكرى المذكور عن وظيفة نظر المشهد الحسينى للمترجم وارسل اليه بصندوق دفاتر الوقف وكان نظر المشهد بيدهم مدة طويلة ووعده المترجم بان يبدله عنه وظيفة النظر على وقف الشافعى فلما حصل الفراغ واحتوى على الدفاتر نكث وطمع فى الوظيفتين بل ومد يده الى غيرهما لعدم من يعارضه ولا يدافعه من الامراء وغيرهم مثل نظر المشهد النفيسى والزينبى وباقى الاضرحة الكثيرة الايراد التى يصادبها الدنيا من كل ناد وتاتيها الخلائق بالقربانات وانواع النذورات واخذ يحاسب المباشرين وخدمة الاضرحة المذكورة على الايرادات والنذورات ويحاققهم على الذرات ويسبهم ويشتمهم ويضربهم بالجريد المصص على ارجلهم وفعل ذلك بالسيد بدوى

المستنصر وبقي من خطب له بالخلافة وليس من آبائه المستعلي والآمر والظافر
والفائز وجميع من خطب له منهم بالخلافة أربعة عشر خليفة منهم بافريقية المهدي
والقائم والمنصور والمعز الى ان سار الى مصر ومنهم بمصر المعز المذكور وهو أول من
خرج اليها من افريقية والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والآمر
والحافظ والظافر والفائز والعاضد وجميع مدة ملكهم من حين ظهر المهدي
بسجلماسة في ذي الحجة من سنة تسع وتسعين ومائتين الى ان توفي العاضد مائتان
واثنتان وسبعون سنة وشهر تقريبا وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل
الا وتمررت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر وكدرها قد يخلو من
الصفو نسأل الله تعالى ان يقبل بقلوبنا اليه ويرينا الدنيا حقيقة ويزهدنا فيها
ويرغبنا في الآخرة انه سميع الدعاء قريب من الاجابة ولما وصلت البشارة الى
بغداد بذلك ضربت البشائر بها عدة أيام وزينت بغداد وظهر من الفرح والجذل
ما لا حد عليه وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم المقتفوية
والمقدمين في الدولة لنور الدين وصلاح الدين فسار صندل الى نور الدين والبسه الخلعة
وسير الخلعة التي لصلاح الدين وللخطباء بالديار المصرية والاعلام السود ثم ان هذا
صندلا صار استاذ دار الخليفة المستضيء بامر الله ببغداد وكان يدري الفقه على
مذهب الشافعي وسمع الحديث ورواه ويعرف اشياء حسنة وفيه دين وله معروف كثير
وهو من محاسن بغداد

* ذكر الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطنا *

في هذه السنة جرت امور اوجبت أن تأثر نور الدين من صلاح الدين ولم يظهر ذلك وكان
سببه ان صلاح الدين يوسف بن ايوب سار عن مصر في صفر من هذه السنة الى بلاد
الفرنج غازيا ونازل حصن الشوبك وبينه وبين الكرك يوم وحصره وضيق على من به
من الفرنج وأدام القتال وطلبوا الامان واستمهلوه عشرة أيام فاجابهم الى ذلك فلما
سمع نور الدين بما فعله صلاح الدين سار عن دمشق قاصدا بلاد الفرنج أيضا ليدخل
اليه من جهة أخرى فقيل لصلاح الدين ان دخل نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه
الحال انت من جانب ونور الدين من جانب ملكها ومتى زال الفرنج عن الطريق
واخذ ملكهم لم يبق بديار مصر مقام مع نور الدين وان جاء نور الدين اليك وانت ههنا
فلا بد لك من الاجتماع به وحينئذ يكون هو المتحكم فيك بما شاء ان شاء تركك او لا
فقد لا تقدر على الامتناع عليه والمصلحة الرجوع الى مصر فرحل عن الشوبك عائدا
الى مصر ولم يأخذه من الفرنج وكتب الى نور الدين يعتذر باختلال البلاد المصرية
لامور بلغته عن بعض شيعته العلويين وانهم عازمون على الوثوب بها فانه يخاف
عليها من البعد عنها ان يقوم اهلها على من تخلف بها فيخرجوهم وتعود ممتنعة واطال
الاعتذار فلم يقبلها نور الدين منه وتغير عليه وعزم على قصد مصر واخراجه عنها وظهر

انقباض السيد البكري ونزوله
عن نظر المشهد ضيق صدره
من المذكور ومما كدره له
واستيلاءه على المحل وحصول
الوقف والتقصير في مصارفه
اللازمة وينسب التقصير
للناظر وكان رحمه الله عظيم
الهمة يغلب عليه الحياء
والمسامحة ويرى خلاف
ذلك من سفاسف الامور
فتنزل من ذلك وترك فعله
لغيره فلما اوقع المترجم بالسيد
بدوي باقي عظماء المدينة
ما اوقع انقمع الباقون وذلوا
وخافوه اشد الخوف ووشوا
على بعضهم البعض وطفق
يطالبهم بالنذور والشموع
والاغنام والعجول وما يتحصل
من صندوق الضريح من المال
وكانوا يختصون بذلك كله
واقلهم في رفاهية من العيش
وجمع المال مع السفالة
والشحاذة حتى من الفقير
المعدم المفلس والكسرة
الناشفة وكان اذا أراد
الايقاع بشخص اواهانته وخشي
عاقبة ذلك أو لوما لحقه ممن
ينتصر له مهد له الطريق
من قبل الايقاع به فانه لما
أراد ضرب السيد بدوي طاف
على الشيخ العروسي وأمثاله
واسرهم ما في نفسه وامتدت
يده ايضا الى شهود بيت القاضي
فكان اذا بلغه ان احدهم
كتب حجة استبدال او اجارة بمكان مدة طويلة لناظر او مستحق وكان ذلك المكان

ذلك فسمع صلاح الدين الخبر فجمع اهله وفيهم ابوه نجم الدين ايوب وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم سائر الامراء واعلمهم ما بلغه من عزم نور الدين وحركته اليه واستشارهم فلم يجبه احد بكلمة واحدة فقام تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين فقال اذا جاءنا قاتلناه ومنعناه عن البلاد ووافقه غيره من اهلهم فشتمهم نجم الدين ايوب وانكر ذلك واستعظمه وشتم تقي الدين واقعده وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا خالك شهاب الدين ونحن اكثر محبة لك من جميع من ترى والله لو رايت انا وهذا خالك نور الدين لم يمكنا الا ان نقبل بين يديه ولو امرنا ان نضرب عنقك بالسيف لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا فما ظنك بغيرنا وكل من تراه عندك من الامراء لو راى نور الدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم وهذه البلاد له ونحن مماليكه ونوابه فيها فان اراد سمعنا واطعنا والراى ان تكتب كتابا مع نجاب تقول فيه بلغني انك تريد الحركة لاجل البلاد فاى حاجة الى هذا يرسل المولى نجابا يضع في رقبتي منديلا وياخذني اليك وما ههنا من يمتنع وقام الامراء وغيرهم وتفرقوا على هذا فلما خلا به ايوب قال له باى عقل فعلت هذا اما تعلم ان نور الدين اذا سمع عزمنا على منعه ومحاربته جعلنا اهم الوجوه اليه وحينئذ لا نقوى عليه واما الآن اذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا والاقدار تعمل عملها والله لو اراد نور الدين قصبة من قصب السكر لقاتلته انا عليها حتى امنعه او اقتل ففعل صلاح الدين ما اشار به فترك نور الدين قصده واشتغل بغيره فكان الامر كما ظنه ايوب فتوفي نور الدين ولم يقصده وملك صلاح الدين البلاد وكان هذا من احسن الآراء واجودها

(ذكر غزوة الى الفرنج بالشام)

وفي هذه السنة خرج مركبان من مصر الى الشام فارسا بمدينة لاذقية فاخذهما الفرنج وهما مملوآن من الامتعة والتجارة وكان بينهم وبين نور الدين هدنة فنكثوا وغدروا فارسل نور الدين اليهم في المعنى واعادة ما اخذوه من اموال التجار فغالطوه واحتجوا بامور منها ان المركبين كانا قد انكسرا ودخلهما الماء وكان الشرط ان كل مركب ينكسر ويدخله الماء ياخذونه فلم يقبل مغالطتهم وجمع العساكر وبث السرايا في بلادهم بعضها نحو انطاكية وبعضها نحو طرابلس وحصر هو حصن عرقة وخرب ربضه وارسل طائفة من العسكر الى حصن صافيثا وعريمة فاخذهما عنوة ونهب وخرب وغنم المسلمون غنائم كثيرة وعادوا اليه وهو بعرقة فسار في العساكر جميعها الى ان قارب طرابلس ينهب ويخرب ويحرق ويقتل واما الذين ساروا الى انطاكية ففعلوا في ولايتها مثل ما فعل في ولاية طرابلس فراجعه الفرنج وبذلوا جميع ما اخذوه من المركبين وتجديد الهدنة معهم فاجابهم الى ذلك واعادوا ما اخذوا وهم صاغرون وقد خربت بلادهم وغنمت اموالهم

(ذكر وفاة ابن مردنيش وملك يوسف بن عبد المؤمن بلاده)

يؤول بعد انقراض مستحقيه اضر بهم من الاضرحة التي تحت نظره اخص ذلك الكاتب ووبخه ولعنه ولربما ضربه وابطل تلك المكاتبة ومحاها من سجل القاضي او يصالحونه على تنفيذ ذلك مع انها لا تؤول الى تلك الجهة الا بعد سنين واعوام متطاولة وقد نص علماء الشرع على ان الوقف والنذر للقبور والاضرحة باطل فان قيل بصحته على الفقراء قلنا ان سدنة هذه الاضرحة ليسوا بفقراء بل هم الآن اغنى الناس والفقراء حقيقة خلافهم من اولاد الناس الذين لا كسب لهم والكثير من اهل العلم الخاملين والذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسيني قهر السيد بدوي المباشر المذكور واخذ دار سكنه شرقي المسجد واخرجه منها وهدمها وانشاها دارا لنفسه ينزل بها ايام المولد المعتاد وياتي اليها في كل جمعة او جمعتين ولما تم بناؤها ونظامها وقرب وقت ايام المولد انتقل اليها بخدمه وحريمه وتقدم الى حكام الشرطة بامر الناس والمناداة على اهل الاسواق والحوانيت بالسهر بالليل ووقود السرج والقناديل خمس عشرة ليلة المولد وكان في السابق ليلة واحدة واحدثوا في تلك الليالي سيارات وجمعيات وطبولا وزمورا ومناور ومشاعل وجمع خلائق من اوباش العالم الذين ينتسبون الى الطرائق كالاحمدية

في هذه السنة توفي الامير محمد بن سعد بن مردنيش صاحب البلاد بشرق الاندلس وهي مرسية وبلنسية وغيرهما ووصى اولاده ان يقصدوا بعد موته الامير ابا يعقوب وكان قد اجتاز الى الاندلس في مائة الف مقاتل قبل موت ابن مردنيش فحين رآهم يوسف فرح بهم وسره قدومهم عليه وتسلم بلادهم وتزوج اختهم واكرمهم وعظم امرهم ووصلهم بالاموال الجزيلة واقاموا معه

ذكر عبور الخطا جيحون والحرب بينهم وبين خوارزمشاه

في هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون يريدون خوارزم فسمع صاحبها خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز فجمع عساكره وسار الى امويه ليقاتلهم ويصدهم فمرض واقام بها وسير بعض جيشه مع امير كبير اليهم فلقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الخوارزميون واسر مقدمهم ورجع به الخطا الى ماوراء النهر وعاد خوارزمشاه الى خوارزم مريضا

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وهي التي يقال لها المناسيب وهي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها وجعلها في جميع بلاده وسبب ذلك انه لما اتسعت بلاده وطالت مملكته وعرضت اكنافها وتباعدت اوائلها عن اواخرها ثم انها جاورت بلاد الفرنج وكانوا ربما نازلوا حصنا من ثغوره فالى ان يصل الخبر ويصل اليهم قد بلغوا غرضهم منه فامر بالحمام ليصل الخبر اليه في يومه واجرى الجرايات على المرتبين لحفظها واقامتها فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للمسلمين وفيها عزل الخليفة المستضيء بامر الله وزيره عضد الدين ابا الفرج بن رئيس الرؤساء لان قطب الدين قايماز الزمه بعزله فلم يمكنه مخالفته وفيها مات ابو محمد عبد الله بن احمد الخشاب اللغوي وكان قيما بالعربية وسمع الحديث وفيها مات البوري الفقيه الشافعي تفقه على محمد بن يحيي وقدم بغداد ووعظ وكان يذم الحنابلة وكثرت اتباعه فاصابه اسهال فمات هو وجماعة من اصحابه فقيل ان الحنابلة اهدوا له حلواء فاكل منها فمات وكل من اكل منها وفيها مات القرطبي ابو بكر يحيي بن سعدون بن تمام الازدي الاندلسي وكان اماما في القراءة والنحو وغيره من العلوم زاهدا عابدا انتفع به الناس في كثير من البلاد ولاسيما اهل الموصل فانه اقام بها وفيها توفي رحمه الله

ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة

ذكر وفاة خوارزمشاه ايل ارسلان وملك ولده سلطانشاه وبعده ولده الآخر تكش وقتل المؤيد وملك ابنه

في هذه السنة توفي خوارزمشاه ايل ارسلان بن اتسز بن محمد بن انوشتكين قد عاد من قتال الخطا مريضا فتوفي وملك بعده سلطانشاه محمود ودبرت والدته المملكة والعساكر وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش مقيما في الجند قد اقطعه ابوه اياها فلما بلغه موت ابيه وتولية اخيه الصغير انف من ذلك وقصد ملك الخطا واستمده على اخيه واطمعه

والسعدية والشعيبية ويتجاوبون في وسط الطبول بالفاظ مستهجنة ينادون بها مشايخ طرقهم بكلمات وعبارات تشمئز منها الطباع وأمرهم بان يمروا من تحت داره ودعا أمراء البلدة في ظرف تلك الايام متفرقين ودعا عابدين باشا يوم المولد ولما سكن بتلك الدار وهي قبالة الميضاة والمراحيض فكان يتضرر من الرائحة فقصد ابطالها من تلك الجهة فاشترى دارا قبلي المسجد وهي بجانب حائط المسجد الجنوبية الفاصلة بينها وبين المسجد وأدخل منها جانبا في المسجد وزاد فيه مقدار زاكية وجعلها مرتفعة عن أرض المسجد درجة لتمتاز عن البناء القديم وجعل به محرابا ومن خلفه خلوة يسلك اليها من باب بصدر الليوان المذكور الى فسحة لطيفة امام الخلوة وبالخلوة شباك مطل على الليوان الصغير الذي بقبة الضريح وانشا فيما بقي من الدار ميضاة ومراحيض وفتح لها بابا من داخل المسجد من آخره بجانب باب السبيل وأبطل الميضاة القديمة لانحراف مزاجه وتاذيه من رائحتها وتحول عبور الناس من داخل وخارج الى هذه الجديدة واتت عليها مدة ايام ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد وما انضاف الى ذلك أيضا من البلل والتقذير من أرجل الاوباش لقربها من المسجد فلغط الناس ومن يحضر في أوقات الصلاة

في

في الاموال وذخائر خوارزم فسير معه جيشا كثيفا مقدمهم قرما فساروا حتى قاربوا
خوارزم فخرج سلطانشاه وأمه الى المؤيد واهدى له هدية جليلة المقدار ووعده أموال
خوارزم وذخائرها فاغتر بقوله وجمع جيوشه وسار معه حتى بلغ سوبرلي بليدة على
عشرين فرسخا من خوارزم وكان تكش قد عسكر بالقرب منها فتقدم اليهم فلما تراءى
الجمعان انهزم عسكر المؤيده كسر المؤيد وأخذ اسيرا وجيء به الى خوارزمشاه تكش فامر
بقتله فقتل بين يديه صبرا وهرب سلطانشاه وأخذ الى دهستان فقصده خوارزمشاه تكش
فافتتح المدينة عنوة فهرب سلطانشاه واخذت امه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ولما عاد
المنهزمون الى نيسابور ملكوا طغانشاه ابابكر بن المؤيد واتصل به سلطانشاه ثم سار
من هناك الى غياث الدين ملك الغورية فاكرمه وعظمه واحسن ضيافته واما علاء
الدين تكش فانه لما ثبت قدمه بخوارزم اتصلت به رسل الخطا بالاقتراحات والتحكم
كعادتهم فاخذته حمية الملك والدين وقتل احد اقارب الملك وكان قد ورد اليه ومعه
جماعة ارسله ملكهم في مطالبة خوارزمشاه بالمال فامر خوارزمشاه اعيان خوارزم
فقتل كل واحد منهم رجلا من الخطا فلم يسلم منهم احد ونبذوا الى ملك الخطا عهده
وبلغ ذلك سلطانشاه فسار الى ملك الخطا واغتنم الفرصة بهذه الحال واستنجده على أخيه
علاء الدين تكش وزعم له أن أهل خوارزم معه يريدونه ويختارون ملكه عليهم ولو
رأوه اسلموا البلد اليه فسير معه جيشا كثيرا من الخطا مع قرما ايضا فوصلوا الى خوارزم
فحصروها فامر خوارزمشاه علاء الدين باجراء ماء جيحون عليهم فكادوا يغرقون
فرحلوا ولم يبلغوا منها غرضا ولحقهم الندم حيث لم ينفعهم ولاموا سلطانشاه وعنفوه
فقال القرما لو ارسلت معي جيشا الى مرو فاستخلصتها من يد دينار الغزي وكان قد استولى
عليها من حين كانت فتنة الغز الى الآن فسير معه جيشا فنزل على سرخس على غرة
من اهلها وهجم على الغز فقتل مقتلة عظيمة فلم يتركوا بها احدا منهم والقى دينار
ملكهم نفسه في خندق القلعة فاخرج منه ودخل القلعة وتحصن بها وسار سلطان شاه الى
مرو فملكها وعاد الخطا الى ماوراء النهر وجعل سلطان شاه دأبه قتال الغز والقتل فيهم
والنهب منهم فلما عجز دينار عن مقاومته ارسل الى نيسابور الى طغان شاه بن المؤيد
يقول له ابرسل اليه من يسلم اليه قلعة سرخس فارسل اليه جيشا مع امير اسمه قراقوش
فسلم اليه دينار القلعة ولحق بطغان شاه فقصد سلطان شاه سرخس وحصر قلعتها وبلغ
ذلك طغان شاه فجمع جيوشه وقصد سرخس فلما التقى هو وسلطان شاه فر طغان
شاه الى نيسابور وذلك سنة ست وسبعين وخمسمائة فاخلى قراقوش قلعة سرخس
ولحق بصاحبه وملكها سلطان شاه ثم أخذ طوس والزام وضيق الامر على طغان
شاه بعلو همته وقلة قراره وحرصه على طلب الملك وكان طغان شاه يحب الدعة ومعاقرة
الخمر فلم يزل الحال كذلك الى ان مات طغان شاه سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة في المحرم
وملك ابنه سنجرشاه فغلب عليه مملوك جده المؤيد اسمه منكلي تكين فتفرق الامراء
انفة من تحكمه واتصل اكثرهم بسلطان شاه وسار الملك دينار الى كرمان ومعه الغز

من اتراك خان الخليلي والتجار وشنعوا القالة وقاموا قومة واحدة و أغلقوا الباب وابطلوا تلك الميضاة ومنعوا
من دخولها وساعدهم
المتصوفون من اجناسهم
فانكسف بال المترجم لذلك
ولم يمكنه تنفيذ فعله واعاد
الميضاة القديمة كما كانت
وجعل المستجدة مربطا للحمير
يستغل اجرته بعد أن ازال
تلك الميضاة ومحا اثر ذلك
وكان بناء هذه الزيادة سنة
ست بعد المائتين ثم زاد في
منزل سكنهم زيادة من ناحية
البركة المعروفة ببركة الفيل
خلف البستان اخذ في تلك
الزيادة مقدارا كبيرا من
ارض البركة وانشاء مجلسا
مربعا متسعا مطلا على البركة
من جهتيه وبوسطه عامود
من الرخام وبلط دورقاعته
بالرخام وجعل به مخدعا
وخارجه فسحة كبيرة
وشبابيكها مطلة على البركة
وصارت القاعة القديمة
المعروفة بالغزال الملتفت
بابها في ضمن الفسحة وبها
باب القيطون وسمى هذه
المنشية الاسعدية وبتلك
الفسحة باب يدخل منه الى
منافع ومرافق ثم عن له التغيير
والتبديل لاوضاع البيت
من ناحية اخرى فهدم
الساتر على القاعة الكبيرة
وفسحتها وهي التي يسمونها
بام الافراح وهي من انشاء
الشيخ أبي التخصيص وهي
أعظم المجالس التي بدارهم مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشاني الصيني

فلما ملكها وامامنكلى تكين فانه اساء السيرة فى الرعية واخذ اموالهم وقتل بعض الامراء فسمع خوارزمشاه بذلك فسار اليه فحصره بنيسابور فى ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة فحصرها شهرين فلم يظفر بها وعاد الى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين الى نيسابور فحصرها وطلبوا منه الامان فامنهم فسلموا البلد اليه فقتل منكلى تكين واخذ سنجرشاه واكرمه واتى به خوارزم واحسن اليه فارسل الى نيسابور يستميل اهلها ليعودوا اليهم فسمع به خوارزمشاه فاخذ سنجرشاه فسمله وكان قد تزوج بامه وزوجه بابنته فماتت فزوجه باخته وبقى عنده الى ان مات سنة خمس وتسعين وخمسمائة ذكر هذا ابو الحسن بن ابى القاسم البيهقى فى كتاب مشارب التجارب وقد ذكر غيره من العلماء بالتواريخ هذه الحوادث مخالفة لهذا فى بعض الامور مع تقديم وتأخير ونحن نوردها فقال ان تكش خوارزمشاه بن ارسلان اخرج اخاه سلطان شاه من خوارزم وكان قد ملكها بعد موت ابيه فجاء الى مرو فملكها وازاح الغز عنها فخرجوا اياما ثم عادوا عليه فاخرجوه منها وانتهبوا خزائنه وقتلوا اكثر رجاله فعبر الى الخطا فاستنجدهم وضمن لهم مالا وجاء بجيش عظيم فاخرج الغز عن مرو وسرخس ونسا وابيورد وملكها ورد الخطا فلما ابعدوا كاتب غياث الدين الغورى يطلب منه ان ينزل عن هراة وبوشنج وباذغيس وما والاها ويتوعده ان هو لم ينزل عن ذلك فاجابه غياث الدين يطلب منه اقامة الخطبة له بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان فلما سمع الرسالة سار عن مرو وشن الغارات على باذغيس وبيوار وما والاها وحصر بوشنج ونهب الرساتيق وصادر الرعايا فلما سمع غياث الدين ذلك لم يرض لنفسه ان يسير هو بل سير ملك سجستان وكاتب ابن اخته بهاء الدين سام صاحب باميان باللحاق به لان اخاه شهاب الدين كان بالهند والزمان شتاء فجاء بهاء الدين ابن اخت غياث الدين وملك سجستان ومن معهما من العساكر ووافق ذلك وصول سلطان شاه الى هراة فلما علم بوصولهم عاد الى مرو من غير ان يقاتلهما واحرق كل ما مر به من البلاد ونهب واقام بمرو الى الربيع واعاد مراسلة غياث الدين فى المعنى فارسل الى اخيه شهاب الدين يعرفه الحال فنادى فى عساكره الرحيل لساعته وعاد الى خراسان واجتمع هو واخوه غياث الدين وملك سجستان وغيرهم من العساكر وقصدوا سلطان شاه فلما علم ذلك جمع عساكره واجتمع عليه من الغز والمفسدين وقطاع الطريق ومن عنده طمع خلق كثير فنزل غياث الدين ومن معه فى الطالقان ونزل سلطان شاه بمرو الرذ وتقدم عسكر الغورية اليه وتواعدوا المصاف وبقوا كذلك شهرين والرسل تتردد بين غياث الدين وبين سلطان شاه وشهاب الدين يطلب من اخيه غياث الدين الاذن فى الحرب فلا يتركه وتقرر الامر على ان يسلم غياث الدين الى سلطان شاه بوشنج وباذغيس وقلاع بيوار وكره ذلك شهاب الدين وبهاء الدين صاحب باميان الا انهما لم يخالفا غياث الدين وفى آخر الامر حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين وحضر الامراء ليكتب العهد فقال الرسول ان سلطان شاه يطلب ان يحضر شهاب الدين وبهاء الدين هذا الامر فارسل غياث الدين

فسحتها فى رحبة الحوش وهدم القاعة الاخرى التى كان يصعد اليها بسلم من القاعة الاخرى وابطل الحواصل التى اسفلها وساواها بالارض وعمل بها فسقية بالرخام ورافقها من داخلها وبها باب يتوصل منه الى الحريم وسماها الانوارية نسبة لكنيته واما مها فسحة عظيمة دوان بدكك وكراسى بجانب البستان وبها الطرقة والاهاير الممتد بوسط البستان الموصل الى القاعة المسماة بالغزال والاسعدية وهدم المقعد القديم الذى به العامود وقناطره وما كان بظاهر الحاصل المسمى بحاصل السجادة من الحواصل السفلية وجعله مسجدا يصلى فيه الجمعة ونصب فيه منبر الخطبة وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره وتعاظمه عن السعى الكثير والاختلاط بالعامة واخذ قطعة وافرة من بيت كتخدا الجاويشية ووسع بها البستان وغرس بها الاشجار والرياحين والثمار وافنى غالب عمره فى تحصيل الدنيا وتنظيم المعاش والرفاهية واقتناء كل مرغوب للنفس وشراء الجوارى والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان والتأنق فى المآكل والمشارب والملابس واستخراج الادهان والعطريات والمركبات المفرحة والمنعشة للقوة وتعاظم فى نفسه وتعالى على ابيهما

الهما فاعاد الجواب انا ما لك ومهما تفعله لا يمكننا مخالفتك فبينما الناس مجتمعون فى تحرير الامر واذ قد اقبل مجد الدين العلوى الهروى اليه وكان خصيصا بغياث الدين بحيث يفعل فى ملكه ما يختار فلا يخالف فجاء العلوى ويده فى يد الب غازى ابن اخت غياث الدين وقد كتبوا الكتاب وقد احضر غياث الدين اخاه شهاب الدين وبهاء الدين سام ملك باميان فجاء العلوى كانه يبارز غياث الدين ووقف فى وسط الحلقة وقال للرسول يا فلان تقول للسلطان شاه قد تم لك الصلح من جانب السلطان الاعظم ومن شهاب الدين وبهاء الدين ويقول لك العلوى خصمك انا ومولانا ألب غازى بيننا وبينك السيف ثم صرخ صرخة ومزق ثيابه وحثى التراب على راسه وأقبل على غياث الدين وقال له هذا واحد طرده أخوه وأخرجه فريدا وحيدا لم نترك له ما ملكناه باسيافنا من الغزو الاتراك والسغير بة فاذا سمع هذا عنا يجىء أخوه يطلب منازعته والهند وجميع ما بيدك فحرك غياث الدين راسه ولم يفه بكلمة فقال ملك سجستان للعلوى اترك الامر ينصلح فلما لم يتكلم غياث الدين بمنع العلوى قال شهاب الدين لجاوشيته نادوا فى العسكر بالتجهز للحرب والتقدم الى مرو الروذ وقام وأنشد العلوى بيتا من الشعر عجميا معناه ان الموت تحت السيوف أسهل من الرضا بالدنية فرجع الرسول الى سلطان شاه وأعلمه الحال فرتب عساكره للمصاف والتقى الفريقان واقتتلوا فصبروا للحرب فانهزم سلطان شاه وعسكره واخذ أكثر أصحابه اسارى فاطلقهم غياث الدين ودخل سلطان شاه مرو فى عشرين فارسا ولحق به من أصحابه نحو ألف وخمسمائة فارس ولما سمع خوارزمشاه تكش بما جرى لاخيه سار من خوارزم فى الفى فارس وارسل الى جيحون ثلاثة آلاف فارس يقطعون الطريق على أخيه ان أراد الخطا وجد فى السير ليقبض على أخيه قبل ان يقوى فاتت الاخبار سلطان شاه بذلك فلم يقدر على عبور جيحون الى الخطا فسار الى غياث الدين وكتب اليه يعلمه قصده اليه فكتب الى هراة وغيرها من بلاده باكرامه واحترامه وحمل الاقامات اليه ففعل به ذلك وقدم على غياث الدين والتقاه واكرمه وانزله معه فى داره وانزل اصحاب سلطان شاه كل انسان منهم عند من هو فى طبقته فانزل الوزير عند وزيره والعارض عند عارضه وكذلك غيره واقام عنده حتى انسلخ الشتاء فارسل علاء الدين بن خوارزمشاه الى غياث الدين يذكر ما صنعه أخوه سلطان شاه من تخريب بلاده وجمع العساكر عليه ويشير بالقبض عليه ورده اليه فانزل الرسول واذا قد اتى كتاب نائبه بهراة يخبره ان كتاب خوارزمشاه جاءه يتهدده فاجابه انه لا يظهر لخوارزمشاه انه اعلمه بالحال واحضر الرسول وقال له يقول لعلاء الدين اما قولك ان سلطان شاه اخرب البلاد واراد ملكها فلعمرى انه ملك وابن ملك وله همة عالية واذا اراد الملك فمثله اراده وللامور مدبر يوصلها الى مستحقها وقد التجا الى وينبغى ان تنزاح عن بلاده وتعطيه نصيبه مما خلف ابوه ومن الاملاك التى خلف والاموال واحلف لكما يمينا على المودة والمصافاة وتخطب لى بخوارزم وتزوج اخى

ابناء جنسه حتى انه ترفع على لبس التاج وحضور الهيا بالازهر ليلة المعراج وكذا الحضور فى مجلس وردهم الذى هو محل عزهم وفخرهم وصار يلبس قاووقا بعمامة خضراء تشبها باكابر الامراء وبعدا عن التشبه بالمتعممين والفقهاء والمقرئين ولما طالت ايامه وماتت اقرانه والذين كان يستحى منهم ويهابهم وتقلبت عليه الدول واندرجت اكابر الامراء وتامر اتباعهم ومماليكهم الذين كانوا يقومون على اقدامهم بين يدى مخاديمهم واسيادهم جلوس بالادب مع المترجم لاجرم كانت هيبته فى قلوبهم اعظم من أسلافهم واستصغاره هو لهم كذلك فكان يصدعهم بالكلام وينفذ امره فيهم ويذكر الامير الكبير بقوله ولدنا الامير فلان وحوائجه عندهم مقضية وكلامه لديهم مسموع وشفاعته مقبولة واوامره نافذة فيهم وفى حواشيهم وحريماتهم واتفق ان بعض اعاظم المباشرين من الاقباط توقف معه فى امر فاحضره ولعنه وسبه وكشف راسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد ولم يراع حرمة اميره وهو اذ ذاك امير البلد ولما شكا الى مخدومه ما فعل به قال له وما تريد ان اصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا فرحم الله عظامهم واتفق ايضا ان جماعة من اولاد البلد ووجهاء الجمهور البلدية نزل بعض اصحابهم وتباسطوا فاخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض اصحاب المظاهر فوشى

شهاب الدين باختك فلما سمع خوارزمشاه الرسالة امتعض لذلك وكتب الى غياث الدين كتابا يتهدده بقصد بلاده فجهز غياث الدين العساكر مع ابن اخت الب غازى وصاحب سجستان وسيرهما مع سلطان شاه الى خوارزم وكتب الى المؤيد صاحب نيسابور يستنجده وكان قد صار بينهما مصاهرة زوج المؤيد ابنه طغان شاه بابنة غياث الدين فجمع المؤيد عساكره واقام بظاهر نيسابور على طريق خوارزم وكان خوارزمشاه قد سار من خوارزم الى لقاء عسكر الغورية الذين مع اخيه سلطان شاه وقد نزلوا بطرف الرمل فبينما هو فى مسيره اتاه خبر المؤيد انه قد جمع عساكره وانه على قصد خوارزم اذ فارقها فوقع فى قلبه وعاد الى خوارزم فاخذ امواله وذخائره وعبر جيحون الى الخطا واخلى خوارزم فوقع بها خبط عظيم فحضر جماعة من اعيانها عند الب غازى وسالوا ارسال امير معهم يضبط البلد فخاف ان تكون مكيدة فلم يفعل فبينماهم على ذلك توفى سلطان شاه سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة فكتب الب غازى الى غياث الدين يعلمه الخبر فكتب اليه يامره بالعود اليه فرجع ومعه اصحاب سلطان شاه فامر غياث الدين بان يستخدموا واقطع الاجناد الاقطاعات الجيدة وكلهم قابل احسانه بكفران وسنذكر باقى اخبارهم ولما سمع خوارزمشاه تكش بوفاة اخيه عاد الى خوارزم وارسل الى سرخس ومرو شحنا فجهز اليهم امير هراة عمر المرغنى جيشا فاخرجوهم وقال حتى نستاذن السلطان غياث الدين وارسل خوارزمشاه رسولا الى غياث الدين يطلب الصلح والمصاهرة وسير مع رسوله جماعة من فقهاء خراسان والعلويين ومعهم وجيه الدين محمود بن محمود وهو الذى جعل غياث الدين شافعيا وكان له عنده منزلة كبيرة فوعظوه وخوفوه الله تعالى واعلموه ان خوارزمشاه براسلهم يتهددهم بانه يجىء بالاتراك والخطا ويستبيح حريمهم واموالهم وقالوا له اما ان تحضر انت بنفسك وتجعل مرو دار ملكك حتى ينقطع طمع الكافرين ويامن اهلها واما ان تصالح خوارزمشاه فاجاب الى الصلح وترك معارضة البلاد فلما سمع من بخراسان من الغز بذلك طمعوا فى البلاد فعاودوا النهب والاحراق والتغريب فسمع خوارزمشاه فجمع عساكره وحضر بخراسان ودخل مرو وسرخس ونسا وابيورد وغيرها واصلح البلاد وتطرق الى طوس وهى للمؤيد صاحب نيسابور فجمع المؤيد جيوشه وسار اليه فلما سمع خوارزمشاه بمسيره اليه عاد الى خوارزم فلما وصل الى الرمل اقام بطرفه فلما سمع المؤيد بعودة خوارزمشاه طمع فيه وتبعه فلما سمع خوارزمشاه بذلك ارسل الى المناهل التى فى البرية فالقى فيها الجيف والتراب بحيث لم يمكن الانتفاع بها فلما توسط المؤيد البرية طلب الماء فلم يجده فجاء خوارزمشاه اليه وهو على تلك الحال ومعه الماء على الجمال فاحاط به فاما عسكره فاستسلموا باسرهم وجىء بالمؤيد اسيرا الى خوارزمشاه فامر بضرب عنقه فقال له يا مخنث هذا فعال الناس فلم يلتفت اليه وقتله وحمل راسه الى خوارزم فلما قتل ملك نيسابور ملك ما كان له ابنه طغان شاه فلما كان من قابل جمع خوارزمشاه عساكره وسار الى نيسابور فحاصرها وقاتلها

المترجم بمجلسهم وانهم ادرجوه فى شفريتهم فسماهم واحضرهم واحدا بعد واحد وعزرهم بالضرب والاهانة فكان كل قليل يقع فى بيته الضرب والاهانة لافراد من الناس وكذلك فلاحو الحصص التى حازها والتزم بها فانه زاد فى خراجهم عن شركائه ويفرض عليهم زيادات ويحبسهم عليها شهورا ويضربهم بالكرابيج وبالجملة فقد قلب الموضوع وغير الرسم المطبوع بعد ان كان منزلهم محل سلوك ورشاد وولاية واعتقاد فصار كبيت حاكم الشرطة يخافه من غلط ادنى غلطة وتحاماه الناس من جميع الاجناس وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضونه فى شىء بل يوافقونه ولا يتكلمون معه الا بميزان وملاحظة الاركان ويتادبون معه فى رد الجواب وحذف كاف الخطاب ونقل الضمائر عن وضعها فى غالب الالفاظ بل كلها حتى فى الآثار المروية والاحاديث النبوية وغير ذلك من المبالغات وتحسين العبارات والوصف بالمناقب الجليلة والاوصاف الجميلة حتى ان السيد حسينا المنزلاوى الخطيب كان ينشئ خطبا يخطب بها يوم الجمعة التى يكون المترجم حاضرا فيها بالمشهد الحسينى وبزاويتهم ايام المولد ويدرج فيها الاطراء العظيم فى المترجم والتوسل به فى كشف المهمات وتفريج الكروب وغفران الذنوب حتى انى سمعته لا يقول بعد الصلاة لم يبق على

وقاتلها فتبعه طغان شاه واخذه وزوّج بها اخته وحمله معه الى خوارزم وملك نيسابور وما كان لطغان شاه وقوى امره هذا الذى ذكر فى هذه الرواية مخالف لما تقدم ولو أمكن الجمع بين الروايتين لفعلت فان احدهما قد قدم ما أخره الآخر فلهذا اوردنا جميع ما قالاه ولبعد البلاد عنا لم نعلم اى القولين اصح لنذكره ونترك الآخر وانما اوردتها فى موضع واحد لان ايام سلطان شاه لم تطل له ولاعقابه حتى تتفرق على السنين فلهذا اوردتها متتابعة

﴿ذكر غارة الفرنج على بلد حوران وغارة المسلمين على بلد الفرنج﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول اجتمعت الفرنج وساروا الى بلد حوران من اعمال دمشق للغارة عليه وبلغ الخبر الى نور الدين وكان قد برز ونزل هو وعسكره بالكسوة فسار اليهم مجدا وقدم مجموعه عليهم فلما علموا بقربه منهم دخلوا الى السواد وهو من اعمال دمشق أيضا ولحقهم المسلمون فتخطفوا من ساقتهم ونالوا منهم وسار نور الدين فنزل فى عشترا وسير منها سرية الى أعمال طبرية فشنوا الغارات عليها فنهبوا وسبوا واحرقوا وخربوا فسمع الفرنج ذلك فرحلوا اليهم ليمنعوا عن بلادهم فلما وصلوا كان قد فرغ المسلمون من نهبهم وغنيمتهم وعادوا وعبروا النهر وادركهم الفرنج فوقف مقابلهم شجعان المسلمين وحماتهم فقاتلوهم فاشتد القتال وصبر الفريقان الفرنج يرومون أن يلحقوا الغنيمة فيردوها والمسلمون يريدون ان يمنعوهم عنها ليمضي بها من قد سار معها فلما طال القتال بينهم وأبعدت الغنيمة وسلمت مع المسلمين عاد الفرنج ولم يقدروا أن يستردوا منها شيئا

﴿ذكر مسير شمس الدولة الى بلد النوبة﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين الاكبر من مصر الى بلد النوبة فوصل الى أول بلادهم ليتغلب عليه ويملكه وكان سبب ذلك ان صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون ان نور الدين كان على عزم الدخول الى مصر فاستقر الراى بينهم أنهم يتملكون اما بلاد النوبة أو بلاد اليمن حتى اذا وصل اليهم نور الدين لقوه وصدوه عن البلاد فان قووا على منعه أقاموا بمصر وان عجزوا عن منعه ركبوا البحر ولحقوا بالبلاد التى قد افتتحوها فجهز شمس الدولة وسار الى اسوان ومنها الى بلد النوبة فنازل قلعة اسمها ابريم فحصرها وقاتله اهلها فلم يكن لهم بقتال العسكر الاسلامى قوة لانهم ليس لهم جنة تقيهم السهام وغيرها من آلة الحرب فسلموها فملكها واقام بها ولم ير البلاد بلادا يرغب فيه ويتحمل المشقة لاجله وقوتهم الذرة فلما راى عدم الحاصل وقشف العيش مع مباشرة الحروب ومعاناة التعب والمشقة تركها وعاد الى مصر بما غنم وكان عامة غنيمتهم العبيد والجوارى

﴿ذكر عبور مليح بن ليون بالروم﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى هزم مليح بن ليون الارمنى صاحب بلاد الدروب المجاورة

الخطيب الان يقول اركعوا واسجدوا واعبدوا شيخ السادات ولما قدمت الفرنساوية الى الديار المصرية فى اوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين والف لم يتعرضوا له فى شئ وراعوا جانبه وافرجوا عن تعلقاته وقبلوا شفاعاته وتردد اليه كبيرهم واعاظمهم وعمل لهم ولائم وكنت اصاحبه فى الذهاب الى مساكنهم والتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم الى ان حضر ركب العثمانيين فى سنة خمسة عشرة وحصلت بينهم المصالحة على انتقال الفرنساوية من ارض مصر ورجوعهم الى بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية (ومنها) حسابات تدفع اليهم واخرى تخصم عليهم وظن المترجم وخلافه اتمام الامر والارتحال لامحالة فعند ذلك لحقه الطمع فذكر مصلحة دفعها الكاتب جيشهم فى نظير الافراج عن تعلقاته وأوسل بطلبها من بوسليك مدبر الجمهور وكذلك ما قبضه ترجمانه فقال هذه دعواه لابد منها ودخلت فى حساب الجمهور وتغير خاطرهم منه وكانت منه هفوة ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة ولما انتقض الصلح وحصلت المنافقة ووقعت المحاربة فى داخل المدينة وتترست العساكر الاسلامية واهل البلد فى النواحى والجهات وانقطع الجالب عن اهل البلد مدة ستة وثلاثين يوما التزم اغنياء الناس واصحاب المظاهر

لحاب عسكر الروم من القسطنطينية وسبب ذلك ان نور الدين كان قد استخدم مليحا المذكور واقطعه اقطاعا سنيا وكان ملازم الخدمة لنور الدين ومشاهدا لحروبه مع الفرنج ومباشر الها وكان هذا من جيد الراى وصائبه فان نور الدين لما قيل له فى معنى استخدامه واعطائه الاقطاع فى بلاد الشام قال استعين به على قتال اهل ملته واريح طائفة من عسكرى تكون بازائه لتمنعه من الغارة على البلاد المجاورة له وكان مليح ايضا يتقوى بنور الدين على من يجاوره من الارمن والروم وكانت مدينة اذنة والمصيصة وطرسوس بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فاخذها مليح منهم لانها تجاور بلاده فسير اليه ملك الروم جيشا كثيفا وجعل عليهم بعض اعيان البطارقة من اقاربه فلقيهم مليح ومعه طائفة من عسكر نور الدين فقاتلهم وصدقهم القتال وصابرهم فانهزمت الروم وكثر فيهم القتل والاسر وقويت شوكة مليح وانقطع امل الروم من تلك البلاد وارسل مليح الى نور الدين كثيرا من غنائمهم ومن الاسرى ثلاثين رجلا من مشهوريهم واعيانهم فسير نور الدين بعض ذلك الى الخليفة المستضىء بامر الله وكتب يعتد بهذا الفتح لان بعض جنده فعلوه

(ذكر وفاة ايلدكز)

فى هذه السنة توفى اتابك شمس الدين ايلدكز بهمذان وملك بعده ابنه محمد البهلوان ولم يختلف عليه احد وكان ايلدكز هذا مملوكا للكمال السميرمى وزير السلطان محمود فلما قتل الكمال كما ذكرناه سار ايلدكز الى السلطان محمود فلما ولى السلطان مسعود السلطنة ولاه ارانية فمضى اليها ولم يعد يحضر عند السلطان مسعود ولا غيره ثم ملك اكثر اذربيجان وبلاد الجبل همذان وغيرها واصفهان والرى وما والاها من البلاد وخطب بالسلطنة لابن امرأته ارسلانشاه بن طغرل وكان عسكره خمسين الف فارس سوى الاتباع واتسع ملكه من باب تفليس الى مكران ولم يكن للسلطان ارسلان معه حكم انما كان له جراية تصل اليه وبلغ من تحكمه عليه انه شرب ليلة فوهب ما فى خزانته وكان كثيرا فلما سمع ايلدكز بذلك استعاده جميعا وقال له متى اخرجت المال فى غير وجهه اخذته ايضا من غير وجهه وظلمت الرعية وكان ايلدكز عاقلا حسن السيرة يجلس بنفسه للرعية ويسمع شكاويهم وينصف بعضهم من بعض

(ذكر وصول الترك الى افريقية وملكهم طرابلس وغيرها)

فى هذه السنة سار طائفة من الترك من ديار مصر مع قراقوش مملوك تقى الدين عمر بن اخى صلاح الدين يوسف بن ايوب الى جبال نفوسة واجتمع به مسعود بن زمام المعروف بمسعود البلاط وهو من اعيان الامراء هنالك وكان خارجا عن طاعة عبد المؤمن فاتفقا وكثر جمعهما ونزلا على طرابلس الغرب فحاصراها وضيقا على اهلها ثم فتحت فاستولى عليها قراقوش واسكن اهله قصرها وملك كثيرا من بلاد افريقية ما خلا المهدية وسفاقس وقفصة وتونس وما والاها من القرى والمواضع وصار مع قراقوش عسكر كثير

الاطعام والانفاق على المحاربين والمقاتلين فى جهتهم ونواحيهم والتزم المترجم كثيرة الانفاق على من حوله فلما انقضت ايام المحاربة وانتصر الفرنساوية ورجع الوزير ومن معه الى جهة الشام منهزمين فعند ذلك انتقم الفرنساوية من المبارزين لهم باخذ المال بدلا عن الارواح وقبضوا على المترجم وحبسوه واهانوه اياما وفرضوا عليه قدرا عظيما من المال قام بدفعه كما ذكرنا ذلك مفصلا فى محله وقيل ان الذى زاد الفرنساوية اغراء به مراد بك حين اصطلح معهم وعمل لهم ضيافة ببر الجيزة وسببه انه لما دهمت الفرنساوية وطلعوا الاسكندرية ووصل الخبر الى مصر اجتمع الامراء بالمساطب وطلبوا المشايخ ليشاوروا فى هذا الحادث فتكلم المترجم وخاطبهم بالتوبيخ وقال كل هذا سوء فعالكم وظلمكم وآخر امرنا معكم ملكتمونا للافرنج وشافه مراد بك وخصوصا بافعالك وتعديك انت وامرائك على متاجرهم واخذ بضائعهم واهانتهم فحقدها عليه وكتمها فى نفسه حتى اصطلح مع الفرنساوية والقى اليهم ما القاه ففعلوا به ما ذكر وذلك فى ثانى يوم الضيافة فلما رجع العثمانية فى السنة الثانية الى مصر بمعونة الانكليز وصاروا بالقرب من المدينة حبسوا المترجم مع من حبس بالقلعة من ارباب المظاهر خوفا من احداثهم

كثير فحكم على تلك البلاد بمساعدة العرب بما جبلت عليه من التخريب والنهب والافساد بقطع الاشجار والثمار وغير ذلك فجمع بها اموالا عظيمة وجعلها بمدينة قابس وقويت نفسه وحدثته بالاستيلاء على جميع افريقية لبعد ابي يعقوب بن عبد المؤمن صاحبها عنها وكان ما سنذكره ان شاء الله

(ذكر غزو ابن عبد المؤمن الفرنج بالاندلس)

في هذه السنة جمع أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عساكره وسار من اشبيلية الى الغزو فقصد بلاد الفرنج ونزل على مدينة وبذى وهي بالقرب من طليطلة شرقا منها وحصرها واجتمعت الفرنج على ابن الفنش ملك طليطلة في جمع كثير فلم يقدموا على لقاء المسلمين فاتفق ان الغلاء اشتد على المسلمين وعدمت الاقوات عندهم وهم في جمع كثير فاضطروا الى مفارقة بلاد الفرنج فعادوا الى اشبيلية واقام يعقوب بها الى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وهو على ذلك يجهز العساكر ويسيرها الى غزو بلاد الفرنج في كل وقت فكان له فيها عدة وقائع وغزوات ظهر فيها للعرب من الشجاعة ما لا يوصف وصار الفارس من العرب يبرز بين الصفين ويطلب مبارزة الفارس المشهور من الفرنج فلا يبرز اليه احد ثم عاد أبو يعقوب الى مراكش

(ذكر نهب نهاوند)

في هذه السنة نهب عسكر شملة نهاوند وسبب ذلك ان شملة كان أيام ايلدكز لا يزال يطلب منه نهاوند لكونها مجاورة بلاده ويبذل فيها الاموال فلا يجيبه الى ذلك فلما مات ايلدكز وملك بعده ولده محمد البهلوان وسار الى اذربيجان لاصلاحها انفذ شملة ابن اخيه ابن شنكا لاخذ نهاوند وبلغ أهل البلد الخبر فتحصنوا وحصرهم وقاتلهم وقاتلوه وأفحشوا في سبه فلما علم انه لا طاقة له بهم رجع الى تستر وهي قريبة منها وارسل أهل نهاوند الى البهلوان يطلبون منه نجدة فتأخرت عنهم فلما اطمانوا خرج ابن شنكا من تستر في خمسمائة فارس وسار يوما وليلة فقطع اربعين فرسخا حتى وصل الى نهاوند وضرب البوق وأظهر انه من أصحاب البهلوان لانه جاءهم من ناحيته ففتح أهل البلد له الابواب فدخله فلما توسط قبض على القاضي والرؤساء وصلبهم ونهب البلد وقطع أنف الوالي وأطلقه وتوجه نحو ماسبذان قاصدا العراق

(ذكر قصد نور الدين بلاد قلج ارسلان)

في هذه السنة سار نور الدين محمود بن زنكي الى مملكة عز الدين قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهي ملطية وسيواس واقصرا وغيرها ملازما على حربه وأخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذا النون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس قصده قلج ارسلان وأخذ بلاده وأخرجه عنها طريدا فريدا فسار الى نور الدين مستجيرا به وملتجئا اليه فاكرم نزله وأحسن اليه وحمل له ما يليق أن يحمل الى الملوك ووعده النصرة والسعي في رد ملكه اليه ثم انه أرسل الى قلج ارسلان يتشفع في اعادة ملكه فلم يجبه الى ذلك فسار

فتنة بالبلدة ومات ولده الذي كان سماه محمد انور الله وهو معوق بمنزله فاذن له في حضوره جنازة ولده فنزل وصحبته شخص حرسي منهم فلازمه حتى واراه وعاد به ذلك الحرسي الى القلعة وكان هذا الولد مراهقا له من العمر اثنتا عشرة سنة كان في أمله ان يكون هو والخليفة في بيتهم من بعده ويأبى الله الا ما يريد ولما انفصل الامر وارتحل الفرنساوية من أرض مصر ودخل اليها يوسف باشا الوزير ومن معه تقدم المترجم يشكو اليه حاله وما اصابه وادعى الفقر والاملاق مع ان الفرنساوية لم يحجزوا عنه شيئا من تعلقاته وايراده وجعل شكواه وما حصل له سلما للافراج عن جميع تعلقاته وايراده من غير حلوان كغيره من الناس وزاد على ذلك أشياء ومطالب ومسامحات ودعا الوزير الى داره وافراد رجال الدولة الذين بيدهم مقاليد الامور وعاد الى حالته في التعاظم والكبرياء وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر وكان معوجا وكذلك شريف افندي الدفتردار فرمح في غفلتهما واستكثر من التحصيل والايراد الى ان تقلبت الاحوال وعادت للمصريين في سنة ثمان عشرة ثم خروجهم وما وقع من الحوادث التي تقدم ذكرها واستقر محمد علي باشا وثبتت قدمه بمعونة المعممة والسيد عمر مكرم بمملكة مصر وشرع في تمهيد مقاصده فكان السيد عمر

نور الدين اليه فابتدأ بكيسون وبهنسى ومرعش ومرزبان فملكها وما بينها وكان ملكه لمرعش أوائل ذي القعدة والباقي بعدها فلما ملكها سير طائفة من عسكره الى سيواس فملكوها وكان قلج ارسلان لما سار نور الدين الى بلاده قد سار من طرفها التي تلي الشام الى وسطها وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح فتوقف نور الدين عن قصده رجاء ان ينصلح الامر بغير حرب فأتاه من الفرنج ما أزعجه فاجابه الى الصلح وشرط عليه ان ينجده بعسكر الى الغزاة وقال له أنت مجاور الروم ولا تغزوهم وبيدك قطعة كبيرة من بلاد الاسلام ولا بد من الغزاة معي فاجابه الى ذلك وتبقى سيواس على حالها بيد نواب نور الدين وهي لذي النون فبقي العسكر في خدمة ذي النون الى ان مات نور الدين فلما مات رحل عسكره عنها وعاد قلج ارسلان وملكها وهي بيد أولاده الى الآن سنة نيف وعشرين وستمائة ولما كان نور الدين في هذه السفرة جاءه رسول كمال الدين أبي الفضل محمد بن عبد الله بن الشهرزوري من بغداد ومعه منشور من الخليفة بالموصل والجزيرة وباربل وخلاط والشام وبلاد قلج ارسلان وديار مصر

(ذكر رحيل صلاح الدين من مصر الى الكرك وعوده عنها)

في هذه السنة في شوال رحل صلاح الدين يوسف بن أيوب من مصر بعساكرها جميعها الى بلاد الفرنج يريد حصر الكرك والاجتماع مع نور الدين عليه والاتفاق على قصد بلاد الفرنج من جهتين كل واحد منهما في جهة بعسكره وسبب ذلك ان نور الدين لما أنكر على صلاح الدين عوده من بلاد الفرنج في العام الماضي وأراد نور الدين قصد مصر واخذها منه أرسل يعتذر ويعد من نفسه بالحركة على ما يقرره نور الدين فاستقرت القاعدة بينهما ان صلاح الدين يخرج من مصر ويسير نور الدين من دمشق فأيهما سبق صاحبه يقيم الى أن يصل الآخر اليه وتواعدا على يوم معلوم يكون وصولهما فيه فسار صلاح الدين عن مصر لان طريقه أبعد وأشق ووصل الى الكرك وحصره وأما نور الدين فانه لما وصل اليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر فرق الاموال وحصل الازواد وما يحتاج اليه وسار الى الكرك فوصل الى الرقيم وبينه وبين الكرك مرحلتان فلما سمع صلاح الدين بقربه خافه هو وجميع أهله واتفق رأيهم على العود الى مصر وترك الاجتماع بنور الدين لانهم علموا انه ان اجتمعا كان عزله على نور الدين سهلا فلما عاد أرسل الفقيه عيسى الى نور الدين يعتذر عن رحيله بانه كان قد استخلف أباه نجم الدين أيوب على ديار مصر وانه مريض شديد المرض ويخاف أن يحدث حادث الموت فتخرج البلاد عن أيديهم وأرسل معه من التحف والهدايا ما يجل عن الوصف فجاء الرسول الى نور الدين وأعلمه ذلك فعظم عليه وعلم المراد من العود الا انه لم يظهر للرسول تأثرا بل قال له حفظ مصر أهم عندنا من غيرها وسار صلاح الدين الى مصر فوجد أباه قد قضى نحبه ولحق بربه وكانه تقول القائلة هادعني وكان سبب موت نجم الدين انه ركب يوما فرسا بمصر فنفر به الفرس نفرة كبيرة شديدة فسقط عنه فحمل الى قصره وقيذا وبقي أياما

بمانعه فدبر على اخراجه من مصر وبجمع المشايخ واحضر المترجم وخلع عليه وقلده النقابة واخرج السيد عمر من مصر منفيا الى دمياط وذلك في سنة اربع وعشرين كما تقدم ووافق فعله ذلك غرض المترجم بل ربما كان بمعونته لحقده الباطني على السيد عمر وتشوفه الى النقابة وادعائه انها كانت بيتهم لكون الشيخ ابي هادي تولاها اياما ثم تولاها بعده ابو الامداد ثم نزل عنها لمحمد افندي البكري الكبير فلم يزل في نفس المترجم التطلع لنقابة الاشراف ويصرح بقوله انها من وظائفنا القديمة واحضر بها مرسوما من دار السلطنة واخفاه ولم يظهره مدة حياة محمد افندي البكري الكبير فلما مات وتقلدها ولده محمد افندي ادعاها واظهر المرسوم وشاع خبر ذلك فاجتمع الجم الغفير من الاشراف بالمشهد الحسيني ممانعين وقائلين لا نرضاه نقيبا ولا حاكما علينا فلم يتم له مراده فلما توفي محمد افندي الصغير ظن انه لم يبق له فيها منازع فلا يشعر الا وقد تقلدها السيد عمر بمعونة مراد بك وابراهيم بك لعصبته معهما ومرافقته لهما في الغربة حين كان المصريون بالصعيد فسكت على ضغن وغيظ يخفيه تارة ويظهره اخرى وخصوصا وهو يرى ان السيد عمر في ذلك دون ذلك بكثير فلما اخرج الفرنساوية ودخل الوزير الى مصر وصحبته السيد عمر متقلدا ومات

وفاته في السابع والعشرين من ذي الحجة وكان خيرا عاقلا حسن السيرة كريما جوادا كثير الاحسان الى الفقراء والصوفية والمجالسة لهم وقد تقدم من ذكره وابتداء امره وامر اخيه شيركوه ما لا حاجة الى اعادته

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة زادت دجلة زيادة كثيرة أشرفت بها بغداد على الغرق في شعبان وسدوا أبواب الدروب ووصل الماء الى قبة أحمد بن حنبل ووصل الى النظامية ورباط شيخ الشيوخ واشتغل الناس بالعمل في القورج ثم نقص وكفى الناس شره وفيها وقعت النار ببغداد من درب بهروز الى باب جامع القصر ومن الجانب الآخر من حجر النحاس الى دار أم الخليفة وفيها أغار بنو حزن من خفاجة على سواد العراق وسبب ذلك ان الحماية كانت لهم بسواد العراق فلما تمكن يزدن من البلاد وتسلم الحلة أخذها منهم وجعلها لبني كعب من خفاجة وأغار بنو حزن على السواد فسار يزدن في عسكر ومعه الغضبان الخفاجي وهو من بني كعب لقتال بني حزن فبينما هم سائرون ليلا رمى بعض الجند الغضبان بسهم فقتله لفساده وكان في السواد فلما قتل عاد العسكر الى بغداد وأعيدت خفارة السواد الى بني حزن وفيها خرج ترجم الايوائي في جمع من التركمان في حياة ايلدكز وتطرق اعمال همذان ونهب الدينور واستباح الحريم وسمع ايلدكز الخبر وهو بنقجوان فسار مجدا في خف من عسكره فقصده فهرب ترجم الى ان قارب بغداد وتبعه ايلدكز فظن الخليفة انها حيلة ليصل الى بغداد فجاءة فشرع في جمع العساكر وعمل السور فارسل الى ايلدكز الخلع والالقاب الكبيرة فاعتذر انه لم يقصد الا كف الامير يزدن وهو من اكابر امراء بغداد وكان يتشيع فوقع بسببه فتنة بين السنية والشيعة بواسط لان الشيعة جلسوا له للعزاء وأظهر السنية الشماتة به فآل الامر الى القتال فقتل بينهم جماعة ولما مات اقطع اخوه تنامش ما كان لاخيه وهي مدينة واسط ولقب علاء الدين وفيها ارسل نور الدين محمود بن زنكي رسولا الى الخليفة وكان الرسول القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي بلاده جميعها مع الوقوف والديوان وحمله رسالة مضمونها الخدمة للديوان وما هو عليه من جهاد الكفار وفتح بلادهم ويطلب تقليدا بما بيده من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل وبما في طاعته كديار بكر وما يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلج ارسلان وان يعطى من الاقطاع بسواد العراق ما كان لابيه زنكي وهو صريفين ودرب هرون والتمس ارضا على شاطئ دجلة يبني بها مدرسة للشافعية ويوقف عليها صريفين ودرب هرون فاكرم كمال الدين اكراما لم يكرمه رسول قبله واجيب الى ما التمسه فمات نور الدين قبل الشروع في بناء المدرسة رحمه الله

(ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة)

(ذكر ملك شمس الدولة زبيد وغيرها من بلاد اليمن)

علي باشا وما يبديه من الحل والعقد والامر والنهي والمرجع في الامور الكلية والجزئية والمترجم يحقد عليه في الباطن ويظهر له خلافه وهو الآخر كذلك كقول الشاعر

أصادقه كرها ويظهر انه
صديق كرها والعداوة تشهد
ولست معتدا له بصداقة
كأنه مني بها ليس يعتد
وذا الالفي عالم وهو عالم
وعلمي به اني منه ضد
ولكنني اخشاه وهو يخافني
فيخفي ويبدو بيننا البغض والود

فلما اخرج الباشا السيد عمر وتقلد المترجم النقابة وبلغ مأموله عند ذلك أظهر الكامن في نفسه وصرح بالمكروه في حق السيد عمر ومن ينتمي اليه او يواليه وسطر فيه عرضا محضرا الى الدولة نسب اليه فيه انواعا من الموبقات التي منها انه ادخل جماعة من الاقباط في دفتر الاشراف وقطع اناسا من الشرفاء المستحقين وصرف راتبهم للاقباط المدخلين ومنها انه تسبب في خراب الاقليم واثارة الفتن وموالاة البغاة المصريين وتطميعهم في المملكة حتى انه وعدهم بالهجوم على البلدة يوم قطع الخليج في غفلة الباشا

والنصرين والعساكر وانه هو الذي اغرى المصريين على قتل علي باشا برغل

قد ذكرنا قبل ان صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب مصر واهله كانوا يخافون من نور الدين محمود أن يدخل الى مصر فياخذها منهم فشرعوا في تحصيل مملكة يقصدونها و يتملكونها تكون عدة لهم ان اخرجهم نور الدين من مصر ساروا اليها واقاموا بها فسيروا شمس الدولة تور انشاه بن أيوب وهو اخو صلاح الدين الاكبر الى بلاد النوبة فكان ما ذكرناه فلما عاد الى مصر استأذنوا نور الدين في ان يسير الى اليمن لقصد عبد النبي صاحب زبيد لاجل قطع الخطبة العباسية فاذن في ذلك وكان بمصر شاعر اسمه عمارة من اهل اليمن فكان يحسن لشمس الدولة قصد اليمن ويصف البلاد له و يعظم ذلك في عينه فزاده قوله رغبة فيها فشرع يتجهز و يعد الازواد والروايا والسلاح وغيره من الآلات وجند الاجناد فجمع وحشد وسار عن مصر مستهل رجب فوصل الى مكة اعزها الله تعالى ومنها الى زبيد وفيها صاحبها المتغلب عليها المعروف بعبد النبي فلما قرب منها رآه اهلها فاستقل من معه فقال لهم عبد النبي كانكم بهؤلاء وقد حمي عليهم الحر فهلكوا الا اكلة رام فخرج اليهم بعسكره فقاتلهم شمس الدولة ومن معه فلم يثبت اهل زبيد وانهزموا ووصل المصريون الى سور زبيد فلم يجدوا عليه من يمنعهم فنصبوا السلالم وصعدوا السور فملكوا البلد عنوة ونهبوه واكثروا النهب واخذوا عبد النبي اسيرا وزوجته المدعوة بالحرة وكانت امراة صالحة كثيرة الصدقة فلا سيما اذا حجت فان فقراء الحاج كانوا يجدون عندها صدقة دارة وخيرا كثيرا ومعروفا عظيما فلما اسر شمس الدولة عبد النبي وسلم شمس الدولة عبد النبي الى بعض امرائه يقال له سيف الدولة مبارك بن كامل من بني منقذ اصحاب شيزر وامره ان يستخرج منه الاموال فاعطاه منها شيئا كثيرا ثم انه دلهم على قبر كان قد صنعه لوالده و بني عليه بنية عظيمة وله هناك دفائن كثيرة فاعلمهم بها فاستخرجت الاموال من هناك وكانت جليلة المقدار واما الحرة فانها ايضا كانت تدلهم على ودائع لها فاخذ منها مالا كثيرا ولما ملكوا زبيد واستقر الامر لهم بها ودانت اهلها واقيمت فيها الخطبة العباسية اصلحوا حالها وساروا الى عدن وهي على البحر ولها مرسى عظيم وهي فرضة الهند والزنج والحبشة وعمان وكرمان وكيش وفارس وغير ذلك وهي من جهة البر من امنع البلاد واحصنها وصاحبها انسان اسمه ياسر فلو اقام بها ولم يخرج عنها لعادوا خائبين وانما حمله جهله وانقضاء مدته على الخروج اليهم ومباشرة قتالهم فساروا اليهم وقاتلهم فانهزم ياسر ومن معه وسبقهم بعض عسكر شمس الدولة فدخلوا البلد قبل اهله فملكوه واخذوا صاحبها ياسرا اسيرا وارادوا نهب البلد فمنعهم شمس الدولة وقال ما جئنا لنخرب البلاد وانما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع بدخلها فلم ينهب احد منها شيئا فبقيت على حالها وثبت ملكه واستقراره ولما مضى الى عدن كان معه عبد النبي صاحب زبيد ماسورا فلما دخل الى عدن قال سبحان الله كنت قد علمت اني ادخل الى عدن في موكب كبير فانا انتظر ذلك واسر به ولم اكن اعلم اني ادخلها على هذا الحال ولما فرغ شمس الدولة من أمر عدن عاد الى زبيد وحصر ما في الجبل من

الحصون

الطرابلسي حين قدم واليا على مصر وهو الذي كاتب الانكليز وطمعهم في البلاد مع الالفي حين حضروا الى اسكندرية وملكوها ونصر الله عليهم العساكر الاسلامية وغير ذلك من عبارات عكس القضية وتحقيق الاغراض النفسانية وكتب الاشياخ عليه خطوطهم وطبعوا تحتها ختومهم ماعدا الطحطاوي الحنفي فانه تنحى عن الشرور وامتنع من شهادة الزور فاوسعوه سفاهة ومقتا وعزلوه من الافتا وقد تقدم خبر ذلك في حوادث سنة اربع وعشرين وانما المعنى باعادة ذلك هنا تتمة الترجمة المشار اليه وحذرا من نقصها مع النسيان لا كثر جلها فلو سلمت الفكرة من النسيان لاقافت سيرته كان وكان وفي سنة ست وعشرين انشا دارا عظيمة بجانب المنزل وصرف جملا من المال وانشا بها مجالس وقاعات ورواشن ومنافع ومرافق وفساقي وانشا فيها بستانا غرس فيه انواع الاشجار المثمرة وادخل به ما حازه من دور الامراء المتخربة وكان السيد خليل البكري اشترى دارا بدرب الفرن وذلك بعد خروج الفرنساوية وتحول امره وعزله من مشيخة البكرية والنقابة وانشا بها بستانا انيقا وانشا قصرا برسم ولده مطلا على البستان فلما توفي السيد خليل تعدي على ولده سيدي احمد وقهره واخذ منه ذلك البستان بابخس الاثمان وخلطه ببستان الدار

الحصون فملك قلعة تعزوهي من احصن القلاع وبها تكون خزائن صاحب زبيد وملك ايضا قلعة التعكر والجند وغيرهما من المعاقل والحصون واستناب بعدن عز الدين عثمان بن الزنجبيلي وبزبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ وجعل في كل قلعة نائبا من اصحابه والقى ملكهم باليمن جرانه ودام واحسن شمس الدولة الى اهل البلاد واستصفى طاعتهم بالعدل والاحسان وعادت زبيد الى احسن احوالها من العمارة والامن بعد خرابها

(ذكر قتل جماعة من المصريين ارادوا الوثوب بصلاح الدين)

في هذه السنة ثاني رمضان صلب صلاح الدين يوسف بن ايوب جماعة ممن اراد الوثوب به بمصر من اصحاب الخلفاء العلويين وسبب ذلك ان جماعة من الشيعة منهم عمارة بن ابي الحسن اليمني الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضي العويرس وداعي الدعاة وغيرهم من جند المصريين ورجالتهم السودان وحاشية القصر ووافقهم جماعة من امراء صلاح الدين وجنده واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن ساحل الشام الى ديار مصر على شئ يبذلونه لهم من المال والبلاد فاذا قصدوا البلاد فان خرج صلاح الدين بنفسه اليهم ثاروا هم في القاهرة ومصر واعادوا الدولة العلوية وعاد من معه من العسكر الذين وافقوهم عنه فلا يبقى له مقام مقابل الفرنج وان كان صلاح الدين يقيم ويرسل العساكر اليهم ثاروا به واخذوه اخذا باليد لعدم الناصر له وقال لهم عمارة وانا قد ابعدت اخاه الى اليمن خوفا ان يسد مسده وتجتمع الكلمة عليه بعده وارسلوا الى الفرنج بصقلية والساحل في ذلك وتقررت القاعدة بينهم ولم يبق الا رحيل الفرنج وكان من لطف الله بالمسلمين ان الجماعة المصريين ادخلوا معهم زين الدين علي بن نجا الواعظ والقاضي المعروف بابن نجية ورتبوا الخليفة والوزير والحاجب والداعي والقضاة الا ان بني رزيك قالوا يكون الوزير منا وبني شاور والقاضي قالوا يكون الوزير منا فلما علم ابن نجا الحال حضر عند صلاح الدين واعلمه حقيقة الامر فامره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطاتهم على ما يريدون يفعلونه وتعريفه ما يتجدد اولا باول ففعل ذلك وصار يطالعه بكل ما عزموا عليه ثم وصل رسول من ملك الفرنج بالساحل بهدية ورسالة وهو في الظاهر اليه وفي الباطن الى اولئك الجماعة وكان يرسل اليهم بعض النصارى وتأتيه رسلهم فاتى الخبر الى صلاح الدين من بلاد الفرنج بجلية الحال فوضع صلاح الدين على الرسول بعض من يثق اليه من النصارى وداخله فاخبره الرسول بالخبر على حقيقته فقبض حينئذ على المقدمين في هذه الحادثة منهم عمارة وعبد الصمد الكاتب والعويرس وغيرهم وصلبهم وقيل في كشف امرهم ان عبد الصمد المذكور كان اذا لقي القاضي الفاضل الصلاحي يخدمه ويتقرب اليه بجهده وطاقته فلقيه يوما فلم يلتفت اليه فقال القاضي الفاضل ما هذا الا لسبب وخاف ان يكون قد صار له باطن مع صلاح الدين فاحضر علي بن نجا الواعظ واخبره الحال وقال اريد تكشف لي

الجديدة وبنى سوره واحاطه واقام حائطا بينه وبين دار المذكور وطمس اوامرها ١٧٩ وسدت الحائط شبابيك ذلك القصر واظلمته ولم يزل كما ذكر حتى طال عمره زاد كبره وقل بره وتعدى شره ولما ضعفت قواه تقاعد عن القيام لاعاظم الناس اذا دخل عليه محتجا بالاعياء والضعف ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة ولا يصلح العطار ما افسد الدهر (وفي شهر شوال) من السنة التي توفي فيها احضر ابن اخيه سيدي احمد الذي تولى المشيخة بعده والبسه خلعة وتاجا وجعله وكيلا عنه في نقابة الاشراف واركبه فرسا بعباءة وارسله الى الباشا صحبة سيدي محمد المعروف بابي دفية وامامه جاويشية النقابة على العادة فلما دخلا الى الباشا وعرفه المرسول بان عمه اقامه وكيلا عنه فقال مبارك فاشار اليه ان يلبسه خلعة فقال ان موكله البسه ولم يتقلدها بالاصالة ولو كنت قلدته انا كنت اخلع عليه والبسه فقام ونزل الى داره التي اسكنه بها عمه وهي الدار التي عند المشهد الحسيني وحضر اليه الناس للسلام والتهنئة وفي هذه السنة ايضا عن للترجم ان يزيد في المسجد الحسيني زيادة مضافة لزيادته الاولى التي كان زادها في سنة ست ومائتين والف فهدم الحائط التي كان بناها الجنوبية وادخل القطعة التي كان عمل بها الميضاة وزاد بابا ثانيا اخرى وصرف عليها وصارت

الامر فسعى فى كشفه فلم يرله من جانب صلاح الدين شيئا فعدل الى الجانب الآخر فكشف الحال وحضر عند القاضى الفاضل واعلمه فقال تحضر الساعة عند صلاح الدين وتنهى الحال اليه فحضر عند صلاح الدين وهو فى الجامع فذكر له الحال فقام وأخذ الجماعة وقررهم فاقروا فامر بصلبهم وكان عمارة بينه وبين الفاضل عداوة من أيام العاضد وقبلها فلما أراد صلبه قام القاضى الفاضل وخاطب صلاح الدين فى اطلاقه فظن عمارة انه يحرض على هلاكه فقال لصلاح الدين يامولانا لاتسمع منه فى حقى فغضب الفاضل وخرج وقال صلاح الدين لعمارة انه كان يشفع فيك فندم ثم اخرج عمارة ليصلب فطلب ان يمر به على مجلس الفاضل فاجتازوا به عليه فاغلق بابه ولم يجتمع به فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص هو العجب

ثم صلب هو والجماعة ونودى فى أجناد المصريين بالرحيل من ديار مصر ومفارقتها الى أقاصى الصعيد واحتيط على من بالقصر من سلالة العاضد وغيره من أهله وأما الذين نافقوا على صلاح الدين من جنده فلم يعرض لهم ولا أعلمهم انه علم بحالهم وأما الفرنج فان فرنج صقلية قصدوا الاسكندرية على مانذكره ان شاء الله تعالى لانهم لم يتصل بهم ظهور الخبر عند صلاح الدين واما فرنج الساحل الشامى فانهم لم يتحركوا لعلمهم بحقيقة الحال وكان عمارة شاعرا مفلقا فمن شعره

لو ان قلبى يوم كاظمة معى * لملكته وكظمت فيض الادمع
قلب كفاك من الصبابة انه * لبى نداء الظاعنين وما دعى
ماالقلب أول غادر فالومه * هى شيمة الايام مذ خلقت معى
ومن الظنون الفاسدات توهمى * بعد اليقين بقاءه فى أضلعى

وله أيضا

لى فى هوى الرشا العذرى اعذار * لم يبق لى مذ اقر الدمع انكار
لى فى القدود وفى لثم الخدود وفى * ضم النهود لبانات واوطار
هذا اختيارى فوافق ان رضيت به * اولا فدعنى وما اهوى واختار

وله ديوان شعر مشهور فى غاية الحسن والرقة والملاحة

(ذكر وفاة نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله)

فى هذه السنة توفى نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء حادى عشر شوال بعلة الخوانيق ودفن بقلعة دمشق ونقل منها الى المدرسة التى انشاها بدمشق عند سوق الخواصين ومن عجيب الاتفاق انه ركب ثانى شوال والى جانبه بعض الامراء الاخيار فقال له الامير سبحان من يعلم هل نجتمع هنا فى العام المقبل ام لا فقال نور الدين لا تقل هكذا بل سبحان من يعلم هل نجتمع بعد شهر ام لا فمات نور الدين رحمه الله بعد احد عشر يوما ومات الامير قبل الحول فاخذ كل منهما

مع القديمة ليوانا واحدا وشرع فى بناء دار عظيمة لينزل فيها وقت مجيئه هنالك فى أيام المولد وغيره عوضا عن الدار التى نزل عنها لابن اخيه فتكون هذه بعيدة عن روائح الميضاة القديمة وتكون بالشارع وتمر من تحتها مواكب الاشاير ولا يحتاجون الى تعديهم المسجد ودخولهم من طريق باب القبة وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة والدار المستجدة شبابيك مطلة على المسجد لينظر منها المجالس والوقودات من يكون بالدار من الحريم وغيرهم فساهوا الا وقد قرب اتمام ذلك الا وقد زاد به الاعياء والمرض وانقطع عن النزول من الحريم وتمت الزيادة ولم يبق الا اتمام الدار فيستعجل ويشتم المشد والمهندس وينسب اليهم اهمال استحثاث العمال ويقول قد قرب المولد ولم تكمل الدار فاين نجلس ايام المولد هذا وكل يوم يزيد مرضه وتورمت قدماه وضعف عن الحركة وهو يقول ذلك ويؤمل الحياة فلما زاد به الحال وتحقق الرحيل الى مغفرة المولى الجليل اوصى لاتباعه بدراهم ولذى الفقار الذى كان كتخدا الالفى والآن فى خوالة بستان الباشا الذى بشبرا بخمسمائة ريال لكون زوجته خشداشة جريه وهما من جوارى اسمعيل بك الكبير وليكون معينا لها ومساعدا فى مهماتها ولسيدى محمد ابى دفية مثلها فى نظير خدمته وتقيده وملازمته

كما قاله وكان قد شرع يتجهز للدخول الى مصر لاخذها من صلاح الدين يوسف بن
ايوب فانه راى منه فتورا فى غزو الفرنج من ناحيته وكان يعلم انه انما يمنع صلاح الدين
من الغزو الخوف منه ومن الاجتماع به فانه يؤثر كون الفرنج فى الطريق ليمتنع بهم
على نور الدين فارسل الى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر للغزاة وكان
عزمه ان يتركها مع ابن اخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل بالشام ويسير هو
بعساكره الى مصر فبينما هو يتجهز لذلك اتاه امر الله الذى لا مرد له حكى لى طبيب كان
يخدم نور الدين وهو من حذاق الاطباء قال استدعانى نور الدين فى مرضه الذى توفى فيه
مع غيرى من الاطباء فدخلنا اليه وهو فى بيت صغير بقلعة دمشق وقد تمكنت الخوانيق
منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبد فابتدا به المرض فلم
ينتقل عنه فلما دخلنا ورأينا ما به قلت له كان ينبغى ان لا تؤخرا حضارنا الى ان يشتد
بك المرض الآن وينبغى ان تعجل الانتقال من هذا الموضع الى مكان فسيح مضئ
فله اثر فى هذا المرض وشرعنا فى علاجه واشرنا بالفصد فقال ابن ستين لا يفتصد وامتنع
منه فعالجناه بغيره فلم ينجع فيه الدواء وعظم الداء ومات رحمه الله ورضى عنه وكان
اسمر طويل القامة ليس له لحية الا فى حنكه وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلو
العينين وكان قد اتسع ملكه جدا وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما دخلها
شمس الدولة بن ايوب وملكها وكان مولده سنة احدى عشرة وخمسمائة وطبق
ذكره الارض بحسن سيرته وعدله وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم ار فيها بعد
الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرته ولا اكثر تحريا منه للعدل وقد
اتينا على كثير من ذلك فى كتاب الباهر من اخبار دولتهم ولنذكر ههنا نبذة لعل يقف
عليها من له حكم فيقتدى به فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه فانه كان لا ياكل ولا يلبس
ولا يتصرف الا فى الذى يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن
الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاث
دكاكين فى حمص كانت له يحصل له منها فى السنة نحو العشرين دينارا فلما استقلتها قال
ليس لى الا هذا وجميع ما بيدى انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار
جهنم لاجلك وكان يصلى كثيرا بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه ﴿﴾ ما احسن المحراب فى المحراب

وكان عارفا بالفقه على مذهب ابى حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث واسمعه
طلبا للاجر واما عدله فانه لم يترك فى بلاده على سعتها مكسا ولا عشرا بل اطلقها جميعها
فى مصر والشام والجزيرة والموصل وكان يعظم الشريعة ويقف عند احكامها واحضره
انسان الى مجلس الحكم فمضى معه اليه وارسل الى القاضى كمال الدين بن الشهرزورى
يقول قد جئت ههنا كما فاسلك معى ما تسلك مع الخصوم وظهر الحق له فوهبه الخصم
الذى احضره وقال اردت ان اترك له ما يدعيه انما خفت ان يكون الباعث لى على
ذلك الكبر والانفة من الحضور الى مجلس الشريعة فحضرت ثم وهبته ما يدعيه وبنى

واوصى ان لا يغسل الا على سريره المندى الذى كان ينام عليه فى حياته ليكون مغتسله السالم حتى فى حال
الموت فلما كان يوم الاحد
ثامن عشر ربيع الاول
من السنة انقضى نحبه وتوفى
الى رحمة الله تعالى وقت
العصر وبات بالمنزل ميتا
فلما اصبح يوم الاثنين غسل
وكفن كما اوصى على السرير
وخرجوا بجنازته من المنزل
ووصلوا بها الى الازهر فصلى
عليه بعد ما انشد المنشد
مرثية من انشاء العلامة الشيخ
حسن العطار وجعل براعة
استهلالها الاشارة الى ما كان
عليه المترجم من التعاظم
والتفاخر فقال ﴿﴾
سلام على الدنيا فقد ذهب الفخر
ثم حمل الى مشهد اسلافه
بالقرافة ودفن فى التربة التى
اعدها لنفسه بجانب مقام
جدهم وتقلد مشيخة سجادتهم
فى ذلك اليوم السيد احمد ابن
الشيخ يوسف وهو ابن عمه
وعصبته وكنيته ابو الاقبال
باجماع من الخاص والعام
وجلس هو واخوه سيدى يحيى
لتلقى العزاء وفى الصباح
حضر الى الرباط بالخرنفش
وكان بزاوية الرباط المذكور
خلوة جدهم اقام بها حين
حضر من الغرب الى مصر
وعادتهم اذا تولى شخص منهم
المشيخة لا بد ان ياتى فى الصباح
ويدخل الخلوة فيجلس بها
حصة لطيفة فيتروحن وتلبسه
الولاية فلما كان المترجم هدم حائط تلك الخلوة زاعما انه خاصة اوليائه وانه لم يات من يصلح للمشيخة سواه وكانه اخذه

ذا را العدل في بلاده وكان يجلس هو والقاضي فيما ينصف المظلوم ولو انه يهودي من الظالم ولو انه ولده او اكبر امير عنده واما شجاعته فاليها النهاية وكان في الحرب يأخذ قوسين وتر كشين ليقاتل بهما فقال له القطب النساوي الفقيه بالله لا تخاطر بنفسك وبالاسلام فان اصبت في معركة لا يبقى من المسلمين احد الا اخذه السيف فقال له نور الدين ومن محمود حتى يقال له هذا من قبلي من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذي لا اله الا هو واما ما فعله من المصالح فانه بنى اسوار مدن الشام جميعها وقلاعها منها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية وبنى الجامع النوري بالموصل وبنى البيمارستانات والخانات في الطرق وبنى الخانكاهات في جميع البلاد ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة سمعت ان حاصل وقفه كل شهر تسعة آلاف دينار صوري وكان يكرم العلماء واهل الدين ويعظمهم ويقوم اليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولا يرد لهم قولا ويكاتبهم بخط يده وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب

(ذكر ملك ولده الملك الصالح)

لما توفي نور الدين قام ابنه الملك الصالح اسمعيل بالملك بعده وكان عمره احدى عشرة سنة وحلف له الامراء والمقدمون بدمشق واقام بها واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكة باسمه وتولى تربيته الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وصار مدبر دولته فقال له كمال الدين صاحب مصر هو من أصحاب نور الدين والمصلحة ان نشاوره في الذي نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعتنا ويجعل ذلك حجة علينا وهو اقوى منا لانه قد انفرد اليوم بملك مصر فلم يوافق هذا القول اغراضهم وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجهم فلم يمض غير قليل حتى وردت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح يعزيه ويهنئه بالملك وارسل دنانير مصرية عليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لابيه فلما سار سيف الدين غازي صاحب الموصل وملك البلاد الجزرية على ما نذكره ارسل صلاح الدين أيضا الى الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده وأخذها ليحضر في خدمته ويكف سيف الدين وكتب الى كمال الدين والامراء يقول لو ان نور الدين يعلم ان فيكم من يقوم مقامي او يثق اليه مثل ثقته الى لسلم اليه مصر التي هي أعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده والقيام بخدمته غيري وأراكم قد تفردتم بمولاي وابن مولاي دوني وسوف اصل الى خدمته واجازي انعام والده بخدمة يظهر أثرها واجازي كلا منكم على سوء صنيعه في ترك الذب عن بلاده وعمل ابن المقدم وجماعة الامراء بالملك الصالح ولم يرسلوه الى حلب خوفا أن يغلب عليهم شمس الدين علي بن الداية فانه كان أكبر الامراء النورية وانما منعهم من الاتصال به

بذلك عهدا وميثاقا ولم يعلم ان ربه لم يزل خلاقا ٢ ١٨ وان الولاية ليست بفعل العبد ولا بالسعي والقصد قال تعالى في محكم آياته الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقال سبحانه الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون وان اولياؤه الا المتقون نسأله التوفيق والهداية والحفظ من اسباب الغواية ولما كان ذلك واحبوا اجراء العادة القديمة حضر المتولي وصحبته اشياخ الوقت والسيد محمد الحروفي وجماعة الحزب وغيرهم من المتفرجين وقد جعلوا على محل الخلوة ساترا بدل الحائط المهدوم ودخل المتولي خلفها وقرا جماعة الحزب شيئا من القرآن ثم قام النقيب مع الشيخ البكري فتلقوا الشيخ فخرج على الحاضرين متطيلسا وصافحهم وركب بصحبتهم الى القلعة فخلع عليه كتخدا بك خلعة سمور وقاموا ونزلوا الى زاويتهم بالقرافة وامامهم جماعة الحزب وجاويشية النقابة في مواحصة وقرؤا احزابهم ثم ركب ورجع الى المنزل وجلس مع اخيه لعمل المأتم والقراءة الجمعية على العادة وارسل كتخدا بك ساعيا بخبر موته الى الباشا بالفيوم لانه لما سافر الى جهة قبلي ووصل الى ناحية بني سويف ركب بغلة سريعة العدو وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال فوصلها في اربع ساعات وانقطع اكثر والقيام

والقيام بخدمته مرض لحقه وكان هو واخوته بحلب وامرها اليهم وعساكرها معهم في حياة نور الدين وبعده ولما عجز عن الحركة أرسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب لتمتنع به البلاد الجزرية من سيف الدين ابن عمه قطب الدين . فلم يمكنه الأمراء الذين معه من الانتقال الى حلب لما ذكرناه .

(ذكر ملك سيف الدين البلاد الجزرية)

كان نور الدين قبل ان مرض قد ارسل الى البلاد الشرقية الموصل وديار الجزيرة وغيرها يستدعي العساكر منها للغزاة والمراد غيرها وقد تقدم ذكره فسار سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في عساكره وعلى مقدمته الخادم سعد الدين كمشتكين الذي كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين فلما كانوا ببعض الطريق وصلت الاخبار بوفاة نور الدين فاما سعد الدين فانه كان في المقدمة فهرب جريدة وأما سيف الدين فاخذ كل ما كان له من برك وغيره وعاد الى نصيبين فملكها وأرسل الشحن الى الخابور فاستولوا عليه واقطعه وسار هو الى حران فحصرها عدة أيام وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحراني فامتنع بها وأطاع بعد ذلك على ان تكون حران له ونزل الى خدمة سيف الدين فقبض عليه وأخذ حران منه وسار الى الرها فحصرها وملكها وكان بها خادم خصي اسود لنور الدين فسلمها وطلب عوضها قلعة الزعفران من أعمال جزيرة ابن عمر فاعطيها ثم أخذت منه ثم صار الى ان يستعطي ما يقوم به ويقوته وسير سيف الدين الى الرقة فملكها وكذلك سروج واستكمل جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فانها كانت منيعة وسوى راس عين فانها كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرض اليها وكان شمس الدين علي بن الداية وهو أكبر الامراء النورية بحلب مع عساكرها فلم يقدر على العبور الى سيف الدين ليمنعه من أخذ البلاد لفالج كان به فارسل الى دمشق يطلب الملك الصالح فلم يرسل اليه لما ذكرناه ولما ملك سيف الدين الجزيرة قال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد وصل اليه من سيواس بعد موت نور الدين وهو الذي أقر له الملك بعد أبيه فظن ان سيف الدين يرعى له ذلك فلم يجن ثمرة ما غرس وكان عنده كبعض الامراء قال له الرأي ان تعبر الى الشام فليس به مانع فقال له اكبر امرائه وهو امير يقال له عز الدين محمود المعروف بزلفندار قد ملكت اكثر مما كان لابيك والمصلحة ان تعود فرجع الى قوله وعاد الى الموصل ليقضي الله أمرا كان مفعولا .

(ذكر حصر الفرنج بانياس وعودهم عنها)

لما مات نور الدين محمود صاحب الشام اجتمعت الفرنج وساروا الى قلعة بانياس من اعمال دمشق فحصروها فجمع شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم العسكر عنده بدمشق فخرج عنها فراسلهم ولاطفهم ثم اغلظ لهم في القول وقال لهم ان انتم صالحتمونا وعدتم عن بانياس فنحن على ما كنا عليه والا فنرسل الى سيف الدين صاحب

المتوجهين معه ومات منهم سبعة عشر هجينا ورجع الساعي بعد ثلاثة ايام بجواب الرسالة ومضمونها عدم التعرض لورثة المتوفى حتى يقدم الباشا من غيبته فبقي الامر على السكوت اربعة عشر يوما وحضر الباشا ليلة الاحد ثامن ربيع الآخر فبمجرد وصوله الى الجيزة ارسل بالختم على منزلهم فما يعرفون الا وحسين كتخدا الكتخدا بك وبيت المال واصل اليهم ومعه آخرون فختموا على المجالس التي بالحريم ومجالس الجلوس الرجالي ختموا على خزائنه وقبضوا على الكاتب القبطي المسمى عبد القدوس والفراش وحبسوهما وعدى الباشا من ليلته الى بر مصر وطلع الى القلعة فركب اليه في صبحها المشايخ وصحبتهم ابن أخي المتوفى وهو الذي تولى المشيخة فخاطبوه وقالوا له كلاما معناه ان بيوت الاشياخ مكرمة ولم تجر العادة بالختم على أماكنهم وخصوصا ان هذا المتوفى كان عظيما في بابه وأنتم أخبر به وكان لكم به مزيد عناية ومراعاة فقال نعم اني لا اريد اهانة بيتهم ولا اطمع في شيء مما يتعلق بمشيختهم ولا وظائفهم القديمة ولا يخفاكم ان المتوفى كان طماعا وجماعا للمال وطالت مدته وحاز التزامات واقطاعات وكان لا يحب قرابته ولا يخصهم بشيء بل كتب ما حازه لزوجته وهي جارية نهاية ثمنها الفا قرش او اقل او اكثر ولم يكتب لاولاد اخيه

الموصل ونعلمه ونصالحه ونستنجده ونرسل الى صلاح الدين بمصر فنستنجده ونقصد بلادكم من جهاتها كلها ولا تقومون لنا وأنتم تعلمون ان صلاح الدين كان يخاف ان يجتمع بنور الدين والآن فقد زال ذلك الخوف واذا طلبناه الى بلادكم فلا يمتنع فعلوا صدقه فصالحوه على شئ من المال أخذوه وأسرى اطلقوا وانهم كانوا اخذوا المسلمين وتقررت الهدنة فلما سمع صلاح الدين بذلك انكره واستعظمه وكتب الى الملك الصالح والامراء الذين معه يقبح لهم ما فعلوه ويبذل من نفسه قصد بلاد الفرنج ومقارعتهم وازعاجهم عن قصد شئ من بلاد الملك الصالح وكان قصده أن يصير له طريق الى بلاد الشام ليتملك البلاد والامراء الشاميون انما صالحوا الفرنج خوفا منه ومن سيف الدين غازي صاحب الموصل فانه كان قد أخذ البلاد الجزرية وخافوا منه ان يعبر الى الشام فرأوا صلح الفرنج اصلح من ان يجئ هذا من الغرب وهذا من الشرق وهم مشغولون عن ردهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم وقع الحريق ليلا ببغداد فاحترق أكثر الظفرية ومواضع غيرها ودام الحريق الى بكرة وطفئت النار وفيها في شعبان بنى ابن شنكاوه وابن أخي شملة صاحب خوزستان قلعة بالقرب من الماهكي ليتقوى بها على الاستيلاء على تلك الاعمال فسير اليه الخليفة العساكر من بغداد لمنعه فالتقوا فحمل بنفسه على الميمنة فهزمها واقتتل الناس قتالا عظيما وأسر ابن أخي شملة وحمل رأسه الى بغداد فعلق بباب النوبي وهدمت القلعة وفيها في رمضان وكان الزمان ربيعا توالت الامطار في ديار بكر والجزيرة والموصل فدامت أربعين يوما ما رأينا الشمس فيها غير مرتين كل مرة مقدار لحظة وخربت المساكن وغيرها وكثر الهدم ومات تحته كثير من الناس وزادت دجلة زيادة عظيمة وكان اكثرها ببغداد فانها زادت على كل زيادة تقدمت منذ بنيت بغداد بذراع وكسر وخاف الناس الغرق وفارقوا البلد وأقاموا على شاطئ دجلة خوفا من انفتاح القورج وغيره وكانوا كلما انفتح موضع بادروا بسده ونبع الماء في البلاليع وخرب كثيرا من الدور ودخل الماء الى البيمارستان العضدي ودخلت السفن من الشبابيك التي له فانها كانت قد تقلعت فمن الله تعالى على الناس بنقص الماء بعد ان أشرفوا على الغرق وفيها في جمادى الاولى كانت الفتنة ببغداد بين قطب الدين قايماز والخليفة وسببها ان الخليفة أمر باعادة عضد الدين بن رئيس الرؤساء الى الوزارة فمنع منه قطب الدين وأغلق باب النوبي وباب العامة وبقيت دار الخليفة كالمحاصرة فاجاب الخليفة الى ترك وزارته فقال قطب الدين لا أقنع الا باخراج عضد الدين من بغداد فامر بالخروج منها فالتجأ الى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسمعيل فاخذه الى رباطه وأجاره ونقله الى دار الوزير بقطفتا فاقام بها ثم عاد الى بيته في جمادى الآخرة وفيها سقط الامير أبو العباس أحمد ابن الخليفة وهو الذي صار خليفة من قبة عالية الى أرض

شيئا فلا يصح ان أمة تختص بذلك كله والخزينة اولى به لاحتياجات مصاريف العساكر ومحاربة الخوارج واستخلاص الحرمين وخزينة السلطان وانا ارفع الختم رعاية لخواطركم فدعوا له وقاموا الى مجلس الكتخدا وخلع على الشيخ المتولي فروة سمور اخرى وقلد السيد محمدا الدواخلي نقابة الاشراف وخلع عليه فروة سمور عوضا عن سيدي احمد ابي الاقبال المتولي على خلافة السادات فانفصل من النقابة ونزلت الجاويشية ولوازم النقابة مثل باش جاويش والكاتب امام الدواخلي وخلفه وقلد السيد المحروقي نظارة المشهد الحسيني عوضا عن المتوفى وكان فرغ بها لابن اخيه فلم ينفذ الباشا ذلك وفي ثاني يوم حضر الاعوان الى بيت السادات وفكوا الختوم وطلبوا اسقاء الحريم فاخذوه معهم وأوجعوه بالضرب واحضروا البناء وسألوهما عن محل الخبايا ثم رجعوا الى المنزل ففتحوا مخباة مسدودة بالبناء فوجدوا بها اقواب مساند قطيفة غير محشوة ووجدوا نحاسا وقطنا واواني صيني فتركوا ذلك وذهبوا وأبقوا بالدار عدة من العسكر فباتوا بها ثم رجعوا في ثالث يوم وفتحوا مخباة اخرى فوجدوا بها اكياسا مربوطة فظنوا بداخلها المال ففتحوها فوجدوا بها بن قهوة وبغيرها صابون وشمع عسل ولم يجدوا اشيئا من المال فتركوا تلك الاشياء ونزلوا الى قاعة التاج

التاج ومعه غلام له اسمه نجاح فالقى نفسه بعده وسلم ابن الخليفة ونجا فقيل لنجاح لم ألقيت نفسك فقال ما كنت أريد البقاء بعد مولاي فرعى له الامير أبو العباس ذلك فلما صار خليفة جعله شرابيا وصارت الدولة جميعها بحكمه ولقبه الملك الرحيم عز الدين وبالغ في الاحسان اليه والتقديم له وخدمه جميع الامراء بالعراق والوزراء وغيرهم وفيها في رمضان وقع ببغداد برد كبار ما رأى الناس مثله فهدم الدور وقتل جماعة من الناس وكثيرا من المواشي فوزنت بردة منه فكانت سبعة أرطال وكان عامته كالنارنج يكسر الاغصان هكذا ذكره أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه والعهدة عليه وفيها كانت وقعة عظيمة بين المؤيد صاحب نيسابور وبين شاه مازندران قتل فيها كثير من الطائفتين فانهزم شاه مازندران ودخل المؤيد بلاد الديلم وخربها وقتل باهلها وعاد عنها وفيها وقعت وقعة كبيرة بين أهل باب البصرة وأهل باب الكرخ وسببها ان الماء لما زاد سكر أهل باب الكرخ سكرا رد الماء عنهم فغرق مسجد فيه شجرة فانقلعت فصاح أهل الكرخ انقلعت الشجرة لعن الله العشرة فقامت الفتنة فتقدم الخليفة الى علاء الدين تنامش فمال على أهل باب البصرة لانه كان شيعيا وأراد دخول المحلة فمنعه أهلها واغلقوا الابواب ووقفوا على السور وأرادوا احراق الابواب فبلغ ذلك الخليفة فانكره أشد انكار وأمر باعادة تنامش فعاد ودامت الفتنة اسبوعا ثم انفصل الحال من غير توسط سلطان وفيها عبر ملك الروم خليج القسطنطينية وقصد بلاد قلج ارسلان فجرى بينهما حرب استظهر فيها المسلمون فلما رأى ملك الروم عجزه عاد الى بلده وقد قتل من عسكره وأسر جماعة كثيرة وفيها في جمادى الاولى مات أحمد بن علي بن المعمر بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله العلوي الحسيني نقيب العلويين ببغداد وكان يلقب الطاهر وسمع الحديث الكثير ورواه وكان حسنة أهل بغداد وفيها توفي الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن محمد العطار الهمذاني سافر الكثير في طلب الحديث وقراءة القرآن واللغة وكان من اعيان المحدثين وكان له قبول عظيم ببلده عند العامة والخاصة

(ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة)

(ذكر وصول اسطول صقلية الى مدينة الاسكندرية وانهزامهم منها)

في هذه السنة ظفر أهل الاسكندرية وعسكر مصر باسطول الفرنج من صقلية وكان سبب ذلك ما ذكرناه من ارسال أهل مصر الى ملك الفرنج بساحل الشام والى صاحب صقلية ليقصدوا ديار مصر ليثوروا بصلاح الدين ويخرجوه من مصر فجهز صاحب صقلية اسطولا كثيرا عدته مائتا شيني تحمل الرجالة وستة وثلاثين طريدة تحمل الخيل وستة مراكب كبارا تحمل آلة الحرب وأربعين مركبا تحمل الازواد وفيها من الراجل خمسون ألفا ومن الفرسان ألف وخمسمائة منها خمسمائة تركبلي وكان المقدم عليهم ابن عم صاحب صقلية وسيره الى الاسكندرية من ديار مصر فوصلوا

بجلوسه ووقفوا الخزانة فوجدوا بها نقودا فعدوها وحصروها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيسا فأخذوها ثم سئل السيد محمد المحروقي في مصالحة الباشا حتى قرر عليهم الف كيس وخمسين كيسا وخمسة اكياس براقي ابيت المال وخصموا منها الذي وجدوه بالخزانة وطولبوا بالباقي وذلك بعد التشديد والتهديد على الزوجة وتوعدوها بالتغريق في البحر ان لم تظهر المال وامر الكاتب بحساب ايراده ومصرفه في كل سنة وما صرفه في الابنية وينظر ما يتبقى بعد ذلك في مدة سنين ماضية فلم يزل السيد محمد المحروقي يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور والتزم هو بدفعه وحولت عليه الحوالات وضبط الباشا حصص الالتزام التي كانت باسم الزوجة ومنها قلقشندة بالقليوبية وسوادة ودفرينة بالجهة القبلية وغير ذلك وبعد انقضاء عدة الزوجة استأذن السيد المحروقي الباشا في عقد نكاحها على ابن أخي المتوفى الذي هو السيد احمد ابو الاقبال الذي تولى خلافة بيتهم فأذن بذلك فحضر في المحال واجرى العقد بعد ان حكمت عليه بطلاق التي في عصمته وهي جاريتها زوجته بها في حياة عمه ورزق منها اولادا واستقر المشار اليه في المنزل خليفة وشيخا على سجادتهم ومحل سيادتهم وسكن معه اخوه سيدي يحيي زادهما الله توفيقا وخيرا

ءاتفاقا واشرق نجم المتصدر على افق السعادة اشراقا فهو ابو الاقبال المتحلي بالجمال والكمال

في المهد ينطق عن سعادة جده
أثر النجابة واضح البرهان
ان الهلال اذا رايت نموه
ايقنت ان سيزيد في اللمعان

(ومات) الشيخ الناسك محمد بن عبد الرحمن اليوسي المغربي ورد الى مصر وحج ورجع ونزل بدار الحاج مصطفى المعبين العطار منجمعا عن خلطة الناس والسعي على طريقة حميدة وهذا كره حسنة و ياتي اليه الناس يزورونه ويتبركون به ويسالونه الدعاء ويستفهمون منه مسائل فيجيب كل انسان بما ينسر منه بتواضع وانكسار وتزهيد في الدنيا وعرض سنينا وتوفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم وصلى عليه بالازهر في مشهد حافل ودفن بجانب الخطيب الشربيني بتربة المجاورين وهي القرافة الكبرى

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين وألف)

(استهل المحرم بيوم الجمعة) فيه في ليلة الجمعة ثامنه وردت مكاتبات من الديار الحجازية وفيها الاخبار بان الباشا قبض على الشريف غالب أمير مكة وقبض على اولاده الثلاثة وار بعة عبيد طواشية من عبيده وارسلهم الى جدة وانزلهم في مركب من مراكبه وهي واصلة بهم والذي وصل بالخبر وصل في مركب صغيرة تسمى السبحان سبقتهم في الحضور الى

اليها في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وستين على حين غفلة من أهلها وطمانينة فخرج أهل الاسكندرية بسلاحهم وعدتهم ليمنعوهم من النزول وابعدوا عن البلد فمنعهم الوالي عليهم من ذلك وأمرهم بملازمة السور ونزل الفرنج الى البر مما يلي البحر والمنارة وتقدموا الى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا أشد قتال وصبر لهم أهل البلد ولم يكن عندهم من العسكر الا القليل ورأى الفرنج من شجاعة اهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ما راعهم وسيرت الكتب بالحال الى صلاح الدين يستدعونه لدفع العدو عنهم ودام القتال اول يوم الى آخر النهار ثم عاود الفرنج القتال اليوم الثاني وجدوا ولازموا الزحف حتى وصلت الدبابات الى قريب السور ووصل ذلك اليوم من العساكر الاسلامية كل من كان في اقطاعه وهو قريب من الاسكندرية فقويت بهم نفوس اهلها واحسنوا القتال والصبر فلما كان اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وخرجوا منه على الفرنج من كل جانب وهم غارون وكثر الصياح من كل الجهات فارتاع الفرنج واشتد القتال فوصل المسلمون الى الدبابات فاحرقوها وصبروا للقتال فانزل الله نصره عليهم وظهرت اماراته ولم يزل القتال الى آخر النهار ودخل أهل البلد اليه وهم فرحون مستبشرون بما راوا من تباشير الظفر وقوتهم وفشل الفرنج وفتور حربهم وكثرة القتل والجراح في رجالتهم وأما صلاح الدين فانه لما وصله الخبر سار بعساكره وسير مملوكا له ومعه ثلاثة جنائب ليجد السير عليها الى الاسكندرية يبشر بوصوله وسير طائفة من العسكر الى دمياط خوفا عليها واحتياطا لها فسار ذلك المملوك فوصل الاسكندرية من يومه وقت العصر والناس قد رجعوا من القتال فنادى في البلد بمجيء صلاح الدين والعساكر مسرعين فلما سمع الناس ذلك عادوا الى القتال وقد زال ما بهم من تعب وألم الجراح وكل منهم يظن ان صلاح الدين معه فهو يقاتل قتال من يريد ان يشاهد قتاله وسمع الفرنج بقرب صلاح الدين في عساكره فسقط في أيديهم وازدادوا تعبا وفتورا فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فغنموها بما فيها من الاسلحة الكثيرة والتجملات العظيمة وكثر القتل في رجالة الفرنج فهرب كثير منهم الى البحر وقربوا شوانيهم الى الساحل ليركبوا فيها فسلم بعضهم وركب وغرق بعضهم وغاص بعض المسلمين في الماء وخرق بعض شواني الفرنج فغرقت فخاف الباقون من ذلك فولوا هاربين واحتمى ثلثمائة من فرسان الفرنج على رأس تل فقاتلهم المسلمون الى بكرة ودام القتال الى ان أضحى النهار فغلبهم أهل البلد وقهروهم فصاروا بين قتيل واسير وكفى الله المسلمين شرهم

(ذكر خلاف الكنز بصعيد مصر)

وفي اول هذه السنة خالف الكنز بصعيد مصر واجتمع اليه من رعية البلاد والسودان والعرب وغيرهم خلق كثير وكان هناك أمير من الصلاحية في إقطاعه وهو أخو الامير

أبي الهيجاء السمين فقتله الكنز فعظم قتله على أخيه وهو من اكبر الامراء واشجعهم فسار الى قتال الكنز وسير معه صلاح الدين جماعة من الامراء وكثيرا من العسكر فوصلوا الى مدينة طود فاحتمت عليهم فقاتلوا من بها وظفروا بهم وقتلوا منهم كثيرا وذلوا بعد العز وقهروا واستكانوا ثم سار العسكر بعد فراغهم من طود الى الكنز وهو في طغيانه يعمه فقاتلوه فقتل هو ومن معه من الاعراب وغيرهم وأمنت بعده البلاد واطمان اهلها

(ذكر ملك صلاح الدين دمشق)

في هذه السنة سلخ ربيع الاول ملك صلاح الدين يوسف بن ايوب مدينة دمشق وسبب ذلك ان نور الدين لما مات وملك ابنه الملك الصالح بعده كان بدمشق وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازي الى حلب كما ذكرناه فاقام بها عند شمس الدين علي بن الداية فلما استولى سيف الدين على البلاد الجزرية خاف ابن الداية أن يعبر الى حلب فيملكها فارسل سعد الدين الى دمشق ليحضر الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب فلما قارب دمشق سير اليه شمس الدين محمد بن المقدم عسكرا فنهبوه وعاد منهزما الى حلب فاخلف عليه ابن الداية عوض ما أخذ منه ثم ان الامراء الذين بدمشق نظروا في المصلحة فعلموا ان مسيره الى حلب اصلح للدولة من مقامه بدمشق فارسلوا الى ابن الداية يطلبون ارسال سعد الدين ليأخذ الملك الصالح فجهزه وسيره * وعلى نفسها براقش تجني * فسار الى دمشق في المحرم من هذه السنة وأخذ الملك الصالح وعاد الى حلب فلما وصلوا اليها قبض سعد الدين على شمس الدين بن الداية واخوته وعلى رئيس بن الخشاب رئيس حلب ومقدم الاحداث بها ولولا مرض شمس الدين بن الداية لم يتمكن من ذلك واستبد سعد الدين بتربية الملك الصالح فخاف ابن المقدم وغيره من الامراء الذين بدمشق وقالوا ان استقر أمر حلب أخذ الملك الصالح وسار به الينا وفعل مثل ما فعل بحلب وكاتبوا سيف الدين غازي صاحب الموصل ليعبر الفرات اليهم ليسلموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليعبر الفرات ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمه وعسكر حلب من وراء ظهره فيهلك أشار عليه بهذا زلفندار عز الدين والجبان يقدر البعيد من الشر قريبا ويرى الجبن حزما كما قال

يرى الجبناء ان الجبن حزم * وتلك طبيعة الرجل الجبان

فلما أشار عليه بهذا الرأي زلفندار قبله وامتنع من قصد دمشق وراسل سعد الدين والملك الصالح وصالحهما على ما أخذه من البلاد فلما امتنع عن العبور الى دمشق عظم خوفهم وقالوا حيث صالحهم سيف الدين لم يبق لهم مانع عن المسير الينا فكاتبوا حينئذ صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين بن المقدم ومن أشبه أباه فما ظلم وقد ذكرنا مخامرة أبيه في تسليم سنجار سنة أربع وأربعين وخمسمائة فلما وصلت الرسل الى صلاح الدين بذلك لم يلبث وسار جريدة في سبعمائة فارس والفرنج في طريقه فلم يبال بهم فلما وطئ

السويس واخبروا ايضا في المكاتبة انه لما قبض عليهم احضر يحيى ابن ١٨٧ الشريف سرور وقلده الامارة وشاهق عمه غالب وقبضوا ايضا على وزيره الذي بجدة واصحبوه معهم وقلد مكانه في الكمرك شخصا من الاتراك يسمى علي الوجاقلي فلما وصل اصحاب بهذه المكاتبة الى السيد محمد المحروقي ليلا ركب من وقته الى كتخدا بك في بيته واطلعه على المكاتبات فلما طلع النهار نهار يوم الجمعة ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما وسرورا بذلك (وفيه) احتفل كتخدا بك بعمل مهم ايضا لزواج اسمعيل باشا ابن محمد علي باشا ومحمد بك الدفتردار على ابنة الباشا واسمعيل باشا على ابنة عارف بك ابن خليل باشا التي احضرها صحبته من اسلامبول وقد تقدم ذكر العقد عليهما في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية قبل توجه الباشا الى الحجاز فالزم كتخدا بك السيد محمد المحروقي بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم واتفقوا على ان يكون نصبة الفرح ببركة الازبكية تجاه بيت حريم الباشا وطاهر باشا وتعمل الولائم واجتماع المدعوين ببيت طاهر باشا والمطبخ بخرائب بيت الصابونجي وارسلوا اوراق التنابيه للمدعوين على طبقات الناس بالترتيب ونصبوا بوسط البركة عدة صواري لاجل الوقدات والقناديل التي تعمل عليها التصاوير من القناديل فترى من البعد

أرض الشام قصد بصرى وكان بها حينئذ صاحبها وهو من جملة من كاتبه فخرج ولقيه فلما رأى قلة من معه خاف على نفسه واجتمع بالقاضي الفاضل وقال ما أرى معكم عسكرا وهذا بلد عظيم لا يقصد بمثل هذا العسكر ولو منعكم من به ساعة من النهار أخذكم أهل السواد فان كان معكم مال سهل الامر فقالوا هنا مال كثير يكون خمسين ألف دينار فضرب صاحب بصرى على رأسه وقال هلكتم واهلكتمونا وجميع ما كان معهم عشرة آلاف دينار ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج كل من بها من العسكر اليه فلقوه وخدموه ودخل البلد ونزل في دار والده المعروفة بدار العقيقي وكانت القلعة بيد خادم اسمه ريحان فاحضر صلاح الدين كمال الدين بن الشهرزوري وهو قاضي البلد والحاكم في جميع اموره من الديوان والوقف وغير ذلك وارسله الى ريحان ليسلم القلعة اليه وقال انا مملوك الملك الصالح وما جئت الا لانصره واخدمه واعيد البلاد التي أخذت منه اليه وكان يخطب له في بلاده كلها فصعد كمال الدين الى ريحان ولم يزل معه حتى سلم القلعة فصعد صلاح الدين اليها وأخذ ما فيها من الاموال وأخرجها واتسع بها وثبت قدمه وقويت نفسه وهو مع هذا يظهر طاعة الملك الصالح ويخاطبه بالمملوك والخطبة والسكة باسمه

(ذكر ملك صلاح الدين مدينتي حمص وحماة)

لما استقر ملك صلاح الدين لدمشق وقرر أمرها استخلف بها أخاه سيف الاسلام طغدكين بن ايوب وسار الى مدينة حمص مستهل جمادى الاولى وكانت حمص وحماة وقلعة بعرين وسلمية وتل خالد والرها من بلد الجزيرة في اقطاع الامير فخر الدين مسعود الزعفراني فلما مات نور الدين لم يمكنه المقام بها لسوء سيرته في أهلها ولم يكن له في قلاع هذه البلاد حكم انما فيها ولاة لنور الدين وكان بقلعة حمص وال يحفظها فلما نزل صلاح الدين على حمص حادي عشر الشهر المذكور راسل من فيها بالتسليم فامتنعوا فقاتلهم من الغد فملك البلد وأمن أهله وامتنعت عليه القلعة وبقيت ممتنعة الى ان عاد من حلب على ما نذكره ان شاء الله وترك بمدينة حمص من يحفظها ويمنع من بالقلعة من التصرف وان تصعد اليهم ميرة وسار الى مدينة حماة وهو في جميع أحواله لا يظهر الا طاعة الملك الصالح بن نور الدين وانه انما خرج لحفظ بلاده عليه من الفرنج واستعادة ما أخذه سيف الدين غازي صاحب الموصل من البلاد الجزرية فلما وصل الى حماة ملك المدينة مستهل جمادى الآخرة وكان بقلعتها الامير عز الدين جورديك وهو من المماليك النورية فامتنع من التسليم الى صلاح الدين فارسل اليه صلاح الدين يعرفه ما هو عليه من طاعة الملك الصالح وانما يريد حفظ بلاده عليه فاستحلفه جورديك على ذلك وسيره الى حلب في اجتماع الكلمة على طاعة الملك الصالح وفي اطلاق شمس الدين علي وحسن وعثمان أولاد الداية من السجن فسار جورديك الى حلب واستخلف بقلعة حماة أخاه ليحفظها فلما وصل جورديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه

صورة مركب اوسبعين متقابلين او شجرة او جمل على جمل او كتابة مثل ماشاء الله ونحو ذلك وصفوا بوسط البركة عدة مدافع صفين متقابلين ونصب بهلوان الحبل حبله اوله من تجاه بيت الباشا وآخره برأس المنارة التي جهة حارة القوالة خلف رصيف الخشاب حيث الابنية المتغير بها في الحوادث الماضية بالقرب من القشلة بعمارات محمد باشا خسرو والتي لم تكمل وبهلوان آخر شامي بالناحية الاخرى وانتقل السيد محمد المحروقي من داره الى بيت الشرايبي تجاه جامع أزبك لاجل مباشرة المهمات فلما اصبح يوم السبت وهو يوم الابتداء ودعوة الاشياخ رتبوهم فرقتين فرقة تاتي ضحوة النهار واخرى بعد العصر واجتمع بالازبكية اصناف ارباب الملاعيب والمغربكين والجنبازية والحبيظية والحواة والقرداتية والرقاصين والبرامكة وغير ذلك اصناف واشكال فاحتفلت واقبل من كل ناحية اصناف الناس رجال ونساء واقارب واباعدوا كابر واصاغر وعساكر وفلاحون ويهود ونصارى واروام لاجل التفرج حتى ازدحمت الطرق الموصلة الى الازبكية من جميع النواحي باصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددين واستمر ضرب المدافع من ليلة السبت المذكور الى ليلة الجمعة التالية الاخرى ليلا ونهارا والحراقات والنفوط والسواريخ فلما

فلما علم أخوه بذلك سلم القلعة الى صلاح الدين فملكها

(ذكر حصر صلاح الدين حلب وعوده عنها وملك قلعة حمص وبعلبك)

لما ملك صلاح الدين حماة سار الى حلب فحصرها ثالث جمادى الآخرة فقاتله اهلها وركب الملك الصالح وهو صبي وعمره اثنتا عشرة سنة وجمع أهل حلب وقال لهم قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه يأخذ بلادي ولا يراقب الله تعالى ولا الخلق وقال من هذا كثيرا وبكى فابكى الناس فبذلوا له الاموال والانفس واتفقوا على القتال دونه والمنع عن بلده وجدوا في القتال وفيهم شجاعة قد ألفوا الحرب واعتادوها حيث كان الفرنج بالقرب منهم فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن فلا يقدر على القرب من البلد وأرسل سعد الدين الى سنان مقدم الاسماعيلية وبذل له اموالا كثيرة ليقتلوا صلاح الدين فارسلوا جماعة منهم الى عسكره فلما وصلوا رآهم امير اسمه خمارتكين صاحب قلعة بوقبيس فعرفهم لانه جارهم في البلاد كثير الاجتماع بهم والقتال لهم فلما رآهم قال لهم ما الذي اقدمكم وفي اي شئ جئتم فجرحوه جراحات مثخنة وحمل احدهم على صلاح الدين ليقتله فقتل دونه وقاتل الباقون من الاسماعيلية فقتلوا جماعة ثم قتلوا وبقي صلاح الدين محاصرا لحلب الى سلخ جمادى الآخرة ورحل عنها مستهل رجب وسبب رحيله ان القمص الصنجيلي صاحب طرابلس كان قد اسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة وبقي في الحبس الى هذه السنة فاطلقه سعد الدين بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية والف اسير فلما وصل الى بلده اجتمع الفرنج عليه يهنئونه بالسلامة وكان عظيما فيهم من اعيان شياطينهم فاتفق ان مرى ملك الفرنج لعنه الله مات اول هذه السنة وكان اعظم ملوكهم شجاعة واجودهم رايا ومكرا ومكيدة فلما توفي خلف ابنا مجذوما عاجزا عن تدبير الملك فملكه الفرنج صورة لا معنى تحتها وتولى القمص ريمند تدبير الملك والحل والعقد عن أمره يصدرون فارسلوا اليه من حلب يطلبون منه ان يقصد بعض البلاد التي بيد صلاح الدين ليرحل عنهم فسار الى حمص ونازلها سابع رجب فلما تجهز لقصده اسمع صلاح الدين الخبر فرحل عن حلب فوصل الى حماة ثامن رجب بعد نزول الفرنج على حمص بيوم ثم رحل الى الرستن فلما سمع الفرنج بقربه رحلوا عن حمص ووصل صلاح الدين اليها فحصر القلعة الى ان ملكها في الحادي والعشرين من شعبان من السنة فصار اكثر الشام بيده ولما ملك حمص سار منها الى بعلبك وبها خادم اسمه يمن وهو وال عليها من أيام نور الدين فحصرها صلاح الدين فارسل يمن يطلب الامان له ولمن عنده فامنهم صلاح الدين وتسلم القلعة رابع عشر رمضان من السنة المذكورة

(ذكر حصر سيف الدين اخاه عماد الدين بسنجار)

لما ملك صلاح الدين دمشق وحمص وحماة كتب الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين

في الليل ولعبت أرباب الملاعيب والبهلوانات على الحبال وكذلك احتفل النصارى وعملوا وقدات وحراقات تجاه حاراتهم ومساكنهم وصادف ذلك عيد الميلاد وعملوا لهم مراجيح وملاعيب (وفي اثناء ذلك) وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات مشكلة وممثلة بحرفتهم وصنائعهم ليمشوا بها في زفة العروس فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنميق وتزيين شكله وتباهوا وتناظروا وتفاخروا على بعضهم البعض فكان كل من سولت له نفسه وحدثه الشيطان باحداث شئ فعله وذهب الى المتعينين لذلك فيعطيه ورقة لان ذلك لم يكن لاناس مخصوصة اوعدد مقدر بل بتحكماتهم والزام بعضهم البعض فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها فرائض ودراهم يجمعها منهم وينفقها على العربة وما يلزمها من أخشاب وحبال وحمير او خيل اورجال يسحبونها وما يكتريه او يستعيره لزينتها من المزركشات والمقصبات والطلعيات وادوات الصنعة التي تتميز بها عن غيرها فتصير في الشكل كانها حانوت والبائع جالس فيها كالحلواني وامامه الاواني فيها انواع الحلوا والسكري وحوله اواني الملبس واقماع السكر معلقة حوله والشربات والشربتلي والعطار والحريري والعقاد البلدي والرومي والزيات

الى ابن عمه سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود يستنجده على صلاح الدين و يطلب ان يعبر اليه ليقصدوا صلاح الدين و يأخذوا البلاد منه فجمع سيف الدين عساكره وكاتب أخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار و يامره ان ينزل اليه بعساكره ليجتمعوا على المسير الى الشام فامتنع من ذلك وكان صلاح الدين قد كاتب عماد الدين وأطمعه فى الملك لانه هو الكبير فحمله الطمع على الامتناع على أخيه فلما راى سيف الدين امتناعه جهز اخاه عز الدين مسعودا فى عسكر كثير هو معظم عسكره وسيره الى الشام وجعل المقدم على العسكر أكبر امير معه يقال له عز الدين محمود و يلقب أيضا زالفندار وجعله المدبر للامر وسار سيف الدين الى سنجار فحصرها فى شهر رمضان وقاتلها وجد فى القتال وامتنع عماد الدين بها وجد فى حفظها والذب عنها فدام الحصار عليها فبينما هو يحاصرها أتاه الخبر بانهزام عسكره الذى مع اخيه عز الدين مسعود من صلاح الدين فراسل حينئذ اخاه عماد الدين وصالحه على ما بيده ورحل الى الموصل وثبت قدم صلاح الدين بعد هذه الهزيمة وخافه الناس وترددت الرسل بينه وبين سيف الدين غازى فى الصلح فلم يستقر حال

(ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين وحصره مدينة حلب)

فى هذه السنة سار عسكر سيف الدين مع أخيه عز الدين وعز الدين زالفندار الى حلب واجتمع معهما عساكر حلب وساروا كلهم الى صلاح الدين ليحاربوه فارسل صلاح الدين الى سيف الدين يبذل تسليم حمص وحماة وان يقر بيده مدينة دمشق وهو فيها نائب الملك الصالح فلم يجب الى ذلك وقال لا بد من تسليم جميع ما اخذ من بلاد الشام والعود الى مصر وكان صلاح الدين يجمع عساكره ويتجهز للحرب فلما امتنع سيف الدين من اجابته الى ما بذل سار فى عساكره الى عز الدين مسعود وزالفندار فالتقوا تاسع عشر رمضان بالقرب من مدينة حماة بموضع يقال له قرون حماة وكان زالفندار جاهلا بالحروب والقتال غير عالم بتدبيرها مع جبن فيه الا انه قد رزق سعادة وقبولا من سيف الدين فلما التقى الجمعان لم يثبت العسكر السيفى وانهزموا والايلوى أخو على اخيه وثبت عز الدين اخو سيف الدين بعد انهزام اصحابه فلما راى صلاح الدين ثباته قال اما ان هذا أشجع الناس او انه لا يعرف الحرب وامر اصحابه بالحملة عليه فحملوا فازالوه عن موقفه وتمت الهزيمة وتبعهم صلاح الدين وعسكره حتى جازوا معسكرهم وغنموا منهم غنائم كثيرة وآلة وسلاحا عظيما ودواب فارهة وعادوا بعد طول البيكار مستريحين وعاد المنهزمون الى حلب وتبعهم صلاح الدين فنازلهم بها محاصرا لها ومقاتلا وقطع حينئذ خطبة الملك الصالح بن نور الدين وأزال اسمه عن السكة فى بلاده ودام محاصرا لهم فلما طال الامر عليهم راسلوه فى الصلح على ان يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بايديهم منها فاجابهم الى ذلك وانتظم الصلح ورحل عن حلب فى العشر الاول من شوال ووصل الى حماة ووصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

والحدادون والنجارون والخياط والقزاز والحباك والنشار وهو ينشر الخشب بمنشار والمعلق والطحان والفران ومعه الفرن وهو يخبز فيه والفطاطرى والجزار وحوله لحم الغنم ومثله جزار الجاموس والكبابجى والنيفاوى وقلاء الجبن والسماك والجبارين والحباسين بالحجر والثور مدور به وهو ماش بالعربة والبناء والمبلط والمبيض والنحاس والبناء والسمكرى فتمته احدى وتسعون عربة وفيهم حتى المراكبى فى قنجة كبيرة كاملة العدة والقلوع تمشى على الارض على العجل خلاف اربع عربات المختصة بالعروس فلما كان يوم الاربعاء سحبوا تلك العربات وانجروا بها كبيرهم وطبولهم وزمورهم وامام كل عربة أهل حرفتها وصناعها مشاة خلف الطبول والزمور وهم مزينون بالملابس وملابسهم الفاخرة وأكثرها مستعارة فكانوا ينزلون الى البركة من ناحية باب الهواء ويمرون من تحت بيت الباشا الى ناحية رصيف الخشاب و ياتى كبير الحرفة بورقته الى المتعينين لملاقاتهم فينعم عليه بخلعة ودراهم فيعطى البعض شال كشميرى والفين فضة والبعض طاقة تقصيلة قطنى اوأربعة اذرع جوخ على قدر مقام الصنعة واهلها واستمر مرورهم من اول النهار الى بعد الغروب واصطفوا باسرهم عند رصيف الخشاب ولما اصبح يوم الخميس

*(ذكر

رتبوا العرس والزفة وعينوا لترتيبها اشخاصا ومنهم السيد محمد درب الشمسي وهو كبير المنظمين وكان خروجها من بيت الحريم وهو الذي كان سكن الشيخ خليل البكري وذهبوا وانجروا على طريق الموسكي على تحت الربع الى باب زويلة الى الغورية الى بين القصرين الى سوق مرجوش الى باب الحديد الى بولاق الى سراية اسمعيل باشا التي جددوها قبلي بولاق قريبا من الشون فلم تصل الى منزلها الا عند الغروب وكان في اول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ثم والي الشرطة ثم المحتسب ثم موكب اغات الينكجرية وبعدهم المساخر والنقاقير وعدتها عشرة نقاقير وعلى كل نقارة تفصيلة ثم العربات المذكورة وفيها أيضا تجار الغورية وطائفة تجار خان الخليلي في موكب حفل وتجار الجمزاوي من نصارى الشوام وغيرهم وكان يوما مشهودا اجتمعت فيه الخلائق للفرجة في طرقها حتى طريق بولاق واكترى الناس الاماكن المطلة على الشارع والحوانيت باغلى الاثمان ولما وصلت العروس الى قصرها ضربوا عدة مدافع من بولاق والازبكية والجيزة وكان العزم على عمل المهم الثاني والابتداء فيه من يوم السبت الذي بعد الجمعة فرسموا بتاخيره الى الجمعة الاخرى لتاخر أم العريس ومن يصحبها من النساء واقمن ببولاق تلك الجمعة واستقرت

(ذكر ملك صلاح الدين قلعة بعرين)

في هذه السنة في العشر الآخر من شوال ملك صلاح الدين قلعة بعرين من الشام وكان صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفراني وهو من أكابر الامراء النورية فلما رأى قوة صلاح الدين نزل منها واتصل بصلاح الدين وظن ان صلاح الدين يكرمه ويشاركه في ملكه ولا ينفرد عنه بامر مثل ما كان مع نور الدين فلم ير من ذلك شيئا ففارقه ولم يكن بقي له من اقطاعه التي كانت له في الايام النورية غير بعرين ونائبه بها فلما صالح صلاح الدين الملك الصالح بحلب عاد الى حماة وسار منها الى بعرين وهي قريبة منها فحصرها ونصب عليها المنجنيقات وأدام قتالها فسلمها واليها بالامان فلما ملكها عاد الى حماة فاقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي وأقطع حمص ناصر الدين ابن عمه شيركوه وسار منها الى دمشق فدخلها أواخر شوال من السنة

(ذكر ملك البهلوان مدينة تبريز)

في هذه السنة ملك البهلوان بن ايلدكز مدينة تبريز وهي من جملة بلاد آقسنقر الاحمديلي وسبب ذلك ان البهلوان سار الى مراغة وحصرها وكان ابن آقسنقر الاحمديلي قد مات ووصى بالملك لابنه فلك الدين فقصده البهلوان ونزل على قلعة رويندز وحصرها فامتنعت عليه فتركها وحصر مراغة وسير أخاه قزل ارسلان في جيش الى مدينة تبريز فحصرها أيضا وكان البهلوان يقاتل أهل مراغة فظفروا بطائفة من عسكره فخلع عليهم صدر الدين قاضي مراغة وأطلقهم فحسن ذلك عند البهلوان وشرع القاضي في الصلح على ان يسلم تبريز الى البهلوان فاجيب الى ذلك واستقرت القاعدة عليه وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتسلم البهلوان تبريز وأعطاها اخاه قزل ارسلان ورحل عن مراغة بعسكره

(ذكر وفاة شملة)

في هذه السنة مات شملة التركماني صاحب خوزستان وكان قد كثرت ولايته وعظم شانه وبنى عدة حصون وبقي كذلك زيادة على عشرين سنة وكان سبب موته انه قصد بعض التركمان فعلموا بذلك فاستغاثوا بشمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب عراق العجم فسير اليهم جيشا فاقتتلوا فاصاب شملة سهم ثم اخذ اسيرا وولده وابن اخيه وتوفي بعد يومين وهو من التركمان الافشرية ولما مات ملك ابنه بعده

(ذكر هرب قطب الدين قايماز من بغداد)

في هذه السنة في شوال سير علاء الدين تنامش وهو من اكابر الامراء ببغداد وكان قطب الدين قايماز زوج اخته عسكرا الى العراق فنهبوا اهله وبالغوا في اذاهم فجاء منهم جماعة الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا للضعف الخليفة مع قايماز وتنامش وتحكمهما عليه فقصدوا جامع القصر واستغاثوا فيه ومنعوا الخطيب وفاتت الصلاة فأكثر الناس فانكر الخليفة ما جرى فلم يلتفت قطب الدين وتنامش الى ما فعل واحتقروه فلا جرم لم يمهلهم

الله تعالى لاحتقارهم الدعاة وازدرائهم اهله فلما كان خامس ذى القعدة قصد
قطب الدين قايماز اذى ظهير الدين بن العطار وكان صاحب المخزن وهو خاص الخليفة
وله به عناية تامة فلم يراع الخليفة فى صاحبه فارسل اليه يستدعيه ليحضر عنده
فهرب فاحرق قطب الدين داره وحالف الامراء على المساعدة والمظاهرة وجمعهم
وقصدوا دار الخليفة ليعلمه ان ابن العطار لديها فلما علم الخليفة ذلك ورأى الغلبة
صعد الى سطح داره وظهر للعامة وامر خادما فصاح واستغاث وقال للعامة مال
قطب الدين لكم ودمه لى فقصد الخلق كلهم دار قطب الدين للنهب فلم يمكنه المقام
لضيق الشوارع وغلبة العامة فهرب من داره من باب فتحه فى ظهرها لكثرة الخلق
على بابها وخرج من بغداد ونهبت داره واخذ منها من الاموال ما لا يعد ولا يحصى فروى
فيها من النعم ما ليس لاحد مثله فمن جملة ذلك ان بيت الطهارة الذى كان له فيه سلسلة
ذهب من السقف الى محاذى وجه القاعد على الخلاء وفى اسفلها كرة كبيرة ذهب
مخرمة محشوة بالمسك والعنبر ليشمها اذا قعد فنهبت اثمان وقطعها ودخل بعض
الصعاليك فاخذ عدة اكياس مملوءة دنانير وكان الاقوياء قد وقفوا على الباب ياخذون
ما يخرج به الناس فلما اخذ ذلك الصعلوك الاكياس قصد المطبخ فاخذ منه قدرا مملوءة
طبيخا والقى الاكياس فيها وحملها على رأسه والناس يضحكون منه فيقول انا اريد
شيئا اطعمه عيالى اليوم فنجا سالما فاستغنى بعد ذلك فظهر المال ولم يبق من نعمة
قطب الدين فى ساعة واحدة قليل ولا كثير ولما خرج من البلد تبعه تنامش وجماعة من
الامراء فنهبت دورهم ايضا واخذت اموالهم واحرق اكثرها وسار قطب الدين الى الحلة
ومعه الامراء فسير الخليفة اليه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ فلم يزل به يخدعه
حتى سار عن الحلة الى الموصل على البر فلحقه ومن معه عطش عظيم فهلك اكثرهم من
شدة الحر والعطش ومات قطب الدين قبل وصوله الى الموصل فحمل ودفن بظاهر باب
العمادى وقبره مشهور هناك وهذا عاقبة عصيان الخليفة وكفران الاحسان والظلم
وسوء التدبير فانه ظلم اهل العراق وكفر احسان الخليفة الذى كان قد غمره ولو اقام
بالحلة وجمع العساكر وعاد ودبغداد لاستولى على الامور كلها كما كان فان عامة بغداد
كانوا يريدونه وكان قوى بالاحسان على البلاد فاطاعوه ولما مات فى ذى الحجة وصل
علاء الدين تنامش الى الموصل فاقام مدة ثم امره الخليفة بالقدوم الى بغداد فعاد اليها
وبقى بها الى ان مات بغير اقطاع وكان هذا آخر امرهم ولما اقام قطب الدين بالحلة امتنع
الحاج من السفر فتاخروا الى ان رحل منها فدخلوا من الكوفة فى ثمانية عشر يوما
وهذا ما لم يسمع بمثله وفات كثيرا منهم الحج ولما هرب قطب الدين خلع الخليفة على
عضد الدين الوزير واعيد الى الوزارة قال بعض الشعراء فى قطب الدين وتنامش هذه
الابيات

ان كنت معتبرا بملك زائل * وحوادث عنتية الادلاج
فدع العجائب والتواريخ الاولى * وانظر الى قيماز وبن اتماج

نصبة الصوارى والحبال والآلات على حالها بالازبكية (وفى يوم الاحد سابع عشره) وصل السيد غالب
شريف مكة الى مصر القديمة
وقد اتت به السفينة من
القلزم الى مرساة ثغر القصير
فلاقاه ابراهيم باشا وحضر
بصحبته الى قنا وقوص ثم
ركب النيل بمن معه من
اولاده وعبيده والعسكر
الواصلين بصحبته وحضر الى
مصر القديمة فلما وصل الخبر الى
كتخدا بك ضربوا عدة مدافع
من القلعة اعلاما بوصوله
واكراما على حد قوله تعالى
ذق انك انت العزيز الكريم
وركب صالح بك السلحدار
واحمد اغا اخو كتخدا بك
فى طائفة لملاقاته واحضاره
وهيؤا له مكانا بمنزل احمد اغا
اخى كتخدا بك بعطفة ابن
عبد الله بك بخط السروجية
لينزل فيه وانتظره الكتخدا
هناك وصحبته بونابارته الخازندار
ومحمود بك ومحو بك وابراهيم
اغا اغات الباب والسيد محمد
المحروقى فلما وصل الى الدار
نزل الكتخدا والجماعة ولاقوه
عند سلم الركوبة وقبلوا يده
ولزم الكتخدا بيده تحت
ابطه حتى صعد الى محل
الجلوس الذى اعدوه له
واستمر الكتخدا قائما على
قدميه حتى اذن له فى الجلوس
هو وباقى الجماعة وعرفه
الكتخدا عن السيد محمد
المحروقى فتقدم وقبل يده
فقام له وسلم عليه وجلس بحذاء الكتخدا ليترجم عنه فى الكلام ويؤانسه ويطمن خاطره ثم ان الكتخدا

عطف الزمان عليهما فسقاهما * من كاسه صرفا بغير مزاج
فتبدد لوابعد القصور وظلها * وتعوضا بمهامه وفجاج
فليحذر الباقون من امثالها * نكبات دهر خائن مزعاج

وكان قطب الدين كريما طلق الوجه محبا للعدل والاحسان كثير البذل للمال والذى كان جرى منه انما كان يحمله عليه قيماز ولم يكن بارادته

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة مات زعيم الدين صاحب المخزن واسمه يحيى بن عبد الله بن محمد بن المعمر ابن جعفر ابو الفضل وحج بالناس عدة سنين واليه الحكم فى الطريق وتاب عن الوزارة وتنقل فى هذه الاعمال اكثر من عشرين سنة وكان يحفظ القرآن

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام سيف الدين من صلاح الدين)

فى هذه السنة عاشر شوّال كان المصاف بين سيف الدين غازى بن مودود و بين صلاح الدين يوسف بن ايوب بتل السلطان على مرحلة من حلب على طريق حماة وانهزم سيف الدين وسبب ذلك انه لما انهزم اخوه عز الدين مسعود من صلاح الدين فى العام الماضى وصالح سيف الدين اخاه عماد الدين صاحب سنجار عاد الى الموصل وجمع عساكره وفرق فيهم الاموال واستنجد صاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما فاجتمعت معه عساكر كثيرة بلغت عدتهم ستة آلاف فارس فسار الى نصيبين فى ربيع الاوّل من هذه السنة واقام بها فاطال المقام حتى انقضى الشتاء وهو مقيم فضجر العسكر ونفدت نفقاتهم وصار العود الى بيوتهم مع الهزيمة أحب اليهم من الظفر لما يتوقعونه ان ظفروا من طول المقام بالشام بعد هذه المدة ثم سار الى حلب فنزل اليه سعد الدين كمشتكين الخادم مدبر دولة الملك الصالح ومعه عساكر حلب وكان صلاح الدين فى قلة من العساكر لانه كان صالح الفرنج فى المحرم من هذه السنة على ما نذكره ان شاء الله وقد سير عساكره الى مصر فارسل يستدعيها فلو عاجلوه لبلغوا غرضهم منه لكنهم تريثوا وتاخروا عنه فجاءته عساكره فسار من دمشق الى ناحية حلب ليلقى سيف الدين فالتقى العسكران بتل السلطان وكان سيف الدين قد سبقه فلما وصل صلاح الدين كان وصوله العصر وقد تعب هو واصحابه وعطشوا فالقوا انفسهم الى الارض ليس فيهم حركة فاشار على سيف الدين جماعة بقتالهم وهم على هذا الحال فقال زلفندار ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجى فى هذه الساعة غدا بكرة ناخذهم كلهم فترك القتال الى الغد فلما اصبحوا اصطفوا للقتال فجعل زلفندار وهو المدبر للعسكر السيفى اعلامهم فى وهدة من الارض لا يراها الا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا ان السلطان قد انهزم فلم يثبتوا وانهزموا ولم يلو اخ على أخيه ولم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد ووصل سيف الدين الى حلب وترك بها أخاه عز الدين مسعودا فى جمع من

اعتذر له باشتغاله باحوال الدولة واستاذنه فى الذهاب الى ديوانه وعرفه أن اخاه ١٩٣ ينوب عنه فى الخدمة ولوازمه فقبل عذره وقام منصرفا هو وباقى الجماعة ماعدا السيد محمد المحروق ومحمود بك فان الكتخدا امرهما بالتخلف عنده ساعة ليلاعبه وتغديا بصحبته ومعه أولاده الثلاثة وعبيده ثم انصرفا الى منزلهما ولم ياذن الكتخدا لاحد من الاشياخ اوغيرهم من التجار بالسلام عليه والاجتماع به والذى بلغنا فى كيفية القبض عليه انه لما ذهب الباشا الى مكة واستمر هو وابنه طوسون باشا مع الشريف غالب على المصادقة والمسالمة والمصافاة وجددمعه العهود والايمان فى جوف الكعبة بان لا يخون احد صاحبه وكان الباشا يذهب اليه فى قلة وهو الآخر ياتى اليه والى ابنه كذلك واستمروا على ذلك خمسة عشر يوما من ذى القعدة دعاه طوسون باشا اليه فاتى اليه كعادته فى قلة فوجد بالدار عساكر كثيرة فعندما استقر به المجلس وصل عابدين بك فى عدة وافرة وطلع الى المجلس فدنا منه واخذ الجنبية من حزامه وقال له انت مطلوب للدولة فقال سمعا وطاعة ولكن حتى اقضى اشغالى فى ظرف ثلاثة ايام واتوجه فقال لاسبيل الى ذلك والسفينة حاضرة فى انتظارك فحصل فى

جماعة الشريف وعبيده زجة وصعدوا على ابراج سرايته وارادوا الحرب فارسل اليهم الباشا يقول لهم ان

وقع منكم حرب احرقت البلدة وقتلت استاذكم وارسل لهم ايضا الشريف يكفهم عن ذلك وكان بها اولاده الثلاثة فحضر

المسكر ولم يقم هو وعبر الفرات وسار الى الموصل وهو لا يصدق انه ينجو وظن ان صلاح الدين يعبر الفرات ويقصده بالموصل فاستشار وزيره جلال الدين ومجاهد الدين قايماز في مفارقة الموصل والاعتصام بقلعة عقر الحميدية فقال له مجاهد الدين ارأيت ان ملكت الموصل عليك اتقدر ان تمتنع ببعض ابراج الفصيل فقال لا فقال برج في الفصيل خير من العقر ومازال الملوك ينهزمون ويعاودون الحرب واتفق هو والوزير على شد ازره وتقوية قلبه فثبت ثم اعرض عن زلفندار وعزله واستعمل مكانه على امارة الجيوش مجاهد الدين قايماز على ما نذكره ان شاء الله وقد ذكر العماد الكاتب في كتاب البرق الشامي في تاريخ الدولة الصلاحية أن سيف الدين كان عسكره في هذه الوقعة عشرين ألف فارس ولم يكن كذلك انما كان على التحقيق يزيدون على ستة آلاف فارس اقل من خمسمائة فانني وقفت على جريدة العرض وترتيب العسكر للمصاف ميمنة وميسرة وقلبا وجاليشية وغير ذلك وكان المتولي لذلك والكاتب له أخي مجد الدين ابا السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم رحمه الله وانما قصد العماد أن يعظم أمر صاحبه بانه هزم بستة آلاف عشرين ألفا والحق احق ان يتبع ثم ياليت شعري كم هي الموصل واعمالها الى الفرات حتى يكون لها وفيها عشرون الف فارس

❁(ذكر ما ملكه صلاح الدين بعد الكسرة من بلاد الصالح بن نور الدين)❁

لما انهزم سيف الدين وعسكره ووصلوا الى حلب عاد سيف الدين الى الموصل كما ذكرناه وترك بحلب اخاه عز الدين مسعودا في طائفة من العسكر نجدة للملك الصالح واما صلاح الدين فانه لما استولى على اثقال العسكر الموصلي هو وعسكره وغنموها واتسعوا بها وقووا سار الى بزاعة فحصرها وقاتله من بالقلعة ثم تسلمها وجعل فيها من يحفظها وسار الى مدينة منبج فحصرها آخر شوال وبها صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي وكان شديد العداوة لصلاح الدين والتحريض عليه والاطماع فيه والطعن فيه فصلاح الدين حنق عليه مهدد له فاما المدينة فملكها ولم تمتنع عليه وبقي القلعة وبها صاحبها قد جمع اليها الرجال والسلاح والذخائر فحصره صلاح الدين وضيق عليه وزحف الى القلعة فوصل النقابون الى السور فنقبوها وملكوها عنوة وغنم العسكر الصلاحي كل ما فيها واخذ صاحبها اسيرا فاخذ صلاح الدين كل ماله واصبح فقيرا لا يملك نقيرا ثم اطلقه صلاح الدين فسار الى الموصل فاقطعه سيف الدين غازي مدينة الرقة ولما فرغ صلاح الدين من منبج سار الى قلعة اعزاز فنازلها ثالث ذي القعدة من السنة وهي من احصن القلاع وامنعها فنازلها وحصرها واحاط بها وضيق على من فيها ونصب عليها المنجنيقات وقتل عليها كثير من العسكر فبينما صلاح الدين يوما في خيمة لبعض امرائه يقال له جاولي وهو مقدم الطائفة الاسدية اذ وثب عليه باطني فضربه بسكين في راسه فجرحه فلولا ان المغفر الزرد كان تحت القلنسوة

اليهم الشيخ احمد تركي وهو من خواص الشريف وخدمهم وقال لهم لم يكن هناك بأس وانما والدكم مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريدان يقلد كبيركم نيابة عن ابيه الى حين رجوعه ولم يزل حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى محل خلاف الذي به والدهم محتفظا بهم وفي الوقت احضر الباشا الشريف يحيى بن سرور وهو ابن اخي الشريف غالب وخلع عليه وقلده امارة مكة ونودي في البلدة باسمه وعزل الشريف غالب بحسب الاوامر السلطانية واستمر الشريف غالب اربعة ايام عند طوسون باشا ثم اركبوه واصحبوا معه عدة من العسكر وذهبوا به وباولاده الى بندر جدة وانزلوهم السفينة وساروا بها من ناحية القصير من صعيد مصر وحضر كما ذكر (وفي يوم الاربعاء) وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده مثالان فعمل كتخدا بك ديوانا في صبيحة يوم الخميس حادي عشرينه وقرئ ذلك وهما مثالان يتضمن احدهما التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر على السنة الجديدة والثاني الاخبار والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد العرب ولما فرغوا من قراءتهما

القلمنسوة لقتله فامسك صلاح الدين يد الباطني بيده الا انه لا يقدر على منعه من الضرب بالكلية انما يضرب ضربا ضعيفا فبقي الباطني يضرب به في رقبته بالسكين وكان عليه كزاغند فكانت الضربات تقع في زيق الكزاغند فتقطعه والزردية تمنعها من الوصول الى رقبته لبعد اجله فجاء امير من امرائه اسمه يازكش فامسك السكين بكفه فجرحه الباطني ولم يطلقها من يده الى ان قتل الباطني وجاء آخر من الاسماعيلية فقتل ايضا وثالث فقتل وركب صلاح الدين الى خيمته كالمذعور لا يصدق بنجاته ثم اعتبر جنده فمن انكره ابعده ومن عرفه اقره على خدمته ولازم حصار اعزاز ثمانية وثلاثين يوما كل يوم اشد قتالا مما قبله وكثرت النقوب فيها فاذعن من بها وسلموا القلعة اليه فتسلمها حادي عشر ذي الحجة

ذكر حصر صلاح الدين مدينة حلب والصلح عليها

لما ملك صلاح الدين قلعة اعزاز رحل الى حلب فنازلها منتصف ذي الحجة وحصرها وبها الملك الصالح ومن معه من العساكر وقد قام العامة في حفظ البلد القيام المرضي بحيث انهم منعوا صلاح الدين من القرب من البلد لانه كان اذا تقدم للقتال خرج هو واصحابه وكثر الجراح فيهم والقتل وكانوا يخرجون ويقاتلونه ظاهر البلد فترك القتال واخلد للمطاولة وانقضت سنة احدى وسبعين ودخلت سنة اثنتين وسبعين وهو محاصر لها ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح في العشرين من المحرم فوقعت الاجابة اليه من الجانبين لان اهل حلب خافوا من طول الحصار فانهم ربما ضجروا وضعفوا وصلاح الدين رأى انه لا يقدر على الدنو من البلد ولا على قتال من به فاجاب ايضا وتقررت القاعدة في الصلح للجميع للملك الصالح ولسيف الدين صاحب الموصل ولصاحب الحصن ولصاحب ماردين وتحالفوا واستقرت القاعدة ان يكونوا كلهم عونا على الناكث الغادر فلما انفصل الامر رحل عن حلب بعد ان اعاد قلعة اعزاز الى الملك الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختا له صغيرة طفلة فاكرمها صلاح الدين وحمل لها شيئا كثيرا وقال لها ما تريدين قالت اريد قلعة اعزاز وكانوا قد علموها ذلك فسلمها اليها ورحل الى بلد الاسماعيلية

ذكر الفتنة بمكة وعزل اميرها واقامة غيره

في هذه السنة في ذي الحجة كان بمكة حرب شديدة بين امير الحاج طاشتكين وبين الامير مكثر بن عيسى امير مكة وكان الخليفة قد امر امير الحاج بعزل مكثر واقامة اخيه داود مقامه وسبب ذلك انه كان قد بنى قلعة على جبل أبي قبيس فلما سار الحاج عن عرفات لم يبيتوا بالمزدلفة وانما اجتازوا بها فلم يرموا الجمار انما بعضهم رمى بعضها وهو سائر ونزلوا الابطح فخرج اليهم ناس من اهل مكة فحاربوهم وقتل من الفريقين جماعة وصاح الناس الغزاة الى مكة فهجموا عليها فهرب امير مكة مكثر فصعد الى القلعة التي بناها على جبل أبي قبيس فحصروه بها ففارقها وسار عن مكة وولي اخوه داود الامارة

ضربوا عدة مدافع من القلعة وفي عصرية ذلك اليوم حضر حريم الباشا من بولاق الى الازبكية في عربات فضربوا لحضورهن مدافع من الازبكية وشرعوا في عمل المهم الثاني لابنة الباشا على الدفتردار وافتتحوا ذلك من ليلة السبت على النسق المتقدم وعملوا العزائم والولائم واحتفلوا ازيد من المهم الاول واحضروا الشريف غالبا واعدوا له مكانا ببيت الشرايبي على حدته هو وأولاده ليتفرجوا على الملاعيب والبهلوانات نهارا والشنك والحراقات ليلا وعلى الشريف وأولاده الحرس ولا يجتمع بهم أحد على الوجه والصورة التي كانوا عليها بالمنزل الذي انزلوا فيه فلما كان في يوم الاربعاء اجتمع أرباب العربات وأصحابها وقد زادوا عن الاولى خمسة عشر عربة وفيهم معمل الزجاج وباتوا بنواحي البركة على النسق المتقدم ونصبوا لهم خياما تقيهم من البرد والمطر لان الوقت شات ولما أصبح يوم الخميس انجرت العربات وموكب الزفة من ناحية باب الهواء على قنطرة الموسكي على باب الخرق على درب الجماميز وعطفوا من الصليبة على المظفر على السروجية على قصبة رضوان بك على باب زويلة على شارع الغورية على الجمالية على سوق مرجوش على بين السورين على الازبكية على باب الهواء الى المنزل الذي اعدوه لها وهو بيت ابنة اسمعيل بك

ونهب كثيرا من الحاج وأخذوا من اموال التجار المقيمين بها شيئا كثيرا واحرقوا دورا
كثيرة ومن اعجب ما جرى فيها ان انسانا زراقا ضرب دارا بقارورة نفط فاحرقها
وكانت لايتام فاحرقت ما فيها ثم أخذ قارورة أخرى ليضرب بها مكانا آخر فاتاه حجر
فاصاب القارورة فكسرها فاحترق هو بها فبقي ثلاثة ايام يعذب بالحريق ثم مات

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شهر رمضان انكسفت الشمس جميعها واظلمت الارض حتى بقي
الوقت كانه ليل مظلم وظهرت الكواكب وكان ذلك ضحوة النهار يوم الجمعة
التاسع والعشرين منه وكنت حينئذ صبيا بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء
اقرأ عليه الحساب فلما رأيت ذلك خفت خوفا شديدا وتمسكت به فقوى قلبي وكان
عالما بالنجوم أيضا وقال لي الآن ترى هذا جميعه انصرف فانصرف سريعا وفيها ولي
الخليفة المستضيء بامر الله حجبة الباب أبا طالب نصر بن علي الناقد وكان يلقب في صغره
قنبرا فصاروا يصيحون به ذلك اذا ركب فامر الخليفة ان يركب معه جماعة من الاتراك
ويمنعون الناس من ذلك فامتنعوا فلما كان قبل العيد خلع عليه ليركب في الموكب
فاشترى جماعة من أهل بغداد من القنابر شيئا كثيرا وعزموا على ارسالها في الموكب
اذا رأوا ابن الناقد فانهي ذلك الى الخليفة وقيل له يصير الموكب ضحكة فعزله وولى
ابن المعوج وفيها في ذي الحجة يوم العيد وقعت فتنة ببغداد بين العامة وبين الاتراك
بسبب أخذ جمال النحر فقتل بينهم جماعة ونهب شيء كثير من الاموال ففرق الخليفة
أموالا جليلة فيمن نهب ماله وفيها زلزلت بلاد العجم من جهة العراق الى ما وراء الري
وهلك فيها خلق كثير وتهدمت دور كثيرة وأكثر ذلك كان بالري وقزوين وفيها في
ربيع الآخر استوزر سيف الدين غازي صاحب الموصل جلال الدين ابا الحسن
ابن جمال الدين محمد بن علي وكان جمال الدين وزير البيت الاتابكي وقد تقدمت أخباره
وهو المشهور بالجود والافضال ولما ولي جلال الدين الوزارة ظهرت منه كفاية
عظيمة ومعرفة تامة بقوانين الوزارة وله مكاتبات وعهود حسنة مدونة مشهورة وكان
جوادا فاضلا خيرا وكان عمره لما ولي الوزارة خمسا وعشرين سنة وفيها في ذي الحجة استناب
سيف الدين أيضا عنه بقلعة الموصل مجاهد الدين قايماز وفوض اليه الامور وكان
قبل ذلك اليه الامر بمدينة اربل واعمالها وكان رحمه الله من صالحي الامراء وأرباب
المعروف بنى كثيرا من الجوامع والخانات في الطرق والقناطر على الانهار والربط
وغير ذلك من أبواب البر وكان دائم الصدقة كثير الاحسان عادل السيرة رحمه الله
وفيها قبض الخليفة على سنجر المقتفوي استاذ الدار ورتب مكانه أبا الفضل هبة الله
ابن علي بن هبة الله بن الصاحب وفيها في رمضان قدم شمس الدولة توران شاه بن ايوب
الذي ملك اليمن الى دمشق ولما سمع ان أخاه صلاح الدين ملكها حن الى الوطن
والاتراب ففارق اليمن وسار الى الشام وأرسل من الطريق الى اخيه صلاح الدين يعلمه
بوصوله وكتب في الكتاب شعرا من قول ابن المنجم المصري

وهي بنت ابراهيم بك وكانت متزوجة باسمعيل بك ولما مات تزوج بها مملوكه محمد أغا ويعرف بالالفي وقد
تولى اغاوية مستحفظان في
هذه الدولة واعتنى بهذه الدار
وعمر بها مكانا بداخل
الحريم وزخرفها ونقشها
نقشا بديعا صناعة صناع
العجم واستمروا في نقشها
سنتين ولما ماتت المذكورة
في اوائل هذه السنة واستمر
هو ساكنا فيها وانزل الباشا
عنده القاضي المنفصل من
قضاء مصر المعروف ببهجة
افندي وقاضي مكة صادق
افندي حين حضر من
اسلامبول ثم امره الباشا
بالخروج منها واخلائها
لاجل ان يسكن بها ابنته
هذه المزفوفة فخرج منها في
اوائل شوال وكذلك سافر
القاضيان الى الحجاز بصحبة
الباشا وعند ذلك بيضوها
وزادوا في زخرفتها وفرشوها
بانواع الفرش الفاخرة ونقلوا
اليها جهاز العروس
والصناديق وما قدم اليها من
الهدايا والامتعة والجواهر
والتحف من الاعيان
وزوجاتهم حتى من نساء
الامراء المصريين المنكوبين
وقد تكلفوا فوق طاقتهم
وباعوا واستدانوا وغرموا
في النقوط والتقادم والهدايا
في هذين المهمين ما أصبحوا
به مجردين ومديونين وكان
اذا قدمت احدى المشهورات
منهن بهديتها عرضوها على ام العروسين التي هي زوجة الباشا فقلبت ما فيها من المصاغ والجوهر والمقصبات والى

والى صلاح الدين اشكوانني * من بعده مضنى الجوانح مولع
جزعا لبعد الدار منه ولم أكن * لولا هواه لبعد دار اجزع
فلأركبن اليه متن عزائمي * ويخب بي ركب الغرام ويوسع
ولاقطعن من النهار هواجرا * قلب النهار بحرها يتقطع
ولاسرين الليل لا يسرى به * طيف الخيال ولا البروق اللمع
واقدمن اليه قلبي مخبرا * انى بجسمي عن قريب اتبع
حتى اشاهد منه اسعد طلعة * من افقها صبح السعادة يطلع

وفي هذه السنة في المحرم برز صلاح الدين من دمشق وقد عظم شانه بما ملكه من بلاد الشام وبكسره عسكر الموصل فخافه الفرنج وغيرهم وعزم على دخول بلادهم ونهبه والاغارة عليه فارسلوا اليه يطلبون الهدنة معه فاجابهم اليها وصالحهم فامر العساكر المصرية بالعود الى مصر والاستراحة الى ان يعاود طلبهم وشرط عليهم انه متى ارسل يستدعيهم لا يتاخرون فساروا اليها وأقاموا بها الى ان استدعاهم للحرب مع سيف الدين على ماذكرناه وفيها مات ابو الحسن على بن عساكر البطائحي المقرى وكان قد سمع الحديث الكثير ورواه وكان نحويا جيدا وفي ذي الحجة منها توفي ابو سعد محمد ابن سعيد بن محمد بن الرزاز سمع الحديث ورواه وله شعر جيد فمن ذلك انه كتب اليه بعض اصدقائه مكاتبة وضمنها شعرا فاجابه

يامن اياديه تغني من يعددها * وليس يحصي مداها من لها يصف
عجزت عن شكر ما أوليت من كرم * وصرت عبدا ولي في ذلك الشرف
اهديت منظوم شعر كله درر * فكل ناظم عقد عنده يقف
اذا أتيت ببيت منه كان لنا * قصرا ودر المعاني فوقه شرف
وان أتيت انا بيتا يناقضه * أتيت لكن ببيت سقفه يكف
ما كنت منه ولا من اهله ابدا * وانما حين ادنو منه اقتطف

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة) *

*(ذكر نهب صلاح الدين بلد الاسماعيلية) *

لما رحل صلاح الدين من حلب على ماذكرناه قبل قصد بلاد الاسماعيلية في المحرم ليقاتلهم بما فعلوه من الوثوب عليه وارادة قتله فنهب بلدهم وخربه واحرقه وحصر قلعة مصياث وهي اعظم حصونهم واحصن قلاعهم فنصب عليها المنجنيقات وضيق على من بها ولم يزل كذلك فارسل سنان مقدم الاسماعيلية الى شهاب الدين الحارمي صاحب حماة وهو خال صلاح الدين يساله ان يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم ويقول له ان لم تفعل قتلناك وجميع اهل صلاح الدين فشفع فيهم وسال الصفح عنهم فاجابه الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم وكان عسكره قد ملوا من طول البيكار وقد امتلأت ايديهم من غنائم عسكر الموصل ونهب بلد الاسماعيلية فطلبوا العود الى بلادهم للاستراحة فاذن لهم وسار هو الى مصر مع عسكره الا انه كان قد طال عهده عنها

وغيرها فان الجبهاتر كتهاوالا ابرت بردها قائلة هذا مقام فلانة التى كانت بنت امير مصر اوزوجته فتشكانى المسكينه للزيادة ونحوذلك مع مايلحقهامن كسر الخاطر وانكساف البال ثم ادخلوا العروس الى تلك الدار عند ماوصلت بالزفة (ومما حصل) انه قبل مرور موكب الزفة بيومين طاف اصحاب الشرطة ومعهم رجال وبايديهم مقياس فكلما مروا بناحية اوطريق يضيق عن القياس هدموا ماعارضهم من مساطب الدكاكين او غيرها من الجهتين لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعيب وغيرها فاتلفوا كثيرا من الابنية ونودى في يوم الاربعاء بزينة الحوانيت والطرق التى تمر عليها الزفة بالعروس (ومما حصل) من الحوادث السماوية ان في يوم الخميس المذكور عندما توسطت الزفة في مرورها بوسط المدينة اطبق الجو بالغيام وامطرت السماء مطرا غزيرا حتى تبحرت الطرق وتوحلت الارض وابتلت الخلائق من النساء والرجال المتجمعين للفرجة وخصوصا الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب واما المتعينون للمشى في الموكب ولابد الذين لامفرلهم من ذلك ولامهرب فاختل نظامهم وابتلت ثيابهم وتكدرت طباعهم وانتقضت اوضاعهم وزادت وساوسهم وتلفت ملابسهم وهطل الغيث على الابريسم والحرير والشالات الكرخانه والمليمى

رالكشمير ومازينت به العربات من أنواع ٩٨ ا المزركش والمقصبات ونفذت على من بداخلها من القيان والاغانى الحسان وكثير من الناس وقع بعدما تزحلق وصار ثوبه بالوحل أبلق ومنهم من ترك الزفه وولى هاربا فى عطفه يمسح يديه فى الحيط مما تلطخ بهما من الرطاريط وتهارجت الحمير وتعثرت البياجير وانهدم تنور الزجاج ولم ينفع به العلاج وتلف للناس شئ كثير ولا يدفع قضاء الله حيلة ولا تدبير ولم تصل العروس الى دارها الا قبيل دنو الشمس من غروبها وعند ذلك انجلى الجو وانكشفت بيوت النو ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبه من شهور القبط الهسوبه وحصل بذلك الغيث العميم النفع لمزارع الغلة والبرسيم (وفيه) وردت مكاتبات من العقبة فيها الاخبار بوصول قافلة الحج صحبة الجمل وأميرها مصطفى بك دالى باشا (وفى يوم الجمعة) تاسع عشر ينه وصل كثير من الحجاج الاتراك وغيرهم وردوا فى البحر الى بندر السويس ووصل تابع قهوجى باشا واخبر عنه انه فارق مخدومه من العقبة ونزل فى مركب مع أم عابدين بك وحضر الى السويس

(واستهل شهر صفر بيوم الاحد سنة ١٢٢٩) مما وقع فى ذلك اليوم من الحوادث ان صناع البارود الكائنين بباب اللوق حملوا

ولم يمكنه المضى اليها فيما تقدم خوفا على بلاد الشام فلما انهزم سيف الدين وحصر هو حلب وملك بلادها واصطلحوا أمن على البلاد فسار الى مصر وأمر ببناء سور على مصر والقاهرة والقلعة التى على جبل المقطم دوره تسعة وعشرون الف ذراع وثلثمائة ذراع بالذراع الهاشمى ولم يزل العمل فيه الى ان مات صلاح الدين

(ذكر ظفر للمسلمين بالفرنج وللفرنج بالمسلمين)

كان شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم صاحب بعلبك فأتاه خبر ان جمعا من الفرنج قد قصدوا البقاع من اعمال بعلبك واغاروا عليها فسار اليهم وكمن لهم فى الشعراء والغياض وأوقع بهم وقتل فيهم واكثر واسر نحو مائتى رجل منهم وسيرهم الى صلاح الدين وكان شمس الدولة توران شاه اخو صلاح الدين وهو الذى ملك اليمن قد وصل الى دمشق كما ذكرناه وهو فيها فسمع ان طائفة من الفرنج قد خرجوا من بلادهم الى اعمال دمشق فسار اليهم ولقيهم عند عين الجر فى تلك المروج فلم يثبت لهم وانهزم عنهم فظفروا بجمع من اصحابه فاسروهم منهم سيف الدين ابو بكر بن السلار وهو من اعيان الجند الدمشقيين وانبثوا الفرنج بعدها وانبسطوا فى تلك الولاية وجبروا الكسر الذى ناله منهم ابن المقدم

(ذكر عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين وعوده الى طاعته)

فى هذه السنة عصى شهاب الدين محمد بن برزان صاحب شهرزور على سيف الدين غازى وكان فى طاعته وتحت حكمه وكان سبب ذلك ان مجاهد الدين قايماز كان متوليا مدينة اربل وكان بينه وبين ابن برزان عداوة محكمة فلما استناب سيف الدين مجاهد الدين بالموصل خاف ابن برزان ان يناله منه أذى فاظهر الامتناع من النزول الى الخدمة فارسل اليه جلال الدين وزير سيف الدين كتابا يامره بمعاودة الطاعة ويحذره عاقبة المخالفة وهو من أحسن الكتب وأبلغها فى هذا المعنى ولولا خوف التطويل لذكرته فليطلب من مكاتباته فلما وصل اليه الكتاب والرسول بادر الى حضور الخدمة بالموصل وزال الخلاف

(ذكر فرج بعد شدة يتعلق بالتاريخ)

بالقرب من جزيرة ابن عمر حصن منيع من أمنع المعاقل اسمه فنك وهو على رأس جبل عال وهو للاكراد البشنوية له بايديهم نحو ثلثمائة سنة وكان صاحبه هذه السنة أميرا منهم اسمه ابراهيم وله أخ اسمه عيسى قد أخرجه منه وهو لا يزال يسعى فى أخذه من أخيه ابراهيم فاطاعه بعض بطانة ابراهيم وفتح باب السر ليلا وأصعد منه الى رأس القلعة نيفا وعشرين رجلا فقبضوا على ابراهيم ومن عنده ولم يكن عنده الا نفر من خواصه وهذه قلة على صخرة كبيرة مرتفعة عن سائر القلعة ارتفاعا كثيرا وبها يسكن الامير واهله وخواصه وباقى الجند فى القلعة تحت القلة فلما قبضوا ابراهيم جعلوه فى خزانة وضربه بعضهم بسيف فى يده على عاتقه فلم يصنع شيئا فلما جعل فى الخزانة وكل به

رجلين وصعد الباقون الى سطح القلة ولا يشكون ان القلعة لهم لا مانع عنها وهو ول
من الغد بكرة الامير عيسى ليتسلم القلعة وبينهما دجلة وكانت امرأة الامير ابراهيم فى
خزانة أخرى وفيها شباك حديد ثقيل يشرف الى القلعة فجذبته بيدها فاقتلعه وجند
زوجها فى القلعة لا يقدرون على شئ فلما قلعت الشباك ارادت ان تدلى حبلا ترفع
به الرجال اليها فلم يكن عندها غير ثياب خام فوصلت بعضها ببعض وادلتها الى القلعة
وشدت طرفيها عندها فى عود فاصعدت اليها عشرة رجال ولم يكن ابراهيم الذين على
السطح ورأى الامير عيسى وهو على جانب دجلة الرجال يصعدون فصاح هو ومن معه
الى اولئك الذين على السطح ليحذروا وكان كلما صاحوا صاح اهل القلعة لتختلف
الاصوات فلا يفهم الذين على السطح فيتنزلون ويمنعون من ذلك فلما اجتمع عندها
عشرة رجال أرسلت مع خادم عندها الى زوجها قدح شراب وامرته ان يقرب منه
كأنه يسقيه الشراب ويعرفه الحال ففعل ذلك وجلس بين يديه ليسقيه وعرفه الحال
فقال ازدادوا من الرجال فاصعدت عشرين رجلا وخرجوا من عندها فمد ابراهيم يده الى
الرجلين الموكلين به فاخذ شعورهما وامر الخادم بقتلهما وكان عنده فقتلهما بسلاحهما
فخرج واجتمع باصحابه وارادوا فتح القلعة ليصعد اليه اصحابه من القلة فلم يجد
المفاتيح وكانت مع اولئك الرجال الذين على السطح فاضطروا الى الصعود الى سطح
القلعة ليأخذوا اصحاب عيسى فعلموا الحال فجاؤا ووقفوا على رأس المرق فلم يقدر
احد يصعد فاخذ بعض اصحاب ابراهيم ترسا وجعله على رأسه وحصل فى
الدرجة وصعد وقاتل القوم على رأس المرق حتى صعد اصحابه فقتلوا الجماعة
وبقى منهم رجل القى نفسه من السطح فنزل الى اسفل الجبل فتقطع فلما
رأى عيسى ما حل باصحابه عاد خائبا عما امله واستقر الامير ابراهيم فى قلعته على
حاله

(ذكر نهب البندنيجين)

فى هذه السنة وصل الملك الذى بخوزستان عند شملة وهو ابن ملكشاه بن محمود الى
البندنيجين فخربها ونهبها وقتل فى الناس وسبى حريمهم وفعل كل قبيح ووصل الخبر
الى بغداد فخرج الوزير عضد الدين وعرض العسكر ووصل عسكر الحلة وواسط مع
طاشتكين امير الحاج وغزغلى وساروا نحو العدو فلما سمع بوصولهم فارق مكانه وعاد
وكان معه من التركمان جمع كثير فنهبهم عسكر بغداد ورجعوا من غير امر بالعود فانكر
عليهم ذلك وامروا بالعود الى مواقفهم فعادوا اوائل شهر رمضان وقد رجع الملك
فنهب من البندنيجين ما كان سلم فى الاول ووقعت بينهم وبين الملك وقعة ثم افترقوا
فمضى الملك وفارق ولاية العراق

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى اقيمت الصلاة فى الجامع الذى بناه فخر الدولة بن المطلب

نحو عشرة احمال من الجمال اوعية ملآنة بارودا وهى الظروف المصنوعة من الجلود التى تسمى البطط يريدون بها القلعة فمروا من باب الخرق الى ناحية تحت الربع فلما وصلوا اتجاه معمل الشمع وبصحبة الجمال شخص عسكرى فتشاجر مع الجمال وزد عليه القول فحنق منه فضرب بفرد الطبنجة فاصابت احدى البطط فالتهبت بالنار وسرت الى باقى الاحمال فالتهب الجميع وصعد الى عنان السماء فاحترقت السقيفة المظلة على الشارع وما بناحيتها من البيوت والذى اسفلها من الحوانيت وكذلك من صادف مروره فى ذلك الوقت واحترق ذلك العسكرى والجمال ومن احترق واتفق مرور امرأة من النساء المحتشمات مع رفيقتها فاحترقت ثيابها مع رفيقتها وذهبت تجرى والنار ترعى فيها وكانت دارها بالقرب من تلك الناحية فما وصلت الى الدار حتى احترق ما عليها من الثياب واحترق اكثر جسدها ووصلت الاخرى بعدها وهى محترقة وعريانة فماتت من ليلتها ولحقتها الاخرى فى ضحوة اليوم الثانى ومات فى هذه الحادثة اكثر من المائة نفس من رجال ونساء واطفال وصبيان واما الجمال فاخذوها الى بيت ابى الشوارب وهى سود محترقة الجلود وفيها من خرجت عينه فاما يعالجوها او ينحروها وكل هذا الذى

بقصر المأمون غربي بغداد وفيها أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التي على قبر الشافعي رضي الله عنه بمصر وعمل بالقاهرة بيمارستان ووقف عليهما الوقوف العظيمة الكبيرة وفيها رأيت بالموصل خروفين ببطن واحد ودور أسين ورقبتين وظهرين وثمانى قوائم كأنهما خروفان ببطن واحد وجه أحدهما الى وجه الآخر وهذا من العجائب وفيها انقض كوكب اضاءت له الارض اضاءة كثيرة وسمع له صوت عظيم وبقي أثره في السماء مقدار ساعة وذهب وفيها توفي تاج الدين ابو على الحسن بن عبد الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء أخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة وفيها في المحرم توفي القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري قاضي دمشق وجميع الشام واليه الوقوف بها والديوان وكان جوادا فاضلا رئيسا ذا عقل ومعرفة في تدبير الدول رحمه الله ورضي عنه

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة)

(ذكر انهزام صلاح الدين بالرملة)

في هذه السنة في جمادى الاولى سار صلاح الدين يوسف بن ايوب من مصر الى ساحل الشام لقصد غزاة بلاد الفرنج وجمع معه عساكره وجنوده فلم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى عسقلان في الرابع والعشرين منه فنهبوا وأسروا وقتلوا واحرقوا وتفرقوا في تلك الاعمال مغيرين فلما رأوا أن الفرنج لم يظهر لهم عسكر ولا اجتمع لهم من يحمي البلاد من المسلمين طمعوا وانبسطوا وساحوا في الارض آمنين ووصل صلاح الدين الى الرملة عازما على ان يقصد بعض حصونهم ليحصره فوصل الى نهر فازدحم الناس للعبور فلم يرعهم الا والفرنج قد أشرفت عليهم بأطلابها وأبطالها وكان مع صلاح الدين بعض العسكر لان أكثرهم تفرقوا في طلب الغنيمة فلما رآهم وقف لهم فيمن معه وتقدم بين يديه محمد ابن أخي صلاح الدين فباشر القتال بنفسه بين يدي عمه فقتل من أصحابه جماعة وكذلك من الفرنج وكان لتقي الدين ولد اسمه احمد وهو من أحسن الشباب أول ما تكاملت لحيته فامره ابوه بالحملة عليهم فحمل عليهم وقاتلهم وعاد سالما قد أثر فيهم أثرا كثيرا فامره بالعودة اليهم ثانية فحمل عليهم فقتل شهيدا ومضى حميدا رحمه الله ورضي عنه وكان اشد الناس قتالا ذلك اليوم الفقيه عيسى رحمه الله وتمت الهزيمة على المسلمين وحمل بعض الفرنج على صلاح الدين فقاربه حتى كاد يصل اليه فقتل الفرنجي بين يديه وتكاثر الفرنج عليه فمضى منهزما يسير قليلا ويقف ليلحقه العسكر الى ان دخل الليل فسلك البرية الى أن مضى في نفر يسير الى مصر ولقوا في طريقهم مشقة شديدة وقل عليهم القوت والماء وهلك كثير من دواب العسكر جوعا وعطشا وسرعة سير وأما العسكر الذين كانوا دخلوا بلاد الفرنج في الغارة فان أكثرهم ذهب ما بين قتيل وأسير وكان من جملة من أسر الفقيه عيسى الهكاري وهو من أعيان الاسدية وكان جمع العلم والدين والشجاعة وأسر أيضا أخوه الظهير وكانا قد سارا منهزمين فضلا الطريق

فاخذا

حصل من الحرق والموت والهدم في طرفة عين (وفي ثانيه) يوم الاثنين وصل مصطفى بك امير ركب الحجاج الى مصر وترك الحجاج بالدار الحمراء فبات في داره واصبح عائدا الى البركة ودخل مع المحمل يوم الاربعاء ودخل الحجاج واتعبهم بحيث انه اخذ المسافة في احد وعشرين يوما وسبب حضور المذكور انه ذهب بعساكره وعساكر الشريف من الطائف الى ناحية تربة ترابة المتآمر عليها امرأة فحاربهم وانهزم منها شر هزيمة فحنق عليه الباشا وامره بالذهاب الى مصر مع المحمل (وفيه) ارسل الباشا يستدعي ثنتين او ثلاثة من محاظيه وصحبتهن خمسة من الجواري السود الاسطاوات في الطبخ وعمل انواع الفطور فارسلوهن في ذلك اليوم الى السويس وصحبتهن نفيسة القهرمانة وهي من جواريه ايضا وكانت زوجا للقاضي اوغلي المحتسب الذي مات بالحجاز في العام الماضي (وفيه) ايضا وصل حريم الشريف غالب فعينوا له دارا يسكنها مع حريمه جهة سويقة العزي فسكنها ومعه اولاده وعليهم المحافظون واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب من نقود وامتعة وودائع ومخبآت وشركات وتجارات وبن وبهار ونقود بمكة وجدة والهند واليمن شئ لا يعلم قدره الا الله

فاخذ اومعه ماجماعة من اصحابه ما وبقوا سنين فى الاسر فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستين الف دينار وجماعة كثيرة من الاسرى ووصل صلاح الدين الى القاهرة نصف جمادى الآخرة ورأيت كتابا كتبه صلاح الدين بخط يده الى اخيه شمس الدولة توزانشاه وهو بدمشق يذكر الوقعة وفى أوله .

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت منا المثقفة السمر

ويقول فيه لقد اشرفنا على الهلاك غير مرة وما انجانا الله سبحانه منه الا لامر يريده سبحانه

* وما ثبتت الا وفى نفسها امر *

(ذكر حصر الفرنج مدينة حماة)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى حصر الفرنج أيضا مدينة حماة وسبب ذلك انه وصل من البحر الى الساحل الشامى كند كبير من الفرنج من اكبر طواغيتهم فرأى صلاح الدين بمصر قد عاد منهزما فاغتنم خلو البلاد لان شمس الدولة بن أيوب كان بدمشق ينوب عن صلاح الدين وليس عنده كثير من العسكر وكان أيضا كثير الانهماك فى اللذات مائلا الى الراحات فجمع ذلك الكند الفرنجى من بالشام من الفرنج وفرق فيهم الاموال وسار الى مدينة حماة فحصرها وبها صاحبها شهاب الدين محمود الحارمى خال صلاح الدين وهو مريض شديد المرض وكان طائفة من العسكر الصلاحى بالقرب منها فدخلوا اليها واغاثوا من بها وقاتل الفرنج على البلد قتالا شديدا وهجموا بعض الايام على طرف منه وكادوا يملكون البلد قهرا وقسرا فاجتمع اهل البلد مع العسكر الى تلك الناحية واشتد القتال وعظم الخطب على الفريقين واستقتل المسلمون وحاموا عن الانفس والاهل والمال فاخرجوا الفرنج من البلد الى ظاهره ودام القتال ظاهر البلد ليلا ونهارا وقويت نفوس المسلمين حين اخرجوهم من البلد وطمعوا فيهم واكثروا فيهم القتل فرحل الفرنج حينئذ خائبين وكفى الله المسلمين شرهم فساروا الى حارم فحصروها وكان مقامهم على حماة اربعة ايام ولما رحل الفرنج عن حماة مات صاحبها شهاب الدين الحارمى وكان له ابن من احسن الناس شبابا مات قبله بثلاثة ايام

(ذكر قتل كمشتكين وحصر الفرنج حارم)

فى هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتكين وكان المتولى لامر دولته والحاكم فيها وسبب قبضه انه كان بحلب انسان من اعيان اهلها يقال له ابو صالح بن العجمى وكان مقدما عند نور الدين محمود فلما مات نور الدين تقدم ايضا فى دولة ولده الملك الصالح وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكن لكثرة اتباعه بحلب وصار كل من كان يحسد كمشتكين انضم الى صالح وقوى جنانه وكثر سواده وكان عنده اقدام وجراءة فصار واحد الدولة بحلب ومن يصدر الجماعة عن رايه وامره فبينما هو فى بعض الايام فى الجامع وثب به الباطنية فقتلوه ومضى شهيدا وتمكن بعده سعد الدين وقوى حاله فلما قتل احال الجماعة قتله على سعد الدين وقالوا هو وضع الباطنية

واخرجوا حريمه وجواريه من سرايته عاريات من الثياب بعد ما فتشوهن تفتيشا فاحشا وهتك حرمته فا اللهم مالك الملك هذا الشريف غالب انتزع من مملكته وخرج من دولته وسيادته وامواله وذخائره وانسل من ذلك كله كالشعرة من العجين حتى انه لما ركب وخرج مع العسكر وهم متوجهون به الى جدة اخذوا ما فى جيوبه فليعتبر من يعتبر وكل الذى وقع له وما سيقع له بعد من التغريب وغيره فيما جناه من الظلم ومخالفة الشريعة والطمع فى الدنيا وتحصيلها باى طريق نسال الله السلامة وحسن العاقبة (وفى يوم الخميس) خامسه طاف الاغا أيضا باسواق المدينة وامامه المناداة على ابواب الخانات والوكائل من التجار بانهم لا يتعاملون فى بيع البن والبهار الا بحساب الريال المتعارف فى معاملة الناس وهو الذى يصرف تسعين نصفا لان باعة البن لا يسعون فى بيعه الا الفرانسه ولا يقبضون فى ثمنه الا اياها باعيانها ولا يقبلون خلافها من جنس المعاملات فيحصل بذلك تعب للمتسببين الفقراء والقطاعين ومن يشترى بالقنطار او دونه فبهذه المناداة يدفع المشترى ما يشاء من جنس المعاملات قروشا او ذهبا او فرانسه او اى صنف من المعاملات ويحسبه المعاملة والريال المعروف بين الناس الذى يصرفه

تسعون نصفا فضة واذا سعي سعر القنطار فلا يسمى الا بهذا الريال وهذه المناداة باشارة السيد محمد المحروقي بسبب ما كان يقع من تعطيل الاسباب (وفيه) سافر محمود بك وصحبته المعلم غالي للكشف عن قياس الاراضي البحرية التي نزل اليها القياسون بصحبة مباشريهم من النصارى والمسلمين من وقت انحسار الماء عن الاراضي وانتشروا بالاقاليم البحرية وهم يقيسون بقصبة تنقص عن القصبة القديمة (وفي يوم الاثنين) تاسعه وصل حريم الشريف غالب من السويس فانزلوهن ببيت السيد محمد المحروقي وعدتهن خمسة احداهن جارية بيضاء والاربعة حبشيات ومعهن جواري سود وطواشية وحضر اليهم سيدهم وصحبته احمد افا اخو كتخدا بك وصحبتهم نحو العشرين نفرا من العسكر واستمر الجميع مقيمين بمنزل المذكور وهو يجري عليهم النفقات اللائقة بهم والمصاريف وفصل لهم كساوي من مقصبات وكشميري وتفاصيل هندية (وفي يوم السبت) رابع عشره خرج محو بك الى ناحية الآثار بعساكره ليسافر من ساحل القصير الى الحجاز باستدعاء الباشا فاستمر مقيما هناك عدة ايام لمخالفة الريح وارتحل في اواخره وفي أوائل هذا الشهر بل والذي قبله عملوا كورنتينه في اسكندرية ودمياط

عليه حتى قتلوه وذكروا ذلك للملك الصالح ونسبوه الى العجز وانه ليس له حكم وان سعد الدين قد تحكم عليه واحتقره واستصغره وقتل وزيره ولم يزالوا به حتى قبض عليه وكانت قلعة حارم لسعد الدين قد اقطعه اياها الملك الصالح فامتنع من بها بعد قبضه وتحصنوا فيها فسير سعد الدين اليها تحت الاستظهار ليأمر اصحابه بتسليمها الى الملك الصالح فامرهم بذلك فامتنعوا فعذب كمشتكين واصحابه يرونه ولا يرحمونه فمات في العذاب واصر اصحابه على الامتناع والعصيان فلما رأى الفرنج ذلك ساروا الى حارم من حماة في جمادى الاولى على ما ذكره ظنا منهم انهم لا ناصر لهم وان الملك الصالح صبي قليل العسكر وصلاح الدين بمصر فاغتنموا هذه الفرصة ونازلوها واطالوا المقام عليها مقدار اربعة اشهر ونصبوا عليها المنجنيقات والسلالم فلم يزالوا كذلك الى ان بذل لهم الملك الصالح مالا وقال لهم ان صلاح الدين واصل الى الشام وربما يسلم القلعة من بها اليه فاجابوا حينئذ الى الرحيل عنها فلما رحلوا عنها سير اليها الملك الصالح جيشا فحصروها وقد بلغ الجهد منهم بحصار الفرنج وصار واكانهم طلائع وكان قد قتل من اهلها وجرح كثير فسلموا القلعة الى الملك الصالح فاستناب بها مملوكا كان لابيه اسمه سرخك

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في المحرم خطب للسلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه المقيم عند ايلدكز بهمذان وكان ابوه ارسلان قد توفي وفيها سابع شوال هبت ببغداد ريح عظيمة فزلزلت الارض واشتد الامر على الناس حتى ظنوا ان القيامة قد قامت فبقي ذلك ساعة ثم انجلت وقد وقع كثير من الدور ومات فيها جماعة كثيرة وفيها رابع ذي القعدة قتل عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء ابي القاسم بن المسلمة وزير الخليفة وكان قد عزم على الحج فعبر دجلة ليسير وعبر معه ارباب المناصب وهو في موكب عظيم وتقدم الى أصحابه ان لا يمنعوا عنه أحدا فلما وصل الى باب قطيبا القيه كهل فقال انا مظلوم وتقدم ليسمع الوزير كلامه فضربه بسكين في خاصرته فصاح الوزير قتلني ووقع عن الدابة وسقطت عمامته فغطى رأسه بكمه وضرب الباطني بسيف وعاد الى الوزير فضربه واقبل حاجب الباب ابن المعوج لينصر الوزير فضربه الباطني بسكين وقيل بل ضربه رفيق كان للباطني ثم قتل الباطني ورفيقه وكان لهما رفيق ثالث فصاح وبيده سكين فقتل ولم يعمل شيئا وأحرقوا ثلاثتهم وحمل الوزير الى دار له هناك وحمل حاجب الباب مجروحا الى بيته فمات هو والوزير وحمل الوزير فدفن عند ابيه بمقبرة الرباط عند جامع المنصور وكان الوزير قد رأى في المنام انه معانق عثمان بن عفان وحكى عنه ولده انه اغتسل قبل خروجه وقال هذا غسل الاسلام وأنا مقتول بلا شك وكان مولده في جمادى الاولى سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان ابوه استاذ دار المقتفي لامر الله فلما مات ولي هو مكانه فبقي كذلك الى ان مات المقتفي فاقره المستنجد على ذلك ورفع قدره فلما ولي المستضيء استوزره وكان حافظا للقرآن سمع الحديث وله معروف كثير وكانت داره مجمعا للعلماء وختمت أعماله بالشهادة وهو على

(واستهل شهر ربيع الاول ١٢٢٩) فيه رجع محمود بك والمعلم غالي من سرحتهما (وفيه) اشتكى الشريف غالب بعياله من بيت السيد محمد المحروقي الى المنزل الذي أعدوه له وهو بيت لطيف باشا بسويقة العزي بعد ما اصلحوه وبيضوه وأسكنوه به وعليه اليسق والعسكر الملازمون لبابه (وفيه) أبرز كتخدا بك فرمانا وصل اليه من الباشا يتضمن ضبط جميع الالتزام لطرف الباشا ورفع أيدي الملتزمين عن التصرف بل الملتزم يأخذ فائظه من الخزينة فلما أشيع ذلك ضج الناس وكثر فيهم اللغط واجتمعوا على المشايخ فطلعوا الى كتخدا بك وسألوه فقال نعم ورد من أفندينا أمر بذلك ولا يمكنني مخالفته فقالوا له كيف تقطعون معايش الناس وأرزاقهم وفيهم أرامل وعواجز وللواحدة قيراط او نصف قيراط يتعيشن من ايراده فينقطع عنهن فقال يأخذن الفائظ من الخزينة العامرة فرادده وناقشوه وهو يهون ويقرب ويبعد الى ان قالوا له نكتب للباشا عرضحال وننتظر الجواب فاجابهم الى ذلك من باب المسايرة وفك المجلس وشرع الشيخ المهدي في ترصيف العرضحال فكتبوه وختموا عليه بعد امتناع البعض الذي ليس له التزام وكثر اللغط فيهم بسبب ذلك (وفي خامسه) حضر جمع كثير من النساء الملتزمات الى الجامع

قصد الحج وفيها كانت فتنة ببغداد وسببها انه حضر قوم من مسلمي المدائن الى بغداد فشكوا من يهودها وقالوا ان لنا مسجدا نؤذن فيه ونصلي وهو مجاور الكنيسة فقال لنا اليهود قد آذيتمونا بكثرة الاذان فقال المؤذن ما نبالي بذلك فاختصموا وكانت فتنة استظهر فيها اليهود فجاء المسلمون يشكون منهم فامر ابن العطار وهو صاحب المخزن بحبسهم ثم اخرجوا فقصدوا جامع القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فخفف الخطيب الخطبة والصلاة فعادوا يستغيثون فاتاهم جماعة من الجند ومنعوهم فلما رأى العامة ما فعل بهم غضبوا نصرة للاسلام فاستغاثوا وقالوا أشياء قبيحة وقلعوا طوابيق الجامع ورجموا الجند فهربوا ثم قصد العامة دكاكين المخلطين لان أكثرهم يهود فنهبوها وأراد حاجب الباب منعهم فرجموه فهرب منهم وانقلب البلد وخربوا الكنيسة التي عند دار البساسيري وأحرقوا التوراة وأمر الخليفة أن تنقض الكنيسة التي بالمدائن وتجعل مسجدا ونصب بالرحبة أخشاب ليصلب عليها قوم من المفسدين فظنها العامة نصبت تخويفا لهم لاجل ما فعلوا فعلقوا عليها في الليل جرذانا ميتة وأخرج جماعة من الحبس لصوص فصلبوا عليها وفيها في شعبان قبض سيف الدين غازي صاحب الموصل على وزيره جلال الدين علي بن جمال الدين لغير جرم ولا عجز ولا تقصير بل لعجز سيف الدين فان جلال الدين كان بينه وبين مجاهد الدين قايماز مشاحنة فقال مجاهد الدين لسيف الدين لابد من قبض الوزير فقبض عليه كارها لذلك ثم شفع فيه ابن رئيس آمد لصهورة بينهما فاخرج وسار الى آمد فمرض بها وعاد الى دنيسر فمات سنة خمس وسبعين وعمره سبع وعشرون سنة وحمل الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فدفن عند والده في الرباط الذي بناه بها وكان رحمه الله من محاسن الدنيا جمع كرما وعلما ودينا وعفة وحسن سيرة واستحلفه سيف الدين أنه لا يمضي الى صلاح الدين لانه خاف ان يمضي اليه للمودة التي كانت بين جمال الدين وبين نجم الدين أيوب واسد الدين شيركوه فبلغني ان صلاح الدين طلبه فلم يقصده لليمين وفيها اجتمع الفرنج طائفة منهم وقصدوا اعمال حمص فنهبوها وغنموا وأسروا وسبوا فسار ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص وسبقهم ووقف على طريقهم وكمن لهم فلما وصلوا اليه خرج اليهم هو والكمين ووضعوا السيف فيهم فقتل اكثرهم وأسر جماعة من مقدميهم ومن سلم منهم لم يفلت الا وهو مثخن بالجراح واسترد منهم جميع ما غنموا وافرده على أصحابه وفيها في ربيع الآخر توفي صدقة بن الحسين الحداد الذي ذيل تاريخ الزاغوني ببغداد وفيها في جمادى الاولى توفي محمد بن احمد بن عبد الجبار الفقيه الحنفي المعروف بالمشطب ببغداد

(ثم دخلت سنة اربع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر قصد الفرنج مدينة حماة ايضا)

في هذه السنة في ربيع الاول سار جمع كثير من الفرنج بالشام الى مدينة حماة وكثر

الاشغر وصرخوا في وجوه الفقهاء وأبطلوا الدروس وبددوا مصاحفهم وأوراقهم فتفرقوا وذهبوا الى دورهم

جمعهم من الفرسان والرجالة طمعا في النهب والغارة فشنوا الغارة ونهبوا وخربوا القرى واحرقوا وأسروا وقتلوا فلما سمع العسكر المقيم بحماة ساروا اليهم وهم قليل متوكلين على الله تعالى فالتقوا واقتتلوا وصدق المسلمون القتال فنصرهم الله تعالى وانهزم الفرنج وكثر القتل والاسر فيهم واستردوا ما غنموه من السواد وكان صلاح الدين قد عاد من مصر الى الشام في شوال من السنة المتقدمة وهو نازل بظاهر حمص فحملت الرؤس والاسرى والاسلاب اليه فامر بقتل الاسرى فقتلوا

(ذكر عصيان ابن المقدم على صلاح الدين وحصر بعلبك وأخذ البلد منه)

في هذه السنة عصى شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم على صلاح الدين ببعلبك وكانت له قد سلمها اليه صلاح الدين لما فتحها جزاء له حيث سلم اليه ابن المقدم دمشق على ما سبق ذكره فلم تزل بيده الى الآن فطلب شمس الدولة محمد بن أيوب أخو صلاح الدين منه بعلبك والح عليه في طلبها لان تربيته ومنشاه كان بها وكان يحبها ويختارها على غيرها من البلاد وكان الاكبر فلم يمكن صلاح الدين مخالفته فامر شمس الدين بتسليمها الى أخيه ليعوضه عنها فلم يجب الى ذلك وذكر العهود التي له وما اعتمده معه من تسليم البلاد اليه فلم يصغ اليه والح في أخذها وسار ابن المقدم اليها واعتصم بها فوجه اليه صلاح الدين عسكرا وحصره بها مدة ثم رحل عنها من غير ان يأخذها وترك عليه عسكرا يحصره فلما طال عليه الحصار أرسل الى صلاح الدين يطلب العوض عنها ليسلمها اليه فعوضه عنها وسلمها فأقطعها صلاح الدين اخاه شمس الدولة

(ذكر الغلاء والوباء العام)

في هذه السنة انقطعت الامطار بالكلية في سائر البلاد الشامية والجزيرة والعراقية والديار البكرية والموصل وبلاد الجبل وخلاط وغير ذلك واشتد الغلاء وكان عاما في سائر البلاد فبيعت الغرارة الحنطة بدمشق وهي اربعة عشر مكوكا بالموصلي بعشرين دينارا صورية عتقا وكان الشعير بالموصل كل ثلاث مكاكي بدينار أميري وفي سائر البلاد ما يناسب ذلك واستسقى الناس في اقطار الارض فلم يسقوا وتعذرت الاقوات واكل الناس الميتة وما ناسبها ودام كذلك الى آخر سنة خمس وسبعين ثم تبعه بعد ذلك وباء شديد عام ايضا كثر فيه الموت وكان مرض الناس شيئا واحدا وهو السرسام وكان الناس لا يلحقون يدفنون الموتى الا ان بعض البلاد كان أشد من البعض ثم ان الله تعالى رحم العباد والبلاد والدواب وارسل الامطار وأرخص الاسعار ومن عجيب ما رأيت انني قصدت رجلا من العلماء الصالحين بالجزيرة لاسمع عليه شيئا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة خمس وسبعين والناس في اشد ما كانوا غلاء وقنوطا من الامطار وقد توسط الربيع ولم تجئ قطرة واحدة من المطر فبينا انا جالس ومعي جماعة ننتظر الشيخ واذ قد اقبل انسان تركماني قد اثر عليه الجوع وكانه قد اخرج من قبر فبكى وشكا الجوع فارسلت من يشتري له

وكان قد اجتمع معهم الكثير من العامة واستمروا في هرج الى بعد العصر ثم جاءهم من يقول لهم كلاما كذبا سكن به حدتهم فانفض الجمع وذهب النساء وهن يقلن ناتي في كل يوم على هذا المنوال حتى يفرج الله عن حصصنا ومعايشنا وأرزاقنا وفي ظن الناس وغفلتهم ان في الاناء بقية أو انهم يدفعون الرزية وما علموا ان البساط قد انطوى وكل قد ضل واضل وغوى ومال عن الصراط واتبع الهوى وكلب الجور قد كشر أنيابه وعوى ولم يجد له طاردا ولا معارضا ولا معاندا ولما وصل الخبر الى كتخدا بك طلب بعض المشايخ وقال له ما خبر هذه الجمعية بالازهر فقال له بسبب ما بلغهم عن قطع معاشهم قال ومن قطع معاشهم وانما انتم الذين تسلطونهم على هذه الافعال لاغراضكم ولابد أني استخبر على من أغراهم واخرجهم وطلب على أغا الوالي وقال له اخبرني عن هؤلاء النساء من أي البيوت فقال وما علمي ومن يميزهن وغالبهن واكثرهن نساء العساكر ولا قدرة لي على منعهن وانفض المجلس وبردت همتهم وانكمشوا وشرعوا في تنفيذ ما أمر به وترتيبه وتنظيمه (وفيه) حضر محمود بك والمعلم غالي فاقاما اياما وسافرا في ثالث عشره (وفيه) احضروا

خبزا

خبر افتتاح احضاره لعدمه وهو يبكي ويتمرغ على الارض ويشكو الجوع فلم يبق فينا الا من بكى رحمة له وللناس فتغيمت السماء وجاءت نقط من المطر متفرقة فضج الناس واستغاثوا ثم جاء الخبر فاقل التركماني بعضه وأخذ الباقي ومشى واشتد المطر ودام المطر من ثلث الليلة

(ذكر غارات الفرنج على بلاد المسلمين)

في هذه السنة في ذي القعدة اجتمع الفرنج وساروا الى بلد دمشق مع ملكهم فاغاروا على اعمالها فنهبوها واسروا وقتلوا وسبوا فأرسل صلاح الدين فرخشاه ولد اخيه في جمع من العسكر اليهم وأمره انه اذا قاربهم يرسل اليه يخبره على جناح طائر ليسير اليه وتقدم اليه أن يأمر اهل البلاد بالانتزاح من بين يدي الفرنج فسار فرخشاه في عسكره يطلبهم فلم يشعر الا والفرنج قد خالطوه فاضطر الى القتال فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس والقى فرخشاه نفسه عليهم وغشي الحرب ولم يكلها الى سواه فانهزم الفرنج ونصر المسلمون عليهم وقتل من مقدميهم جماعة ومنهم هنفري وما ادراك ما هنفري كان يضرب به المثل في الشجاعة والرأي في الحرب وكان بلاء صبه الله على المسلمين فاراح الله من شره وقتل غيره من اضرابه ولم يبلغ عسكر فرخشاه الف فارس وفيها ايضا اغار البرنس صاحب انطاكية ولاذقية على شيزر المسلمين بشيزر واخذه واغار صاحب طرابلس على جمع كثير من التركمان فاجحف باموالهم وكان صلاح الدين على بانياس على ما نذكره ان شاء الله فسير ولد اخيه تقي الدين عمر الى حماة وابن عمه ناصر الدين محمد ابن شيركوه الى حمص وامرهما بحفظ البلاد وحياطة اطرافها من العدو دمرهم الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

ليلة النصف من ربيع الآخر انكسف القمر نحو ثلث الليل الاخير وغاب منكسفا وفيها ايضا في التاسع والعشرين انكسفت الشمس وقت العصر فغربت منكسفة وفي هذه السنة في شعبان توفي الحيص بيص الشاعر واسمه سعد بن محمد بن سعد ابو الفوارس وكان قد سمع الحديث ومدح الخلفاء والسلاطين والاكابر وشعره مشهور فمنه قوله

كلما اوسعت حلمي جاهلا * اوسع الفحش له فحش المقال

واذا شاردة فهت بها * سبقت مر النعامى والشمال

لا تلمني في شقائي بالعلا * رغد العيش لربات الحجال

سيف عز زانه رونقه * فهو بالطبع غني عن صقال

وفي المحرم ماتت شهدة بنت احمد بن عمر بن الابري وسمعت الحديث من السراج وطراد وغيرهما وعمرت حتى قاربت مائة سنة وسمع عليها خلق كثير الحديث لعلو اسنادها

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة)

(ذكر تخريب الحصن الذي بناه الفرنج عند مخاضة الاحزان)

حسن أغا محرم المعروف بنجاتي من اقليم المنوفية وهو مريض وتوفي في ثاني يوم ودفن (وفي خامس عشره) مر الاغا والوالي واغات التبديل وهم يأمرون الناس بكنس الاسواق ورشها حالا في ذلك الوقت من غير تأخير فابتدر الناس ونزلوا من حوانيتهم وبايديهم المكانس يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها (وفي تاسع عشره) حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور وارسله الباشا الى مصر من ناحية القصير منفيا من أرض الحجاز فانزلوه بمنزل احمد اغا اخي كتخدا بك محجورا عليه ولم يجتمع بمعه ولم يره (وفيه) كثر الطلب للريال الفرانسه بسبب احتياج دار الضرب وما يرسل الى الباشا من ذلك والزموا التجار باحضار جملة من ذلك ويأخذون بدلها قروشا فوزعوا مقادير على افرادهم بما يخصه وجمعوا ما قدروا عليه منها (وفيه) شنق شخص يسمى صالحا عند باب زويلة واستمر معلقا يومين وسبب ذلك انه يدعي الجذب والولاية وتزوج بامرأة وأخذ متاعها ومالها وحصل لها خال في عقلها فانهوا أمره الى كتخدا بك فأمر بحبسه واستخلصوا منه جانبا مما أخذه من متاع المرأة وكثر كلام الناس في حقه فأمر الكتخدا بشنقه (وفي اواخره) حضر ابراهيم بك ابن الباشا من الجهة القبلية ونزل بالبيت الذي اشتراه بناحية الجمالية بدرب المسمط وهو

وكان الفرنج قد بنوا حصنا منيعا يقارب بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام وكان يعرف بمخاضة الاحزان فلما سمع صلاح الدين بذلك سار من دمشق الى بانياس واقام بها وبث الغارات على بلاد الفرنج ثم سار الى الحصن وحصره ليخبره ثم يعود اليه عند اجتماع العساكر فلما نازل الحصن قاتل من به من الفرنج ثم عاد عنه فلما دخلت سنة خمس وسبعين لم يفارق بانياس بل اقام بها وخيله تغير على بلاد العدو وارسل جماعة من عسكره مع جالبي الميرة فلم تشعر الا والفرنج مع ملكهم قد خرجوا عليهم فارسلوا الى صلاح الدين يعرفونه الخبر فسار في العساكر مجدا حتى وافاهم وهم في القتال فقاتل الفرنج قتالا شديدا وحملوا على المسلمين عدة حملات كادوا يزيلونهم عن مواقفهم ثم انزل الله نصره على المسلمين وهزم المشركين وقتلت منهم مقتلة كثيرة ونجا ملكهم فريدا واسر منهم كثير منهم ابن بيرزان صاحب الرملة ونابلس وهو اعظم الفرنج محلا بعد الملك واسروا ايضا اخا صاحب جبيل وصاحب طبرية ومقدم الداوية ومقدم الاسبتارية وصاحب جينين وغيرهم من مشاهير فرسانهم وطواغيتهم فاما ابن بيرزان فانه فدى نفسه بمائة الف وخمسين الف دينار صورية واطلاق الف اسير من المسلمين وكان اكثر العمل في هذا اليوم لعز الدين فرخشاه ابن اخي صلاح الدين وحكى عنه قال ذكرت في تلك الحال بيتي المتنبي وهما

فان تكن الدولات قسما فانها * لمن يرد الموت الزؤام تؤول

ومن هون الدنيا على النفس ساعة * وللبيض في هام الكماة صليل

فهان الموت في عيني فالقيت نفسي اليه وكان ذلك سبب الظفر ثم عاد صلاح الدين الى بانياس من موضع المعركة وتجهز للدخول الى ذلك الحصن ومحاصرته فسار اليه في ربيع الاول واحاط به وقوى طمعه بالهزيمة المذكورة في فتحه وبث العساكر في بلاد الفرنج للاغارة ففعلوا ذلك وجمعوا من الاخشاب والزرجون شيئا كثيرا ليجعله متارس للمنجنيقات فقال له جاولي الاسدي وهو مقدم الاسدية ومن اكابر الامراء الراي انا نجربهم بالزحف اول مرة ونذوق قتال من به وننظر الحال معهم فان استضعفناهم والا فنصب المنجنيقات ما يفوت فقبل رايه وامر فنودي بالزحف اليه والجد في قتاله فزحفوا واشتد القتال وعظم الامر فصعد انسان من العامة بقميص خلق في باشورة الحصن وقاتل على السور لما علاه وتبعه غيره من اضرابه ولحق بهم الجند فملكوا الباشورة فصعد الفرنج حينئذ منها الى اسوار الحصن ليحموا نفوسهم وحصنهم الى ان ياتيهم المدد وكان الفرنج قد جمعوا بطبرية فالح المسلمون في قتال الحصن خوفا من وصول الفرنج اليهم وازاحتهم عنه وادركهم الليل فامر صلاح الدين بالمبيت بالباشورة الى الغد ففعلوا فلما كان الغد اصبحوا نقبوا الحصن وعمقوا النقب واشعلوا النيران فيه وانتظروا سقوط السور فلم يسقط لعرضه فانه كان تسعة اذرع بالنجاري يكون الذراع ذراعا ونصفا فانتظروه يومين فلم يسقط فامر صلاح الدين باطفاء النار التي في النقب بحمل الماء والقى عليها فاطفئت وعاد النقابون فنقبوا وخرقوا السور والقوا

حضر مميش اغا من ناحية الحجاز مرسلا من عند الباشا باستعجال حسن باشا للحضور الى الحجاز وكان قبل ذلك بايام ارسل يطلب سبعة آلاف عسكري وسبعة آلاف كيس فشرع كتخدا بك في استكتاب اشخاص من اخلاط العالم ما بين مغاربة وصعايدة وفلاحي القرى فكان كل من ضاق به الحال في معاشه يذهب و يعرض نفسه فيكتبونه وان كان وجيها جعلوه اميرا على مائة او مائتين ويعطيه اكياسا يفرقها في انفاره و يشتري فرسا وسلاحا ويتقلد بسيف وطبنجات وكذلك انفاره و يلبسون قناطيش ولباسا مثل لبس العسكر ويعلق له وزنة بارود تحت ابطه و ياخذ على كتفه بندقية و يمشون امام كبيرهم مثل الموكب وفيهم اشخاص من الفعلة الذين يستعملون في شيل التراب والطين في العمائر و برابرة وارسل الكتخدا الى الفيوم وغيرها بطلب رجال من امثال ذلك وجمعوا الكثير من ارباب الصنائع مثل الخبازين والفرانين والنجارين والحدادين والبيطارة وغيرهم من ارباب الصنائع ويحبسونهم قهرا فاغلق الفرانون مخابزهم وتعطل خبيز خبز الناس اياما

(وفيه) وورد الطلب لحسن باشا فشرع في تشهيل احواله ولوازم سفره ثم حضر مميش اغا باستعجاله

فيه النار فسقط يوم الخميس لست بقين من ربيع الاول ودخل المسلمون الحصن عنوة واسروا كل من فيه واطلقوا من كان به من اسارى المسلمين وقتل صلاح الدين كثيرا من اسرى الفرنج وأدخل الباقين الى دمشق فسجنوا وأقام صلاح الدين بمكانه حتى هدم الحصن وعفى اثره والحقه بالارض وكان قد بذل للفرنج ستين الف دينار مصرية ليهدموه بغير قتال فلم يفعلوا ظنا منهم انه اذا بقي بناؤه تمكنوا به من كثير من بلاد الاسلام واما الفرنج فاجتمعوا بطبرية ليحموا الحصن فلما اتاهم الخبر باخذه فت في اعضادهم فتفرقوا الى بلادهم واكثر الشعراء فيه فمن ذلك قول صديقنا النشو بن نفاذة رحمه الله

هلاك الفرنج اتى عاجلا * وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها * لما عمرت بيت احزانها

وقول على بن محمد الساعاتي الدمشقي

اتسكن أوطان النبيين عصبة * تمين لدى أيمانها وهي تحلف
نصحتكم والنصح للدين واجب * ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

(ذكر الحرب بين عسكر صلاح الدين وعسكر قلج ارسلان)

في هذه السنة كان الحرب بين عسكر صلاح الدين يوسف بن أيوب ومقدمهم ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب و بين عسكر الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان صاحب بلاد قونية واقصرا وسببها ان نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر رحمه الله كان قد أخذ قديما من قلج ارسلان حصن رعبان وكان بيد شمس الدين بن المقدم الى الآن فطمع فيه قلج ارسلان بسبب ان الملك الصالح بحلب بينه و بين صلاح الدين فارسل اليه من يحصره فاجتمع عليه جمع كثير يقال كانوا عشرين ألفا فارسل اليهم صلاح الدين تقي الدين في ألف فارس فواقعهم وقاتلهم وهزمهم واصلح حال تلك الولاية وعاد الى صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الاحزان فكان يفتخر و يقول هزمت بالف مقاتل عشرين ألفا

(ذكر وفاة المستضيء بامر الله وخلافة الناصر لدين الله)

في هذه السنة في ثاني ذي القعدة توفي الامام المستضيء بامر الله أمير المؤمنين ابو محمد الحسن بن يوسف المستنجد رضي الله عنه وامه ام ولد ارمنية تدعى غضة وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان عادلا حسن السيرة في الرعية كثير البذل للاموال غير مبالغ في أخذ ما جرت العادة باخذه وكان الناس معه في أمن عام واحسان شامل وطمأنينة وسكون لم يروا مثله وكان حليما قليل المعاقبة على الذنوب محبا للعفو والصفح عن المذنبين فعاش حميدا ومات سعيدا رضي الله عنه فلقد كانت ايامه كما قيل

كأن ايامه من حسن سيرته * مواسم الحج والأعياد والجمع

واستعمال المطلوبات من الاموال وغيرها (وفيه) قبضوا على اليهود الموردين الذين يوردون الذهب والفضة لدار الضرب بسبب احتكار الفرانسه وقد قلت بايدي الناس جدا لكثرة أخذها والطلب لها وانقطاع مجيئها من بلادها فحبسوهم وضربوهم ونزلوا في أسوا حال متحيرين وذلك ان راتب الضربخانه سبعة آلاف في كل يوم عنها ثلاثة وستون ألف محرهم وقدرها ثلاث مرات من النحاس يضربون ذلك قروشا حتى بلغ سعر النحاس القراضة مائة وعشرين نصفا فضة (وفي تاسعه) حضر محمود بك الدويدار والمعلم غالي من سرحتهما الى مصر وهما المتآمران على مباشرة قياس الاراضي وتسهيل المال المفروض وسبب حضورهما ان ابراهيم باشا أرسل بطلبهما للحضور ليتشاور معهما في أمر فاقاما أربعة أيام وعادا راجعين الى شغلهما (وفي منتصفه) سافر ابراهيم باشا عائدا الى اسيوط وذهب صحبته اخوه اسمعيل باشا والبيكات الصغار خوفا وهروبا من الطاعون (وفيه) كمل تعمير الجامع الذي عمره دبوس اوغلي الذي بقرب داره التي بغيط العدة وهو جامع جوهر العيني وكان قد تخرب فهدمه جميعه وانشاه وزخرفه ونقل لعمارته انقاضا كثيرة واخشابا ورخاما من بيت الى الشوارب وعمل به منبرا بديع الصنعة واستخلص جهة اوقافه اطيانا واماكن

من واضع اليد (وفيه) ارسلوا جملة اخشاب الى الحجاز مطلوبة الى الباشا (وفيه) ايضا نادوا على سكان الجيزة

ووزر نائبه صدر الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء الى ان قتل في ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ولما قتل حكم في الدولة ظهير الدين ابو بكر منصور بن نصر المعروف بابن العطار وكان خيرا حسن السيرة كثير العطاء وتمكن تمكنا كثيرا فلما مات المستضيء قام ظهير الدين بن العطار في أخذ البيعة لولده الناصر لدين الله أمير المؤمنين فلما تمت البيعة صار الحاكم في الدولة استاذ الدار مجد الدين أبا الفضل بن الصاحب وفي سابع ذي القعدة قبض على ابن العطار ظهير الدين ووكل عليه في داره ثم نقل الى التاج وقيد ووكل به وطلبت ودائعه وأمواله وفي ليلة الاربعاء ثامن عشر ذي القعدة اخرج ميتا على رأس حمال سرا فغمز به بعض الناس فثار به العامة فالقوه عن رأس الحمال وكشفوا سوأته وشدوا في ذكره حبلا وسحبوه في البلد وكانوا وضعوا بيده مغرفة يعني انها قلم وقد غمسوها في العذرة ويقولون وقع لنا يا مولانا الى غير هذا من الافعال الشنيعة ثم خلص من أيديهم ودفن هذا فعلهم به مع حسن سيرته فيهم وكفه عن اموالهم وأعراضهم وسيرت الرسل الى الآفاق لاخذ البيعة فسير صدر الدين شيخ الشيوخ الى البهلوان صاحب همذان واصفهان والري وغيرها فامتنع من البيعة فراجعه صدر الدين وأغلظ له في القول حتى انه قال لعسكره في حضرته ما لهذا عليكم طاعة ما لم يبايع أمير المؤمنين بل يجب عليكم ان تخلعوه من الامارة وتقاتلوه فاضطر الى البيعة والخطبة وأرسل رضى الدين القزويني مدرس النظامية الى الموصل لاخذ البيعة فبايع صاحبها وخطب للخليفة الناصر لدين الله في السنة

* (ذكر عدة حوادث) *

في هذه السنة هبت ريح سوداء مظلمة بالديار الجزرية والعراق وغيرها وعمت أكثر البلاد من الظهر الى ان مضى من الليل ربعه وبقيت الدنيا مظلمة لا يكاد الانسان يبصر صاحبه وكنت حينئذ بالموصل فصلينا العصر والمغرب والعشاء الآخرة على الظن والتخمين وأقبل الناس على التضرع والتوبة والاستغفار وظنوا ان القيامة قد قامت فلما مضى مقدار ثلث الليل زال ذلك الظلام والعتمة التي غطت السماء فنظرنا فرأينا النجوم فعلمنا مقدار ما مضى من الليل لان الظلام يزداد بدخول الليل وكان كل من يصل من جهة من الجهات يخبر بمثل ذلك وفيها في ذي القعدة نزل شمس الدولة اخو صلاح الدين عن بعلبك وطلب عوضا عنها الاسكندرية فاجابه صلاح الدين الى ذلك واقطع بعلبك لعز الدين فرخشاه ابن أخيه فسار اليها وجمع أصحابه وأغار على بلاد الفرنج حتى وصل الى قلعة صفد وهي مطلة على طبرية فسبى وأسر وغنم وخرب وفعل في الفرنج افاعيل عظيمة وأما شمس الدولة فانه سار الى مصر وأقام بالاسكندرية واذا أراد الله ان يقبض رجلا بارض جعل له اليها حاجة فانه اقام بها الى ان مات بها وفيها قارب الجامع الذي بناه مجاهد الدين قايماز بظاهر الموصل من جهة باب الجسر الفراغ واقيمت فيه الصلوات الخمس والجمعة وهو من احسن الجوامع وفيها توفي احمد ابن عبد الرحمن الصوفي شيخ رباط الزوزني وسمع الحديث وكان يصوم الدهر وعبد

بالخروج منها بعد عصر يوم السبت ومن لم يرد الخروج فلا يخرج بعد ذلك ومن خرج فلا يدخل وامهلوهم الى الغروب فخرجوا بامتعتهم واطفالهم واولادهم واووا بهم الى خارج البلدة وبات الاكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل الى بلدة اخرى وخرج ايضا الكثير من عساكرهم واتباعهم ممن لا يريد المقام والحبس وكانوا كلما وجدوا من حمل متاعه من اهل البلدة على حمار ليذهب الى جهة يستقر بها رموا به الى الارض واخذوا الحمار وحصل لاهل الجيزة في تلك الليلة ما لا مزيد عليه من الكرب والجلاء عن اوطانهم وكل ذلك مجرد وهم مع قلة وجود الطين الا النزر اليسير (وفي ثالث عشرينه) سافرت خزينة المال المطلوبة الى الباشا الى جهة السويس واصحبوا معها عدة كبيرة من عسكر الدلاة لخفارتها وقدرها ألفان وخمسمائة كيس جميعها قروش

* (شهر جمادى الاولى سنة ١٢٢٩) *

(استهل بيوم الجمعة) في ثالثه خرج حسن باشا بعساكره ونزل بوطاقه وخيامه التي نصبت له بالعادلية قبل خروجه بيومين (وفي رابعه) وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسين بك دالي باشا واخشاب

الحق

الحق بن عبد الخالق بن يوسف سمع الحديث ورواه وهو من بيت الحديث والقاضى عمر بن على بن الخضر ابو الحسن الدمشقى سمع الحديث ورواه وولى قضاء الحريم وعلى بن احمد اليزيدى سمع الحديث الكثير وله وقف كتب كثيرة ببغداد وكان زاهدا خيرا صالحا ومحمد بن على بن حمزة بن على الاقساسى نقيب العلويين بالكوفة وكان ينشد كثيرا

رب قوم فى خلائقهم * عرر قد صير واغررا
ستر المال القبيح لهم * سترى ان زال ما سترا

ومحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن سديد الدولة الانبارى كاتب الانشاء بعد أبيه وأبو الفتوح نصر بن عبد الرحمن الدامغانى الفقيه كان مناظرا حسن المناظرة كثير العبادة ودفن عند قبر أبى حنيفة

(ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة)

(ذكر وفاة سيف الدين صاحب الموصل وولاية أخيه عز الدين بعده)

فى هذه السنة ثالث صفر توفى سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وديار الجزيرة وكان مرضه السل وطال به ثم أدركه فى آخره برسام ومات ومن عجيب ما يحكى ان الناس خرجوا سنة خمس وسبعين يستسقون لانقطاع الغيث وشدة الغلاء وخرج سيف الدين فى موكبه فثار به الناس وقصدوه بالاستغاثة وطلبوا منه ان يامر بالمنع من بيع الخمر فاجابهم الى ذلك فدخلوا البلد وقصدوا مساكن الخمارين وخربوا ابوابها ودخلوها ونهبوها واراقوا ما بها من خمور وكسروا الظروف وعملوا ما لا يحل فاستغاث اصحاب الدور الى نواب السلطان وخصوا بالشكوى رجلا من الصالحين يقال له ابو الفرج الدقاق ولم يكن فى الذى فعلته العامة من النهب وما لا يجوز فعله انما هو اراق الخمور ونهى العامة عن الذى يفعلونه فلم يسمعوا منه فلما شكى الخمارون منه احضر بالقلعة وضرب على راسه فسقطت عمامته فلما اطلق لينزل من القلعة نزل مكشوف الراس فارادوا تغطيته بعمامته فلم يفعل وقال والله لا غطيت رأسى حتى ينتقم الله لى ممن ظلمنى فلم يمض غير ايام حتى توفى الزردار الذى تولى اذاه ثم يعقبه مرض سيف الدين واستمر الى ان مات وعمره حينئذ نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين وثلاثة أشهر وكان حسن الصورة مليح الشباب تام القامة أبيض اللون وكان عاقلا وقورا قليل الالتفات اذا ركب واذا جلس عفيفا لم يذكر عنه ما ينافى العفة وكان غيورا شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدم الصغار فاذا كبر احدهم منعه وكان لا يحب سفك الدماء ولا أخذ الاموال على شح فيه وجبن ولما اشتد مرضه اراد ان يعهد بالملك لابنه معز الدين سنجر شاه وكان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة فخاف على الدولة من ذلك لان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان قد تمكن بالشام وقوى أمره وامتنع أخوه عز الدين مسعود بن مودود من الاذعان لذلك والاجابة اليه فاشار الامراء الاكابر ومجاهد الدين قايماز بان يجعل الملك بعده فى عز الدين أخيه لما هو

واحتياجات وجمال والذى أخبر به المخبرون عن الباشا وعما كره ان يطوعون باشا وعابدين بك ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التى بها المرأة التى يقال لها غالية فوقعت بينهم حروب ثمانية ايام ثم رجعوا منهزمين ولم يظفروا بطائل ولان العربان نفرت طباعهم من الباشا لما حصل منه فى حق الشريف من القبض عليه وهاجر الكثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا فى النواحى ومنهم شخص يقال له الشريف راجح فاتى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المدد واخبروا أن الجمال قل وجودها عند الباشا ويشتريها من العربان المسالمين له باغلى ثمن واخبروا أيضا انه واقع بالحرمين غلاء شديد لقلة الجالب واحتكار الباشا للغلال الواصلة اليه من مصر فيبيعه حتى على عسكره باغلى ثمن مع التحجير على المسافرين والحجاج فى استصحابهم شيئا من الحب والدقيق فيفتشون متاعهم فى السويس ويأخذون ما يجدونه معهم مما يتزودون به فى سفرهم من القمح أو الدقيق وما يكون معهم من الفرانسه لنفقتهم واعطوهم بدلها من القروش (وفيه) بلغ صرف الريال الفرانسه من الفضة العددية ثمانمائة وعشرين نصفا عنها ثمانية قروش والمشخص عشرون قرشا وقل وجود

عليه من كبر السن والشجاعة والعقل وقوة النفس وان يعطي ابنيه بعض البلاد ويكون مرجعهما الى عز الدين عمهما والمتولي لامرهما مجاهد الدين قايماز ففعل ذلك وجعل الملك في اخيه واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجر شاه وقلعة عقر الحميدية لولده الصغير ناصر الدين كسك فلما توفي سيف الدين ملك بعده الموصل والبلاد أخوه عز الدين وكان المدبر لدولة مجاهد الدين وهو الحاكم في الجميع واستقرت الامور ولم يختلف اثنان

(ذكر مسير صلاح الدين لحرب قلج ارسلان)

في هذه السنة سار صلاح الدين يوسف بن أيوب من الشام الى بلاد قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان وهي ملطية وسيواس وما بينهما وقونية ليحاربه وسبب ذلك ان نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر كان قد تزوج ابنة قلج ارسلان المذكور وبقيت عنده مدة ثم انه احب مغنية فتزوجها ومال اليها وحكمت في بلاده وخزائنه واعرض عن ابنة قلج ارسلان وتركها نسيا منسيا فبلغ اباها الخبر فعزم على قصد نور الدين واخذ بلاده فارسل نور الدين الى صلاح الدين يستجير به ويسأله كف يد قلج ارسلان عنه فارسل صلاح الدين الى قلج ارسلان في المعنى فاعاد الجواب انني كنت قد سلمت الى نور الدين عدة حصون تجاور بلاده لما تزوج ابنتي فحيث آل الامر معه الى ما يعلمه فانا اريد ان يعيد الي ما اخذه مني وترددت الرسل بينهما فلم يستقر حال فيهما فهادن صلاح الدين الفرنج وسار في عساكره وكان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بها فتركها ذات اليسار وسار على تل باشر الى رعبان فاتاه بها نور الدين محمد واقام عنده فلما سمع قلج ارسلان بقربه منه أرسل اليه أكبر أمير عنده ويقول له ان هذا الرجل فعل مع ابنتي كذا ولا بد من قصد بلاده وتعريفه محل نفسه فلما وصل الرسول واجتمع بصلاح الدين وادى الرسالة امتعض صلاح الدين لذلك واغتاظ وقال للرسول قل لصاحبك والله الذي لا اله الا هو لئن لم يرجع لاسيرن الى ملطية وبيني وبينها يومان ولا أنزل عن فرسي الا في البلد ثم أقصد جميع بلاده وآخذها منه فرأى الرسول أمرا شديدا فقام من عنده وكان قد رأى العسكر وما هو عليه من القوة والتجمل وكثرة السلاح والدواب وغير ذلك ليس عنده ما يقاربه فعلم انه ان قصدهم أخذ بلادهم فارسل اليه من الغد يطلب ان يجتمع به فاحضره فقال له اريد ان أقول شيئا من عندي ليس رسالة عن صاحبي وأحب ان تنصفني فقال له قل قال يا مولانا ما هو قبيح بمثلك وأنت من أعظم السلاطين وأكبرهم شانا ان تسمع الناس عنك أنك صالحت الفرنج وتركت الغزو ومصالح المملكة واعرضت عن كل ما فيه صلاح لك ولرعيتك وللمسلمين عامة وجمعت العساكر من اطراف البلاد البعيدة والقريبة وسرت وخسرت أنت وعساكرك الاموال العظيمة لاجل قحبة مغنية ما يكون عذرك عند الله تعالى ثم عند الخليفة وملوك الاسلام وكافة العالم

الفرانسه والمشخص بل والمحبوب المصري بايدي الناس جدا ثم نودي على أن يصرف الريال بسبعة قروش والمشخص بستة عشر قرشا وشددوا في ذلك ونكلوا بمن يخالف ذلك وعاقبوا من زاد على ذلك في قبض اثمان المبيعات وأطلقوا في الناس جواسيس وعيونا فمن عثروا عليه في مبيع أو غيره انه قبض بالزيادة أمسكوا به واخذوه وعاقبوه بالحبس والضرب والتغريم وربما أرسلوا من طرفهم اشخاصا متنكرين يأتي احدهم للبائع فيساومه السلعة كأنه مشتر ويدفع له في ضمن الثمن ريالا أو مشخصا ويحسبه بحسابه الاول ويناكره في ذلك فربما تجاوز البائع خوفا من بوار سلعته وخصوصا اذا كانت البيعة رابحة أو بيعة استفتاح على زعم الباعة وقلة الزبون بسبب وقف حال الناس وافلاسهم فما هو الا أن يتباعد عنه يسيرا فلا يشعر الا وهو بين يدي الاعوان ويلاقي وعده (وفي منتصفه) وصلت قافلة من السويس وفيها جملة من العسكر المتمرضين ونحو العشرة من كبارهم نفاهم الباشا الى مصر وفيهم حجو أوغلي ودالي حسن وعلي اغا درمنلي وترجوا وحسن اغا ازرجنلي ومصطفى ميسوا واحمد اغا قنبور (وفيه ايضا) خرج عسكر المغاربة ومن معهم من الاجناس المختلفة الى مصر العتيقة ليذهبوا من ناحية القصير الى الحجاز واما محمد بك فانه لم يزل بغزة واحسب

واحسب أن أحدا ما يواجهك بهذا أما يعلمون ان الامر هكذا ثم احسب ان قلج ارسلان مات وهذه ابنته قد أرسلتني اليك تستجيرك وتسألك إن تنصفها من زوجها فان فعلت فهو الظن بك ان لا تردها فقال والله الحق بيدك وان الامر لكما تقول ولكن هذا الرجل دخل علي واستجار بي ويقبح بي تركه لكنك أنت اجتمع به واصلح الحال بينكم على ما تحبون وانا اعينكم عليه واقبح فعله ووعد من نفسه بكل جميل فاجتمع الرسول بصاحب الحصن وتردد القول بينهم فاستقر ان صاحب الحصن يخرج المغنية عنه بعد سنة وان كان لا يفعل ينزل صلاح الدين عن نصرته ويكون هو وقلج ارسلان عليه واصطلحوا على ذلك وعاد صلاح الدين عنه الى الشام وعاد نور الدين الى بلاده فلما انقضت المدة اخرج نور الدين المغنية عنه فتوجهت الى بغداد وأقامت بها الى ان ماتت

(ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمني)

وفيها قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الارمني بعد فراغه من امر قلج ارسلان وسبب ذلك ان ابن ليون الارمني كان قد استمال قوما من التركمان وبذل لهم الاموال فامرهم ان يرعوا مواشيهم في بلاده وهي بلاد حصينة كلها حصون منيعة والدخول اليها صعب لانها مضايق وجبال وعرة ثم غدر بهم وسبى حريمهم وأخذ اموالهم واسر رجالهم بعد ان قتل منهم من حان اجله ونزل صلاح الدين على النهر الاسود وبث الغارات على بلاده فخاف ابن ليون على حصن له على رأس جبل ان يؤخذ فخربه واحرقه فسمع صلاح الدين بذلك فاسرع السير اليه فادركه قبل ان ينقل ما فيه من ذخائر واقوات فغنمها وانتفع المسلمون بما غنموه فارسل ابن ليون يبذل اطلاق من عنده من الاسرى والسبي واعادة اموالهم على ان يعودوا عن بلاده فاجابه صلاح الدين الى ذلك واستقر الحال واطلق الاسرى واعيدت اموالهم وعاد صلاح الدين عنه في جمادى الآخرة

(ذكر ملك يوسف بن عبد المؤمن مدينة قفصة بعد خلاف صاحبها عليه)

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الى افريقية وملك قفصة وكان سبب ذلك ان صاحبها علي بن المعز بن المعتز لما رأى دخول الترك الى افريقية واستيلاءهم على بعضها وانقياد العرب اليهم طمع ايضا في الاستبداد والانفراد عن يوسف وكان في طاعته فاظهر ما في نفسه وخالفه واظهر العصيان ووافقه اهل قفصة فقتلوا كل من كان عندهم من الموحدين اصحاب أبي يعقوب وكان ذلك في شوال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة فارسل والي بجاية الى يوسف بن عبد المؤمن يخبره باضطراب امور البلاد واجتماع كثير من العرب الى قراقوش التركي الذي دخل الى افريقية وقد تقدم ذكر ذلك وما جرى في قفصة من قتل الموحدين ومساعدة اهل قفصة صاحبهم على ذلك فشرع في سد الثغور التي يخافها بعد مسيره فلما فرغ من جميع ذلك تجهز

القلة المراكب بالقصير التي تحمل لهم الى الحجاز) (وفي سادس عشره) وصلت قافلة وفيها اثقال من اهل مكة والمدينة وسفار وبضائع تجارة بن واقمشة وبياض شئ كثير وقد اتت الى جدة من تجارات الشريف غالب ولم يبلغهم خبر الشريف غالب وما حصل له فلما حضروا وضع الباشا يده عليه جميعه وأرسله الى مصر فتولى ذلك السيد محمد المحروقي وفرقها على التجار بالثمن الذي قدره عليهم والزمهم أن لا يدفعوه الا فرانسه (وفي هذا الشهر) وصل الخبر بموت الشيخ مسعود كبير الوهابية وتولى مكانه ابنه عبد الله (وفيه) خرج طائفة الكتبة والاقباط والروزنامجي والجاجرتية وذهب الجميع الى جزيرة شلقان ليحرروا دفاتر على الروك الذي راكوه من قياس الاراضي وزيادة الاطيان وجفل الكثير من الفلاحين واهالي الارياف وتركوا أوطانهم وزروعهم وهالهم هذا الواقع لكونهم لم يعتادوه ويألفوه وباعوا شيئهم ودفعوا اثمانها في الذي طلع عليهم في الزيادات الهائلة وسيعودون مثل الكلاب ويعتادون سلخ الاهاب وأما الملتزمون فبقوا حيارى باهتين وارتفع أيدي تصرفهم في حصصهم ولا يدرون عاقبة أمرهم منتظرين رحمة ربهم وآن وقت الحصاد وهم ممنوعون عن ضم زرع وسألوا الحاكم ان أذن لهم الكتخدا بذلك وكتب لهم أوراقا وتوجهوا بانفسهم

العسكر وسار الى افريقية سنة خمس وسبعين ونزل على مدينة قفصة وحصرها ثلاثة اشهر وهي بلد حصينة واهلها انجاد وقطع شجرها فلما اشتد الامر على صاحبها واهلها خرج منها مستخفيا لم يشعر به احد من اهل قفصة ولا من عسكره وسار الى خيمة يوسف وعرف حاجبه انه قد حضر الى امير المؤمنين يوسف فدخل الحاجب واعلم يوسف بوصول صاحب قفصة الى باب خيمته فعجب منه كيف اقدم على الحضور عنده بغير عهد وامر بادخاله عليه فدخل وقبل يده وقال قد حضرت أطلب عفو امير المؤمنين عني وعن أهل بلدي وان يفعل ما هو اهله واعتذر فرق له يوسف فعفا عنه وعن اهل البلد وتسلم المدينة أول سنة ست وسبعين وسير علي بن المعز صاحبها الى بلاد المغرب فكان فيها مكرما عزيزا واقطعه ولاية كبيرة ورتب يوسف لقفصة طائفة من أصحابه الموحدين وحضر مسعود بن زمام امير العرب عند يوسف ايضا فعفا عنه وسيره الى مراكش وسار يوسف الى المهدية فاتاه بها رسول ملك الفرنج صاحب صقلية يلتمس منه الصلح فهادنه عشر سنين وكانت بلاد افريقية مجدبة فتعذر على العسكر القوت وعلف الدواب فسار الى المغرب مسرعا والله اعلم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي شمس الدولة توران شاه بن ايوب اخو صلاح الدين الاكبر بالاسكندرية وكان قد اخذها من أخيه اقطاعا فاقام بها فتوفي وكان له اكثر بلاد اليمن ونوابه هناك يحملون اليه الاموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل وكان اجود الناس واسخاهم كفا يخرج كل ما يحمل اليه من أموال اليمن ودخل الاسكندرية وحكمه في بلاد اخيه صلاح الدين وامواله نافذ ومع هذا فلما مات كان عليه نحو مائتي الف دينار مصرية دين فوفاها أخوه صلاح الدين عنه لما دخل الى مصر فانه لما بلغه خبر وفاته سار الى مصر في شعبان من السنة واستخلف بالشام عز الدين فرخشاه ابن اخيه شاهنشاه وكان عاقلا حازما شجاعا وفيها توفي ابو طاهر احمد بن محمد بن سلفة الاصفهاني بالاسكندرية وكان حافظ الحديث وعالما به سافر في طلب الكثير وتوفي أيضا في المحرم علي بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللغوي ببغداد وسمع الحديث وكان من اصحاب ابن الجواليقي

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر غزاة الى بلد الكرك من الشام)

في هذه السنة سار فرخشاه نائب صلاح الدين بدمشق الى أعمال كرك ونهبها وسبب ذلك ان البرنس ارناط صاحب الكرك كان من شياطين الفرنج ومردتهم واشدهم عداوة للمسلمين فتجهز وجمع عسكره ومن أمكنه الجمع وعزم على المسير في البر الى تيماء ومنها الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على تلك النواحي الشريفة فسمع عز الدين فرخشاه ذلك فجمع العساكر الدمشقية وسار الى بلده ونهبه وخربه وعاد

او يمن يتوب عن محذومه وأراد ضم زرعه ولم يجد من يطيعه بهم وتطاولوا عليهم بالالسنه فيقول الحرفوش منهم اذا دعي للشغل باجرته روح انظر غيري انا مشغول في شغلي انتم ايش بقالكم في البلاد قد انقضت أيامكم احنا صرنا فلاحين الباشا وقد كانوا مع الملتزمين أذل من العبيد المشترى فربما ان العبد يهرب من سيده اذا كلفه فوق طاقته أو اهانه بالضرب واما الفلاح فلا يمكنه ولا يسهل به ان يترك وطنه واولاده وعياله ويهرب واذا هرب الى بلدة أخرى واستعلم استاذه مكانه أحضره قهرا وازداد ذلا ومقتا واهانة وكان من طرائقهم انه اذا آن وقت الحصاد والتخضير طلب الملتزم أو قائم مقامه الفلاحين فينادي عليهم الغفير أمس اليوم المطلوبين في صبحه بالتبكير الى شغل الملتزم فمن تخلف لعذر أحضره الغفير أو المشد وسحبه من شنبه واشبعه سبا وشتما وضربا وهو المسمى عندهم بالعونة والسخرة واعتادوا ذلك بل يرونه من اللازم الواجب وهذا خلاف ما يلقونه من الاذلال والتحكم من مشايخهم والشاهد والنصراني الصراف وهو العمدة والعهدة خصوصا عند قبض المال فيغالطهم ويناكرهم وهم له أطوع من استاذهم وامره نافذ فيهم فيأمر قائم مقام بحبس من شاء أو ضربه محتجا عليهم ببواقي لا يدفعها واذا غلق احدهم ما عليه من المال الذي وجب عليه في تلك السنة

الى

الى طرف بلادهم واقام بها ليمنع البرنس من المسلمين فامتنع من مقصده فلما طال مقام كل واحد منهما فى مقابلة الآخر علم البرنس ان المسلمين لا يعودون حتى تفرق جمعه وانقطع طمعه من الحركة فعاد فرخشاه الى دمشق وكفى الله المؤمنين شر الكفار

(ذكر تلبيس ينبغى ان يحتاط من مثله)

كان سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ الكنانى ينوب عن شمس الدولة اخى صلاح الدين باليمن ويحكم فى الاموال والبلاد بعد ان فارقها شمس الدولة كما ذكرنا وكان هواه بالشام لانه وطنه فارسل الى شمس الدولة يطلب الاذن له فى المجئ اليه فاذن له فى المجئ فاستناب بزبيد اخاه حطان بن كامل بن منقذ الكنانى وعاد الى شمس الدولة وكان معه بمصر فمات شمس الدولة وبقى مع صلاح الدين فقيل عنه انه أخذ اموال اليمن وادخرها وسعى به اعداؤه فلم يعارضه صلاح الدين فلما كان هذه السنة وصلاح الدين بمصر اصطنع سيف الدولة طعاما وعمل دعوة كبيرة ودعا اليها اعيان الدولة الصلاحية بقرية تسمى العدوية وارسل اصحابه يتجهزون من البلد ويشترون ما يحتاجون اليه من الاطعمة وغيرها فقيل لصلاح الدين ان ابن منقذ يريد الهرب واصحابه يتزودون له ومتى دخل اليمن اخرجه عن طاعتك فارسل صلاح الدين فاخذه والناس عنده وحبسه فلما سمع صلاح الدين جلية الحال علم ان الحيلة تمت لاعدائه فى قبضه فخفف ما كان عنده وسهل امره وصانعه على ثمانين الف دينار مصرية سوى ما لحقها من الحمل لاخوة صلاح الدين واصحابه واطلقه واعاده الى منزلته وكان اديبا شاعرا

(ذكر ارسال صلاح الدين العساكر الى اليمن)

فى هذه السنة سير صلاح الدين جماعة من امرائه منهم صارم الدين قتلغ ابه والى مصر الى اليمن للاختلاف الواقع بها بين نواب اخيه شمس الدولة وهم عز الدين عثمان بن الزنجبيلى والى عدن وحطان بن منقذ والى زبيد وغيرهما فانه لما بلغهم وفاة صاحبهم اختلفوا وجرت بين عز الدين عثمان وبين حطان حرب وكل واحد منهما يروم ان يغلب الآخر على ما بيده واشتد الامر فخاف صلاح الدين أن يطمع اهل البلاد فارسل هؤلاء الامراء اليها واستولى قتلغ ابه على زبيد وازال حطان عنها ثم مات قتلغ ابه فعاد حطان الى امارة زبيد واطاعه الناس لجوده وشجاعته

(ذكر وفاة الملك الصالح وملك ابن عمه عز الدين مسعود مدينة حلب)

فى هذه السنة فى رجب توفى الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو تسع عشرة سنة ولما اشتد مرضه وصف له الاطباء شرب الخمر للتداوى فقال لا أفعل حتى استفتى الفقهاء فاستفتى فافتاه فقيه من مدرسى الحنفية بجواز ذلك فقال له ارأيت ان قدر الله تعالى بقرب الاجل أيؤخره شرب الخمر فقال له الفقيه لا فقال والله لا لقيت الله سبحانه وقد استعملت ما حرمه على ولم يشربه فلما

المصروف وطلب من المعلم ورقة وهى ورقة الغلاق وعده لوقت آخر حتى يحرر حسابه فلا يقدر الفلاح على مراددته خوفا منه فاذا ساله من بعد ذلك قال له بقى عليك حبتان من فدان أو نحو بتان أو نحو ذلك ولا يعطيه ورقة الغلاق حتى يستوفى منه قدر المال او يصانعه بالهدية والرشوة وغير ذلك أمور وأحكام خارجة عن ادراك البهيمية فضلا عن البشرية كالشكاوى ونحوها وذلك كما اذا تشاجر احدهم مع آخر على أمر جزئى بادر احدهم بالحضور الى الملتزم وتمثل بين يديه قائلا اشكو اليك فلانا بمائة ريال مثلا فبمجرد قوله ذلك يامر بكتابة ورقة خطابا الى قائمقام او المشايخ باحضار ذلك الرجل المشتكى واستخلاص القدر الذى ذكره الشاكى قليلا او كثيرا او حبسه وضربه حتى يدفع ذلك القدر ويرسل الورقة مع بعض اتباعه ويكتب بهامشها كراء طريقه قليلا او كثيرا ويسمونه حق الطريق فعند وصوله اول شئ يطالب به الرجل حق الطريق المعين ثم الشكوى فان بادر ودفعها والا حبس او حضر به المعين الى بيت استاذه فيوعده الحبس و يعاقبه بالضرب حتى يوفى القدر الذى تلفظ به الشاكى وان تاخر عن حضوره او حضور المعين اردفه بآخر وحق طريق الآخر كذلك ويسمونها الاستعجالة وغير ذلك احكام وامور غير معقولة المعنى قدر بوا عليها واعتادوها الا يرون

ايس من نفسه احضر الامراء وسائر الاجناد ووصاهم بتسليم البلد الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي واستحلفهم على ذلك فقال له بعضهم ان عماد الدين ابن عمك ايضا وهو زوج اختك وكان والدك يحبه ويؤثره وهو تولى تربيته وليس له غير سنجار فلو اعطيته البلد لكان اصلح وعز الدين له من البلاد من الفرات الى همذان ولا حاجة به الى بلدك فقال له ان هذا لم يغب عني ولكن قد علمتم ان صلاح الدين قد تغلب على عامة بلاد الشام سوى ما بيدي ومتى سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها وان ملكها صلاح الدين لم يبق لاهلنا معه مقام وان سلمتها الى عز الدين امكنه حفظها بكثرة عساكره وبلاده فاستحسنوا قوله وعجبوا من جودة فطنته مع شدة مرضه وصغر سنه ثم مات وكان حليما كريما عفيف اليد والفرج واللسان ملازما للدين لا يعرف له شيء مما يتعاناه الملوك والشباب من شرب خمر او غيره حسن السيرة في رعيته عادلا فيهم ولما قضى نحبه ارسل الامراء الى اتابك عز الدين يستدعونه الى حلب فسار هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات وارسل احضر الامراء عنده من حلب فحضروا وساروا جميعا الى حلب ودخلها في العشرين من شعبان وكان صلاح الدين حينئذ بمصر ولولا ذلك لزاحمهم عليها وقاتلهم فلما اجتاز في طريقه اليها من الفرات كان تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين بمدينة منبج فسار عنها هاربا الى حماة وثار اهل حماة ونادوا بشعار عز الدين فاشار عسكر حلب على عز الدين بقصد دمشق واطمعوه فيها وفي غيرها من بلاد الشام واعلموه محبة اهلها له ولاهل بيته فلم يفعل وقال بيننا يمين فلا نغدر به واقام بحلب عدة شهور ثم سار عنها الى الرقة

(ذكر تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضا عنها)

لما دخل عز الدين الى الرقة جاءته رسل اخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب ان يسلم اليه حلب ويأخذ عوضا عنها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولج عماد الدين في ذلك وقال ان سلمتم الى حلب والا سلمت انا سنجار الى صلاح الدين فاشار حينئذ جماعة من الامراء بتسليمها اليه وكان اشدهم في ذلك مجاهد الدين قايماز فلم يمكن عز الدين مخالفته لتمكنه في الدولة وكثرة عساكره وبلاده وانما حمل مجاهد الدين على ذلك خوفه من عز الدين لانه عظم في نفسه وكثر معه العسكر وكان الامراء الحلبيون لا يلتفتون الى مجاهد الدين ويسلكون معه من ترك الادب ما يفعله عسكر الموصل فاستقر الامر على تسليم حلب الى عماد الدين واخذ سنجار عوضا عنها فسار عماد الدين فتسلمها وسلم سنجار الى اخيه وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر قد بلغه خبر ملك عز الدين حلب فعظم الامر عليه وخاف ان يسير منها الى دمشق وغيرها ويملك الجميع وأيس من حلب فلما بلغه ملك عماد الدين لها برز من مصر من يومه وسار الى الشام وكان من الوهن على دولة عز الدين ما نذكره ان شاء الله

(ذكر حصر صاحب ماردين قلعة البيرة ومصر صاحبها مع صلاح الدين)

فيه اناسا ولا عيبا وقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين بسوء افعالهم وعدم ديانتهم وخيانتهم واضرارهم لبعضهم البعض من لا يرحمهم ولا يعفو عنهم كما قال فيهم البدر الحجازي

وسبعة بالفلح قد انزلت
بما حووه من قبيح الفعال
شيوخهم استاذهم والمشد
والقتل فيما بينهم والقتال
مع النصارى كاشف الناحيه
وزد عليها كدهم في اشتغال
وفقرهم ما بين عينيهم
مع اسوداد الوجه هذا النكال

واذا التزم بهم ذو رحمة ازدروه في اعينهم واستهانوا به وبخدمه وماطلوه في الخراج وسموه باسماء النساء وتمنوا زوال التزامه بهم وولاية غيره من الجبارين الذين لا يخافون ربهم ولا يرحمهم لينالوا بذلك اغراضهم بوصول الاذى لبعضهم وكذلك اشياخهم اذا لم يكن الملتزم ظالما يتمكنون هم ايضا من ظلم فلاحيهم لانهم لم يحصل لهم رواج الا بطلب الملتزم الزيادة والمغارم فياخذون لانفسهم في ضمنها ما احبوا ويوزعوا خراج اطيانهم وزراعاتهم على الفلاحين وقد انخرم هذا الترتيب بما حدث في هذه الدولة من قياس الاراضي والفدن وما سيحدث بعد ذلك من الاحداثات التي تبدو قرائنها شيئا بعد شيء (وفي ثاني عشرينه) برز حسن بك دالي باشا خيامه الى خارج باب النصر وخرج هو في ثاني يوم في موكب ونزل بوطاقه ليتوجه الى الحجاز على طريق

كانت

كانت قلعة البيرة وهي مطلة على الفرات من ارض الجزيرة لشهاب الدين الارتقي وهو ابن عم قطب الدين ايلغازي بن البي بن تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فمات شهاب الدين وملك القلعة بعده ولده وصار في طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل فلما كان هذه السنة ارسل صاحب ماردين الى عز الدين يطلب منه ان يأذن له في حصر البيرة واخذها فاذن له في ذلك فسار في عسكره الى قلعة سميساط وهي له ونزل بها وسير العسكر الى البيرة فحصرها فلم يظفر منها بطائل الا انهم لازموا الحصار فارسل صاحبها الى صلاح الدين وقد خرج من ديار مصر على ما نذكره يطلب منه ان ينجده ويرحل العسكر الماردانى عنه ويكون هو في خدمته كما كان أبوه في خدمة نور الدين فاجابه الى ذلك وأرسل رسولا الى صاحب ماردين يشفع فيه ويطلب ان يرحل عسكره عنه فلم يقبل شفاعته واشتغل صلاح الدين بما نذكره من الفرنج فلما رأى صاحب ماردين طول مقام عسكره على البيرة ولم يبلغوا منها غرضا أمرهم بالرحيل عنها وعاد الى ماردين فسار صاحبها الى صلاح الدين وكان معه حتى عبر معه الفرات على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة كثرت المنكرات ببغداد فأقام حاجب الباب جماعة لاراقة الخمور واخذ المفسدات فبينما امرأة منهن في موضع علمت بمجيء اصحاب حاجب الباب فاضطجعت وأظهرت انها مريضة وارتفع أنينها فرأوها على تلك الحال فتركوها وانصرفوا فاجتهدت بعدهم ان تقوم فلم تقدر وجعلت تصيح الكرب الكرب الى ان ماتت وهذا من اعجب ما يحكى وفيها في عاشر ذي الحجة توفي الامير همام الدين تتر صاحب قلعة تكريت بالمزدلفة كان قد استخلف الامير عيسى ابن اخي مودود وحج فتوفي ودفن بالمعلى مقبرة مكة وفيها في شعبان توفي عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد ابو البركات النحوي المعروف بابن الانباري ببغداد وله تصانيف حسنة في النحو وكان فقيها صالحا وفيها توفي ابراهيم بن محمد بن مهران الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان فاضلا كثير الورع

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة)

(ذكر مسير صلاح الدين الى الشام واغارته على الفرنج)

في هذه السنة خامس المحرم سار صلاح الدين عن مصر الى الشام ومن عجيب ما يحكى من التطير انه لما برز من القاهرة اقام بخيمته حتى تجتمع العساكر والناس عنده واعيان دولته والعلماء وارباب الآداب فمن بين مودع له وسائر معه وكل منهم يقول شيئا في الوداع والفراق وما هم بصدده من السفر وفي الحاضرين معلم لبعض اولاد

يتساقط على الدور والاسطحة والازقة مثل الغمام وافسد كثيرا من الاشجار وانقطع اثره في ثاني يوم (وفي يوم الاثنين) عاشره ارتحل حسين بك شفت من ناحية الشيخ قمر الى بركة الحج (وفي) منتصفه حضر الروزنامجي والافندية بعد ان استملى منهم القبط الدفاتر واسماء الملتزمين ومقادير حصصهم ثم حضر محمود بك والمعلم غالي ومن معهم من الكتبة الاقباط وظهر للناس عند حضورهم نتيجة ما صنعوه ونظموه ورتبوه من قياس الاراضي وروك البلاد وهو ان الاراضي زادت في القياس بالقصبة التي قاسوا بها وحددوها مقدار الثلث او الربع حتى قاسوا الرزق الاحباسية باسماء اصحابها ومزارعها واطيان الوسايا على حدتها حتى الاجران وما لا يصلح للزراعة وما يصلح من البور الصالح وغير الصالح فلما تم ذلك حسبوها بزياداتها بالافدنة ثم جعلوها ضرائب منها ضريبة خمسة عشر ريالا وأربعة عشر واثنى عشر واحد عشر وعشرة مال الفدان بحسب جودة الاقليم والارض فبلغ ذلك مبلغا عظيما بحيث ان البلدة التي كانت يفرض عليها في مغارم الفرض التي كانوا افرضوها قبل ذلك في سنيهم الماضية و يشكي منها الفلاحون والملتزمون

فاخرج راسه من بين الحاضرين وانشد

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

فانقبض صلاح الدين بعد انبساطه وتطير وتنكد المجلس على الحاضرين فلم يعد اليها الى ان مات مع طول المدة ثم سار عن مصر وتبعه من التجار واهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام بسبب الغلاء بالشام وغيره عالم كثير فلما سار جعل طريقه على ايلة فسمع ان الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدوه عن المسير فلما قارب بلادهم سير الضعفاء والاثقال مع أخيه تاج الملوك بورى الى دمشق وبقى هو في العساكر المقاتلة لا غير فشن الغارات باطراف بلادهم واكثر ذلك ببلد الكرك والشوبك فلم يخرج اليه منهم احد ولا أقدم على الدنو منه ثم سار الى دمشق فوصلها حادى عشر صفر من السنة

❁(ذكر ملك المسلمين شقيفا من الفرنج)❁

في هذه السنة ايضا في صفر فتح المسلمون بالشام شقيفا من الفرنج يعرف بحبس جالدك وهو من اعمال طبرية مطل على السواد وسبب فتحه ان الفرنج لما بلغهم مسير صلاح الدين من مصر الى الشام جمعوا له وحشدوا الفارس والراجل واجتمعوا بالكرك بالقرب من الطريق لعلهم ينتهزون فرصة أو يظفرون بنصرة وربما عاقوا المسلمين عن المسير بان يقفوا على بعض المضايق فلما فعلوا ذلك خلت بلادهم من ناحية الشام فسمع فرخشاه الخبر فجمع من عنده من عساكر الشام ثم قصد بلاد الفرنج واغار عليها ونهب دبورية وما يجاورها من القرى وأسر الرجال وقتل واكثر وسبى النساء وغنم الاموال وفتح منهم الشقيف وكان على المسلمين منه أذى شديد ففرح المسلمون بفتحه فرحا عظيما وارسل الى صلاح الدين بالبشارة فلقيه في الطريق ففت ذلك في عضد الفرنج وانكسرت شوكتهم

❁(ذكر ارسال سيف الاسلام الى اليمن وتغلبه عليه)❁

في هذه السنة سير صلاح الدين أخاه سيف الاسلام طغدكين الى بلاد اليمن وامره بتملكها وقطع الفتن بها وفوض اليه امرها وكان بها حطان بن منقذ كما ذكرناه قبل وكتب عز الدين عثمان الزنجيلي متولي عدن الى صلاح الدين يعرفه باختلال البلاد ويشير بارسال بعض أهله اليها لان حطان كان قوى عليه فخافه عثمان فجهز صلاح الدين اخاه سيف الاسلام وسيره الى بلاد اليمن فوصل الى زبيد فخافه حطان بن منقذ واستشعر منه وتحصن في بعض القلاع فلم يزل به سيف الاسلام يؤمنه ويهدى اليه ويتلطفه حتى نزل اليه فاحسن صحبته وعمل معه ما لم يكن يتوقعه من الاحسان فلم يثق حطان به وطلب منه دستورا ليقصد الشام فامتنع من اجابته اظهارا للرغبة في كونه عنده فلم يزل حطان يراجعه حتى أذن له فاخرج اثقاله واموله ودوابه واهله وأصحابه وكل ماله وسير الجميع بين يديه فلما كان الغد دخل الى سيف الاسلام ليودعه فقبض عليه واسترجع جميع ماله فاخذه عن آخره لم يسلم منه قليل ولا كثير ثم سجنه في بعض القلاع

وكان

ويستغيثون ويبقى منها بواقي ويعجزون عنها الف ريال طلع عليها في هذه اللفة عشرة آلاف ريال الى مائة ألف واقل واكثر واحضر الـ[illegible]دا ابراهيم اغا الرزاز والشيخ احمد يوسف وخلع عليهما خلعتين وجعلوا لهما ديوانا خاصا لمن يلتزم بالقدر الذى تحرر على حصته التى في تصرفه فيعطونه ورقة تصرف ويكتب على نفسه وثيقة باجل معلوم يقوم بدفع ذلك ويتصرف في حصته بشرط ان لا يكون له الأطيان الاوسية ان شاء زرعها واخذ غلتها وان شاء اجرها لمن شاء وليس له من مال الخراج الا المال الحر المعين بسند الديوان المعروف بالتقسيط وما زاد في قياس الارض من طين الفلاحة والاوسية فهو للميرى قل او كثر واما الرزق الاحباسية المرصدة على البر والصدقة ولاهل المساجد والاسبلة والمكاتب والخيرات فانهم مسحوها بقياسهم فما وجدوه زائدا عن الحد الاصلى جعلوه للديوان وما بقى قيدوه وسطروه باسم واضع اليد عليها واسم واقفها وزارعها اوما يليه المزارع الحاضر وقت القياس وسؤال المباشرين وقرروا عليها المال مثل ضريبة البلد فان اثبت اصحابها وكان بيده سند جديد من أيام الوزير وشريف افندى وما بعده على سبقه لوقت تاريخه قيدوا له نصف مال تاجرها والنصف الثانى الباقى

وكان آخر العهد به فقيل انه قتله وكان في جملة ما أخذ منه من الاموال الذهب العين في سبعين غلافا زردية مملوأة ذهبا عينا واما عز الدين عثمان الزنجبيلي فانه لما سمع ما جرى على حطان خاف فسار نحو الشام خائفا يترقب وسير معظم أمواله في البحر فصادفهم مراكب فيها اصحاب سيف الاسلام فاخذوا كل مال عز الدين ولم يبق له الا ما صحبه في الطريق وصفت زبيد وعدن وما معهما من البلاد لسيف الاسلام

(ذكر اغارة صلاح الدين على الغور وغيره من بلاد الفرنج واعمالها)

لما وصل صلاح الدين الى دمشق كما ذكرناه اقام اياما يريح ويستريح هو وجنده ثم سار الى بلاد الفرنج في ربيع الاول فقصد طبرية فنزل بالقرب منها وخيم في الاقحوانة من الاردن وجاءت الفرنج بجموعها فنزلت بطبرية فسير صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه الى بيسان فدخلها قهرا وغنم ما فيها وقتل وسبى وجبى الغور غارة شعواء فغنم اهله قتلا وأسرا وجاءت العرب فاغارت على جينين واللجون وتلك الولاية حتى قاربوا مرج عكا وسار الفرنج من طبرية فنزلوا تحت جبل كوكب فتقدم صلاح الدين اليهم وأرسل العساكر عليهم يرمونهم بالنشاب فلم يبرحوا ولم يتحركوا للقتال فامر ابني أخيه تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه فحملا على الفرنج فيمن معهما فقاتلوا قتالا شديدا ثم ان الفرنج انحازوا على حاميتهم فنزلوا عفربلا فلما رأى صلاح الدين ما قد أثخن فيهم وفي بلادهم عاد عنهم الى دمشق

(ذكر حصر بيروت)

ثم انه سار عن دمشق الى بيروت فنهب بلدها وكان قد امر الاسطول المصري بالمجيء في البحر اليها فساروا ونازلوها واغاروا عليها وعلى بلدها وسار صلاح الدين فوافاهم ونهب ما لم يصل الاسطول اليه وحصرها عدة ايام وكان عازما على ملازمتها الى ان يفتحها فاتاه الخبر وهو عليها ان البحر قد القى بطسة للفرنج فيها جمع عظيم منهم الى دمياط كانوا قد خرجوا لزيارة البيت المقدس فاسروا من بها بعد ان غرق منهم كثير فكان عدة الاسرى الفا وستمائة وستا وسبعين اسيرا فضربت بذلك البشائر

(ذكر عبور صلاح الدين الفرات وملكه ديار الجزيرة)

في هذه السنة عبر صلاح الدين الفرات الى الديار الجزرية وملكها وسبب ذلك ان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين وهو مقطع حران كان قد اقطعه اياها عز الدين اتابك المدينة والقلعة تقوية واعتمادا ارسل الى صلاح الدين وهو محاصر بيروت يعلمه أنه معه محب لدولته ووعده النصرة له اذا عبر الفرات ويطمعه في البلاد ويحثه على الوصول فسار صلاح الدين عن بيروت ورسل مظفر الدين تترى اليه يحثه على المجيء فجد صلاح الدين في السير مظهرا انه يريد حصر حلب تسترا للحال فلما قارب الفرات سار اليه مظفر الدين فعبر الفرات واجتمع به فقصد البيرة وهي قلعة منيعة على الفرات من الجانب الجزري وكان صاحبها قد سار مع صلاح الدين وفي

للديوان ورسموا لكاتب الرزق ان يعمل ديوانا لذلك ومعه عدة من الكتبة ويأتي اليه الناس باوراق سنداتهم فمن وجد بيده سندا جديدا كتب له صورة قيد الكشف بموجب ما هو بدفتره في ورقة فيذهب بها الى الديوان فيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين ويقع الاشتباه الكثير في اسماء اربابها واسماء حيضانها وغيطانها فيكلفون صاحب الحاجة باثبات ما ادعاه ويكتب له أوراقا لمشايخ الناحية وقاضيها لاثبات ما يدعيه ويعود مسافرا ويقاسي ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف ومعاكسة المشايخ وقاضي الناحية ثم يعود الى الديوان بالجواب ثم يمكن الاحتجاج عليه بحجة اخرى وربما كان سعيه وتعبه على فدان واحد او اقل او اكثر وازدحم الناس على بيت كاتب الرزق وانفتح له بذلك باب لانه لا يكتب كشفا حتى يأخذ عليه دراهم تعينت على قدر الافدنة واضاع الكثير من الناس ما تلقوه عن اسلافهم وما كانوا يرتزقون منه واهملوا تجديد السندات واتكلوا على ما بايديهم من السندات القديمة لجهلهم اوظنهم انقضاء الامر وعدم دوام الحال وتغير الدولة وعود النسق الاول اولفقرهم وعدم قدرتهم على ما يتدعوه من كثرة المصاريف التي تصرف على تجديد السند

طاعته وقد ذكرنا سبب ذلك قبل فعبر هو وعسكره الفرات على الجسر الذى عند البيرة وكان عز الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لما بلغهما وصول صلاح الدين الى الشام قد جمعا العسكر وسارا الى نصيبين ليكونا على اهبة واجتماع لئلا يتعرض صلاح الدين الى حلب ثم تقدما الى دارا فنزلا عندها لحفظها هما امر لم يكن فى الحساب فلما بلغهما عبور صلاح الدين الفرات عادا الى الموصل وارسلا الى الرها عسكرا يحميها ويمنعها فلما سمع صلاح الدين ذلك قوى طمعه فى البلاد ولما عبر صلاح الدين الفرات كاتب الملوك اصحاب الاطراف ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته فاجابه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن الى ما طلب منه لقاعدة استقرت بينهما لما كان نور الدين عنده بالشام فانه استقر الحال ان صلاح الدين يحصر آمد ويملكها ويسلمها اليه وسار صلاح الدين الى مدينة الرها فحصرها فى جمادى الاولى وقاتلها أشد قتال فحدثنى بعض من كان بها من الجند انه عد فى غلاف رمح أربعة عشر خرقا وقد خرقته السهام ووالى الزحف عليها وكان بها حينئذ مقطع وهو الامير فخر الدين مسعود الزعفرانى فحيث رأى شدة القتال اذعن الى التسليم وطلب الامان وسلم البلد وصار فى خدمة صلاح الدين فلما ملك المدينة زحف الى القلعة فسلمها اليه الدزدار الذى بها على مال أخذه فلما ملكها اسلمها الى مظفر الدين مع حران ثم سار عنها على حران الى الرقة فلما وصل اليها كان بها مقطعها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى فسار عنها الى عز الدين اتابك وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور قرقيسيا وماكسين وعرابان فملك جميع ذلك فلما استولى على الخابور جميعه سار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وبقيت القلعة فحصرها عدة أيام فملكها ايضا واقام بها ليصلح شانها ثم اقطعها أميرا كان معه يقال له ابو الهيجاء السمين وسار عنها ومعه نور الدين صاحب الحصن وأتاه الخبر ان الفرنج قصدوا دمشق ونهبوا القرى ووصلوا الى داريا وأرادوا تخريب جامعها فارسل النائب بدمشق اليهم جماعة من النصارى يقول لهم ان اخربتم الجامع جددنا عمارته وأخربنا كل بيعة لكم فى بلادنا ولا نمكن احدا من عمارتها فتركوه ولما وصل الخبر الى صلاح الدين بذلك أشار عليه من يتعصب لعز الدين بالعود فقال يخربون قرى ونملك عوضها بلادا ونعود نعمرها ونقوى على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما قال

(ذكر حصر صلاح الدين الموصل)

لما ملك صلاح الدين نصيبين جمع امراءه وارباب المشورة عنده واستشارهم باى البلاد يبدأ وايها يقصد بالموصل ام بسنجار ام بجزيرة ابن عمر فاختلفت آراؤهم فقال له مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين لا ينبغى ان يبدأ بغير الموصل فانها فى أيدينا لا مانع لها فان عز الدين ومجاهد الدين متى سمعا بمسيرنا اليها تركاها وسارا عنها الى بعض القلاع الجبلية ووافقه ناصر الدين محمد ابن عمه شيركوه وكان قد بذل لصلاح الدين مالا كثيرا ليقطعه الموصل اذا ملكها وقد أجابه صلاح الدين الى ذلك فاشار بهذا الراى

لهواه

ويشتمل مال الجماية التي قدرها شريف افندى على أراضى الرزق عن كل فدان عشرة انصاف او خمسة فكثير من الناس استعظم ذلك واعتمد على أوراقه القديمة فضاعت عليه رزقته وانحلت وأخذها الغير والذى لم يرض بالتوت بن ولا حصل حظه رضى بالولاش وكان الشان فى امر الرزق ان أراضيها تزيد عن موقوح أراضى البلاد زيادة كثيرة وخراجها أقل من خراج اراضى البلاد الذى يقال له المال الحر الاصلى وليس عليها مصاريف ولا مغارم ولا تكاليف فالمزارع من الفلاحين اذا كان تحت يده تاجر رزقة او رزقتين فانه يكون مغبوطا ومحسودا فى اهل بلده ويدفع لصاحب الاصل القدر النزر والمزارع يتلقى ذلك سلفا عن خلف ولا يقدر صاحب الاصل ان يزيد عليه زيادة وخصوصا اذا كانت تحت يد بعض مشايخ البلاد فلا يقدر احد ان يتعدى عليه من الفلاحين ويستاجرها من صاحبها وان فعل لا يقدر على حمايتها والكثير من الرزق واسعة القياس جدا ومالها قليل جدا وخصوصا فى الاراضى القبلية فان غالبها رزق وشراوى ومتاخرات لم تمسح ولم يعلم لها فدادين ولا مقادير وقد تزيد ايضا بانحسار البحر عن سواحلها وكذلك فى البلاد البحرية ولكن دون ذلك ومعظم اراضى الرزق القبلية مرصدة على جهات الاوقاف

لهواه فسار صلاح الدين الى الموصل وكان عز الدين صاحبها ومجاهد الدين نائبه قد جمعا
بالموصل العساكر الكثيرة ما بين فارس وراجل واظهرا من السلاح وآلات الحصار
ما حارت له الابصار وبذلا الاموال الكثيرة واخرج مجاهد الدين من ماله كثيرا واصطلى
الامور بنفسه فاحسن تدبيرها وشحنوا ما بقي بايديهم من البلاد كالجزيرة وسنجار
والموصل واربل وغيرها من البلاد بالرجال والسلاح والاموال وسار صلاح الدين
حتى قارب الموصل وترك عسكره وانفرد هو ومظفر الدين وابن عمه ناصر الدين بن
شيركوه ومعهم نفر من اعيان دولته وقربوا من البلد فلما قاربوا اوراه وحققه رأى
ما هاله وملأ صدره وصدور اصحابه فانه رأى بلدا عظيما كبيرا ورأى السور
والفصيل قد ملئا من الرجال وليس فيها شرافة الا وعليها رجل يقاتل سوى من عليه
من عامة البلد المتفرجين فلما رأى ذلك علم انه لا يقدر على اخذه وانه يعود خائبا فقال
لناصر الدين ابن عمه اذا رجعنا الى المعسكر فاحمل ما بذلت من المال فنحن معك على
القول فقال قد رجعت عما بذلت من المال فان هذا البلد لا يرام فقال له ولمظفر الدين
غررتماني واطمعتماني في غير مطمع ولو قصدت غيره قبله لكان اسهل اخذا بالاسم
والهيبة التي حصلت لنا ومتى نازلناه وعدنا منه ينكسر ناموسنا ويفل حدنا وشوكتنا
ثم رجع الى معسكره وصبح البلد وكان نزوله عليه في رجب فنازله وضايقه ونزل
محاذي باب كندة وانزل صاحب الحصن بباب الجسر وانزل اخاه تاج الملوك عند الباب
العمادي وانشب القتال فلم يظفر وخرج اليه يوما بعض العامة فنالوا منه ولم يمكن
عز الدين ومجاهد الدين احدا من العسكر يخرجون لقتال بل الزموا الاسوار ثم ان
تقي الدين اشار على عمه صلاح الدين بنصب منجنيق فقال مثل هذا البلد لا ينصب
عليه منجنيق ومتى نصبناه اخذوه ولو خربنا برجا وبدنة من يقدر على الدخول للبلد
وفيه هذا الخلق الكثير فالح تقي الدين وقال نجربهم به فنصب منجنيقا فنصب عليه
من البلد تسعة منجنيقات وخرج جماعة من العامة فاخذوه وجرى عنده قتال كثير فاخذ
بعض العامة لالكة من رجليه فيها المسامير الكثيرة ورمى بها اميرا يقال له جاولي
الاسدي مقدم الاسدية وكبيرهم فاصاب صدره فوجد لذلك الما شديدا واخذ
اللالكة وعاد من القتال الى صلاح الدين وقال قد قاتلنا اهل الموصل بحماقات
ما رأينا بعد مثلها والقى اللالكة وحلف انه لا يعود يقاتل عليها انفة حيث ضرب
بهذه ثم ان صلاح الدين رحل من قرب البلد ونزل متأخرا خوفا من البيات فانه اقربه
كان لا يأمن ذلك وكان سببه ايضا ان مجاهد الدين اخرج في بعض الليالي جماعة من باب
السر الذي للقلعة ومعهم المشاعل فكان احدهم يخرج من الباب وينزل الى دجلة
مما يلي عين الكبريت ويطفئ المشعل فرأى العسكر الناس يخرجون فلم يشكوا في
الكبسة فحملهم ذلك على الرحيل والتاخر اليه عذرا البيات على اهل الموصل وكان
صدر الدين شيخ الشيوخ رحمه الله قد وصل اليه قبل نزوله على الموصل ومعه بشير
الخادم وهو من خواص الخليفة الناصر لدين الله في الصلح فاقاما معه على الموصل

بمصر وغيرها والواضعون ايديهم عليها لا يدفعون لجهاتها ولا لمستحقيها الا ما هو مرتب ومقرر من الزمن الاول
السابق وهو شئ قليل وليتهم
لو دفعوه فان في اوقاف
السلاطين المتقدمة القطعة
من الاراضي التي مسحتها
اكثر من الف فدان وخراجها
خمسون زكيبة والزكيبة
خمس ويبات او من الدراهم
الفان فضة واقل واكثر
وهي تحت يد بعض كبرائهم
لا يزرعها ويأخذ منها
الالوف من الارادب من
اجناس الغلال ويضن
ويبخل بدفع ذلك القدر
اليسير لجهة وقفه ويكسر
السنة على السنة فان كانت
يد صاحب الاصل قوية
او كان واضع اليد فيه خيرية
وقليل ما هم دفع لاربابها
ثمنها بعد ان يرد الخمسين الى
الاربعين بالتكسير والخلط
ثم يبخس الثمن جدا فان كان
ثمن الاردب اربعمائة حسبه
باربعين نصفا او اقل فيعود
ثمن الخمسين زكيبة الى ثمن
زكيبتين وقس على ذلك
والذي يكون تحت يده شئ
من اطيان هذه الاوقاف
وورثها من بعده ذريته
فزرعوها وتقاسموها معتقدين
ملكيتها اتلقوها بالارث من
مورثهم ولا يرون ان لاحد
سواهم فيها حقا ولا يهون بهم
دفع شئ لاربابه ولو قل الا
قهرا وبالجملة ما اصاب
الناس الا ما كسبت ايديهم ولا جنوا الا ثمرات اعمالهم وكان معظم ادارات دوائر عظماء النواحي وتوسعاتهم

وترددت الرسل الى عز الدين ومجاهد الدين في الصلح فطلب عز الدين اعادة البلاد التي أخذت منهم فاجاب صلاح الدين الى ذلك بشرط ان تسلم اليه حلب فامتنع عز الدين ومجاهد الدين ثم نزل عن ذلك واجاب الى تسليم البلاد بشرط ان يتركوا انجاد صاحب حلب عليه فلم يجيبوا الى ذلك ايضا وقال عز الدين هو أخي وله العهود والمواثيق ولا يسعني ان انكثها ووصلت ايضا رسل قزل ارسلان صاحب اذربيجان ورسل شاه ارمن صاحب خلاط في المعنى فلم ينتظم امر ولا تم صلح فلما رأى صلاح الدين انه لا ينال من الموصل غرضا ولا يحصل على غير العناء والتعب وان من بسنجار من العساكر الموصلية يقطعون طرق من يقصدونه من عساكره واصحابه سار من الموصل اليها

(ذكر ملكه مدينة سنجار)

لما سار صلاح الدين عن الموصل الى سنجار سير مجاهد الدين اليها عسكرا قوة لها ونجدة فسمع بهم صلاح الدين فمنعهم من الوصول اليها واوقع بهم واخذ سلاحهم ودوابهم وسار اليها ونازلها وكان بها شرف الدين اميراميران هندو اخو عز الدين صاحب الموصل في عسكر معه فحصر البلد وضايقه والح في قتاله فكاتبه بعض امراء الاكراد الذين به من الزرزارية وخامر معه واشار بقصده من الناحية التي هو بها ليسلم اليه البلد فطرقه صلاح الدين ليلا فسلم اليه ناحيته فلك الباشورة لاغير فلما سمع شرف الدين الخبر استكان وخضع وطلب الامان فامن ولو قاتل على تلك الناحية اخرج العسكر الصلاحي عنها ولو امتنع بالقلعة لحفظها ومنعها ولكنه عجز فلما طلب الامان اجابه صلاح الدين اليه فامنه وملك البلد وسار شرف الدين ومن معه الى الموصل واستقر جميع ما ملكه صلاح الدين بملك سنجار فانه كان قصدان يستردده المواصلة اذا فارقه لانه لم يكن فيه حصن غيرالرها لاغير فلما ملك سنجار صارت على الجميع كالسور واستناب بها سعد الدين بن معين الدين انز وكان من اكابر الامراء واحسنهم صورة ومعنى

(ذكر عود صلاح الدين الى حران)

لما ملك صلاح الدين سنجار وقرر قواعدها سار الى نصيبين فلقيه اهلها شاكين من ابي الهيجاء السمين بما كين من ظلمه متاسفين على دولة عز الدين وعدله فيهم فلما سمع ذلك انكر على ابي الهيجاء ظلمه وعزله عنهم واخذه معه وسار الى حران وفرق عساكره ليستريحوا وبقي جريدة في خواصه وثقات اصحابه وكان وصوله اليها اوائل ذي القعدة من السنة

(ذكر اجتماع عز الدين وشاه ارمن)

في هذه السنة في ذي الحجة اجتمع اتابك عز الدين صاحب الموصل وشاه ارمن صاحب خلاط على قتال صلاح الدين وسبب ذلك ان رسل عز الدين ترددت الى شاه ارمن يستنجده ويستنصره على صلاح الدين فارسل شاه ارمن الى صلاح الدين عدة رسل

ومعايفهم من هذه الارزاق التي كانت تحت ايديهم بغير استحقاق الى ان سلط الله عليهم من استحوذ على جميع ذلك وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة وتشتتوا في النواحي وتغربوا عن اوطانهم وخربت دورهم ومضايفهم وذهبت سيادتهم وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد او تسمع لهم ركزا وفي بعض الارزاق من مات اربابه وخربت جهاته ونسي امره وبقي تحت يد من هو تحت يده من غير شئ اصلا وقد اخبرني بنحو ذلك شمس الدين ابن جودة من مشايخ برما بالمنوفية عند ما احضر الى مصر في وقت هذا النظام انه كان في حوزهم الف فدان لا علم لملتزم ولا غيره بها وذلك خلاف ما بايديهم من الرزق التي يزرعونها بالمال اليسير وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التي لم يبق لها اثر وكذلك الاسبلة وغيرها واطيانهم تحت ايديهم من غير شئ وخلاف فلاحتهم القاهرة بالمال القليل لمصارف الحج لانها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات امير الحاج وقد انتسخ ذلك كله (وفيه) اخبر المخبرون ان مراكب الموسم وصلت في هذا العام الى جدة وكان لها مدة سنين ممتنعة عن الوصول خوفا من جور الشريف وزواله وتملك الدولة البلاد وظنهم فيهم العدل فاطمأنوا وعبوا امتاعهم

في الشفاعة اليه بالكف عن الموصل وما يتعلق بعز الدين فلم يجبه الى ذلك وغالطه فارسل اليه اخيرا مملوكه سيف الدين بكتمر الذي ملك خلاط بعد شاه ارمن فاتاه وهو يحاصر سنجار يطلب اليه ان يتركها ويرحل عنها وقال له ان رحل عنها والا فتهدده بقصده ومحاربته فابلغه بكتمر الشفاعة فسوفه في الجواب رجاء ان يفتحها فلما راى بكتمر ذلك ابلغه الرسالة بالتهديد وفارقه غضبان ولم يقبل منه خلعة ولا صلة واخبر صاحبه الخبر وخوفه عاقبة الاهمال والتواني عن صلاح الدين فسار شاه ارمن من خلاط وكان مخيما بظاهرها وسار الى ماردين وصاحبها حينئذ قطب الدين بن نجم الدين البي وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عز الدين وحموه لان عز الدين كان قد زوج ابنته قطب الدين وحضر مع شاه ارمن دولتشاه صاحب بدليس وارزن وسار اتابك عز الدين من الموصل في عسكره جريدة من الاثقال وكان صلاح الدين قد ملك سنجار وسار عنها الى حران وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم سير الى تقي الدين ابن اخيه وهو بحماة يستدعيه فوصل اليه مسرعا واشار عليه بالرحيل وحذره منه آخرون وكان هوى صلاح الدين في الرحيل فرحل الى راس عين فلما سمعوا برحيله تفرقوا فعاد شاه ارمن الى خلاط واعتذر بانني اجمع العساكر واعود ورجع عز الدين الى الموصل واقام قطب الدين بماردين وسار صلاح الدين فنزل بحرزم تحت ماردين عدة ايام

(ذكر الظفر بالفرنج في بحر عيذاب)

في هذه السنة عمل البرنس صاحب الكرك اسطولا وفرغ منه بالكرك ولم يبق الا جمع قطعه بعضها الى بعض وحملها الى بحر ايلة وجمعها في اسرع وقت وفرغ منها وشحنها بالمقاتلة وسيرها فساروا في البحر وافترقوا فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه ويمنعون اهله من ورود الماء فنال اهله شدة شديدة وضيق عليهم واما الفرقة الثانية فانهم ساروا نحو عيذاب وافسدوا في السواحل ونهبوا واخذوا ما وجدوا من المراكب الاسلامية ومن فيها من التجار وبغتوا الناس في بلادهم على حين غفلة منهم فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فرنجيا قط لا تاجرا ولا محاربا وكان بمصر الملك العادل ابو بكر بن ايوب ينوب عن اخيه صلاح الدين فعمر اسطولا وسيره وفيه جمع كثير من المسلمين ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو متولي الاسطول بديار مصر وكان مظفرا فيه شجاعا كريما فسار لؤلؤ مجدا في طلبهم فابتدا بالذين على ايلة فانقض عليهم انقضاض العقاب على صيده فقاتلهم فقتل بعضهم واسر الباقي وسار من وقته بعد الظفر يقص اثر الذين قصدوا عيذاب فلم يرهم وكانوا قد اغاروا على ما وجدوه بها وقتلوا من لقوه عندها وساروا الى غير ذلك المرسى ليفعلوا كما فعلوا فيه وكانوا عازمين على الدخول الى الحجاز مكة والمدينة حرسهما الله تعالى واخذ الحاج ومنعهم عن البيت الحرام والدخول بعد ذلك الى اليمن فلما وصل لؤلؤ الى عيذاب ولم يرهم سار يقفو اثرهم فبلغ رابغ وساحل الحوراء وغيرهما فادركهم بساحل الحوراء فاوقع بهم هناك

وحضروا الى جدة فجمع الباشا فلوسهم فبلغت اربعة وعشرين لكا واللك الواحد مائة الف فرانسا فيكون اربعة وعشرين مائة الف فرانسا فقبضها منهم بضائع ونقودا وحسب البضائع بالبخس الاثمان ثم التفت الى التجار الذين اشتروا البضائع وقال لهم اني طلبت منكم مرارا ان تقرضوني المال فادعيتم الافلاس ولما حضر الموسم بادرتم باخذه واظهرتم اموالكم التي كنتم تبخلون بها فلا بد ان تقرضوني ثلثمائة الف فرانسه فصالحوه على مائتي الف دفعوها له نقودا وبضائع مشترواتهم حسبها لهم العشرة ستة ثم فرض على اهل المدينة ثلاثين الف فرانسه

(واستهل شهر رجب سنة ١٢٢٩)

في خامسه حضر بواعدة مدافع واخبروا بوصول بشارة وان عساكرهم داربوا قنفدة واستولوا عليها ولم يجدوا بها غير اهلها (وفي سادسه) سار حسين بك دالي باشا بعساكره الخيالة برا (وفيه) عزم على السفر والد محرم بك زوج ابنة الباشا الى بلاده وذلك بعد عوده من الحجاز فارسلوا الى الاعيان تنابيه بالامر لهم بهاداته ففعلوا وعبوا له بقجا وبناوارزا واقمشة هندية ومحلاويه كل امير على قدر مقامه (وفي ليلة الاثنين) ثامنه حصلت في وقت اذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين وكان المؤذنون طلعوا على المنارات وشرعوا في الاذان فلما اهتزت بهم

فلما راوا العطب وشاهدوا الهلاك خرجوا الى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب فنزل اثرهم من مراكبه اليهم وقاتلهم أشد قتال وأخذ خيلا من الاعراب الذين هناك فركبها وقاتلهم فرسانا ورجالة فظفر بهم وقتل اكثرهم وأخذ الباقين اسرى وارسل بعضهم الى منى لينحروا بها عقوبة لمن رام اخافة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم وعاد بالباقين الى مصر فقتلوا جميعهم

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى عز الدين فرخشاه ابن اخى صلاح الدين وكان ينوب عنه بدمشق وهو ثقته من اهله وكان اعتماده عليه اكثر من جميع اهله وامرائه وكان شجاعا كريما فاضلا عالما بالادب وغيره وله شعر جيد من بين اشعار الملوك وكان ابتداء مرضه انه خرج من دمشق الى غزو الفرنج فمرض وعاد مريضا فمات ووصل خبر موته الى صلاح الدين وقد عبر الفرات الى الديار الجزرية فاعاد شمس الدين محمد بن المقدم الى دمشق ليكون مقدما على عسكرها وفيها مات فخر الدولة ابو المظفر الحسن بن هبة الله بن المطلب كان ابوه وزير الخليفة وأخوه استاذ الدار فتصوف هو من زمن الصبا وبنى مدرسة ورباطا ببغداد عند عقد المصطنع وبنى جامعا بالجانب الغربى منها وفيها توفى الامير ابو منصور هاشم ولد المستضىء بامر الله ودفن عند أبيه وفيها توفى أبو العباس أحمد بن على بن الرفاعى من سواد واسط وكان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس وله من التلامذة مالا يحصى

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة)

(ذكر ملك صلاح الدين آمد وتسليمها الى صاحب الحصن)

قد ذكرنا نزول صلاح الدين بحوزم تحت ماردين فلم ير اطمعه وجهها وسار عنها الى آمد على طريق البارعية وكان نور الدين محمد بن قرا ارسلان يطالبه فى كل وقت بقصدها وأخذها وتسليمها اليه على ما استقرت القاعدة بينهما فوصل الى آمد سابع عشر ذى الحجة من سنة ثمان وسبعين ونازلها وأقام يحاصرها وكان المتولى لامرها والحاكم فيها بهاء الدين بن نيسان وكان صاحبها وليس له من الامر شىء مع ابن نيسان فلما نازلها صلاح الدين اساء ابن نيسان التدبير ولم يعط الناس من الذخائر شيئا ولا فرق فيهم دينارا واحدا ولا قوتا وقال لاهل البلد قاتلوا عن نفوسكم فقال له بعض اصحابه ليس العدو بكافر حتى يقاتلوا عن نفوسهم فلم يفعل شيئا وقاتلهم صلاح الدين ونصب المنجنيقات وزحف اليها وهى الغاية فى الحصانة والمنعة بها وبسورها يضرب المثل وابن نيسان على حاله من الشح بالمال وتصرفه تصرف من ولت سعادته وأدبرت دولته فلما رأى الناس ذلك منه تهاونوا بالقتال وجنحوا الى السلامة وكانت ايام ابن نيسان قد طالت وثقلت على اهل البلد لسوء سيرته وصنيعه وتضييقه عليهم فى مكاسبهم فالناس كارهون لها محبون لانقراضها وامر صلاح الدين ان يكتب على السهام الى اهل البلد يعدهم الخير

خائف كل من كان على منارة سقوطها فاسرعوا بالنزول فلما علموا انها زلزلة طلعوا واعادوا الاذان وسقط من شرافات الجامع الازهر شرافة وتحركت الارض ايضا فى خامس ساعة من الليل ولكن دون الاولى وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة (وفى حادى عشره) هرب الشريف عبد الله ابن الشريف سرور فى وقت القجرية ولم يشعروا بهروبه الا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بك الخبر فتكدر لذلك وارسل الى مشايخ الحارات وغيرهم وبث العربان فى الجهات فلما كان ليلة السبت حضروا به فى وقت الغروب وقد حجزوه بصلوان واتوا به الى بيت السيد محمد المحروقى فاخذه الى كتخدا بك فارسله الى بيت اخيه احمد اغا ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ومنعوه من الخروج والدخول بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيت احمد اغا ويذهب الى بيت عمه الشريف غالب ويعود وحده فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه ايضا (وفى يوم الخميس تاسع عشره) حضر المشايخ عند كتخدا بك وعاودوه فى الخطاب فيما احدثوه على الرزق وعرفوه انه يلزم من هذا الاحداث ابطال المساجد والشعائر فتنصل من ذلك وقال هذا شىء لا علاقة لى فيه وهذا شىء امر به افندينا ومحمود بك والمعلم غالى ثم كلموه ايضا فى صرف الجامكية المعروفة بالسائرة والدعاجوى للفقراء والعامة

والاحسان

والاحسان ان اطاعوه ويتهددهم ان قاتلوه فزادهم ذلك تقاعدا وتخاذلا واحبوا ملكه وتركوا القتال فوصل النقابون الى السور فنقبوه وعلقوه فلما رأى الجند واهل البلد ذلك طمعوا في ابن نيسان واشتطوا في المطالب فحين ضاقت الحال لذلك اخرج ابن نيسان نساءه الى القاضي الفاضل وزير صلاح الدين يساله أن يأخذ له الامان ولاهله وماله وان يؤخره ثلاثة ايام حتى ينقل ماله بالبلد من الاموال والذخائر فسعى له الفاضل في ذلك فاجابه صلاح الدين اليه فسلم البلد في العشر الاول من المحرم هذه السنة وأخرج خيمه الى ظاهر البلد ورام نقل ماله فتعذر ذلك عليه لزوال حكمه عن أصحابه واطراحهم أمره ونهيه فارسل الى صلاح الدين يعرفه الحال ويساله مساعدته على ذلك فامده بالدواب والرجال فنقل البعض وسرق البعض وانقضت الايام الثلاث قبل الفراغ فمنع من الباقي وكانت ابراج المدينة مملوءة من أنواع الذخائر فتركها بحالها ولو أخرج البعض منها لحفظ البلد وسائر نعمه وأمواله لكن اذا أراد الله أمرا هيأ اسبابه فلما تسلمها صلاح الدين سلمها الى صاحب الحصن نور الدين فقيل له قبل تسليمها ان هذه المدينة فيها من الذخائر ما يزيد على ألف ألف دينار فلو اخذت ذلك واعطيته جندك وسلمت البلد اليه فارغا لكان راضيا فانه لا يطمع في غيره فامتنع من ذلك وقال ما كنت لاعطيه الاصل وأبخل بالفرع فلما تسلم نور الدين البلد اصطنع دعوة عظيمة ودعا اليها صلاح الدين وامراءه ولم يكن دخل البلد وقدم له ولاصحابه من التحف والهدايا اشياء كثيرة

(ذكر ملك صلاح الدين تل خالد وعينتاب من اعمال الشام)

لما فرغ صلاح الدين من أمر آمد سار الى الشام وقصد تل خالد وهو من اعمال حلب فحصرها ورماها بالمنجنيق فنزل أهلها وطلبوا الامان فأمنهم وتسلمها في المحرم ايضا ثم سار منها الى عينتاب فحصرها وبها ناصر الدين محمد وهو اخو الشيخ اسمعيل الذي كان خازن نور الدين محمود بن زنكي وصاحبه وكان قد سلمها اليه نور الدين فبقيت معه الى الآن فلما نازله صلاح الدين ارسل اليه يطلب ان يقر الحصن بيده و ينزل الى خدمته و يكون تحت حكمه وطاعته فاجابه صلاح الدين الى ذلك وحلف له عليه فنزل اليه وصار في خدمته وكان ايضا في المحرم من هذه السنة

(ذكر وقعتين مع الفرنج في البحر والشام)

في هذه السنة في العاشر من المحرم سار اسطول المسلمين من مصر في البحر فلقوا بطسة فيها نحو ثلثمائة من الفرنج بالسلاح التام ومعهم الاموال والسلاح الى فرنج الساحل فقاتلوهم وصبر الفريقان وكان الظفر للمسلمين واخذوا الفرنج أسرى فقتلوا بعضهم وابقوا بعضهم أسرى وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين وفيها ايضا سارت عصابة كبيرة من الفرنج من نواحي الداروم الى نواحي مصر ليغيروا وينهبوا فسمع بهم المسلمون فخرجوا اليهم على طريق صدر وايلة فانتزح الفرنج من بين أيديهم فنزلوا على ماء يقال

فوعدهم بمصر فيها وقت ما يتحصل المال فان الخزينة فارغة من المال (وفي يوم السبت) حضر محمود بك والمعلم غالي من سرحتهما فذهب اليهما المشايخ في ثاني يوم ثم خاطبوهما بالكلام في شان الرزق فاجابهم المعلم غالي بقوله يا اسيادنا هذا امر مفروغ منه بامر افندينا من عام اول من قبل سفره فلا تتعبوا خاطركم و واجب عليكم مساعدته خصوصا في خلاص كعبتكم ونبيكم من ايدي الخوارج فلم يردوا عليه جوابا وانصرفوا (وفي يوم الاحد تاسع عشرينه) حصل كسوف شمس وكان ابتداؤه بعد الشروق ومقداره قريبا من ثلثي الجرم وتم انجلاؤه في ثاني ساعة من النهار وكانت الشمس ببرج السرطان اربعا وعشرين درجة في حادي عشر ابيب القبطي (وفيه) وصلت القافلة من ناحية السويس واخبر الواصلون عن واقعة ينبع وما حصل بها بعد دخول العسكر اليها وذلك انهم لما ركبوا عليها برا وبحرا وكبيرهم محمود بك وزعيم اوغلي وشريف اغا فوجدوها خالية فطلعوا اليها وملكوها من غير مانع ولا مدافع وليس بها غير أهلها وهم اناس ضعاف فقتلوهم وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى مصر ليرسلوها الى اسلامبول وعندما علم العرب بمجيء الاتراك خلوا منها ويقال لهم عرب العسير وترافعوا عنها وكبيرهم يسمى

ذلك ركبوا عليهم وحاربوهم فانهزموا وقتل الكثير منهم ونجا محمد بك بنفسه فى نحو سبعة انفار وكذلك زعيم اوغلى وشريف اغا فنزلوا فى سفينة وهربوا فغضب الباشا وقد كان أرسل لهم نجدة من الشفاسية الخيالة فحاربهم العرب ورجعوا منهزمين من ناحية البر وتواتر هذا الخبر

لها الحيلة وسبقوا المسلمين اليه فأتاهم المسلمون وهم عطاش قد أشرفوا على الهلاك فرأوا الفرنج قد ملكوا الماء فأتاهم الله سبحانه وتعالى بلطفه سحابة عظيمة فمطروا منها حتى رووا وكان الزمان قيظا والحر شديد فى برمهلك فلما رأوا ذلك قويت نفوسهم ووثقوا بنصر الله لهم وقاتلوا الفرنج فنصرهم الله عليهم فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد الفريد وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ودواب وعادوا منصورين قاهرين بفضل الله

(ذكر ملك صلاح الدين حلب)

فى هذه السنة سار صلاح الدين من عينتاب الى حلب فنزل عليها فى الهرم أيضا فى الميدان الاخضر واقام به عدة ايام ثم انتقل الى جبل جوشن فنزل باعلاه واظهر انه يريد ان يبنى مساكن له ولاصحابه وعساكره واقام عليها اياما والقتال بين العسكرين كل يوم وكان صاحب حلب عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ومعه العسكر النورى وهم يجدون فى القتال فلما رأى كثرة الخرج كانه شح بالمال فحضر يوما عنده بعض اجناده وطلبوا منه شيئا فاعتذر بقلة المال عنده فقال له بعضهم من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الاموال ولو باع حلى نسائه فمال حينئذ الى تسليم حلب واخذ العوض منها وارسل مع الامير طمان الياورقى وكان يميل الى صلاح الدين انه يسلم حلب ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج وجرت اليمين على ذلك وباعها باوكس الاثمان أعطى حصنا مثل حلب واخذ عوضها قرى ومزارع فنزل عنها ثامن عشر صفر وتسلمها صلاح الدين فعجب الناس كلهم من ذلك وقبحوا ما أتى حتى ان بعض عامة حلب احضر اجانة وماء وناداه أنت لا يصلح لك الملك وانما يصلح لك ان تغسل الثياب واسمعوه المكروه واستقر ملك صلاح الدين بملكها وكان متزلزلا فثبت قدمه بتسلمها وكان على شفا جرف هار واذا أراد الله أمرا فلا مرد له وسار عماد الدين الى البلاد التى اعطيها فتسلمها واخذ صلاح الدين حلب واستقر الحال بينهما ان عماد الدين يحضر فى خدمة صلاح الدين بنفسه وعسكره اذا استدعاه لا يحتج بحجة ومن الاتفاقات العجيبة ان محيى الدين بن الزكى قاضى دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

(واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة ١٢٢٩) فى ثانيه حضر عيش أغا من الديار الحجازية وعلى يده فرمانات خطابا لدبوس اوغلى وآخرين يستدعيهم الى الحضور بعساكرهم وكان دبوس اوغلى فى بلده البراس فتوجه اليه لطلب وكذلك شرع كتخدا بك فى استكتاب عساكر اتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك (وفى رابعه) سافر طائفة من العسكر وأرسل كتخدا بك يمنع الحجاج الواردين من بلاد الروم وغيرهم من النزول الى السفائن الكائنة بساحل السويس والقصير وبان يخلوها لاجل نزول العساكر المسافرين وبتاخير الحجاج وذلك انه لما وصلت البشائر الى الديار الرومية بفتح الحرمين وخلاص مكة وجدة والطائف والمدينة ووصول

فوافق فتح القدس فى رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة على ماقد ذكره ان شاء الله تعالى ومما كتبه القاضى الفاضل فى المعنى عن صلاح الدين فاعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صرف على الحقيقة أعطيناه الدراهم ونزلنا عن القرى وأحرزنا العواصم وكتب ايضا أعطيناه ما لم يخرج من اليد يعنى انه متى شاء أخذه لعدم حصانته وكان فى جملة من قتل على حلب تاج الملوك بورى أخو صلاح الدين الاصغر وكان فارسا شجاعا كريما حليما جامعا لخصال الخير ومحاسن الاخلاق طعن فى ركبته فانفكت فمات منها بعد ان استقر الصلح بين عماد الدين وصلاح الدين على تسليم حلب قبل ان يدخلها صلاح الدين فلما استقر منه الصلح حضر صلاح الدين عند اخيه يعوده وقال له

ابن مضيان والمضايفى وغيرهم الى دار السلطنة وهروب الوهابيين الى بلادهم فعملوا ولائم وافراحا وتهانى هذه

ان هذه حلب قد اخذناها وهي لك فقال ذلك لو كان وانا حي والله لقد اخذتها غالية حيث تفقد مثل فبكى صلاح الدين وابكى ولما خرج عماد الدين الى صلاح الدين وقد عمل له دعوة احتفل فيها فبينما هم في سرور اذ جاء انسان فاسر الى صلاح الدين بموت اخيه فلم يظهر هلعا ولا جزعا وامر بتجهيزه سرا ولم يعلم عماد الدين ومن معه في الدعوة واحتمل الحزن وحده لئلا يتنكد ما هم فيه وكان هذا من الصبر الجميل

(ذكر فتح صلاح الدين حارم)

لما ملك صلاح الدين حلب كان بقلعة حارم وهي من اعمال حلب بعض المماليك النورية واسمه سرخك وولاه عليها الملك الصالح عماد الدين فامتنع من تسليمها الى صلاح الدين فراسله صلاح الدين في التسليم وقال له اطلب من الاقطاع ما اردت ووعده الاحسان فاشتط في الطلب وترددت الرسل بينهم فراسل الفرنج ليحتمي بهم فسمع من معه من الاجناد انه يراسل الفرنج فخافوا ان يسلمها اليهم فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الامان والانعام فاجابهم الى ما طلبوا وسلموا اليه الحصن فرتب به دزدارا بعض خواصه واما باقي قلاع حلب فان صلاح الدين اقر عينتاب بيد صاحبها كما تقدم واقطع تل خالد لامير يقال له داروم الياروقي وهو صاحب تل باشر واما قلعة اعزاز فان عماد الدين اسمعيل كان قد خربها فاقطعها صلاح الدين لامير يقال له سليمان بن جندر فعمرها واقام صلاح الدين بحلب الى ان فرغ من تقرير قواعدها واحوالها وديوانها واقطع اعمالها وارسل منها فجمع العساكر من جميع بلاده

(ذكر القبض على مجاهد الدين وما حصل من الضرر بذلك)

في هذه السنة في جمادى الاولى قبض عز الدين مسعود صاحب الموصل على نائبه مجاهد الدين قايماز وكان اليه الحكم في جميع البلاد واتبع في ذلك هوى من اراد المصلحة لنفسه ولم ينظر في مضرة صاحبه وكان الذي اشار بذلك عز الدين محمود زلفندار وشرف الدين احمد بن ابي الخير الذي كان ابوه صاحب الغراف وهما من اكابر الامراء فلما اراد القبض عليه لم يقدم على ذلك لقوة مجاهد الدين فاظهر انه مريض وانقطع عن الركوب عدة ايام فدخل اليه مجاهد الدين وحده وكان خصيا لا يمتنع من الدخول على النساء فلما دخل عليه قبض عليه وركب لوقته الى القلعة فاحتوى على الاموال التي لمجاهد الدين وخزائنه وولى زلفندار قلعة الموصل بعد مجاهد الدين وجعل ابن صاحب الغراف امير حاجب وحكمهما في دولته وكان تحت حكم مجاهد الدين حينئذ اربل واعمالها ومعه فيها زين الدين يوسف بن زين الدين علي وهو صبي صغير ليس له من الحكم شيء والحكم والعسكر الى مجاهد الدين وتحت حكمه ايضا جزيرة ابن عمر وهي لمعز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود وهو ايضا صبي والحكم والنواب والعسكر لمجاهد الدين وبيده ايضا شهرزور واعمالها ونوابه فيها ودقوقا ونائبه فيها وقلعة عقر الحميدية

وكتبت مراسيم سلطانية الى بلاد الرومنلي والانضول بالبشائر بالفتح والاذن والترخيص والاطلاق لمن يريد الحج الى الحرمين بالامن والامان والرفاهية والراحة فتحركت همم مريدي الحج لان لهم سنين وهم ممنوعون ومتخوفون من ورود الحج فعند ذلك اقبلوا افواجا بحريمهم واولادهم ومتاعهم حتى ان كثيرا من المتصوفين منهم باع داره وتعلقاته وعزم على الحج والمجاورة بالحرمين باهله وعياله ولم يبلغهم استمرار الحروب وما بالحرمين من الغلاء والقحط الاعندوصولهم الى ثغر اسكندرية ولم يتحققوا الامر فوقعوا في حيرة ما بين مصدق ومكذب فمنهم من قصد السفر ولم يرجع عن عزمه وسلم الامر لله ومنهم من تاخر بمصر الى ان ينكشف له الحال وقرروا على كل شخص من المسافرين في مراكب السويس عشرين فرانسه وذلك خلاف اجرة متاعه وما يتزوده في سفره فانهم يزنونه بالميزان وعلى كل اقة قدر معلوم من الدراهم واما من يسافر في بحر النيل على جهة القصير في مراكب الباشا فيؤخذ على راس كل شخص من مصر القديمة الى ساحل قنا ثلاثون قرشا ثم عليه اجرة حمله من قنا الى القصير ثم اجرة بحر القلزم ان وجد سفينة حاضرة والا تاخر اما بالقصير او السويس حتى يتيسر له النزول ويقاسي

ونائبه فيها ولم يبق لعز الدين مسعود بعد ان أخذ صلاح الدين البلاد الجزرية سوى الموصل وقلعتها بيد مجاهد الدين وهو على الحقيقة الملك واسمه لعز الدين فلما قبض عليه امتنع صاحب اربل من طاعة عز الدين واستبد وكذلك أيضا صاحب جزيرة ابن عمر وارسل الخليفة الى دقوقا فحصرها وأخذها ولم يحصل لعز الدين مسعود غير شهرزور والعقر وصارت اربل والجزيرة أضر شئ على صاحب الموصل وارسل صاحبها الى صلاح الدين بالطاعة له والكون في خدمته وكان الخليفة الناصر لدين الله قد أرسل صدر الدين شيخ الشيوخ ومعه بشير الخادم الخاص الى صلاح الدين في الصلح مع عز الدين صاحب الموصل وسير عز الدين معه القاضي محيي الدين أبا حامد بن الشهرزوري في المعنى فاجاب صلاح الدين الى ذلك وقال ليس لكم مع الجزيرة واربل حديث فامتنع محيي الدين من ذلك وقال هما لنا فلم يجب صلاح الدين الى الصلح الا بان تكون اربل والجزيرة معه فلم يتم أمره وقوي طمع صلاح الدين في الموصل بقبض مجاهد الدين فلما رأى صاحب الموصل الضرر بقبض مجاهد الدين قبض على شرف الدين أحمد بن صاحب العراق وزلفندار لعقوبة لهما ثم أخرج مجاهد الدين على ما نذكره ان شاء الله

(ذكر غزو بيسان)

لما فرغ صلاح الدين من أمر حلب جعل فيها ولده الملك الظاهر غازي وهو صبي وجعل معه الامير سيف الدين يازكج وكان أكبر الامراء الاسدية وسار الى دمشق وتجهز للغزو ومعه عساكر الشام والجزيرة وديار بكر وسار الى بلد الفرنج فعبر نهر الاردن تاسع جمادى الآخرة من السنة فرأى أهل تلك النواحي قد فارقوها خوفا فقصد بيسان فاحرقها وخربها وأغار على ما هناك فاجتمع الفرنج وجاؤا الى قباله فحين رأوا كثرة عساكره لم يقدموا عليه فاقام عليهم وقد استندوا الى جبل هناك وخندقوا عليهم فاحاط بهم وعساكر الاسلام ترميهم بالسهام وتناوشهم القتال فلم يخرجوا وأقاموا كذلك خمسة أيام وعاد المسلمون عنهم سابع عشر الشهر لعل الفرنج يطمعون ويخرجون فيستدرجونهم ليبلغوا منهم غرضا فلما رأى الفرنج ذلك لم يطمعوا أنفسهم في غير السلامة وأغار المسلمون على تلك الاعمال يمينا وشمالا ووصلوا فيها الى ما لم يكونوا يطمعون في الوصول اليه والاقدام عليه فلما كثرت الغنائم معهم رأوا العود الى بلادهم بما غنموا مع الظفر أولى فعادوا الى بلادهم على عزم الغزو

(ذكر غزو الكرك وملك العادل حلب)

لما عاد صلاح الدين والمسلمون من غزوة بيسان تجهزوا لغزو الكرك فسار اليه في العساكر وكتب الى أخيه العادل أبي بكر بن أيوب وهو نائبه بمصر يأمره بالخروج بجميع العساكر الى الكرك وكان العادل قد أرسل الى صلاح الدين يطلب منه مدينة حلب وقلعتها فاجابه الى ذلك وأمره ان يخرج معه باهله وماله فوصل صلاح

الدين

ما يقاسيه في مدة انتظاره وخصوصا في الماء وغلو ثمنه ورداءته ولا يسافر شخص ويتحرك من مصر الا باذن كعوائدهم ويعطيه مرسوما بالاذن وبلغني ان الذين خرجوا من اسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف خلاف من وصل من بلاد الرومللي والاناضول وغيرهما وحضر الكثير من اعيانهم مثل امام السلطان وغيره فنزل البعض بمنزل عثمان اغا وكيل دار السعادة سابقا والبعض بمنزل السيد محمد المحروقي وبيت شيخ السادات ومنهم من استأجر دورا في الخانات والوكائل (وفيه) حضر قاصد من باب الدولة وعلى يده مرسوم مضمونه الامر باسترجاع ما اخذ من الشريف غالب من المال والذخائر اليه وكان الباشا ارسل الى الدولة بسبحة لؤلؤ عظام من موجودات الشريف فحضر بها ذلك القبجي وردهما الى الشريف غالب ثم سافر ذلك القبجي بالاوامر الى الباشا بالحجاز (وفي سابعه) وصلت هجانة باستعجال العساكر وتوالى حضور الهجانة بخصوص الاستعجال (وفي يوم السبت تاسع عشره) أنزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وكان قد وصل الى مصر أغا معين بقصد سفر المذكور الى سلانيك فنزل صحبته الى بولاق وصالحوه عما أخذه منه من المال وغيره بخمسمائة كيس فارادوا دفعها له قروشا فامتنع قائلا

الدين الى الكرك في رجب ووافاه أخوه العادل في العسكر المصري وكثر جمعه وعظم حصره وصعد معه المسلمون الى ربضه وملكوه وحصر الحصن من الربض وتحكم عليه في القتال ونصب عليه سبع منجنيقات لا تزال ترمي بالحجارة ليلا ونهارا وكان صلاح الدين يظن ان الفرنج لا يمكنونه من حصر الكرك وانهم يبذلون جهدهم في رده عنه فلم يستصحب معه من آلات الحصار ما يكفي لمثل ذلك الحصن العظيم والمعقل المنيع فرحل عنه منتصف شعبان وسير تقي الدين ابن أخيه الى مصر نائبا عنه ليتولى ما كان أخوه العادل يتولاه واستصحب أخاه العادل معه الى دمشق وأعطاه مدينة حلب وقلعتها وأعمالها ومدينة منبج وما يتعلق بها وسيره اليها في شهر رمضان من السنة واحضر ولده الظاهر منها الى دمشق

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة فتح الرباط الذي بنته ام الخليفة بالمامونية وفيها في ذي الحجة توفي مكرم ابن بختيار أبو الخير الزاهد ببغداد وروى الحديث وكان كثير البكاء وفي جمادى الآخرة توفي محمد بن بختيار بن عبد الله ابو عبد الله المولد الشاعر ويعرف بالابله فمن جملة شعره

اراق دمعي لا بل اراق دمي * ظلما بظلم من ريقه الشبم
ذو قامة كالقضيب ناضرة * وناظر من سقامه سقمي
حصلت من وعده على اصدق الوعد ومن وصله على التهم

(ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة)

(ذكر اطلاق مجاهد الدين من الحبس وانهزام العجم)

في هذه السنة في المحرم اطلق اتابك عز الدين صاحب الموصل مجاهد الدين قايماز من الحبس بشفاعة شمس الدين البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل وسيره الى البهلوان واخيه قزل يستنجدهما على صلاح الدين فسار الى قزل اولا وهو صاحب اذربيجان فلم يمكنه من المضي الى البهلوان وقال مهما تختاره انا افعله وجهز معه عسكرا كثيرا نحو ثلاثة آلاف فارس وساروا نحو اربل ليحصروها فلما قاربوها افسدوا في البلاد ونهبوها واسروا واخذوا النساء قهرا ولم يقدر مجاهد الدين على منعهم فسار اليهم زين الدين يوسف صاحب اربل في عسكره فلقيهم وهم متفرقون في القرى ينهبون ويحرقون فانتهز الفرصة فيهم بتفرقهم والتقى بنفسه وعسكره على اول من لقيه منهم فهزمهم وتمت الهزيمة على الجميع وغنم الاربليون اموالهم ودوابهم وسلاحهم وعاد العجم الى بلادهم منهزمين وعاد صاحب اربل الى بلده مظفرا غانما وعاد مجاهد الدين الى الموصل فكان يحكي انني ما زلت انتظر العقوبة من الله تعالى على سوء افعال العجم فانني رأيت منهم ما لا كنت اظنه يفعله مسلم بمسلم وكنت انهاهم ولا يسمعون حتى كان من الهزيمة ما كان

(ذكر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب)

انهم اخذوا اما في ذهب اشخاصا او فرانسه فكيف اخذ بدل ذلك نحاس الانفع بها في غير مصرفا عطوه مائتى كيس ذهبا وفرانسه وتحول بالباقي وكيله مكي الخولاني ثم زودوه وأعطوه سكرا وبنا وارزا وشربات وغير ذلك ونزل مسافرا الى المراكب صحبة المعين الى الحجاز من ناحية القصير وبرز ابن باشت طرابلس وصحبته عساكر ايضا الى ناحية العادلية وآخر يقال له دنجه بك ومعهم نحو الالف خيال من العرب والمغاربة على طريق البر الى الحجاز (وفي يوم الخميس) رابع عشرينه الموافق لسادس شهر مسرى القبطي أوفى النيل المبارك اذرعه فداروا بالرايات ونودي بالوفاء وكسروا السد في صبح يوم الجمعة بحضرة كتخدا بك والقاضي والجم الغفير من العساكر (وفي اواخره) وصلت الاخبار بان الباشا توجه الى الطائف وابقى حسن باشا بمكة

(واستهل شهر رمضان بيوم الاربعاء سنة ١٢٢٩)

في رابعه حضر موسى أغا تفنكجي باشا من الديار الحجازية وكان فيمن باشر حرابة قنفدة ومن جملة من انهزم بها وهلكت جميع عساكره وخدمه ورجع الى مصر وصحبته أربعة انفار من الخدم (وفي عاشره) خرجت العساكر الهجردة لسفر الحجاز الى بركة الحج وهم مغاربة وعربان وارتحلوا يوم الاحد ثاني عشره (وفي يوم الاربعاء خامس عشره) برز دبوس أوغلي

في هذه السنة سار ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الى بلاد الاندلس وجاز البحر اليها في جمع عظيم من عساكر المغرب فانه جمع وحشد الفارس والراجل فلما عبر الخليج قصد غربي البلاد فحصر مدينة شنترين وهي للفرنج شهرا فاصابه بها مرض فمات منه في ربيع الاول وحمل في تابوت الى مدينة اشبيلية من الاندلس وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة وشهرا ومات من غير وصية بالملك لاحد من اولاده فاتفق رأى قواد الموحدين واولاد عبد المؤمن على تمليك ولده ابي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فملكوه من الوقت الذي مات فيه ابوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدو فقام في ذلك احسن قيام واقام راية الجهاد واحسن السيرة في الناس وكان دينا مقيما للحدود في الخاص والعام فاستقامت له الدولة وانقادت اليه باسرها مع سعة اقطارها ورتب ثغور الاندلس وشحنها بالرجال ورتب المقاتلة في سائر بلادها واصلح احوالها وعاد الى مراكش وكان ابوه يوسف حسن السيرة وكان طريقه الين من طريق ابيه مع الناس يحب العلماء ويقربهم ويشاورهم وهم اهل خدمته وخاصته واحبه الناس ومالوا اليه واطاعه من البلاد ما امتنع على ابيه وسلك في جباية الاموال ما كان ابوه ياخذه ولم يتعده الى غيره واستقامت له البلاد بحسن فعله مع اهلها ولم يزل كذلك الى ان توفي رحمه الله تعالى

❁(ذكر غزو صلاح الدين الكرك)❁

في هذه السنة في ربيع الآخر سار صلاح الدين من دمشق يريد الغزو وجمع عساكره فاتته من كل ناحية وممن اتاه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وكتب الى مصر ليحضر عسكرها عنده على الكرك فنازل الكرك وحصره وضيق على من به وامر بنصب المنجنيقات على ربضه واشتد القتال فملك المسلمون الربض وبقي الحصن وهو والربض على سطح جبل واحد الا ان بينهما خندقا عظيما عمقه نحو ستين ذراعا فامر صلاح الدين بالقاء الاحجار والتراب فيه ليطمه فلم يقدر احد على الدنو منه لكثرة الرمي عليهم بالسهام من الجرخ والقوس والاحجار من المنجنيقات فامر ان يبنى بالاخشاب واللبن ما يمكن الرجال يمشون تحت السقائف ويلقون في الخندق ما يطمه ومنجنيقات المسلمين مع ذلك ترمي الحصن ليلا ونهارا وارسل من فيه من الفرنج الى ملوكهم وفرسانهم يستمدونهم ويعرفونهم عجزهم وضعفهم عن حفظ الحصن فاجتمعت الفرنج عن آخرها وساروا الى نجدتهم عجلين فلما بلغ الخبر بمسيرهم الى صلاح الدين رحل عن الكرك الى طريقهم ليلقاهم ويصافهم ويعود بعد ان يهزمهم الى الكرك فقرب منهم وخيم ونزل ولم يمكنه الدنو منهم لخشونة الارض وصعوبة المسلك اليهم وضيقه فاقام اياما ينتظر خروجهم من ذلك المكان ليتمكن منهم فلم يبرحوا منه خوفا على نفوسهم فلما راى ذلك رحل عنهم عدة فراسخ وجعل بازائهم من يعلمه بمسيرهم فساروا ليلا الى الكرك فلما علم صلاح الدين ذلك علم انه لا يتمكن حينئذ

بعساكره الى الحجاز وكذلك حسن أغا سرششمه ونصبوا اخبيتهم واستمروا يخرجون خارج باب الفتوح للمسافر من المدينة ويدخلون غدوا وعشيا وهم يأكلون ويشربون جهارا في نهار رمضان ويقولون نحن مسافرون ومجاهدون يمرون بالاسواق ويجلسون على المساطب وبايديهم الاقصاب والشبكات التي يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولاحياء ويجوزون بحارات الحسينية على القهاوي في الضحوة فيجدونها مغلوقة فيسالون عن القهوجي ويطلبونه ليفتح لهم القهوة ويوقد لهم النار ويغلي لهم القهوة ويسقيهم فربما هرب القهوجي واختفى منهم فيكسرون الباب ويعبثون بآلاته واوانيه فما يسعه الا المجيء وايقاد النار واشنع من ذلك انه اجتمع بناحية عرضيهم وخيامهم الجم الكثير من النساء الخواطي والبغايا ونصبوا لهن خياما واختصاصا وانضم اليهن بياع البوظة والعرقي والحشاشون والغوازي والرقاصون وامثال ذلك واتحشر معهم الكثير من الفساق واهل الاهواء والعياق من اولاد البلد

فكانوا اجمعا عظيما يأكلون الحشيش ويشربون المسكرات ويزنون ويلوطون ويشربون الجوزة ويلعبون القمار جهارا في نهار رمضان ولياليه مختلطين مع العساكر كانما سقط عن الجميع التكاليف وخلصوا

ولا يبلغ غرضه فسار الى مدينة نابلس ونهب كل ما على طريقه من البلاد فلما وصل الى نابلس احرقها وخربها وقتل فيها واسر وسبى فاكثر وسار عنها الى سبسطية وبها مشهد زكريا عليه السلام وبها كنيسة وبها جماعة اسرى من المسلمين فاستنقذهم ورحل الى جينين فنهبها وخربها وعاد الى دمشق ونهب ما على طريقه وخربه وبث السرايا فى طريقه يمينا وشمالا يغنمون ويخربون ووصل الى دمشق

(ذكر ملك الملثمين بجاية وعودها الى اولاد عبد المؤمن)

فى هذه السنة فى شعبان خرج على بن اسحق المعروف بابن غانية وهو من اعيان الملثمين الذين كانوا ملوك المغرب وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة الى بجاية فملكها وسبب ذلك انه لما سمع بوفاة يوسف بن عبد المؤمن عمر اسطوله فكان عشرين قطعة وسار فى جموعه فارسى فى ساحل بجاية وخرجت خيله ورجاله من الشوانى فكانوا نحو مائتى فارس من الملثمين واربعة آلاف راجل فدخل مدينة بجاية بغير قتال لانه اتفق ان واليها سار عنها قبل ذلك بايام الى مراكش ولم يترك فيها جيشا ولا عدة انما العدو يحفظها منه لغلبة الملثم ولم يكن فى حسابهم انه يحدث نفسه بذلك فارسى بها ووافقه جماعة من بقايا دولة بنى حماد وصاروا معه فكثر جمعهم وقويت نفسه فسمع خبره والى بجاية فعاد من طريقه ومعه من الموحدين ثلثمائة فارس فجمع من العرب والقبائل الذين فى تلك الجهات نحو الف فارس فسمع بهم وبقربهم منه فخرج اليهم وقد صار معه قدر الف فارس وتواقفوا ساعة فانضاف جميع الجموع التى كانت مع والى بجاية الى الملثم فانهزم حينئذ والى بجاية ومن معه من الموحدين وساروا الى مراكش وعاد الملثم الى بجاية فجمع جيشه وخرج الى اعمال بجاية فاطاعه جميعها الا قسطنطينية الهوى فحصرها الى ان جاء جيش من الموحدين من مراكش فى صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة الى بجاية فى البر والبحر وكان بها يحيى وعبد الله اخوا على ابن اسحق الملثم فخرجا منها هاربين ولحقا باخيهما فرحل عن القسنطينية وسار الى افريقية وكان سبب ارسال الجيش من مراكش ان والى بجاية وصل الى يعقوب ابن يوسف صاحب المغرب وعرفه ما جرى ببجاية واستيلاء الملثمين عليها وخوفه عاقبة التوانى فجهز العساكر فى البر عشرين الف فارس وجهز الاسطول فى البحر فى خلق كثير واستعادوها

(ذكر وفاة صاحب ماردين وملك ولده)

فى هذه السنة مات قطب الدين ايلغازى بن نجم الدين البى بن تمرتاش بن ايلغازى ابن ارتق صاحب ماردين وملك بعده ابنه حسام الدين بولق ارسلان وهو طفل وقام بتربيته وتدبير مملكته نظام الدين البقش مملوك ابيه وكان شاه ارمن صاحب خلاط خال قطب الدين فحكم فى دولته وهو رتب البقش مع ولده وكان البقش دينا خيرا عادلا حسن السيرة سليما فاحسن تربية الولد وتزوج امه فلما كبر الولد لم يمكنه النظام

من الحساب وسمعت من شاهد تفتيشه محمود بك المهردار الذى هو اعظم اعيانهم وهو المتولى على قيد امر الاراضى مع المعلم غالى وهو جالس فى دواوينهم المخصوص بالقرب من سويقة اللالا وهو يشرب فى النارجيلة التنباك ويأتونه بالغداء جهارا ويقول انا مسافر الشرقية اعمل نظام الاراضى (وفى) غايته وصلت هجانة باستعجال العساكر (واستهل شهر شوال بيوم الخميس سنة ١٢٢٩) فى ليلته قلدوا عبد الله كاشف الدرندلى اميرا على ركب الحاج (وفى يوم السبت ثالثه) خرج دبوس اوغلى فى موكب الى مخيمه وكذلك حسن اغا سرششمه ليسافر الى الحجاز (وفى يوم السبت حادى عشره) نزلوا بالكسوة الكعبة بالطبول والزمور الى المشهد الحسينى واجتمع الناس على عادتهم للفرجة (وفيه) انتقل محمود بك والمعلم غالى الى بيت حسن اغا النجاتى وعملوا دواوينهم فيه واتلفوا الجنينة التى به وجلسوا تحت اشجارها وربط الاقباط حميرهم فيها وشرع محمود بك فى عمارة الجهة القبلية منه وانزوت صاحبة المنزل فى ناحية منه (وفى سابع عشره) ارتحل دبوس اوغلى وحسن اغا سرششمه ومن معهم من العساكر من منازلهم متوجهين الى الديار الحجازية (وفى يوم الخميس ثانى عشرينه) رسم كتخدا بك بنفى طائفة من الفقهاء من ناحية طندتا الى ابى قير بسبب فتيا افتوها

من مماليكه تخبط وهوج كان فيه وكان لنظام الدين هذا مملوك اسمه لؤلؤ قد تحكم في دولته وحكم فيها فكان يحمل النظام على ما يفعله مع الولد ولم يزل الامر كذلك الى ان مات الولد وله اخ اصغر منه لقبه قطب الدين فرتبه النظام في الملك وليس له منه الا الاسم والحكم الى النظام ولؤلؤ فبقي كذلك الى سنة احدى وستمائة فمرض النظام البقش فأتاه قطب الدين يعوده فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ فضربه قطب الدين بسكين معه فقتله ثم دخل الى النظام وبيده السكين فقتله أيضا وخرج وحده ومعه غلام له والقى الرأسين الى الاجناد وكانوا كلهم قد انشأهم النظام ولؤلؤ فاذعنوا له بالطاعة فلما تمكن أخرج من أراد وترك من أراد واستولى على قلعة ماردين واعمالها وقلعة البارعية وصور وهو الى الآن حاكم فيها حازم في افعاله

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة توفي صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ اسمعيل بن شيخ الشيوخ ابي سعيد أحمد في شعبان وكان قد سار في ديوان الخلافة رسولا الى صلاح الدين ومعه شهاب الدين بشير الخادم في معنى الصلح بينه وبين عز الدين صاحب الموصل فوصل دمشق وصلاح الدين يحصر الكرك فاقام الى ان عاد فلم يستقر في الصلح امر ومرضا وطلبا العودة الى العراق فاشار عليهما صلاح الدين بالمقام الى ان يصطلحا فلم يفعلا وسارا في الحر فمات بشير بالسخنة ومات صدر الدين بالرحبة ودفن بمشهد البوق وكان واحد زمانه قد جمع بين رياسة الدين والدنيا وكان ملجأ لكل خائف صالحا كريما حليما وله مناقب كثيرة ولم يستعمل في مرضه هذا دواء توكلا على الله تعالى وفيها توفي عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف الخجندي الفقيه الشافعي رئيس اصفهان وكان موته بباب همذان وقد عاد من الحج وله شعر حسنه

بالحمى دار سقاها مدمعي * ياسقى الله الحمى من مربع
ليت شعري والاماني صلة * هل الى وادي الغضى من مرجع
أذنت علوة للواشي بنا * ما على علوة لولم تسمع
أوتحرت رشدا فيما وشى * أوعفت عني كما في مسمعي

رحمه الله ورضي عنه وأرضاه

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين وخمسمائة)

(ذكر حصر صلاح الدين الموصل ورحيله عنها لوفاة شاه أرمن)

في هذه السنة حصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الموصل مرة ثانية وكان مسيره من دمشق في ذي القعدة من السنة الماضية فوصل الى حلب وأقام بها الى ان خرجت السنة وسار منها فعبر الى ارض الجزيرة فلما وصل حران قبض على مظفر الدين كوكبري ابن زين الدين الذي كان سبب ملكه الديار الجزرية وسبب قبضه عليه ان مظفر الدين كان يراسل صلاح الدين كل وقت ويشير عليه بقصد الموصل ويحسن له ذلك

في حادثة ببلدهم وقضى بها قاضيهم وانهيت الدعوى الى ديوان مصر فطلبوا الى اعادة الدعوى بحضروا وترافعوا الى قاضي العسكر واثبتوا عليهم الخطا فرسم بنفي الشاكي والمفتيين والقاضي رابعهم (وفي يوم السبت رابع عشرينه) عملوا ركبا لخروج المحمل واستعد الناس للفرجة على عادتهم فكان عبارة عن نحو مائة جمل تحمل روايا الماء والقرب بعدة من طائفة الدلاة على رؤسهم طراطير سود ذلاق وأمير الحاج على شكلهم وخلفه ارباب الاشاير ببيارقهم وشراميطهم وطبولهم وزمورهم وجوقاتهم وخلفهم المحمل فكان مدة مرورهم مع تقطيعهم وعدم نظامهم نحو ساعتين فاين ما كان يعمل من المراكب بمصر التي يضرب بحسنها وترتيبها ونظامها المثل في الدنيا فسبحان مغير الشؤن والاحوال (وفيه) خرجت زوجة الباشا الكبيرة وهي أم اولاده تريد الحج الخارج باب النصر في ثلاثة تختوت والمسفر بها بونابارته الخازندار وقد حضر لوداعها ولدها ابراهيم باشا من الصعيد وخرج لتشييعها هو واخوه اسمعيل باشا وصحبتهما محرم بك زوج ابنتها حاكم الجيزة ومصطفى بك دالي باشا ويقال انه أخوها وكذلك محمد بك الدفتردار زوج ابنتها أيضا وطاهر باشا وصالح بك السلحدار وارتحلت

ويقوى

ومن معه [illegible] سادس عشرينه الى بندر السويس وفي ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة وغيرهم ممن تعسكروا وارتحل امير الحج من الحصوة الى البركة (وفي يوم الثلاثاء) خرجت عساكر كثيرة مجردين للسفر (وفي يوم الخميس تاسع عشرينه) ارتحل امير الحج ومن معه من البركة في تاسع ساعة من النهار وفي ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة واشتد هبوبها اواخر النهار واطبقت السماء بالغيوم والقتام وابرق البرق برقا متتابعا وارعدت رعدا له دوي متصل ولما قرب من سمت رؤسنا كان له صوت عظيم مزعج ثم نزل مطر غزير استمر نحو نصف ساعة ثم سكن بعدان تبحرت منه الازقة والطرق وكان ذلك اليوم رابع شهر بابه القبطي (وفيه) ورد الخبر من السويس ان امراة الباشا لما وصلت الى هناك وجدت عالما كبيرا من الحجاج المختلفة الاجناس ممنوعين من نزول المراكب فصرخوا في وجهها وشكوا اليها تخلفهم وان امير البندر مانعهم من النزول في المراكب وبذلك المنع يفوتهم الحج الذي تجشموا الاسفار وصرفوا ايضا الاموال من اجله وهم في مشقة عظيمة من عدم الماء ولا يمكنهم الرجوع لعدم من يحملهم وان امير البندر يشتط عليهم في الاجرة وياخذ على كل راس خمسة عشر فرانسا فحلفت انها لا تنزل الى المركب حتى ينزل جميع من بالسويس

ويقوي طمعه حتى انه بذل له اذا سار اليها خمسين ألف دينار فلما وصل صلاح الدين الى حران لم يف له بما بذل من المال وانكر ذلك فقبض عليه ووكل به ثم اطلقه واعاد اليه مدينتي حران والرها وكان قد أخذهما منه وانما أطلقه لانه خاف انحراف الناس عنه بالبلاد الجزرية لانهم كلهم علموا انما اعتمد مظفر الدين معه من تمليك البلاد فاطلقه وسار صلاح الدين عن حران في ربيع الاول فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ومعز الدين سنجرشاه صاحب الجزيرة وهو ابن اخي عز الدين صاحب الموصل وكان قد فارق طاعة عمه بعد قبض مجاهد الدين وسار صلاح الدين الى الموصل فلما وصلوا الى مدينة بلد سير اتابك عز الدين والدته الى صلاح الدين ومعها ابنة عمه نور الدين محمود بن زنكي وغيرهما من النساء وجماعة من اعيان الدولة يطلبون منه المصالحة ويبذلون له الموافقة والانجاد بالعساكر ليعود عنهم وانما أرسلهن لانه وكل من عنده ظنوا انهن اذا طلبن منه الشام اجابهن الى ذلك لا سيما ومعهم ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين فلما وصلن اليه انزلهن واحضر اصحابه واستشارهم فيما يفعله ويقوله فاشار اكثرهم باجابتهن الى ما طلبن منه وقال له الفقيه عيسى وعلي بن أحمد المشطوب وهما من بلد الهكارية من اعمال الموصل مثل الموصل لا يترك لامرأة فان عز الدين ما ارسلهن الا وقد عجز عن حفظ البلد ووافق ذلك هواه فاعادهن خائبات واعتذر باعذار غير مقبولة ولم يكن ارسالهن عن ضعف وهن انما ارسلهن طلبا لدفع الشر بالتي هي أحسن فلما عدن رحل صلاح الدين الى الموصل وهو كالمتيقن انه يملك البلد وكان الامر بخلاف ذلك فلما قارب البلد نزل على فرسخين منه وامتد عسكره في تلك الصحراء بنواحي الحلة المراقية وكان يجري بين العسكرين مناوشات بظاهر الباب العمادي وكنت اذ ذاك بالموصل وبذل العامة نفوسهم غيظا وحنقا لرده النساء فرأى صلاح الدين ما لم يكن يحسبه فندم على رده النساء ندامة الكسعي حيث فاته الذكر وملك البلد وعاد على الذين أشاروا بردهن باللوم والتوبيخ وجاءته كتب القاضي الفاضل وغيره ممن ليس له هوى في الموصل يقبحون فعله وينكرونه واتاه وهو على الموصل زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل فانزله ومعه اخوه مظفر الدين كوكبري وغيرهما من الامراء بالجانب الشرقي من الموصل وسير من المنزلة علي بن أحمد المشطوب الهكاري الى قلعة الجزيرة من بلد الهكارية فحصرها واجتمع عليه من الاكراد الهكارية كثير وبقي هناك الى ان رحل صلاح الدين عن الموصل وكان عامة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقي من العسكر ويعودون ولما كان صلاح الدين يحاصر الموصل بلغ اتابك عز الدين صاحبها ان نائبه بالقلعة يكاتبه فمنعه من الصعود الى القلعة وعاد يقتدي براي مجاهد الدين وكان قد اخرجه كما ذكرناه ويصدر عن رايه وضبط الامور واصلح ما كان فسد من الاحوال حتى آل الامر الى الصلح على ما نذكره ان شاء الله وحضر عند صلاح الدين انسان بغدادي اقام بالموصل ثم خرج الى صلاح الدين فاشار عليه بقطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى

وقال ان دجلة اذا انقلبت عن الموصل عطش اهلها فملكناها بغير قتال فظن صلاح الدين ان قوله صدق فعزم على ذلك حتى علم انه لا يمكن قطعه بالكلية فان المدة تطول والتعب يكثر ولا فائدة وراءه وقبحه عنده اصحابه فاعرض عنه واقام بمكانه من اول ربيع الآخر الى ان قارب آخره ثم رحل عنها الى ميافارقين وكان سبب ذلك ان شاه ارمن صاحب خلاط توفى بها تاسع ربيع الآخر فوصل الخبر بوفاته فى العشرين منه فعزم على الرحيل اليها وتملكها حيث ان شاه ارمن لم يخلف ولدا ولا احدا من اهل بيته يملك بلاده بعده وانما قد استولى عليها مملوك له اسمه بكتمر ولقبه سيف الدين فاستشار صلاح الدين امراءه ووزراءه فاختلفوا فاما من هواه بالموصل فيشير بالمقام وملازمة الحصار لها واما من يكره اذى البيت الاتابكي فانه اشار بالرحيل وقال ان ولاية خلاط اكبر واعظم وهى سائبة لا حافظ لها وهذه لها سلطان يحفظها ويذب عنها واذا ملكنا تلك سهل امر هذه وغيرها فتردد فى امره فاتفق انه جاءه كتب جماعة من اعيان خلاط من اهلها وامرائها يستدعونه ليسلموا اليه البلد فسار عن الموصل وكانت مكاتبة من كاتبه خديعة ومكرا فان شمس الدين البهلوان بن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان وتلك المملكة قد قصدهم ليأخذ بلادهم وكان قبل ذلك قد زوج شاه ارمن على كبر سنه بنتا له ليجعل ذلك طريقا الى ملك خلاط واعمالها فلما بلغهم مسيره اليهم كاتبوا صلاح الدين يستدعونه اليهم ليسلموا البلد اليه ليدفعوا به البهلوان ويدفعوه بالبهلوان وتبقى البلد بايديهم فسار صلاح الدين وسير فى مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما فساروا الى خلاط ونزلوا بطوانة بالقرب من خلاط وسار صلاح الدين الى ميافارقين واما البهلوان فانه سار الى خلاط ونزل قريبا منها وترددت رسل اهل خلاط بينهم وبينه وبين صلاح الدين ثم انهم اصلحوا امرهم مع البهلوان وصاروا من حزبه وخطبوا له

(ذكر وفاة نور الدين صاحب الحصن)

فى هذه السنة توفى نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود صاحب الحصن وآمد لما كان صلاح الدين على الموصل وخلف ابنين فملك الاكبر منهما واسمه سقمان ولقبه قطب الدين وتولى تدبير الامور وزيره القوام بن سماقا الاسعردى وكان عماد الدين بن قرا ارسلان قد سير دانه ونور الدين فى عساكره الى صلاح الدين وهو يحاصر الموصل وهو معه فلما بلغه خبر وفاة اخيه سار ليملك البلاد بعده لصغر اولاده فتعذر عليه ذلك فسار الى خرتبرت فملكها وهى بيد اولاده الى سنة عشرين وستمائة ولما حضر صلاح الدين ميافارقين حضر عنده ولد نور الدين فاقره على ملك ابيه ومن جملته آمد وكانوا خافوا ان يأخذها منهم فلم يفعل وردهم الى بلادهم وشرط عليهم ان يراجعوه فيما يفعلونه ويصدرون عن امره ونهيه ورتب معه اميرا لقبه صلاح الدين من اصحاب ابيه

(ذكر ملك صلاح الدين ميافارقين)

من الحجاج المراكب ولا يؤخذ منهم الا القدر الذى جعلته على كل فرد منهم فكان ما حكمت به هذه الكريمة صار له اية منقبة حميدة وذكرا حسنا وفرجا لهؤلاء الخلائق بعد الشدة

(واستهل شهر ذى القعدة بيوم السبت سنة ١٢٢٩)

وفى يوم الاثنين نادى المنادى بوقود قناديل سهارى على البيوت والوكائل وكل اربع دكاكين قنديل (وفى ثامنه) جرسوا شخصا واركبوه على حمار بالمقلوب وهو قابض بيده على ذنب الحمار وعممه بمصارين ذبيحة وعلى كتفه كرش بعدان حلقوا نصف لحيته وشواربه قيل ان سبب ذلك انه زور حجة تقرير على اماكن تتعلق بامرأة اجنبية وباع بعض الاماكن وكانت تلك المرأة غائبة من مصر فلما حضرت وجدت مكانها مسكونا بالذى اشتراه فرفعت قصتها الى كتخدا بك ففعل به ذلك بعد وضوح القضية (وفى ثانى عشره) سافر عبد الله ابن الشريف سرور الى الحجاز باستدعاء من الباشا فاعطاه اكياسا وقضى اشغاله وخرج مسافرا (وفيه) وقعت حادثة بحارة الكعكيين بين شخصين من الدلاتية ومعهما خلاف غلام بدوى جعل نفسه عسكريا مع طائفة المغاربة يدعى احدهما ان له عنده دراهم فهرب منهما الى الخطة المذكورة فرجعا خلفه وبيد كل منهما سيفه مسلولا فدخل الغلام الى عطفة الحمام وفزعت عليهما المغاربة لما

لما سار صلاح الدين الى خلاط جعل طريقه على ميافارقين مطمعا بملكها حيث كان صاحبها قطب الدين صاحب ماردين قد توفى كما ذكرناه وملك بعده ابنه وهو طفل وكان حكمها الى شاه أرمن وعسكره فيها فلما سار توفى طمع في اخذها فلما نازلها رآها مشحونة بالرجال وبها زوجة قطب الدين المتوفى ومعها بنات لها منه وهي أخت نور الدين محمد صاحب الحصن فاقام صلاح الدين عليها يحصرها من أول جمادي الاولى وكان المقدم على اجنادها أمير اسمه برنقش ولقبه أسد الدين وكان شجاعا شهما يحفظ البلد فاحسن اليه واشتد القتال عليه ونصب المنجنيقات والعرادات فلم يصل صلاح الدين الى ما يريد منها فلما رأى ذلك عدل من القوة والحرب الى اعمال الحيلة فراسل امرأة قطب الدين المقيمة بالبلد يقول لها ان أسد الدين برنقش قد مال الينا في تسليم البلد ونحن نرعى حق أخيك نور الدين فيك بعد وفاته ونريد أن يكون للشيء في هذا الامر نصيب وأنا أزوج بناتك باولادي وتكون ميافارقين وغيرها لك وبحكمك ووضع من أرسل الى الاسد يعرفه ان الخاتون قد مالت للمقاربة والانقياد الى السلطان وأن من بخلاط قد كاتبوه ليسلموا اليه فخذ لنفسك واتفق ان رسولا وصله من خلاط يبذلون له الطاعة وقالوا له من الاستدعاء اليهم ما كانوا يقولونه فامر صلاح الدين الرسول فدخل الى ميافارقين وقال للاسد أنت عمن تقاتل وأنا قد جئت في تسليم خلاط الى صلاح الدين فسقط في يده وضعفت قوته وأرسل يقترح اقطاعا ومالا فاجيب الى ذلك وسلم البلد سلخ جمادى الاولى وعقد النكاح لبعض أولاده على بعض بنات خاتون وأقر بيدها قلعة هتاخ لتكون فيها هي وبناتها

(ذكر عود صلاح الدين الى بلد الموصل والصلح بينه وبين أتابك عز الدين)

لما فرغ صلاح الدين من امر ميافارقين واحكم قواعدها وقرر اقطاعاتها وولاياتها اجمع على العود الى الموصل فسار نحوها وجعل طريقه على نصيبين فوصل الى كفرزمار والزمان شتاء فنزلها في عساكره وعزم على المقام بها واقطاع جميع بلاد الموصل وأخذ غلاتها ودخلها واضعاف الموصل بذلك اذا علم انه لا يمكنه التغلب عليها وكان نزوله في شعبان وأقام بها شعبان ورمضان وترددت الرسل بينه وبين عز الدين صاحب الموصل وصار مجاهد الدين يراسل ويتقرب وكان قوله مقبولا عند سائر الملوك لما علموا من صحته فبينما الرسل تتردد في الصلح اذ مرض صلاح الدين وسار من كفرزمار عائدا الى حران فلحقته الرسل بالاجابة الى ما طلب فتقرر الصلح وحلف على ذلك وكانت القاعدة ان يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب من أعمال وان يخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكة فلما حلف أرسل رسله فحلف عز الدين له وتسلم البلاد التي استقرت القاعدة على تسليمها ووصل صلاح الدين الى حران فاقام بها مريضا وأمنت الدنيا وسكنت الدهماء وانحسمت مادة الفتن وكان ذلك بتوصل مجاهد الدين قايماز رحمه الله وأما صلاح الدين فانه طال مرضه بحران وكان عنده من أهله اخوه الملك العادل وله حينئذ حلب وولده الملك العزيز عثمان

رفيقه الى كتخدا بك فاخبره فامر باحضار كبراء المغاربة وطالبهم بالضارب فلم يتعين امره وقبضوا على الغلام الضارب فحبسوه وفي ذلك الوقت حصل في الناس فزعة واغلقوا اهل سوق الغورية والشوائين والفحامين حوانيتهم وبقي ذلك الغلام محبوسا ومات الدلاتي المضروب في ليلة السبت خامس عشره فاحضروا ذلك الغلام الى باب زويلة وقطعوا رأسه ظلما ولم يكن هو الضارب (وفي عشرينه) سافر ابن باشت طرابلس وسافر معه عسكر المغاربة الخيالة

(واستهل شهر ذي الحجة الحرام ختام سنة ١٢٢٩) في اوله ورد نجاب من الحجاز واخبر بموت طاهر افندي وهو افندي ديوان الباشا وكان موته في شهر شوّال بالمدينة حتف أنفه وورد الخبر أيضا بصلح الشريف راجح مع الباشا وانه قابله واكرمه وانعم عليه بمائتي كيس واخبر أيضا بانه تركه الباشا بناحية الكلاخة وهي ما بين الطائف وتربة وانقضت السنة بحوادثها

(واما من مات في هذه السنة) فمات العمدة الفاضل الفقيه النبيه الشيخ حسين المعروف

واشتد مرضه حتى ايسوا من عافيته فخاف الناس لاولاده وجعل لكل منهم شيئا من البلاد معلوما وجعل أخاه العادل وصيا على الجميع ثم انه عوفي وعاد الى دمشق في المحرم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ولما كان مريضا بحران كان عنده ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه وله من الاقطاع حمص والرحبة فسار من عنده الى حمص فاجتاز بحلب واحضر جماعة من الدمشقيين وواعدهم على تسليم البلد اليه اذا مات صلاح الدين واقام بحمص ينتظر موته ليسير الى دمشق فيملكها فعوفي وبلغه الخبر على جهته فلم يمض غير قليل حتى مات ابن شيركوه ليلة عيد الاضحى فانه شرب الخمر واكثر منه فاصبح ميتا فذكروا والعهدة عليهم ان صلاح الدين وضع انسانا يقال له الناصح بن العميد وهو من دمشق فحضر عنده ونادمه وسقاه سما فلما اصبحوا من الغد لم يروا الناصح فسألوا عنه فقيل انه سار من ليلته الى صلاح الدين فكان هذا مما قوى الظن فلما توفي اعطى اقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة وخلف ناصر الدين من الاموال والخيل والآلات شيئا كثيرا فحضر صلاح الدين في حمص واستعرض تركته واخذ اكثرها ولم يترك الا ما لا خير فيه وبلغني ان شيركوه بن ناصر الدين حضر عند صلاح الدين بعد موت ابيه بسنة فقال له الى اين بلغت من القرآن فقال الى قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا فعجب صلاح الدين والحاضرون من ذكائه

(ذكر الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل)

في هذه السنة ابتدأت الفتنة بين التركمان والاكراد بديار الجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور واذربيجان وقتل فيها من الخلق ما لا يحصى ودامت عدة سنين وتقطعت الطرق ونهبت الاموال واريقت الدماء وكان سببها ان امرأة من التركمان تزوجت بانسان تركماني واجتازوا في طريقهم بقلعة من الزوزان الاكراد فجاء اهلها وطلبوا من التركمان وليمة العرس فامتنعوا من ذلك وجرى بينهم كلام صاروا منه الى القتال فنزل صاحب تلك القلعة فاخذ الزوج فقتله فهاجت الفتنة وقام التركمان على ساق وقتلوا جمعا كثيرا من الاكراد وثار الاكراد فقتلوا من التركمان ايضا كذلك وتفاقم الشر ودام ثم ان مجاهد الدين قايماز رحمه الله جمع عنده جمعا من رؤساء الاكراد والتركمان واصلح بينهم واعطاهم الخلع والثياب وغيرها واخرج عليهم مالا جما فانقطعت الفتنة وكفى الله شرها وعادوا الى ما كانوا عليه من الطمانينة والامان

(ذكر ملك الملثمين والعرب أفريقية وعودها الى الموحدين)

قد ذكرنا سنة ثمانين ملك علي بن اسحق الملثم بجاية وارسال يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن العساكر واستعادتها فسار الى افريقية فلما وصل اليها اجتمع سليم ورياح ومن هناك من العرب وانضاف اليهم الترك الذين كانوا قد دخلوا من مصر مع شرف الدين قراقوش وقد تقدم ذكر وصوله اليها ودخل أيضا من أتراك مصر مملوك لتقي

وحضر اشياخ العصر ولازم حضور الشيخ عبدالله الشرقاوي وانتقل من مذهب الحنفية الى الشافعية لملازمته لهم في المعقول والمنقول وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات وحفظ القرآن في مبدا أمره برشيد وجوده على السيد صديق وحفظ شيئا من المتون قبل مجيئه الى مصر وأكب على الاشتغال بالازهر وتزيا بزي الفقهاء بلبس العمامة والفرجية وتصدر ودرس في الفقه والمعقول وغيرهما ولما وصل محمد باشا الى ولاية مصر اجتمع عليه عند قلعة أبي قير فجعله اماما يصلي خلفه الاوقات وحضر معه الى مصر ولم يزل مواظبا على وظيفته وانتفع بنسبته اليه واقتنى حصصا واقطاعات وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر ويأخذ ممن يتولاها الجعالات والهدايا واخذ ايضا نظر وقف ازبك وغيره ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو واستمر المذكور على القراءة والاقراء حتى توفي اواخر السنه (ومات) الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل وهو اخو الشيخ سليمان الجمل تفقه على اخيه ولازم دروسه وحضر غيره من اشياخ العصر ومشى على طريقة اخيه في التقشف والانجماع عن خلطة الناس ولما مات اخوه وكان يملي الدروس بجامع المشهد الحسيني بين المغرب والعشاء على جمع من مجاوري الازهر والعامة تصدر للاقراء في محله في ذلك الوقت

الدين

فقرأ الشمائل والمواهب والجلالين ولم يزل على حالته حتى توفى ثانى عشر ذى الحجة ٢٣٠ (ومات) الشيخ المفيد محمد الاسناوى الشهير بجاد المولى ممن جاور بالازهر وحضر دروس اشياخ الوقت من اهل عصره ولازم الشيخ عبدالله الشرقاوى فى دروسه وبه تخرج وواظب عليه فى مجالس الذكر وتلقى عنه طريقة الخلوتية والبسه التاج وتقدم فى خطابة الجمعة والاعياد بالجامع الازهر بدلا عن الشيخ عبد الرحمن البكرى عندما رفعوها عنه وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل فى سنة ثلاث وعشرين وتأخر فى الزيادة عن اوانه ولما حضر محمد باشا خسرو الى مصر وصلى صلاة الجمعة بالازهر فى سنة سبع عشرة خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور فكان يخرجها من الخزنة ويلبسها وقت خطبة الجمعة والاعياد وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين كالشيخ خالد والازهرية ثم قرأ شرح الاشمونى على الخلاصة واشتهر ذكره ونما امره فى اقل زمن وكان فصيحا مفوها فى التقرير والالقاء لتفهيم الطلبة ولم يزل على حالة حميدة فى حسن السلوك والطريقة حتى توفى فى شهر الحجة وقد ناهز الاربعين

(سنة ثلاثين ومائتين والف)

(استهل المحرم بيوم الثلاثاء)

(فى خامسه) وصل نجاب من الحجاز وعلى يده مكاتبات بالاخبار عن الباشا والحجاج بانهم حجوا ووقفوا بعرفة وقضوا

الدين ابن أخى صلاح الدين اسمه بوزابة فكثر جمعهم وقويت شوكتهم فلما اجتمعوا بلغت عدتهم مبلغا كثيرا وكلهم كاره لدولة الموحدين واتبعوا جميعهم على بن اسحق الملثم لانه من بيت المملكة والرياسة القديمة وانقادوا اليه ولقبوه بامير المسلمين وقصدوا بلاد افريقية فملكوها جميعها شرقا وغربا الا المدينتين تونس والمهدية فان الموحدين اقاموا بها وحفظوها على خوف وضيق وشدة وانضاف الى الملثم كل مفسد فى تلك الارض ومن يريد الفتنة والنهب والفساد والشر فخربوا البلاد والحصون والقرى وهتكوا الحرم وقطعوا الاشجار وكان الوالى على افريقية حينئذ عبد الواحد بن عبدالله الهنتاتى وهو بمدينة تونس فارسل الى ملك المغرب يعقوب وهو بمراكش يعلمه الحال وقصد الملثم جزيرة باشرا وهى بقرب تونس تشتمل على قرى كثيرة فنازلها واحاط بها فطلب اهلها منه الامان فامنهم فلما دخلها العسكر نهبوا جميع ما فيها من الاموال والدواب والغلات وسلبوا الناس حتى ثيابهم وامتدت الايدى الى النساء والصبيان وتركوهم هلكى فقصدوا مدينة تونس فاما الاقوياء فكانوا يخدمون ويعملون ما يقوم بقوتهم واما الضعفاء فكانوا يستعطون ويسألون الناس ودخل عليهم فصل الشتاء فاهلكهم البرد ووقع فيهم الوباء فاحصى الموتى منهم فكانوا اثنى عشر الفا هذا من موضع واحد فما الظن بالباقى ولما استولى الملثم على افريقية قطع خطبة اولاد عبد المؤمن وخطب للامام الناصر لدين الله الخليفة العباسى وارسل اليه يطلب الخلع والاعلام السود وقصد فى سنة اثنتين وثمانين مدينة قفصة فحصرها فاخرج اهلها الموحدين من عساكر ولد عبد المؤمن وسلموها الى الملثم فرتب فيها جندا من الملثمين والاتراك وحصنها بالرجال مع حصانتها فى البناء واما يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فانه لما وصله الخبر اختار من عساكره عشرين الف فارس من الموحدين وقصد قلة العسكر لقلة القوت فى البلاد ولما جرى فيها من التخريب والاذى وسار فى صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فوصل الى مدينة تونس وارسل ستة آلاف فارس مع ابن اخيه فساروا الى على بن اسحق الملثم ليقاتلوه وكان بقفصة فوافوه وكان مع الموحدين جماعة من الترك فخامروا عليهم فانهزم الموحدون وقتل جماعة من مقدميهم وكان ذلك فى ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين فلما بلغ يعقوب الخبر اقام بمدينة تونس الى نصف رجب من السنة ثم خرج فيمن معه من العساكر يطلب الملثم والاتراك فوصل اليهم فالتقوا بالقرب من مدينة قابس واقتتلوا فانهزم الملثم ومن معه فاكثر الموحدون القتل حتى كادوا يفنونهم فلم ينج منهم الا القليل فقصدوا البر ورجع يعقوب من يومه الى قابس ففتحها واخذ منها اهل قراقوش واولاده وحملهم الى مراكش وتوجه الى مدينة قفصة فحصرها ثلاثة اشهر وقطع اشجارها وخرب ما حولها فارسل اليه الترك الذين فيها يطلبون الامان لانفسهم ولاهل البلد فاجابهم الى ذلك وخرج الاتراك منها سالمين وسير الاتراك الى الثغور لما رأى من شجاعتهم ونكايتهم فى العدو وتسلم يعقوب البلد وقتل من فيه من الملثمين وهدم اسواره وترك المدينة مثل قرية وظهر ما انذر به

المهدي بن تومرت فانه قال انها تخرب اسوارها وتقطع اشجارها وقد تقدم ذكر ذلك فلما فرغ يعقوب من أمر قفصة واستقامت افريقية عاد الى مراكش وكان وصوله اليها سنة أربع وثمانين وخمسمائة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة فارق الرضي ابو الخير اسمعيل القزويني الفقيه الشافعي بغداد وكان مدرس النظامية بها وعاد الى قزوين ودرس فيها بعده الشيخ أبو طالب المبارك صاحب ابن الخل وكان من العلماء الصالحين وفيها كان بين أهل الكرخ ببغداد وبين أهل باب البصرة فتنة عظيمة جرح فيها كثير منهم وقتل ثم أصلح النقيب الطاهر بينهم وفيها توفي الفقيه مهذب الدين عبد الله بن اسعد الموصلي وكان عالما بمذهب الشافعي وله نظم ونثر اجاد فيه وكان من محاسن الدنيا وكانت وفاته بحمص

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة)

(ذكر نقل العادل من حلب والملك العزيز الى مصر واخراج الافضل من مصر الى دمشق واقطاعه اياها)

في هذه السنة اخرج صلاح الدين ولده الافضل عليا من مصر الى دمشق واقطعها له واخذ حلب من أخيه العادل وسيره مع ولده العزيز عثمان الى مصر وجعله اتابكا له واستدعى تقي الدين منها وسبب ذلك انه كان قد استناب تقي الدين بمصر كما ذكرناه وجعل معه ولده الاكبر الافضل عليا فارسل تقي الدين يشكو من الافضل ويذكر انه قد عجز عن جباية الخراج معه لانه كان حليما كريما اذا اراد تقي الدين معاقبة أحد منعه فاحضر ولده الافضل وقال لتقي الدين لا تحتج في الخراج وغيره بحجة وتغير عليه بذلك وظن انه يريد اخراج ولده الافضل لينفرد بمصر حتى يملكها اذا مات صلاح الدين فلما قوي هذا الخاطر عنده احضر اخاه العادل من حلب وسيره الى مصر ومعه ولده العزيز عثمان واستدعى تقي الدين الى الشام فامتنع من الحضور وجمع الاجناد والعساكر ليسير الى المغرب الى مملوكه قراقوش وكان قد استولى على جبال نفوسة وبرقة وغيرها وقد كتب اليه يرغبه في تلك البلاد فتجهز للسفر اليه واستصحب معه أجناد العسكر واكثر منهم فلما سمع ذلك صلاح الدين ساءه وعلم انه ان أرسل اليه يمنعه لم يجبه فارسل اليه يقول له اريد ان تحضر عندي لاودعك وأوصيك بما تفعله فلما حضر عنده منعه وزاد في اقطاعه فصار اقطاعه حماة ومنبج والمعرة وكفرطاب وميافارقين وجبل جور بجميع اعمالها وكان تقي الدين قد سير في مقدمته مملوكه بوزابة فاتصل بقراقوش وكان منهم ما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد بلغني من خبير باحوال صلاح الدين انه انما حمله على أخذ حلب من العادل واعادة تقي الدين الى الشام ان صلاح الدين لما مرض بحران على ما ذكرناه أرجف بمصر انه قد مات فجرى من تقي الدين حركات من يريد ان يستبد بالملك فلما عوفي صلاح الدين بلغه ذلك فارسل الفقيه عيسى الهكاري

في ليلته قابجي وعلى يده تقرير للباشا من الحجاز الى ساحل القصير فضربوا لذلك مدافع من القلعة (وفي صبحها) خرج ابن الباشا وأخوه وكذلك اكابر دولتهم الى ناحية البساتين ومنهم من عدى النيل الى البر الغربي للاقاته على مقتضى عادته في عجلته في الحضور وعلى حساب مدى الايام من يوم وصوله الى القصير فغابوا في انتظاره حتى انقضى النهار ثم رجعوا (وفي صبح اليوم الثاني) خرجوا ثم عادوا الى دورهم آخر النهار واستمروا على الخروج والرجوع ثلاثة ايام ولم يحضر وكثر لغط الناس عند ذلك واختلفت رواياتهم واقاويلهم مدة ايام ليلا ونهارا ثم ظهر كذب هذا الخبر وان الباشا لم يزل بارض الحجاز وقيل ان سبب اشاعة خبر مجيئه انه وصل الى ساحل القصير سفينة بها سبعة عشر شخصا من العسكر فسألهم الوكيل الكائن بالقصير عن مجيئهم فاجابوه انهم مقدمة الباشا وانه واصل في أثرهم فعندما سمع جوابهم أرسل خطابا الى كاتب من الاقباط بقنا يعرفه بقدوم الباشا فكتب ذلك القبطي خطابا الى وكيل شخص من اعيان كتبة الاقباط باسيوط يدعى المعلم بشارة فعندما وصله الجواب أرسل جوابا الى موكله بشارة المذكور بمصر بذلك الخبر وفي الحال طلع به الى القلعة واعطاه لابراهيم باشا وكان

وكان كبير القدر عنده مطاعا في الجند الى مصر وامروا باخراج تقي الدين والمقام بمصر فسار مجدا فلم يشعر تقي الدين الا وقد دخل الفقيه عيسى الى داره بالقاهرة وارسل اليه يامره بالخروج منها فطلب ان يمهل الى ان يتجهز فلم يفعل وقال تقيم خارج المدينة وتتجهز فخرج واظهر انه يريد الدخول الى الغرب فقال له اذهب حيث شئت فلما سمع صلاح الدين الخبر ارسل اليه يطلبه فسار الى الشام فاحسن اليه ولم يظهر له شيئا مما كان لانه كان حليما كريما صبورا رحمه الله واما اخذ حلب من العادل فان السبب فيه انه كان من جملة جندها امير كبير اسمه سليمان بن جندر بينه وبين صلاح الدين صحبة قديمة قبل الملك وكان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلا ذا مكر ودهاء فاتفق ان الملك العادل لما كان بحلب لم يفعل معه ما كان يظنه وقدم غيره عليه فتاثر بذلك فلما مرض صلاح الدين وعوفي سار الى الشام فسايره يوما سليمان بن جندر فجرى حديث مرضه فقال له سليمان باي راي كنت تظن انك تمضي الى الصيد فلا يخالفونك بالله ما تستحي ان يكون الطائر اهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا اراد الطائر ان يعمل عشا لفراخه قصد اعالي الشجر ليحمي فراخه وانت سلمت الحصون الى اهلك وجعلت اولادك على الارض هذه حلب بيد اخيك وحماة بيد تقي الدين وحمص بيد ابن شيركوه وابنك العزيز مع تقي الدين بمصر يخرجه اي وقت اراد وهذا ابنك الآخر مع اخيك في خيمة يفعل به ما اراد فقال له صدقت واكتم هذا الامر ثم اخذ حلب من اخيه واخرج تقي الدين من مصر ثم اعطى اخاه العادل حران والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ومصر لتبقى لاولاده فلم ينفعه ما فعل لما اراد الله تعالى نقل الملك عن اولاده على ما نذكره

(ذكر وفاة البهلوان وملك اخيه قزل)

في هذه السنة في اولها توفي البهلوان محمد بن ايلدكز صاحب بلد الجبل والري واصفهان واذربيجان وارانية وغيرها من البلاد وكان عادلا حسن السيرة عاقلا حليما ذا سياسة حسنة للملك وكانت تلك البلاد في ايامه آمنة والرعايا مطمئنة فلما مات جرى باصفهان بين الشافعية والحنفية من الحروب والقتل والاحراق والنهب ما يجل عن الوصف وكان قاضي البلد راس الحنفية وابن الخجندي راس الشافعية وكان بمدينة الري ايضا فتنة عظيمة بين السنية والشيعة وتفرق اهلها وقتل منهم وخربت المدينة وغيرها من البلاد ولما مات البهلوان ملك اخوه قزل ارسلان واسمه عثمان وكان السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه مع البهلوان والخطبة له في البلاد بالسلطنة وليس له من الامر شيء وانما البلاد والامراء والاموال بحكم البهلوان فلما مات البهلوان خرج طغرل عن حكم قزل ولحق به جماعة من الامراء والجند فاستولى على بعض البلاد وجرت بينه وبين قزل حروب نذكرها ان شاء الله تعالى

(ذكر اختلاف الفرنج بالشام وانحياز القمص صاحب طرابلس الى صلاح الدين)

فانتقل به ابراهيم باشا الى مجلس كتخدا بك فخلع كتخدا بك على بشارة خلعة وامر بضرب المدافع وبرزت المبشرون وانتشروا بالبشائر الى بيوت الاعيان واخذوا البقاشيش ولما حصل التراخي والتباطؤ والتأخر في الحضور بعد الاشاعة اخذ الناس في اختلاف الروايات والاقاويل كعادتهم فمنهم من يقول انه حضر مهزوما ومنهم من يقول مجروحا ومنهم من يثبت موته والشيء الذي اوجب في الناس هذه التخليطات ما شاهدوه من حركات اهل الدولة وانتقال نسائهم من المدينة وطلوعهم الى القلعة بمتاعهم واخلاء الكثير منهم البيوت وانتقال طائفة الارنؤد من الدور المتباعدة واجتماعهم وسكناهم بناحية خطة عابدين وكذلك انتقل ابراهيم باشا الى القلعة ونقل اليها الكثير من متاعه واغرب من هذا كله اشاعة اتفاق عظماء الدولة على ولاية ابراهيم باشا على الاحكام عوضا عن ابيه في يوم الخميس ورتبوا له موكبا يركب فيه ذلك اليوم ويشق من وسط المدينة واجتمع الناس للفرجة عليه واصطفوا على المساطب والدكاكين فلم يحصل وظهر كذب ذلك كله وبطلانه واتفق في اثناء ذلك من زيادة الاوهام والتخيلات ان رضوان كاشف المعروف بالشعراوي سد باب داره التي بالشارع بخط باب الشعرية وفتح له بابا صغيرا من داخل العطفة التي بظاهره فاوشى بعض مبغضيه الى كتخدا بك

كان القمص صاحب طرابلس واسمه ريمند بن ريمند الصنجيلي قد تزوج بالقومصة صاحبة طبرية وانتقل اليها واقام عندها بطبرية ومات ملك الفرنج بالشام وكان مجذوما واوصى بالملك الى ابن اخت له وكان صغيرا فكفله القمص وقام بسياسة الملك وتدبيره لانه لم يكن للفرنج ذلك الوقت اكبر منه شانا ولا اشجع ولا اجود رايا منه فطمع فى الملك بسبب هذا الصغير فاتفق ان الصغير توفى فانتقل الملك الى امه فبطل ما كان القمص يحدث نفسه به ثم ان هذه الملكة هويت رجلا من الفرنج الذين قدموا الشام من الغرب اسمه كى فتزوجته ونقلت الملك اليه وجعلت التاج على راسه واحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاسبتارية والداوية والبارونية واعلمتهم انها قد ردت الملك اليه واشهدتهم عليها بذلك فاطاعوه ودانوا له فعظم ذلك على القمص وسقط فى يديه وطولب بحساب ما جبى من الاموال مدة ولاية الصبي فادعى انه انفقه عليه وزاده ذلك نفورا وجاهر بالمشاقة والمباينة وراسل صلاح الدين وانتمى اليه واعتضد به وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج ففرح صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعده النصرة والسعي له فى كل ما يريد وضمن له انه يجعله ملكا مستقلا للفرنج قاطبة وكان عنده جماعة من فرسان القمص فاطلقهم فحل ذلك عنده اعظم محل واظهر طاعة صلاح الدين ووافقه على ما فعل جماعة من الفرنج فاختلفت كلمتهم وتفرق شملهم وكان ذلك من اعظم الاسباب الموجبة لفتح بلادهم واستنقاذ البيت المقدس منهم على ما نذكره ان شاء الله وسير صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية فشنت الغارات على بلاد الفرنج وخرجت سالمة غانمة فوهن الفرنج بذلك وضعفوا وتجرأ المسلمون عليهم وطمعوا فيهم

(ذكر غدر البرنس ارناط)

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من اعظم الفرنج واخبثهم واشدهم عداوة للمسلمين واعظمهم ضررا عليهم فلما راى صلاح الدين ذلك منه قصده بالحصر مرة بعد مرة وبالغارة على بلاده كرة بعد اخرى فذل وخضع وطلب الصلح من صلاح الدين فاجابه الى ذلك وهادنه وتحالفا وترددت القوافل من الشام الى مصر ومن مصر الى الشام فلما كان هذه السنة اجتاز به قافلة عظيمة غزيرة الاموال كثيرة الرجال ومعها جماعة صالحة من الجند فغدر اللعين بهم واخذهم عن آخرهم وغنم اموالهم ودوابهم وسلاحهم واودع السجون من اسره منهم فارسل اليه صلاح الدين يلومه ويقبح فعله وغدره ويتوعده ان لم يطلق الاسرى والاموال فلم يجب الى ذلك واصر على الامتناع فنذر صلاح الدين نذرا ان يقتله ان ظفر به فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

كان المنجمون قديما وحديثا قد حكموا ان هذه السنة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة تجتمع الكواكب الخمسة فى برج الميزان ويحدث باقترانها رياح شديدة فلم يكن

فملتم فى هذا الوقت والناس يزداد بهم الوهم ويعتقدون صحة مادار بينهم من الاكاذيب وخصوصا كونه من الاعيان المعروفين فطلبه كتخدا بك وقال له لاي شيء سددت باب دارك وما الذي قاله المنجم لك فقال ان طائفة من العسكر تشاجروا بالحطة ودخلوا الى الدار وازعجونا فسددتها من ناحية الشارع بعدا من الشر وخوفا مما جرى على داري سابقا من النهب فلم يلتفت لكلامه وامر بقتله فشفع فيه صالح بك السلحدار وحسن اغا مستحفظان فعفا عنه من القتل وامر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصي ثم نزل بصحبته الاغا الى داره وفتح الباب كما كان (وفى رابع عشرينه) وصلت مكاتبات من الديار الحجازية من عند الباشا وخلافه مؤرخة فى ثالث عشر ذى الحجة يذكرون فيها ان الباشا بمكة وطوسون باشا ابنه بالمدينة وحسن باشا واخاه عابدين بك وخلافهم بالكاخية ما بين الطائف وتربة

(واستهل شهر صفر الخير بيوم الخميس سنة ١٢٣٠)

فى خامس عشرينه نودى بنقص مصارفة اصناف المعاملة وقد وصل صرف الريال الفرانسه من الفضة العددية الى ثلثمائة واربعين نصفا منها ثمانية قروش ونصف فنودى عليه بنقص نصف قرش والمحبوب وصل الى عشرة قروش فنودى عليه بتسعة قروش وشددوا فى هذه المناداة تشديدا زائدا وقتل كل من زاد على ذلك من غير لذلك

لذلك صحة ولم يهب من الرياح شئ البتة حتى ان الغلال الحنطة والشعير تاخر نجازها لعدم الهواء الذي يذري به الفلاحون فاكذب الله احدوثة المنجمين واخزاهم وفيها توفي عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن بري النحوي المصري وكان اماما في النحو رحمه الله تعالى

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة)

اتفق أول هذه السنة يوم السبت وهو يوم النيروز السلطاني ورابع عشر اذار سنة الف واربعمائة وثمان وتسعين اسكندرية وكان القمر والشمس في الحمل واتفق اول سنة العرب وأول سنة الفرس التى جددوها اخيرا واول سنة الروم وفيها الشمس والقمر في أول البروج وهذا يبعد وقوع مثله

(ذكر حصر صلاح الدين الكرك)

في هذه السنة كتب صلاح الدين الى جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد وكتب الى الموصل وديار الجزيرة واربل وغيرها من بلاد الشرق والى مصر وسائر بلاد الشام يدعوهم الى الجهاد ويحثهم عليه ويامرهم بالتجهز له بغاية الامكان ثم خرج من دمشق أواخر المحرم في عسكرها وحلقتها الخاص فسار الى رأس الماء وتلاحقت به العساكر الشامية فلما اجتمعوا جعل عليهم ولده الملك الافضل عليا ليجتمع اليه من يرد اليه منها وسار هو الى بصرى جريدة وكان سبب مسيره وقصده اليها انه أتته الاخبار ان البرنس ارناط صاحب الكرك يريد ان يقصد الحجاج لياخذهم من طريقهم واظهر انه اذا فرغ من أخذ الحجاج يرجع الى طريق العسكر المصري يصدهم عن الوصول الى صلاح الدين فسار الى بصرى ليمنع البرنس ارناط من طلب الحجاج ويلزم بلده خوفا عليه وكان من الحجاج جماعة من اقاربه منهم محمد بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين وغيره فلما سمع ارناط بقرب صلاح الدين من بلده لم يفارقه وانقطع عما طمع فيه فوصل الحجاج سالمين فلما وصلوا وفرغ سره من جهتهم سار الى الكرك وبث سراياه من هناك على ولاية الكرك والشوبك وغيرهما فنهبوا وخربوا واحرقوا والبرنس محصور لا يقدر على المنع عن بلاده وسائر الفرنج قد لزموا طرق بلادهم خوفا من العسكر الذي مع ولده الافضل فتمكن من الحصر والنهب والحريق والتخريب هذا فعل صلاح الدين

(ذكر الغارة على بلد عكا)

ارسل صلاح الدين الى ولده الافضل يامره ان يرسل قطعة صالحة من الجيش الى بلد عكا ينهبونه ويخربونه فسير مظفر الدين كوكبري بن زين الدين وهو صاحب حران والرها وأضاف اليه قايماز النجمي ودلدرم الياروقي وهما من اكابر الامراء وغيرهما وساروا ليلا وصبحوا صفورية أواخر صفر فخرج اليهم الفرنج في جمع من الداوية والاسبتارية وغيرهما فالتقوا هناك وجرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود ثم أنزل الله تعالى

معارضة وكتبوا مراسيم الى جميع البنادر وفيها التشديد والتهديد والانتقام من يزيد (وفي أواخره) التزم المعلم غالي بمال الجزية التى تطلب من النصارى على خمسة وثمانين كيسا وسبب ذلك ان بعض اتباع المقيد لقبض الجوالي قبض على شخص من النصارى وكان من قسوسهم وشدد عليه في الطلب واهانه فانهوا الامر الى المعلم غالي ففعل ذلك قصدا لمنع الايذاء عن ابناء جنسه ويكون الطلب منه عليهم ومنع المتظاهرين بالاسلام عنهم *(واستهل شهر ربيع الاول بيوم السبت سنة ١٢٣٠)* في تاسعه وصلت قافلة طيارى من الحجاز وقدم صحبتها السيد عبد الله الاقاعي ومعها هجانة من الحجاز وعلى يدهم مكاتبات وفيها الاخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب وانه استولى على تربة وغنم منها جمالا واغناما واخذ منهم اسرى فلما وصلت الاخبار بذلك اطلق المبشرون الى بيوت الاعيان لاخذ البقاشيش وضربوا في صبحها مدافع كثيرة من القلعة (وفي يوم الثلاثاء حادي عشره) كان المولد النبوي فنودى في صبحه بزينة المدينة وبولاق ومصر القديمة ووقود القناديل والسهر ثلاثة أيام بلياليها فلما أصبح يوم الاربعاء والزينة بحالها الى بعد أذان العصر نودي برفعها ففرح أهل الاسواق بازالتها ورفعها لما يحصل لهم من التكاليف

نصره على المسلمين فانهزم الفرنج وقتل منهم جماعة وأسر الباقون وفيمن قتل مقدم الاسبتارية وكان من فرسان الفرنج المشهورين وله النكايات العظيمة في المسلمين ونهب المسلمون ما جاورهم من البلاد وغنموا وسبوا وعادوا سالمين وكان عودهم على طبرية وبها القمص فلم ينكر ذلك فكان فتحا كثيرا فان الداوية والاسبتارية هم جمرة الفرنج وسيرت البشائر الى البلاد بذلك

(ذكر عود صلاح الدين الى عسكره ودخوله الى الفرنج)

لما اتت صلاح الدين البشارة بهزيمة الاسبتارية والداوية وقتل من قتل منهم واسر من اسر منهم عاد عن الكرك الى العسكر الذي مع ولده الملك الافضل وقد تلاحقت سائر الامراء والعساكر واجتمع بهم وساروا جميعا وعرض العسكر فبلغت عدتهم اثني عشر الف فارس ممن له الاقطاع والجامكية سوى المتطوعة فعبى عسكره قلبا وجناحين وميمنة وميسرة وجاليشية وساقة وعرف كل منهم موضعه وموقفه وامره بملازمته وسار على تعبية فنزل بالاقحوانة بقرب طبرية وكان القمص قد انتمى الى صلاح الدين كما ذكرنا وكتبه متصلة اليه يعده النصرة ويمنيه المعاضدة وما يعدهم الشيطان الا غرورا فلما راى الفرنج العساكر الاسلامية وتصميم العزم على قصد بلادهم ارسلوا الى القمص البطرك والقسوس والرهبان وكثيرا من الفرسان فانكروا عليه انتماءه الى صلاح الدين وقالوا له لا شك انك اسلمت والا لم تصبر على فعل المسلمين امس بالفرنج يقتلون الداوية والاسبتارية ويأسرونهم ويجتازون بهم عليك وانت لا تنكر ذلك ولا تمنع عنه ووافقهم على ذلك من عنده من عسكر طبرية وطرابلس وتهدده البطرك انه يحرمه ويفسخ عليه نكاح زوجته الى غير ذلك من التهديد فلما راى القمص شدة الامر عليه خاف واعتذر وتنصل وتاب فقبلوا عذره وغفروا زلته وطلبوا منه الموافقة على المسلمين والمؤازرة على حفظ بلادهم فاجابهم الى المصالحة والانضمام اليهم والاجتماع بهم وسار معهم الى ملك الفرنج واجتمعت كلمتهم بعد فرقتهم ولم تغن عنهم من الله شيئا وجمعوا فارسهم وراجلهم ثم ساروا من عكا الى صفورية وهم يقدمون رجلا ويؤخرون اخرى قد ملئت قلوبهم رعبا

(ذكر فتح صلاح الدين طبرية)

لما اجتمع الفرنج وساروا الى صفورية جمع صلاح الدين امراءه واستشارهم فاشار اكثرهم عليه بترك اللقاء وان يضعف الفرنج بشن الغارات واخراب الولايات مرة بعد مرة فقال له بعض امرائه الراي عندي اننا نجوس بلادهم وننهب ونخرب ونحرق ونسبي فان وقف احد من عسكر الفرنج بين ايدينا لقيناه فان الناس بالمشرق يلعنوننا ويقولون ترك قتال الكفار واقبل يريد قتال المسلمين والراي ان نفعل فعلا نعذر فيه ونكف الالسنة عنا فقال صلاح الدين الراي عندي ان نلقى بجمع المسلمين جمع الكفار فان الامور لا تجري بحكم الانسان ولا نعلم قدر الباقي من اعمارنا ولا ينبغي ان نفرق هذا

الجمع

والسمر في البرد والهواء . خضروات وقد حصل في آخر ليلة رياح شديدة باردة (وفي هذه الايام) سافر محمود بك والمعلم غالي ومن يصحبهما من النصارى الاقباط واخذوا معهم طائفة من الكتبة الافندية المختصين بالروزنامه ومنهم محمد افندي ابن حسين افندي المنفصل عن الروزنامه ونزلوا لاعادة قياس الاراضي وتحرير الري والشراقي وسبقهم القياسون بالاقصاب نزلوا وسرحوا قبلهم بنحو عشرة ايام وشرع كشاف النواحي في قبض الترويجة من المزارعين وفرضوا على كل فدان الادنى تسعة ريالات الى خمسة عشر بحسب جودة الاراضي ورداءتها وهذا الطلب في غير وقته لانه لم يحصل حصاد للزرع وليس عند الفلاحين ما يقتاتون منه ومن العجب انه لم يقع مطر في هذه السنة ابدا ومضت ايام الشتاء ودخل فصل الربيع ولم يقع غيث ابدا سوى ما كان يحصل في بعض الايام من غيوم واهوية غربية ينزل معها بعض رشاش قليل لا تبتل الارض منه ويجف بالهواء بمجرد نزوله (وفي اواخره) ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الانكليز وفيها طيور مختلفة الاجناس والاشكال كبار وصغار وفيها ما يتكلم ويحاكي وآلة مصنوعة لنقل الماء يقال لها الطلمبه وهي تنقل الماء الى المسافة البعيدة ومن الاسفل الى العلو ومرآة زجاج بحف كبيرة قطعة واحدة

الجميع الا بعد الجد بالجهاد ثم رحل من الاقحوانة اليوم الخامس من نزوله بها وهو يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر فسار حتى خلف طبرية وراء ظهره وصعد جبلها وتقدم حتى قارب الفرنج فلم ير منهم احدا ولا فارقوا خيامهم فنزل وأمر العسكر بالنزول فلما جنه الليل جعل فى مقابل الفرنج من يمنعهم من القتال ونزل جريدة الى طبرية وقاتلها ونقب بعض ابراجها واخذ المدينة عنوة فى ليلة ولجا من بها الى القلعة التى لها فامتنعوا بها وفيها صاحبتها ومعها اولادها فنهب المدينة واحرقها فلما سمع الفرنج بنزول صلاح الدين الى طبرية وملكه المدينة واخذ ما فيها واحراقها واحراق ما تخلف مما لا يحمل اجتمعوا للشورة فاشار بعضهم بالتقدم الى المسلمين وقتالهم ومنعهم عن طبرية فقال القمص ان طبرية لى ولزوجتى وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل وبقى القلعة وفيها زوجتى وقد رضيت ان ياخذ القلعة وزوجتى وما لنا بها ويعود فوالله لقد رأيت عساكر الاسلام قديما وحديثا ما رأيت مثل هذا العسكر الذى مع صلاح الدين كثرة وقوة واذا اخذ طبرية لا يمكنه المقام بها فمتى فارقها وعاد عنها اخذناها وان اقام بها لا يقدر على المقام بها الا بجميع عساكره ولا يقدرون على الصبر طول الزمان عن أوطانهم واهليهم فيضطر الى تركها ونفتك من اسرمنا فقال له برنس ارناط صاحب الكرك قد اطلت فى التخويف من المسلمين ولا شك انك تريدهم وتميل اليهم والا ما كنت تقول هذا واما قولك انهم كثيرون فان النار لا يضرها كثرة الحطب فقال انا واحد منكم ان تقدمتم تقدمت وان تاخرتم تاخرت وستررون ما يكون فقوى عزمهم على التقدم الى المسلمين وقتالهم فرحلوا من معسكرهم الذى لزموه وقربوا من عساكر الاسلام فلما سمع صلاح الدين بذلك عاد عن طبرية الى عسكره وكان قريبا منه وانما كان قصده بمحاصرة طبرية ان يفارق الفرنج مكانهم ليتمكن من قتالهم وكان المسلمون قد نزلوا على الماء والزمان قيظ شديد الحر فوجد الفرنج العطش ولم يتمكنوا من الوصول الى ذلك الماء من المسلمين وكانوا قد افنوا ما هناك من ماء الصهاريج ولم يتمكنوا من الرجوع خوفا من المسلمين فبقوا على حالهم الى الغد وهو يوم السبت وقد اخذ العطش منهم واما المسلمون فانهم طمعوا فيهم وكانوا من قبل يخافونهم فباتوا يحرض بعضهم بعضا وقد وجدوا ريح النصر والظفر وكلما رأوا حال الفرنج خلاف عادتهم مما ركبهم من الخذلان زاد طمعهم وجراتهم فاكثروا التكبير والتهليل طول ليلتهم ورتب السلطان تلك الليلة الجاليشية وفرق فيهم النشاب

(ذكر انهزام الفرنج بحطين)

اصبح صلاح الدين والمسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر فركبوا وتقدموا الى الفرنج فركب الفرنج ودنا بعضهم من بعض الا ان الفرنج قد اشتد بهم العطش وانخذلوا فاقتتلوا واشتد القتال وصبر الفريقان ورمى جاليشية المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر فقتلوا من خيول الفرنج كثيرا هذا القتال بينهم

وساعة تضرب مقامات موسيقى فى كل ربع يمضى من الساعة بانغام مطربة

وشمعدان به بركة غريبة كلما طالت فتيلة الشمعة يخرج بحركة لطيفة فيخرج منه شخص لطيف من جانبه فيقطرا س الفتيلة بمقص لطيف بيده و يعود راجعا الى داخل الشمعدان هذا ما بلغنى عمن ادعى انه شاهد ذلك (وفيه) عملوا تسعيرة على المبيعات والماكولات مثل اللحم والسمن والجبن والشمع ونحو ذلك وانقصوا اسعارها نقصا فاحشا وشددوا فى ذلك بالتنكيل والشنق والتعليق وخرم الآناف فارتفع السمن والزبد والزيت من الحوانيت وأخفوه وطفقوا يبيعونه فى العشيات بالسعر الذى يختارونه على الزبون وأما السمن فلكثرة طلبه لاهل الدولة شح وجوده واذا ورد منه شئ خطفوه وأخذوه من الطريق بالسعر الذى سعره الحاكم وانعدم وجوده عند القبانية واذا بيع منه شئ بيع سرا باقصى الثمن وأما السكر والصابون فبلغا الغاية فى غلو الثمن وقلة الوجود لان ابراهيم باشا احتكر السكر باجمعه الذى ياتى من الصعيد وليس بغير الجهة القبلية شئ منه فيبيعه على ذمته وهو فى الحقيقة لابيه ثم صار نفس الباشا يعطى لاهل المطابخ بالثمن الذى يعنيه عليهم و يشاركهم فى ربحه فزاد غلو ثمنه على الناس و بيع الرطل من السكر الصعيدى الذى كان يباع بخمسة انصاف فضة بثمانين نصفا وأما

الصابون ففرضوا على تجاره غرامة فامتنع وجوده وبيع الرطل الواحد منه بخمسة بسيتين نصفا واكثروفي هذه الايام غلا سعر الحنطة والفول وبيع الاردب بالف وماتى نصف فضة خلاف الكلاف والاجرة مع ان الاهراء والشون بيوتي ملآنة بالغلال وياكلها السوس ولا يخرجون منها للبيع شيئا حتى قيل لكتخدا بك في اخراج شئ منها يباع في الناس فلم ياذن وثانه لم يكن ماذونا من مخدومه

●(واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الاثنين سنة ١٢٣٠) في ثامنه عمل محرم بك الكورنتينه بالجيزة على نسق السنة الماضية من احجاج الناس وازعاجهم تطيرا وخوفا من الطاعون (وفيه) خوزقوا شيخ عرب بلى فيما بين قبة العزب والهمايل بعد حبسه أربعة أشهر (وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه) ضربت مدافع وأشيع الخبر بوصول شخص عسكري بمكاتبات من الباشا وخلاوه والخبر بقدوم الباشا وانتشرت المبشرون الى بيوت الاعيان واصحاب المظاهر على عاداتهم لاخذ البقاشيش فمن قائل انه وصل الى القصير ومن قائل انه نزل الى السفينة بالبحر ومنهم من يقول انه حضر الى السويس ثم اختلفت الروايات وقالوا ان الذي وصل الى السويس حريم الباشا فقط ثم تبين كذب هذه الاقاويل وانها مكاتبات فقط مؤرخة اواخر شهر صفر

والافرنج قد جمعوا انفسهم براجلهم وهم يقاتلون سائرين نحو طبرية لعلهم يردون الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عن مرادهم ووقف بالعسكر في وجوههم وطاف بنفسه على المسلمين يحرضهم ويامرهم بما يصلح لهم وينهاهم عما يضرهم والناس ياتمرون لقوله ويقفون عند نهيه فحمل مملوك من مماليكه الصبيان حملة منكرة على صف الافرنج فقاتل قتالا عجب منه الناس ثم تكاثر الافرنج عليه فقتلوه فحين قتل حمل المسلمون حملة منكرة فضعضعوا الكفار وقتلوا منهم كثيرا فلما راى القمص شدة الامر علم انهم لا طاقة لهم بالمسلمين فاتفق هو وجماعة وحملوا على من يليهم وكان المقدم من المسلمين في تلك الناحية تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين فلما رأى حملة الفرنج حملة مكروب علم انه لا سبيل الى الوقوف في وجوههم فامر اصحابه ان يفتحوا لهم طريقا يخرجون منه وكان بعض المتطوعة قد القى في تلك الارض نارا وكان الحشيش كثيرا فاحترق وكانت الريح فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال فلما انهزم القمص سقط في ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم لولا لطف الله بهم الا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم فوهنوا بذلك وهنا عظيما فاحاط بهم المسلمون احاطة الدائرة بقطرها فارتفع من بقي من الفرنج الى تل بناحية حطين وارادوا ان ينصبوا خيامهم ويحموا انفسهم به فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ومنعوهم عما ارادوا ولم يتمكنوا من نصب خيمة غير خيمة ملكهم لا غير واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام بزعمهم فكان اخذه عندهم من اعظم المصائب عليهم وايقنوا بعده بالقتل والهلاك هذا والقتل والاسر يعملان في فرسانهم ورجالتهم فبقي الملك على التل في مقدار مائة وخمسين فارسا من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين فحكى في عن الملك الافضل ولد صلاح الدين قال كنت الى جانب ابي في ذلك المصاف وهو اول مصاف شاهدته فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة حملوا حملة منكرة على من بازائهم من المسلمين حتى الحقوهم بوالدي قال فنظرت اليه وقد علته كآبة واربد لونه وامسك بلحيته وتقدم وهو يصيح كذب الشيطان قال فعاد المسلمون على الفرنج فرجعوا فصعدوا الى التل فلما رايت الفرنج قد عادوا والمسلمون يتبعونهم صحت من فرحي هزمناهم فعاد الفرنج فحملوا حملة ثانية مثل الاولى الحقوا المسلمين بوالدي وفعل مثل ما فعل اولا وعطف المسلمون عليهم فالحقوهم بالتل فصحت انا ايضا هزمناهم فالتفت والدي الي وقال اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة قال فهو يقول لي واذا الخيمة قد سقطت فنزل السلطان وسجد شكرا لله تعالى وبكى من فرحه وكان سبب سقوطها ان الفرنج لما حملوا تلك الحملات ازدادوا عطشا وقد كانوا يرجون الخلاص في بعض تلك الحملات مما هم فيه فلم يجدوا الى الخلاص

طريقا

طبرية فنزلوا عن دوابهم وجلسوا على الارض فصعد المسلمون اليهم فالقوا خيمة الملك واسروهم عن بكرة ابيهم وفيهم الملك واخوه والبرنس ارناط صاحب الكرك ولم يكن فى الفرنج اشد منه عداوة للمسلمين واسروا ايضا صاحب جبيل وابن هنفرى ومقدم الداوية وكان من أعظم الفرنج شأنا واسروا ايضا جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية وكثر القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لايظن انهم اسروا واحدا ومن يرى الاسرى لايظن انهم قتلوا أحدا وما أصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احدى وتسعين واربعمائة الى الآن بمثل هذه الوقعة فلما فرغ المسلمون منهم نزل صلاح الدين فى خيمته واحضر ملك الفرنج عنده وبرنس صاحب الكرك واجلس الملك الى جانبه وقد اهلكه العطش فسقاه ماء مثلجا فشرب واعطى فضله برنس صاحب الكرك فشرب فقال صلاح الدين ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذنى فينال أمانى ثم كلم البرنس وقرعه بذنوبه وعدد عليه غدراته وقام اليه بنفسه فضرب رقبته وقال كنت نذرت دفعتين أن اقتله ان ظفرت به احداهما لما أراد المسير الى مكة والمدينة والثانية لما اخذ القفل غدرا فلما قتله وسحب واخرج ارتعدت فرائص الملك فسكن جأشه وامنه واما القمص صاحب طرابلس فانه لما نجا من المعركة كما ذكرناه وصل الى صور ثم قصد طرابلس ولم يلبث الا اياما قلائل حتى مات غيظا وحنقا مما جرى على الفرنج خاصة وعلى دين النصرانية عامة

(ذكر عود صلاح الدين الى طبرية وملك قلعتها مع المدينة)

لما فرغ صلاح الدين من هزيمة الفرنج اقام بموضعه باقى يومه واصبح يوم الاحد عاد الى طبرية ونازلها فارسلت صاحبتها تطلب الامان لها ولاولادها واصحابها ومالها فاجابها الى ذلك فخرجت بالجميع فوفى لها فسارت آمنة ثم امر بالملك وجماعة من اعيان الاسرى فارسلوا الى دمشق وامر بمن اسر من الداوية والاسبتارية ان يجمعوا ليقتلهم ثم علم ان من عنده اسير لايسمح به لما يرجو من فدائه فبذل فى كل اسير من هذين الصنفين خمسين دينارا مصرية فاحضر عنده فى الحال مائتا اسير منهم فامر بهم فضربت اعناقهم وانما خص هؤلاء بالقتل لانهم اشد شوكة من جميع الفرنج فاراح الناس من شرهم وكتب الى نائبه بدمشق ليقتل من دخل البلد منهم سواء كان له او لغيره ففعل ذلك ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرأيت الارض ملأى من عظامهم تبين على البعد منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المفترق هذا سوى ما اكلته السيول واخذته السباع فى تلك الآكام والوهاد

(ذكر فتح مدينة عكا)

لما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها يوم الثلاثاء ووصل الى عكا يوم الاربعاء وقد صعد اهلها على سورها يظهرون الامتناع والحفظ فعجب هو والناس من ذلك لانهم

وانه عازم على الذهاب الى ناحية قنفدة ثم ينزل بعد ذلك الى البحر ويأتى الى مصر ووصل الخبر بوفاة الشيخ ابراهيم كاتب الصرة

(واستهل شهر جمادى الاولى بيوم الثلاثاء سنة ١٢٣٠)

فى سادسه يوم الاحد ضربت مدافع بعد الظهيرة لورود مكاتبة بان الباشا استولى على ناحية من النواحى جهة قنفدة (وفى يوم الجمعة ثامن عشره) وصل المحمل الى بركة الحج وصحبته من بقى من رجال الركب مثل خطيب الجبل والصيرفى والجملية ووردت مكاتبات بالقبض على طامى الذى جرى منه ماجرى فى وقائع قنفدة السابقة وقتله العساكر فلم يزل راجح الذى اصطلح مع الباشا ينصب له الحبائل حتى صاده وذلك انه عمل لابن اخيه مبلغا من المال ان هو اوقعه فى شركه فعمل له وليمة ودعاه الى محله فاتاه آمنا فقبض عليه واقتاده طمعا فى المال واتوا به الى حضرة الباشا فوجهه الى بندر جدة فى الحال وانزلوه السفينة وحضروا به الى السويس وعملوا بحضوره فلما وصل الى البركة والمحمل اذ ذاك بها خرجت جميع العساكر فى ليلة الاثنين حادى عشرينه وانجروا فى صبحها طوائف وخلفهم المحمل وبعد مرورهم

على وان عساكرهم من فارس وراجل بين قتيل واسير وانهم لم يسلم منهم الا القليل الا انه نزل يومه وركب يوم الخميس وقدمهم على الزحف الى البلد وقاتله فبينما هو ينظر من أين يزحف ويقاتل اذ خرج كثير من أهلها يضرعون ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وأمنهم على انفسهم واموالهم وخيرهم بين الاقامة والظعن فاختاروا الرحيل خوفا من المسلمين وساروا عنها متفرقين وحملوا ما أمكنهم حمله من اموالهم وتركوا الباقى على حاله ودخل المسلمون اليها يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى وصلوا بها الجمعة فى جامع كان للمسلمين قديما ثم جعله الفرنج بيعة ثم جعله صلاح الدين جامعا وهذه الجمعة اول جمعة اقيمت بالساحل الشامى بعد ان ملكه الفرنج وسلم البلد الى ولده الافضل واعطى جميع ما كان فيه للداوية من اقطاع وضياع وغير ذلك للفقيه عيسى وغنم المسلمون ما بقى مما لم يطق الفرنج حمله وكان من كثرته يعجز الاحصاء عنه فرأوا فيها من الذهب والجوهر والسقلاط والبندقى والسكر والسلاح وغير ذلك من أنواع الامتعة كثيرا فانها كانت مقصد التجار الفرنج والروم وغيرهم من اقصى البلاد وأدناها وكان كثير منها قد خزنه التجار وسافروا عنه لكساده فلم يكن له من ينقله ففرق صلاح الدين وابنه الافضل ذلك جميعه على اصحابهما واكثر ذلك فعله الافضل لانه كان مقيما بالبلد وكانت شيمته فى الكرم معروفة واقام صلاح الدين بعكا عدة ايام لاصلاح حالها وتقرير قواعدها

(ذكر فتح مجدل يابا)

لما هزم صلاح الدين الفرنج ارسل الى اخيه العادل بمصر يبشره بذلك ويأمره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر بمن بقى عنده من العسكر ومحاصرة ما يليه منها فسارع الى ذلك وسار من مصر فنازل حصن مجدل يابا وحصره وغنم ما فيه وورد كتابه بذلك الى صلاح الدين وكانت بشارة كبيرة

(ذكر فتح عدة حصون)

فى مدة مقام صلاح الدين بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها وقدموا من ذلك بما سد الفضاء وسير تقى الدين فنزل على تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور وسير حسام الدين عمر بن لاجين فى عسكر الى نابلس فاتى سبسطية وبها قبر زكريا فاخذه من ايدى النصارى وسلمه الى المسلمين ووصل الى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من فيها بالامان وتسلم القلعة واقام اهل البلد به واقرهم على املاكهم واموالهم

(ذكر فتح يافا)

لما خرج العادل من مصر وفتح مجدل يابا كما ذكرنا سار الى مدينة يافا وهى على الساحل فحصرها وملكها عنوة ونهبها وأسر الرجال وسبى الحريم وجرى على أهلها ما لم يجر على

احد

دخلوا بها الى المذكور وهو راكب على هجين وفى رقبته الحديد والجنزير مربوط فى عنق الهجين وصورته رجل شهم عظيم اللحية وهو لابس عباءة عبدانية ويقرأ وهو راكب وحملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع وحضر أيضا عابدين بك وتوجه الى داره فى ليلة الاثنين

(واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الخميس سنة ١٢٣٠) فى خامسه وصلت عساكر فى ذوات الى السويس وحضروا الى مصر وعلى رؤسهم شلنجات فضة اعلاما واشارة بانهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار وانهم افتتحوا بلاد الحرمين وطاردوا المخالفين لديانتهم حتى ان طوسون باشا وحسن باشا كتبا فى امضائهما على المراسلات بعد اسمهما لفظة المغازى والله اعلم بخلقه (وفى تاسعه) اخرجوا عساكر كثيرة وجهوهم الى الثغور ومحافظة الاسكل خوفا من طارق يطرق الثغور لانه اشيع ان بونابارته كبير الفرنساوية خرج من الجزيرة التى كان بها ورجع الى فرانسا وملكها واغار على بلاد الجورنه وخرج بعمارة كبيرة لا يعلم قصده الى اى جهة يريد فربما طرق ثغر الاسكندرية او دمياط على حين غفلة وقيل غير ذلك وسئل كتخدا بك عن سبب خروجهم فقال خوفا عليهم من الطاعون ولئلا يوخموا المدينة لانه وقع فى هذه السنة

احد من اهل تلك البلاد وكان عندي جارية من اهلها وانا بحلب ومعها طفل عمره نحو سنة فسقط من يدها فانسلخ وجهه فبكت عليه كثيرا فسكنتها واعلمتها انه ليس بولدها ما يوجب البكاء فقالت ما له ابكي انما ابكي لما جرى علينا كان لي ستة اخوة كلهم هلكوا جميعهم وزوج واختان لا اعلم ما كان منهم هذا من امرأة واحدة والباقي بالنسبة ورايت بحلب امراة فرنجية قد جاءت مع سيدها الى باب فطرقه سيده فخرج صاحب البيت فكلمهم ثم اخرج امراة فرنجية فحين راتها الاخرى صاحتا واعتنقتا وهما يصرخان و يبكيان وسقطتا الى الارض ثم قعدتا يتحدثان واذا هما اختان وكان لهما عدة من الاهل ليس لهما علم باحد منهم.

(ذكر فتح تبنين وصيدا وجبيل وبيروت)

فاما تبنين فقد ذكرنا انفاذ صلاح الدين تقي الدين ابن اخيه الى تبنين فلما وصلها نازلها واقام عليها فرأى حصرها لا يتم الا بوصول عمه صلاح الدين اليه فارسل اليه يعلمه الحال و يحثه على الوصول اليه فرحل ثامن جمادى الاولى ونزل عليه حادي عشره فحصرها وضايقها وقاتلها بالزحف وهي من القلاع المنيعة على جبل فلما ضاق عليهم الامر واشتد الحصر اطلقوا من عندهم من اسرى المسلمين وهم يزيدون على مائة رجل فلما دخلوا العسكر احضرهم صلاح الدين وكساهم واعطاهم نفقة وسيرهم الى اهليهم و بقي الفرنج كذلك خمسة ايام ثم ارسلوا يطلبون الامان فامنهم على انفسهم فسلموها اليه و وفى لهم وسيرهم الى مأمنهم واما صيدا فان صلاح الدين لما فرغ من تبنين رحل عنها الى صيدا فاجتاز في طريقه بصرفند فاخذها صفوا عفوا بغير قتال وسار عنها الى صيدا وهي من مدن الساحل المعروفة فلما سمع صاحبها بمسيره نحوه سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله وكان ملكها تاسع بقين من جمادى الاولى وأما بيروت فهي من أحسن مدن الساحل وانزهها واطيبها فلما فتح صلاح الدين صيدا سار عنها من يومه نحو بيروت ووصل اليها من الغد فراى اهلها قد صعدوا على سورها واظهروا القوة والجلد والعدد وقاتلوا على سورها قتالا شديدا واغتروا بحصانة البلد وظنوا انهم قادرون على حفظه و زحف المسلمون اليهم مرة بعد مرة فبينما الفرنج يقاتلون اذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة فاتاهم من اخبرهم ان البلد قد دخله المسلمون من الناحية الاخرى قهرا وغلبة فارسلوا ينظرون ما الخبر واذا ليس له صحة فارادوا تسكين من به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على انفسهم من الاختلاف الواقع ارسلوا يطلبون الامان فامنهم على انفسهم واموالهم وتسلمها في التاسع والعشرين من جمادى الاولى من السنة فكان مدة حصرها ثمانية ايام واما جبيل فان صاحبها كان من جملة الاسرى الذين سيروا الى دمشق مع ملكهم فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق في تسليم جبيل على شرط اطلاقه فعرف صلاح الدين بذلك فاحضره مقيدا عنده تحت الاستظهار والاحتياط

موتان بالطاعون وهلاك الكثير من العسكر واهل البلدة والاطفال والجواري والعبيد خصوصا السودان فانه لم يبق منهم الا القليل النادر وخلت منهم الدور (وفي منتصفه) اخرج كتخدا بك صدقة تفرق على الاولاد الايتام الذين يقرؤن بالكتاتيب ويدعون برفع الطاعون وكانوا يجمعونهم وياتي بهم فقهاؤهم الى بيت حسين كتخدا الكتخدا عند حيضان مصلى و يدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفا فضة ياخذ منها جزأ الذي يجمع الطائفة منهم و يدعي انه معلمهم زيادة عن حصته لان معظم المكاتب مغلوقة وليس بها احد بسبب تعطيل الاوقاف وقطع ايرادهم وصار لهذه الاطفال جلبة وغوغاء في ذهابهم ورجوعهم في الاسواق وعلى بيت الذي يقسم عليهم

(واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنه ١٢٣٠)

في سادسه يوم الاربعاء وصلت هجانة من ناحية قبلي واخبروا بوصول الباشا الى القصير فخلع عليهم كتخدا بك كساوي ولم يامر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر (وفي ليلة الجمعة ثامنه) احترق بيت طاهر باشا بالازبكية والبيت الذي بجواره ايضا (وفي يوم الجمعة) المذكور قبل العصر ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا الى قنا وقوص ووصل ايضا جيم

وكان العسكر حينئذ على بيروت فسلم حصنه واطلق اسرى المسلمين الذين به واطلقه صلاح الدين كما شرط له وكان هذا صاحب جبيل من اعيان الفرنج واصحاب الرأى والمكر والشر به يضرب المثل بينهم وكان للمسلمين منه عدو ازرق وكان اطلاقه من الاسباب الموهنة للمسلمين على ما يأتى بيانه

(ذكر خروج المركيش الى صور)

لما انهزم القمص صاحب طرابلس من حطين الى مدينة صور فاقام بها وهى أعظم بلاد الشام حصانة واشدها امتناعا على من رامها فلما رأى السلطان قد ملك تبنين وصيدا وبيروت خاف ان يقصد صلاح الدين صور وهى فارغة ممن يقاتل فيها ويحميها ويمنعها فلا يقوى على حفظها وتركها وسار الى مدينة طرابلس فبقيت صور شاغرة لا مانع لها ولا عاصم من المسلمين فلو بدأ بها صلاح الدين قبل تبنين وغيرها لاخذها بغير مشقة لكنه استعظمها لحصانتها فاراد ان يفرغ باله مما يجاورها من نواحيها ليسهل أخذها فكان ذلك سبب حفظها وكان أمر الله قدرا مقدورا واتفق ان انسانا من الفرنج الذين داخل البحر يقال له المركيش لعنه الله خرج فى البحر بمال كثير للزيارة والتجارة ولم يشعر بما كان من الفرنج فارسى بعكا وقد رابه ما رأى من ترك عوائد الفرنج عند وصول المراكب من الفرح وضرب الاجراس وغير ذلك وما رأى أيضا من زى اهل البلد فوقف ولم يدر ما الخبر وكانت الريح قد ركدت فارسل الملك الافضل اليه بعض اصحابه فى سفينة يبصر من هو وما يريد فاتاه القاصد فسأله المركيش عن الاخبار لما انكره فاخبره بكسرة الفرنج واخذ عكا وغيرها واعلمه ان صور بيد الفرنج وعسقلان وغيرها وحكى الامر له على وجهه فلم يمكنه الحركة لعدم الريح فرد الرسول يطلب الامان ليدخل البلد بما معه من متاع ومال فاجيب الى ذلك فردده مرارا كل مرة يطلب شيئا لم يطلبه فى المرة الاولى وهو يفعل ذلك انتظارا لهبوب الهواء ليسير به فبينما هو فى مراجعاته اذ هبت الريح فسار نحو صور وسير الملك الافضل الشوانى فى طلبه فلم يدركوه فاتى صور وقد اجتمع بها من الفرنج خلق كثير لان صلاح الدين كان كلما فتح مدينة من عكا وبيروت وغيرهما مما ذكرنا اعطى أهلها الامان فساروا كلهم الى صور وكثر الجمع بها الا انهم ليس لهم رأس يجمعهم ولا مقدم يقاتل بهم وليسوا اهل حرب وهم عازمون على مراسلة صلاح الدين وتسليم البلد اليه فاتاهم المركيش وهم على ذلك العزم فردهم عنه وقوى نفوسهم وضمن لهم حفظ المدينة وبذل ما معه من الاموال وشرط عليهم ان تكون المدينة وأعمالها له دون غيره فاجابوه الى ذلك فاخذ أيمانهم عليه واقام عندهم ودبر احوالهم وكان من شياطين الانس حسن التدبير والحفظ وله شجاعة عظيمة وشرع فى تحصينها فجدد حفر خنادقها وعمل اسوارها وزاد فى حصانتها واتفق من بها على الحفظ والقتال دونها

(ذكر فتح عسقلان وما يجاورها)

لما

الباشا وطلعوا الى قصر شبرا وركب للسلام عليه جميع نساءه الاكابر والاعيان بهداياهم وتقادمهم ومنعوا المارين من المسافرين والفلاحين الواصلين من الارياف المرور من تحت القصر الذى هو الطريق المعتادة للمسافرين فكانوا يذهبون ويمرون من طريق استحدثوها منعطفة خلف تلك الطريق ومستبعدة بمسافة طويلة (وفى ليلة الخميس رابع عشره) انخسف جرم القمر جميعه بعد الساعة الثالثة وكان فى آخر برج القوس (وفى ليلة الجمعة خامس عشره) وصل الباشا الى الجيزة ليلا فاقام بها الى آخر الليل ثم حضر الى داره بالازبكية فاقام بها يومين وحضر كتخدا بك واكابر دولته للسلام عليه فلم يأذن لاحد وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا ولم يجتمع به احد سوى ثانى يوم وترادفت عليه التقادم والهدايا من كل نوع من اكابر الدولة والنصارى باجناسهم خصوصا الارمن وخلافهم بكل صنف من التحف حتى السرارى البيض بالحلى والجواهر وغير ذلك واشيع فى الناس فى المصر وفى القرى بانه تاب من الظلم وعزم على اقامة العدل وانه نذر على نفسه انه اذا رجع منصورا واستولى على ارض الحجاز أفرج للناس عن حصصهم ورد الارزاق الاحباسية الى اهلها وزادوا على هذه الاشاعة انه فعل

ذلك في البلاد القبلية ورد كل شئ الى اصله وتناقلوا ذلك في جميع النواحي وباتوا يتخيلونه في احلامهم ولما مضى من وقت حضوره ثلاثة ايام كتبوا أوراقا لمشاهير الملتزمين مضمونها انه بلغ حضرة افندينا مافعله الاقباط من ظلم الملتزمين والجور عليهم في فائظهم فلم يرض بذلك والحال انكم تحضرون بعد اربعة ايام وتحاسبون على فائظكم وتقبضونه فان افندينا لا يرضى بالظلم وعلى الاوراق امضاء الدفتردار ففرح كثير من المغفلين بهذا الكلام واعتقدوا صحته واشاعوا ايضا انه نصب تجاه قصر شبرا خوازيق للمعلم غالي واكابر القبط (وفي رابع عشرينه) حضر الكثير من اصحاب الارزاق الكائنين بالقرى والبلاد مشايخ واشرافا وفلاحين ومعهم بيارق واعلام مستبشرين وفرحين بما سمعوه واشاعوه وذهبوا الى الباشا وهو يعمل رماحة بناحية القبة ويرمي ببنادق كثيرة وميدان تعليم فلما رآهم واخبروه عن سبب مجيئهم فامر بضربهم وطردهم ففعلوا بهم ذلك ورجعوا خائبين (وفيه) حضر محمود بك والمعلم غالي من سرحتهما وقابلا الباشا وخلع عليهما وكساهما والبسهما فراوي سمور وركب المعلم غالي وعليه الخلعة وشق من وسط المدينة وخلفه عدة كثيرة من الاقباط لاراءة الناس ويكمد

لما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وغيرهما كان امر عسقلان والقدس اهم عنده لاسباب منها انهما على طريق مصر يقطع بينهما وبين الشام وكان يختار ان تتصل الولايات له ليسهل خروج العساكر منها ودخولهم اليها ولما في فتح القدس من الذكر الجميل والصيت العظيم الى غير ذلك من الاغراض فسار عن بيروت نحو عسقلان واجتمع باخيه العادل ومن معه من عساكر مصر ونازلوها يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة وكان صلاح الدين قد احضر ملك الفرنج ومقدم الداوية اليه من دمشق وقال لهما ان سلمتما البلاد الى فلكما الامان فارسلا الى من بعسقلان من الفرنج يامرانهم بتسليم البلد فلم يسمعوا امرهما وردوا عليهما اقبح رد واسمعاهما ما يسوءهما فلما رأى السلطان ذلك جد في قتال المدينة ونصب المجانيق عليها وزحف مرة بعد اخرى وتقدم النقابون الى السور فنالوا من باشورته شيئا هذا وملكهم يكرر المراسلات اليهم بالتسليم ويشير عليهم ويعدهم انه اذا اطلق من الاسر اضرم البلاد على المسلمين نارا واستنجد بالفرنج من البحر واجلب الخيل والرجل من اقاصي بلاد الفرنج وادانيها وهم لا يجيبون الى ما يقول ولا يسمعون ما يشير به ولما رأوا انهم كل يوم يزدادون ضعفا ووهنا واذا قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضا ولا لهم نجدة ينتظرونها راسلوا صلاح الدين في تسليم البلد على شروط اقترحوها فاجابهم صلاح الدين اليها وكانوا قتلوا في الحصار اميرا كبيرا من المهرانية فخافوا عند مفارقة البلد ان عشيرته يقتلون منهم بثاره فاحتاطوا فيما اشترطوا لانفسهم فاجيبوا الى ذلك جميعه وسلموا المدينة سلخ جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة الحصار اربعة عشر يوما وسيرهم صلاح الدين ونساءهم واموالهم واولادهم الى بيت المقدس ووفى لهم بالامان

(ذكر فتح البلاد والحصون المجاورة لعسقلان)

لما فتح صلاح الدين عسقلان اقام بظاهرها وبث السرايا في اطراف البلاد المجاورة لها ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومشهد ابراهيم الخليل عليه السلام وتبنين وبيت لحم وبيت جبريل والنطرون وكل ما كان للداوية

(ذكر فتح البيت المقدس)

لما فرغ صلاح الدين من امر عسقلان وما يجاورها من البلاد على ما تقدم وكان قد ارسل الى مصر واخرج الاسطول الذي بها في جمع من المقاتلة ومقدمهم حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو معروف بالشجاعة والشهامة ويمن النقيبة فاقاموا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج كلما رأوا لهم مركبا غنموه وشانيا اخذوه فحين وصل الاسطول وخلا سره من تلك الناحية سار عن عسقلان الى البيت المقدس وكان به البطرك المعظم عندهم وهو اعظم شانا من ملكهم وبه ايضا باليان بن بيرزان صاحب الرملة وكانت مرتبته عندهم تقارب مرتبة الملك وبه ايضا من خاص من فرسانهم من حطين وقد جمعوا وحشدوا واجتمع اهل تلك النواحي عسقلان وغيرها فاجتمع به كثير من

الاعداء ويبطل ما قيل من التقولات ثم اقام ذووجوده بذ اياما قليلة ورجعا لاشغالهما وتتميم ادعى المهام من تحرير

الانقياس وجبي الاموال وكانا
ارسلا قبل حضورهما عدة
كثيرة من الجمال الحاملة
للاموال في كل يوم قطارات
بعضها اثر بعض من الشرقية
والغربية والمنوفية وباقي
الاقاليم (وفيه) حضر شيخ
طرهونة بجهة قبلي ويسمى
كريم بضم الكاف وفتح الراء
وتشديد الياء وسكون الميم
وكان عاصيا على الباشا ولم
يقابله ابدا ولم يزل يحتال
عليه ابراهيم باشا يصالحه
ويمنيه حتى اتى اليه وقابله
وامنه فلما حضر الباشا ابوه
من الحجاز اتاه على امان ابنه
وقدم معه هدية واربعين من
الابل فقبل هديته ثم امر برمي
عنقه بالرميلة

*(واستهل شهر شعبان
سنة ١٢٣٠)*

والناس في امر مريج من قطع
ارزاقهم وارباب الالتزامات
والحصص التي ضبطها الباشا
ورفع ايديهم من التصرف في
شئ منها خلا طين الاوسية
فانه سامحهم فيه سوى ما زاد
عن الروك الذي قاسوه فانه
لديوانه ووعدهم بصرف
المال الحر المعين بالسند
الديواني فقط بعد التحرير
والمطابقة ومناقضة الكتبة
الاقباط في القوائم واقاموا
منتظرين انجاز وعده اياما
يغدون ويروحون ويسألون الكتبة ومن له وصلة بهم وقد ضاق خناقهم من التفليس

الخلق كلهم يرى الموت ايسر عليه من ان يملك المسلمون البيت المقدس ويأخذوه منهم
ويرى ان بذل نفسه وماله وأولاده بعض ما يجب عليه من حفظه وحصنوه تلك الايام
بما وجدوا اليه سبيلا وصعدوا على سوره بحدهم وحديدهم مجتمعين على حفظه
والذب عنه بجهدهم وطاقتهم مظهرين العزم على المناضلة دونه بحسب استطاعتهم
ونصبوا المنجنيقات ليمنعوا من يريد الدنو منه والنزول عليه ولما قرب صلاح الدين
منه تقدم أمير في جماعة من اصحابه غير محتاط ولا حذر فلقيه جمع من الفرنج قد خرجوا
من القدس ليكونوا يزكا فقاتلوه وقاتلهم فقتلوه وقتلوا جماعة ممن معه فأهم المسلمين
قتله وفجعوا بفقده وساروا حتى نزلوا على القدس منتصف رجب فلما نزلوا عليه رأى
المسلمون على سوره من الرجال ما هالهم وسمعوا لأهله من الغلبة والضجيج من وسط
المدينة ما استدلوا به على كثرة الجمع وبقي صلاح الدين خمسة أيام يطوف حول المدينة
لينظر من اين يقاتله لانه في غاية الحصانة والامتناع فلم يجد عليه موضع قتال الا من
جهة الشمال نحو باب عمود او كنيسة صهيون فانتقل الى هذه الناحية في العشرين
من رجب ونزلها ونصب تلك الليلة المنجنيقات فاصبح من الغد وقد فرغ من نصبها ورمى
بها ونصب الفرنج على سور البلد منجنيقات ورموا بها وقوتلوا أشد قتال رآه أحد من
الناس كل واحد من الفريقين يرى ذلك دينا وحتما واجبا فلا يحتاج فيه الى باعث
سلطاني بل كانوا يمنعون ولا يمتنعون ويزجرون ولا ينزجرون وكان خيالة الفرنج كل
يوم يخرجون الى ظاهر البلد يقاتلون ويبارزون فيقتل من الفريقين وممن استشهد
من المسلمين الامير عز الدين عيسى بن مالك وهو من اكابر الامراء وكان ابوه صاحب
قلعة جعبر وكان يباشر القتال بنفسه كل يوم فقتل الى رحمة الله تعالى وكان محبوبا
الى الخاص والعام فلما رأى المسلمون مصرعه عظم عليهم ذلك وأخذ من قلوبهم فحملوا
حملة رجل واحد فازالوا الفرنج عن مواقفهم فادخلوهم بلدهم ووصل المسلمون الى
الخندق فجاوزوه والتصقوا الى السور فنقبوه وزحف الرماة يحمونهم والمنجنيقات
توالي الرمي لتكشف الفرنج عن الاسوار ليتمكن المسلمون من النقب فلما نقبوه
حشوه بما جرت به العادة فلما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين وتحكم المنجنيقات بالرمي
المتدارك وتمكن النقابين من النقب وانهم قد اشرفوا على الهلاك اجتمع مقدموهم
يتشاورون فيما يأتون ويذرون فاتفق رأيهم على طلب الامان وتسليم البيت المقدس
الى صلاح الدين فارسلوا جماعة من كبرائهم واعيانهم في طلب الامان فلما ذكروا ذلك
للسلطان امتنع من اجابتهم وقال لا افعل بكم الا كما فعلتم باهله حين ملكتموه سنة
اثنتين وتسعين واربعمائة من القتل والسبي وجزاء السيئة بمثلها فلما رجع الرسل
خائبين محرومين أرسل باليان بن بيرزان وطلب الامان لنفسه ليحضر عند صلاح الدين
في هذا الامر وتحريره فأجيب الى ذلك وحضر عنده ورغب في الامان وسأل فيه فلم
يجبه الى ذلك واستعطفه فلم يعطف عليه واسترحمه فلم يرحمه فلما أيس من ذلك قال له
ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة في خلق كثير لا يعلمهم الا الله تعالى وانما يفترون

عن

عن القتال رجاء الامان ظنا منهم انك تجيبهم اليه كما اجبت غيرهم وهم يكرهون الموت ويرغبون فى الحياة فاذا رأينا الموت لابد منه فوالله لنقتلن ابناءنا ونساءنا ونحرق اموالنا وامتعتنا ولا نترككم تغنمون منها دينارا ولا درهما ولا تسبون وتاسرون رجلا ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسارى المسلمين وهم خمسة آلاف اسير ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا الا قتلناه ثم خرجنا اليكم كلنا قاتلناكم قتال من يريد ان يحمى دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء او نظفر كراما فاستشار صلاح الدين اصحابه فاجمعوا على اجابتهم الى الامان وان لا يخرجوا ويحملوا على ركوب ما لا يدرى عاقبة الامر فيه عن اى شئ تنجلى ونحسب انهم اسارى بايدينا فنبيعهم نفوسهم بما يستقر بيننا وبينهم فاجاب صلاح الدين حينئذ الى بذل الامان للفرنج فاستقر أن يؤخذ من الرجل عشرة دنانير يستوى فيه الغنى والفقير ويزن الطفل من الذكور والبنات دينارين وتزن المرأة خمسة دنانير فمن ادى ذلك الى اربعين يوما فقد نجا ومن انقضت الاربعون يوما عنه ولم يؤد ما عليه فقد صار مملوكا فبذل باليان بن بيرزان عن الفقراء ثلاثين الف دينار فاجيب الى ذلك وسلمت المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وكان يوما مشهودا ورفعت الاعلام الاسلامية على اسواره ورتب صلاح الدين على ابواب البلد فى كل باب امينا من الامراء لياخذوا من اهله ما استقر عليهم فاستعملوا الخيانة ولم يؤدوا فيه امانة واقتسم الامناء الاموال وتفرقت ايدى سبا ولو اديت فيه الامانة لملأ الخزائن وعم الناس فانه كان فيه على الضبط ستون الف رجل ما بين فارس وراجل سوى من يتبعهم من النساء والولدان ولا يعجب السامع من ذلك فان البلد كبير واجتمع اليه من تلك النواحى من عسقلان وغيرها والداروم والرملة وغزة وغيرها من القرى بحيث امتلأت الطرق والكنائس وكان الانسان لا يقدر ان يمشى ومن الدليل على كثرة الخلق ان اكثرهم وزن ما استقر من القطيعة واطلق باليان بن بيرزان ثمانية عشر الف رجل وزن عنهم ثلاثين الف دينار وبقى بعد هذا جميعه من لم يكن معه ما يعطى واخذ اسيرا ستة عشر الف آدمى ما بين رجل وامرأة وصبى هذا بالضبط واليقين ثم ان جماعة من الامراء ادعى كل واحد منهم ان جماعة من رعيته اقطاعه مقيمون بالبيت المقدس فيطلقهم ويأخذ هو قطيعتهم وكان جماعة من الامراء يلبسون الفرنج زى الجند المسلمين ويخرجونهم ويأخذون منهم قطيعة قرروها واستوهب جماعة من صلاح الدين عددا من الفرنج فوهبهم لهم فاخذوا قطيعتهم وبالجملة فلم يصل الى خزائنه الا القليل وكان بالقدس بعض نساء الملوك من الروم وقد ترهبت واقامت به ومعها من الحشم والعبيد والجوارى خلق كثير ولها من الاموال والجواهر النفيسة شئ عظيم فطلبت الامان لنفسها ومن معها فامنها وسيرها وكذلك ايضا اطلق ملكة القدس التى كان زوجها الذى اسره صلاح الدين قد ملك الفرنج بسببها ونيابة عنها كان يقوم بالملك واطلق مالها وحشمها واستاذنته فى المصير

وقطع الايراد ورضوا بالاقل وتشوشوا لحصوله وكل قليل يعدون بعد اربعة ايام او ثلاثة ايام حتى تحرر الدفاتر فاذا تحررت قيل ان الباشا امر بتغييرها وتحريرها على نسق آخر ويكرر ذلك ثانيا وثالثا على حسب تفاوت المحصل فى السنين وما يتوفر فى الخزينة قليلا او كثيرا (وفيه) وصل رجل تركى على طريق دمياط يزعم انه عاش من العمر زمنا طويلا وانه ادرك اوائل القرن العاشر ويذكر انه حضر الى مصر مع السلطان سليم وادرك وقعته وواقعته مع السلطان الغورى وكان فى ذلك الوقت تابعا لبعض البيرقدارية وشاع ذكره وحكى من رآه ان ذاته تخالف دعواه وامتحنه البعض فى مذاكرة الاخبار والوقائع فحصل منه تخليط ثم امر الباشا بنفيه وابعاده فانزلوه فى مركب وغاب خبره فيقال انهم اغرقوه والله اعلم (وفى خامس عشرينه) عملوا الديوان ببيت الدفتردار وفتحوا باب صرف الفائظ على ارباب حصص الالتزام فجعلوا يعطون منه جانبا واكثر ما يعطونه نصف القدر الذى قرروه واقل وازيد قليلا (وفيه) امر الباشا لجميع العساكر بالخروج الى الميدان لعمل التعليم والرماحة خارج باب النصر حيث قبة العزب بخفر جوا من ثلث الليل الاخير

وأخذوا في الرمايحة والبندقة المتواصلة المتتابعة مثل الزبهود على طريقة الافرنج وذلك من قبيل الفجر الى الضحوة ولما انقضى ذلك رجعوا داخلين الى المدينة في كبكبة عظيمة حتى زحموا الطرق تتبعهم من كل ناحية وداسوا أشخاصا من الناس بخيولهم بل وحميرا ايضا وشيع ان الباشا قصده احصاء العسكر وترتيبهم على النظام الجديد وأوضاع الافرنج ويلبسهم الملابس المقمطة ويغير شكلهم وركب في ثاني يوم الى بولاق وجمع عساكر ابنه اسمعيل باشا وصفهم على الطريقة المعروفة بالنظام الجديد وعرفهم قصده فعل ذلك بجميع العساكر ومن ابى ذلك قابله بالضرب والطرد والنفي بعد سلبه حتى من ثيابه ثم ركب من بولاق وذهب الى شبرا وحصل في العسكر قلقلة ولغط وتناجوا فيما بينهم وتفرق الكثير منهم عن مخاديمهم وأكابرهم ووافقهم على النفور بعض اعيانهم واتفقوا على غدر الباشا ثم ان الباشا ركب من قصر شبرا وحضر الى بيت الازبكية ليلة الجمعة ثامن عشرينه وقد اجتمع عنده عابدين بك بداره جماعة من أكابرهم في ولمية وفيهم محو بك وعبدالله اغا صاري جله وحسن اغا الازرنجلي فتفاوضوا

الى زوجها وكان حينئذ محبوسا بقلعة نابلس فاذن فاتته واقامت عنده واتته ايضا امراة للبرنس ارناط صاحب الكرك وهو الذي قتله صلاح الدين بيده يوم المصاف بحطين فشفعت في ولدها ماسور فقال لها صلاح الدين ان سلمت الكرك اطلقته فسارت الى الكرك فلم يسمع منها الفرنج ولم يسلموه فلم يطلق ولدها ولكنه اطلق مالها ومن تبعها وخرج البطرك الكبير الذي للفرنج ومعه من اموال البيع منها الصخرة والاقصى وقمامة وغيرها مالا يعلمه الا الله تعالى وكان له من المال مثل ذلك فلم يعرض له صلاح الدين فقيل له لياخذ ما معه يقوى به المسلمين فقال لا اغدر به ولم ياخذ منه غير عشرة دنانير وسير الجميع ومعهم من يحميهم الى مدينة صور وكان على راس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فلما دخل المسلمون البلد يوم الجمعة تسلق جماعة منهم الى اعلى القبة ليقلعوا الصليب فحين صعدوا صاح الناس كلهم صوتا واحدا من البلد ومن ظاهره المسلمون والفرنج اما المسلمون فكبروا فرحا وأما الفرنج فصاحوا تفجعا وتوجعا فسمع الناس صيحة كادت الارض ان تميد بهم لعظمها وشدتها فلما ملك البلد وفارقه الكفار أمر صلاح الدين باعادة الابنية الى حالها القديم فان الداوية بنوا غربي الاقصى ابنية ليسكنوها وعملوا فيها ما يحتاجون اليه من هري ومستراح وغير ذلك وادخلوا بعض الاقصى في ابنيتهم فاعيد الى الاول وأمر بتطهير المسجد والصخرة من الاقذار والانجاس ففعل ذلك اجمع ولما كان الجمعة الاخرى رابع شعبان صلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلى في قبة الصخرة وكان الخطيب والامام محيي الدين ابن الزكي قاضي دمشق ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبا واماما برسم الصلوات الخمس وأمران يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محمودا كان قد عمل بحلب منبرا أمر الصناع بالمبالغة في تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله النجارون في عدة سنين لم يعمل في الاسلام مثله فامر باحضاره فحمل من حلب ونصب بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم بعمارة المسجد الاقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه فاحضروا من الرخام الذي لا يوجد ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما يحتاجون اليه قد ادخر على طول السنين فشرعوا في عمارته ومحوا ما كان في تلك الابنية من الصور وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها فامر بكشفها وكان سبب تغطيتها بالفرش ان القسيسين باعوا كثيرا منها للفرنج الواردين اليهم من داخل البحر للزيارة فكانوا يشترونه بوزنه ذهبا رجاء بركتها وكان أحدهم اذا دخل الى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ويجعل في مذبحها فخاف بعض ملوكهم ان تفنى فامر بها ففرش فوقها حفظا لها فلما كشفت نقل اليها صلاح الدين المصاحف الحسنة والربعات الجيدة ورتب القراء وادر عليهم الوظائف الكثيرة فعاد الاسلام هناك غضا طريا وهذه المكرمة من فتح البيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه غير صلاح

الدين

الدين رحمه الله وكفاه ذلك فخرا وشرفا واما الفرنج من اهله فانهم اقاموا وشرعوا في
بيع ما لا يمكنهم حمله من امتعتهم وذخائرهم واموالهم وما لا يطيقون حمله وباعوا ذلك
بارخص الثمن فاشتراه التجار من اهل العسكر واشتراه النصارى من اهل القدس الذين
ليسوا من الفرنج فانهم طلبوا من صلاح الدين ان يمكنهم من المقام في مساكنهم ويأخذ
منهم الجزية فاجابهم الى ذلك فاستقروا فاشتروا حينئذ من اموال الفرنج وترك الفرنج
ايضا اشياء كثيرة لم يمكنهم بيعها من الاسرة والصناديق والبتيات وغير ذلك وتركوا
ايضا من الرخام الذي لا يوجد مثله من الاساطين والالواح والفص وغيره شيئا كثيرا
ثم ساروا

(ذكر رحيل صلاح الدين الى صور ومحاصرتها)

لما فتح صلاح الدين البيت المقدس اقام بظاهره الى الخامس والعشرين من شعبان
يرتب امور البلد واحواله وتقدم بعمل الربط والمدارس فجعل دار الاسبتار مدرسة
للشافعية وهي في غاية ما يكون من الحسن فلما فرغ من امر البلد سار الى مدينة صور
وكانت قد اجتمع فيها من الفرنج عالم كثير وقد صار المركيش صاحبها والحاكم فيها
وقد ساسهم احسن سياسة وبالغ في تحصين البلد ووصل صلاح الدين الى عكا واقام
بها اياما فلما سمع المركيش بوصوله اليها جد في عمل سور صور وخنادقها وتعميقها
ووصلها من البحر الى البحر من الجانب الآخر فصارت المدينة كالجزيرة في وسط الماء
لا يمكن الوصول اليها ولا الدنو منها ثم رحل صلاح الدين من عكا ووصل الى صور تاسع
شهر رمضان فنزل على نهر قريب البلد بحيث يراه حتى اجتمع الناس وتلاحقوا
وسار في الثاني والعشرين من رمضان فنزل على تل يقارب سور البلد بحيث يرى القتال
وقسم القتال على العسكر كل جمع منهم له وقت معلوم يقاتلون فيه بحيث يتصل
القتال على اهل البلد على ان الموضع الذي يقاتلون منه قريب المسافة يكفيه الجماعة
اليسيرة من اهل البلد لحفظه وعليه الخنادق التي قد وصلت من البحر الى البحر فلا
يكاد الطير يطير عليها فان المدينة كالكف في البحر والساعد متصل بالبر والبحر من
جانبي الساعد والقتال انما هو في الساعد فزحف المسلمون مرة بالمنجنيقات والعرادات
والجروخ والدبابات وكان اهل صلاح الدين يتناوبون القتال مثل ولده الافضل وولده
الظاهر غازي واخيه العادل بن ايوب وابن اخيه تقي الدين وكذلك سائر الامراء وكان
للفرنج شواني وحراقات يركبون فيها في البحر ويقفون من جانبي الموضع الذي يقاتل
المسلمون منه اهل البلد فيرمون المسلمين من جانبيهم بالجروخ ويقاتلونهم وكان ذلك
يعظم عليهم لان اهل البلد يقاتلونهم من بين ايديهم واصحاب الشواني يقاتلونهم من
جانبيهم فكانت سهامهم تنفذ من احد الجانبين الى الجانب الآخر لضيق الموضع
فكثرت الجراحات في المسلمين والقتل ولم يتمكنوا من الدنو الى البلد فارسل صلاح
الدين الى الشواني التي جاءته من مصر وهي عشر قطع وكانت بعكا فاحضرها برجالها

بينهم امر الباشا وما هو شارع فيه واتفقوا على الهجوم عليه
في داره بالازبكية في الفجرية
ثم ان عابدين بك غافلهم
وتركهم في انسهم وخرج
متنكرا مسرعا الى الباشا
واخبره ورجع الى اصحابه
فاسرع الباشا في الحال
الركوب في سادس ساعة
من الليل وطلب عساكر
طاهر باشا فركبوا معه وحوط
المنزل بالعساكر ثم اخلف
الطريق وذهب على ناحية
الناصرية ومرمى النشاب
وصعد الى القلعة وتبعه من
يثق به من العساكر وانخرم
امر المتوافقين ولم يسعهم
الرجوع عن عزيمتهم فساروا
الى بيت الباشا يريدون نهبه
فمانعهم المرابطون وتضاربوا
بالرصاص والبنادق وقتل
بينهم اشخاص ولم ينالوا غرضا
فساروا على ناحية القلعة
واجتمعوا بالرميلة وقراميدان
وتحيروا في امرهم واشتد
غيظهم وعلموا ان وقوفهم
بالرميلة لا يجدي شيئا وقد
اظهروا المخاصمة ولا ثمرة
تعود عليهم في رجوعهم
وسكونهم بل ينكشف بالهم
وتنذل انفسهم ويلحقهم اللوم
من اقرانهم الذين لم ينضموا
اليهم فاجمع رايهم لسوء
طباعهم وخبث عقيدتهم
وطرائقهم انهم يتفرقون في
شوارع المدينة وينهبون متاع الرعية واموالهم فاذا

ومقاتلتها وعدتها وكانت في البحر تمنع شواني اهل صور من الخروج الى قتال
المسلمين فتمكن المسلمون حينئذ من القرب من البلد ومن قتاله فقاتلوه برا وبحرا
وضايقوا حتى كادوا يظفرون فساءت الاقدار بما لم يكن في الحساب وذلك ان
خمس قطع من شواني المسلمين باتت في بعض تلك الليالي مقابل ميناء صور ليمنعوا
من الخروج منه والدخول اليه فباتوا ليلتهم يحرسون وكان مقدمهم عبد السلام
المغربي الموصوف بالحذق في صناعته وشجاعته فلما كان وقت السحر امنوا فناموا فما
شعروا الا بشواني الفرنج تدنا زلتهم وضايقتهم فاوقعت بهم فقتلوا من ارادوا قتله
واخذوا الباقين بمراكبهم وادخلوهم ميناء صور والمسلمون في البر ينظرون اليهم ورمى
جماعة من المسلمين انفسهم من الشواني في البحر فمنهم من سبح فنجا ومنهم من غرق وتقدم
السلطان الى الشواني الباقية بالمسير الى بيروت لعدم انتفاعه بها لقلتها فسارت فتبعها
شواني الفرنج فحين رأى من في شواني المسلمين الفرنج مجدين في طلبهم القوا انفسهم
في شوانيهم الى البر فنجوا وتركوها فاخذها صلاح الدين ونقضها وعاد الى مقاتلة صور في
البر وكان ذلك قليل الجدوى لضيق المجال وفي بعض الايام خرج الفرنج فقاتلوا المسلمين
من وراء خنادقهم فاشتد القتال بين الفريقين ودام الى آخر النهار وكان خروجهم قبل
العصر واسر منهم فارس كبير مشهور بعد ان كثر القتال والقتل عليه من الفريقين لما
سقط فلما اسر قتل وبقوا كذلك عدة ايام

(ذكر الرحيل عن صور الى عكا وتفريق العساكر)

لما رأى صلاح الدين ان امر صور يطول رحل عنها وهذه كانت عادته متى ثبت البلد
بين يديه ضجر منه ومن حصاره فرحل عنه وكان هذه السنة لم يطل مقامه على مدينة
بل فتح الجميع في الايام القريبة كما ذكرناه بغير تعب ولا مشقة فلما رأى هو واصحابه
شدة امر صور ملوها وطلبوا الانتقال عنها ولم يكن لاحد ذنب في امرها غير صلاح الدين
فانه هو جهز اليها جنود الفرنج وامدها بالرجال والاموال من اهل عكا وعسقلان
والقدس وغير ذلك كما سبق ذكره كان يعطيهم الامان ويرسلهم الى صور فصار فيها
فرسان الفرنج بالساحل باسرهم واموال التجار وغيرهم فحفظوا المدينة وراسلوا
الفرنج داخل البحر يستمدونهم فاجابوهم بالتلبية لدعوتهم ووعدوهم بالنصرة
وامروهم بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلجؤن اليها فزادهم ذلك حرصا على
حفظها والذب عنها وسنذكر ان شاء الله ما صار اليه الامر بعد ذلك ليعلم ان الملك لا ينبغي
ان يترك الحزم وان ساعدته الاقدار فلأن يعجز حازما خير له من ان يظفر مفرطا
مضيعا للحزم واعذر له عند الناس ولما اراد الرحيل استشار امراءه فاختلفوا فجماعة
يقولون الرأي ان نرحل فقد جرح الرجال وقتلوا وملوا وفنيت النفقات وهذا الشتاء
قد حضر والشوط بطين فنريح ونستريح في هذا البرد فاذا جاء الربيع اجتمعنا
وعاودناها وغيرها وكان هذا قول الاغنياء منهم وكانهم خافوا ان السلطان يقترض

المتخلفون عنهم لرغبة الجميع
في القبائح الذميمة ويعودون
بالغنيمة ويحصلون من
الحواصل ولا يضيع سعيهم
في الباطل كما يقال في المثل
ما قدر على ضرب الحمار
فضرب البرذعة ونزلوا على
وسط قصبة المدينة على الصليبة
على السروجية وهم يكسرون
ويفتحون ابواب الحوانيت
المغلوقة وينهبون ما فيها لان
الناس لما تسامعوا بالحركة
اغلقوا حوانيتهم وابوابهم
وتركوا اسبابهم طلبا للسلامة
وعندما شاهد باقيهم ذلك
اسرعوا اللحوق وبادروا معهم
للنهب والخطف بل وشاركهم
الكثير من الشطار والزعر
والعامة المقلين والجياع
ومن لا دين له وعند ذلك كثر
جمعهم ومضوا على طريقهم
الى قصبة رضوان الى داخل
باب زويلة وكسروا حوانيت
السكرية واخذوا ما وجدوه
من الدراهم وما حبوه من
اصناف السكر فحملوا ما كانوا
يحملون ويبددون الذي لم
ياخذوه ويلقونه تحت الارجل
في الطريق وكسروا اواني
الحلوا وقدور المربيات وفيها
ما هو من الصيني والبياغوري
والافرنجي ومجامع الاشربة
واقراص الحلوا الملونة والرشال

منهم ما ينفقه فى العسكر اذا أقام لخلو الخزائن وبيوت الاموال من الدرهم والدينار فانه كان يخرج كل ما يحمل اليه منها وقالت الطائفة الاخرى الرأى ان نصابر البلد ونضايقه فهو الذى يعتمدون عليه من حصونهم ومتى أخذناه منهم انقطع طمع من داخل البحر من هذا الجانب وأخذنا باقى البلاد صفوا عفوا فبقى صلاح الدين مترددا بين الرحيل والاقامة فلما رأى من يرى الرحيل اقامته أخل بما رد اليه من المحاربة والرمى بالمنجنيق واعتذر بانجراح رجالهم وانهم قد أرسلوا بعضهم ليحضروا نفقاتهم والعلوفات لدوابهم والاقوات لهم الى ذلك من الاعذار فصار وامقيمين بغير قتال فاضطر الى الرحيل فرحل عنها آخر شوال وكان أول كانون الاول الى عكا فاذن للعساكر جميعها بالعود الى أوطانهم والاستراحة فى الشتاء والعود فى الربيع فعادت عساكر الشرق والموصل وغيرها وعساكر الشام وعساكر مصر وبقى حلقته الخاص مقيما بعكا فنزل بقلعتها وورد أمر البلد الى عزالدين جورديك وهو من أكابر المماليك النورية جمع الديانة والشجاعة وحسن السيرة

(ذكر فتح هونين)

لما فتح صلاح الدين تبنين امتنع من بهونين من تسليمها وهى من أحصن القلاع وامنع فلم ير التعريج عليها ولا الاشتغال بمحاصرتها بل سير اليها جماعة من العسكر والامراء فحصروها ومنعوا من حمل الميرة اليها واشتغل بما تقدم ذكره من فتح عسقلان والبيت المقدس وغير ذلك فلما كان يحاصر مدينة صور أرسل من فيها يطلبون الامان فامنهم فسلموا ونزلوا منها ووفى لهم بامانهم

(ذكر حصر صفد وكوكب والكرك)

لما سار صلاح الدين الى عسقلان جعل على قلعة كوكب وهى مطلة على الاردن من يحصرها ويحفظ الطريق للمجتازين لئلا ينزل من به من الفرنج يقطعونه وسير طائفة اخرى من العسكر أيضا الى قلعة صفد فحصروها وهى مطلة على مدينة طبرية وكان حصن كوكب للاسبتار وحصن صفد للداوية وهما قريبان من حطين موضع المصاف فلجأ اليهما جميع من سلم من الداوية والاسبتار فحموهما فلما حصرهما المسلمون استراح الناس من شرمن فيهما واتصلت الطرق حتى كان يسير فيها المنفرد فلا يخاف وكان مقدم الجماعة الذين يحصرون قلعة كوكب أميرا يقال له سيف الدين وهو أخو جاولى الاسدى وكان شهما شجاعا ذا دين وعبادة فاقام عليه الى آخر شوال وكان أصحابه يحرسون نوبا مرتبة فلما كان آخر ليلة من شوال غفل الذين كانت نوبتهم فى الحراسة وكان قد صلى ورده من الليل الى السحر وكانت ليلة كثيرة الرعد والبرق والريح والمطر فلم يشعر المسلمون وهم نازلون الا والفرنج قد خالطوهم بالسيوف ووضعوا السلاح فيهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا ما كان عندهم من طعام وسلاح وغيره وعادوا الى قلعتهم فقووا بذلك قوة عظيمة أمكنهم ان يحفظوا قلعتهم الى ان

ويحملوا اهم واتباعهم ومن انضاف لهم من اوباش البلدية والحرافيش والجميدية ياقون ما فضل عنهم على قارعة الطريق بحيث صار السوق من خد باب زويلة الى المناخلية مع اتساعه وطوله مرصوما ومنقوشا بالوان السكر واقراص الاشربة الملونة واعسال المربيات سائلة على الارض وكان اهل ذلك السوق المتسببون جددوا وطبخوا انواع المربيات والاشربة عند ورود الفواكه وكثرتها فى اوانها وهو هذا الشهر المبارك مثل الخوخ والتفاح والبرقوق والتوت والقرع المسير والحصرم والسفرجل وملؤا الاوعية وصففوها فى حوانيتهم للبيع وخصوصا على موسم شهر رمضان ومضوا فى سيرهم الى العقادين الرومى والغورية والاشرفية وسوق الصاغة ووصلت طائفة الى سوق مرجوش نكسروا ابواب الحوانيت والوكائل والخانات ونهبوا ما فى حواصل التجار من الاقمشة الحلاوى والسبز والحرير والزردخان ولما وصلت طائفة الى راس خان الخليلى وارادوا العبور والنهب فزعت فيهم الاتراك والارنؤد الذين يتعاطون التجارة الساكنون بخان اللبن والنحاسين وغيرهما وضربوا

اخذت اواخر سنة اربع وثمانين على ما سنذكره ان شاء الله وأتى الخبر الى صلاح الدين بذلك عند رحيله عن صور فعظم ذلك عليه مضافا الى ما ناله من أخذ شوانيه ومن فيها ورحيله عن صور ثم رتب على حصن كوكب الامير قايماز النجمي في جماعة أخرى من الاجناد فحصروها

ذكر الفتنة بعرفات وقتل ابن المقدم

في هذه السنة يوم عرفة قتل شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم بعرفات وهو أكبر الامراء الصلاحية وقد تقدم من ذكره ما فيه كفاية وسبب قتله انه لما فتح المسلمون البيت المقدس طلب اذنا من صلاح الدين ليحج ويحرم من القدس ويجمع في سنته بين الجهاد والحج وزيارة الخليل عليه السلام ومن بالشام من مشاهد الانبياء وبين زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين فاذن له وكان قد اجتمع تلك السنة من الحجاج بالشام الخلق العظيم من البلاد العراق والموصل وديار الجزيرة وخلاط وبلاد الروم ومصر وغيرها ليجمعوا بين زيارة بيت المقدس ومكة فجعل ابن المقدم أميرا عليهم فساروا حتى وصلوا الى عرفات سالمين ووقفوا في تلك المشاعر وأدوا الواجب والسنة فلما كان عشية عرفة تجهز هو وأصحابه ليسيروا من عرفات فامر بضرب كوساته التي هي امارة الرحيل فضرب بها أصحابه فارسل اليه أمير الحاج العراقي وهو مجير الدين طاشتكين ينهاه عن الافاضة من عرفات قبله ويامره بكف أصحابه عن ضرب كوساته فارسل اليه يقول انني ليس لي معك تعلق انت أمير الحاج العراقي وأنا أمير الحاج الشامي وكل منا يفعل ما يراه ويختاره وسار ولم يقف ولم يسمع قوله فلما رأى طاشتكين اصراره على مخالفته ركب في أصحابه واجناده وتبعه من غوغاء الحاج العراقي وبطالتهم وطماعتهم العالم الكثير والجم الغفير وقصدوا حاج الشام مهولين عليهم فلما قربوا منهم خرج الامر من الضبط وعجزوا عن تلافيه فهجم طماعة العراق على حاج الشام وفتكوا فيهم وقتلوا جماعة ونهبت أموالهم وسبيت جماعة من نسائهم الا انهن رددن عليهم وجرح ابن المقدم عدة جروح وكان يكف أصحابه عن القتال ولو أذن لهم لانتصفوا منهم وزاد لكنه راقب الله تعالى وحرمة المكان واليوم فلما أثخن بالجراحات اخذه طاشتكين الى خيمته وانزله عنده ليمرضه ويستدرك الفارط في حقه وساروا تلك الليلة من عرفات فلما كان الغد مات بمنى ودفن بمقبرة المعلى ورزق الشهادة بعد الجهاد وشهود فتح البيت المقدس رحمه الله تعالى

ذكر قوة السلطان طغرل على قزل

في هذه السنة قوي أمر السلطان طغرل وكثر جمعه وملك كثيرا من البلاد فارسل قزل الى الخليفة يستنجده ويخوفه من طغرل ويبذل من نفسه الطاعة والتصرف على ما يختارونه وارسل طغرل رسولا الى بغداد يقول ويريد ان يتقدم الديوان بعمارة دار السلطنة ليسكنها اذا وصلها فاكرم رسول قزل ووعده بالنجدة ورد رسول

السلطان

عليهم الرصاص وكذلك من سوق الصرماتية والاتراك الجردجية الساكنون بالرباع بباب الزهومة جعلوا يرمون عليهم من الطيقان بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم وكذلك تعصبت طائفة المغاربة الكائنون بالفحامين وحارة الكعكيين رموا عليهم بالرصاص وطردوهم عن تلك الناحية واغلقوا البوابات التي على رؤس العطف وجلس عند كل درب اناس ومن فوقهم أناس من اهل الخطة بالرصاص تمنع الواصل اليهم ووصلت طائفة الى خان الحمزاوي فعالجوا فتح بابه حتى كسروا الخوخة التي في الباب وعبروا الخان وكسروا حواصل التجار من نصارى الشوام وغيرهم ونهبوا ما وجدوه من النقود وانواع الاقمشة الهندية والشامية والمقصبات وبالات الجوخ والقطيفة والاسطوفة وانواع الاطلس والالاجات والسلاوي والجنفس والصندل والحبر وانواع الشيت والحرير الخام والابريسم وغير ذلك وتبعهم الخدم والعامة في النهب واخرجوا ما في الدكاكين والحواصل من انواع الاقمشة واخذوا ما اعجبهم واختاروه وانتقوه وتركوا ما تركوه ولم يقدروا على حمله مطروحا على الارض ودهليز الخان وخارج السوق يطؤن عليه بالارجل

السلطان طغرل بغير جواب وأمر الخليفة بنقض دار السلطنة فهدمت الى الارض وعفى اثرها

(ذكر ملك شورستي من الهند وانهزام المسلمين بعدها)

في آخر هذه السنة سار شهاب الدين الغوري ملك غزنة الى بلاد الهند وقصد بلاد اجمير وتعرف بولاية السوالك واسم ملكهم كولة وكان شجاعا مشهورا فلما دخل المسلمون بلاده ملكوا مدينة تبرندة وهي حصن منيع عال وملكوا شرستي وملكوا كوه رام فلما سمع ملكهم جمع العساكر فاكثر وسار الى المسلمين فالتقوا وقامت الحرب على ساق وكان مع الهند اربعة عشر فيلا فلما اشتدت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم فقال لشهاب الدين بعض خواصه قد انكسرت الميمنة والميسرة فانج بنفسك لا يهلك المسلمون فاخذ شهاب الدين الرمح وحمل على الهنود فوصل الى الفيلة فطعن فيلا منها في كتفه وجرح الفيل لا يندمل فلما وصل شهاب الدين الى الفيلة زرقه بعض الهنود بحربة فوقعت الحربة في ساعده فنفذت الحربة من الجانب الآخر فوقع حينئذ الى الارض فقاتل عليه اصحابه ليخلصوه وحرصت الهنود على اخذه وكان عنده حرب لم يسمع بمثله واخذه اصحابه فركبوا فرسه وعادوا به منهزمين فلم يتبعهم الهنود فلما ابعدوا عن موضع الوقعة مقدار فرسخ اغمي على شهاب الدين من كثرة خروج الدم فحمله الرجال على اكتافهم في محفة اليد اربعة وعشرين فرسخا فلما وصل الى لهاوور اخذ الامراء الغورية وهم الذين انهزموا ولم يثبتوا وعلق على كل واحد منهم عليق شعير وقال انتم دواب ما انتم امراء وسار الى غزنة وامر بعضهم فمشى اليها ماشيا فلما وصل الى غزنة اقام بها ليستريح الناس ونذكر ما فعله بملك الهند الذي هزمه سنة ثمان وثمانين ان شاء الله تعالى

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في ربيع الاول قتل مجد الدين ابو الفضل بن الصاحب وهو استاذ دار الخليفة امر الخليفة بقتله وكان متحكما في الدولة ليس للخليفة معه حكم وكان هو القيم بالبيعة له وظهر له اموال عظيمة اخذ جميعها وكان حسن السيرة عفيفا عن الاموال وكان الذي سعى به انسان من اصحابه وصنائعه يقال له عبيد الله بن يونس فسعى به الى الخليفة وقبح آثاره فقبض عليه وقتله وفيها في ربيع الآخر وقع حريق في الحظائر ببغداد احترقت احطاب كثيرة وسببه ان فقيها بالمدرسة النظامية كان يطبخ طعاما يأكله فغفل عن النار وانطبخ فعلقت النار واتصلت فاحترقت جميعها واحترق درب السلسلة وغيره مما يجاوره وفيها في شوال استوزر الخليفة الناصر لدين الله ابا المظفر عبيد الله بن يونس ولقبه جلال الدين ومشى ارباب الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة وكان ابن يونس من شهوده وكان يمشي ويقول لعن الله طول العمر وفيها في المحرم توفي عبد المغيث بن زهير الحربي ببغداد وكان من اعيان الحنابلة قد سمع الحديث الكثير

والنعالات ويعدوا القوى على الضعيف فيأخذ ما معه من الاشياء الثمينة وقتل بعضهم البعض وكسروا ابواب الدكاكين التي خارج الخان بالخطة واخرجوا ما فيها من التحف والاواني الصيني والزجاج المذهب والكاسات البلور والصحون والاطباق والفناجين البيشة وانواع الخردة واخذوا ما اعجبهم وما وجدوه من نقود ودراهم وهشموا البواقي وكسروه والقوه على الارض تحت الارجل شقافا متنوعة وكذلك فعلوا بسوق البندقانيين ومابه من حوانيت العطارين وطرحوا انواع الاشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالارجل ايضا وفعلوا ما لاخير فيه من نهب اموال الناس والاتلاف ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والكرابك وغلق البوابات لكان الوقع افظع من ذلك ونهبوا ايضا البيوت وعروا النساء والعياذ بالله ولكن الله سلم وشاركهم في فعلهم الكثير من الاوباش والمغاربة المدافعين ايضا فانهم اخذوا اشياء كثيرة وكانوا يقبضون على من يمر بهم ممن يقدرون عليه من النهابين وياخذون ما معهم لانفسهم واذا هشمت العساكر حانوتا وخطفوا منها شيئا ولحقهم من يطردهم منها استاصل اللاحقون ما فيها واستباح

صنف كتابا فى فضائل يزيد بن معاوية اتى فيه بالعجائب وقد رد عليه ابو الفرج بن الجوزى وكان بينهما عداوة وفيها توفى قاضى القضاة ابو الحسن بن الدامغانى وولى القضاء للمقتفى بعد موت الزينبى ثم للمستنجد بالله ثم عزل ثم اعيد الى المستضىء بامر الله وفيها توفى على بن خطاب بن ظفر الشيخ الصالح من جزيرة ابن عمر وكان من الاولياء ارباب الكرامات صحبته انا مدة فلم ار مثله حسن خلق وسمت وكرم وعبادة رحمه الله وفيها ولدت امراة من سواد بغداد بنتا لها اسنان وفيها توفى نصر بن فتيان بن مطر ابو الفتح بن المنى الفقيه الحنبلى لم يكن لهم مثله رحمه الله تعالى

(تم الجزء الحادى عشر من تاريخ الكامل لابن الاثير ويليه)
(الجزء الثانى عشر اوله ثم دخلت سنة اربع وثمانين وخمسمائة)

الناس اموال بعضهم البعض وكان هذا الحادث الذى لم نسمع بنظيره فى دولة من الدول فى ظرف خمس ساعات وذلك من قبيل صلاة الجمعة الى قبيل العصر حصل للناس هذه المدة اليسيرة من الانزعاج والخوف الشديد ونهب الاموال واتلاف الاسباب والبضائع مالا يوصف ولم تصل الجمعة فى ذلك اليوم واغلقت المساجد الكائنة بداخل المدينة واخذ الناس حذرهم ولبسوا اسلحتهم واغلقوا البوابات وقعدوا على السكك والمرابض والمتاريس وسهروا الليالى واقاموا على الحذر والتحفظ والخوف اياما وليالى